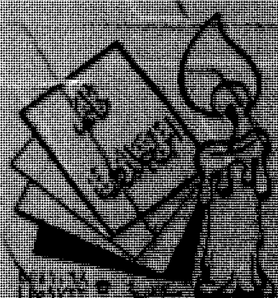
تلبيس إبليس

تأليف

أبي الفرج بن الجوزي البغدادي

المتوفى سنة ٥٩٧ هـ



مكتبة النور الاسلامى
الاسماعيلية. ٣٤٥٠١١ / ٠٦٤

تلبيس إبليس

تأليف

أبي الفرج بن الجوزي البغدادي

المتوفى سنة ٥٩٧ هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمُد لله الذى سلم ميزان العدل إلى أكف ذوى الألباب. وأرسل الرسل مبشرين ومنذرين بالثواب والعقاب. وأنزل عليهم الكتب مبينة للخطأ والصواب وجعل الشرائع كاملة لا نقص فيها ولا عاب. أَحْمَدُهُ حَمْدَ من يعلمُ أنه مسبب الأسباب. وأشهد بوحدانيته شهادةُ مخلص فى نيته غير مرتاب. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله، وقد سدلَ الكفر على وجه الإيمان الحجاب. فَنَسَخَ الظلامَ بنور الهدى وكشَفَ النقابَ. وَبَيَّنَ للناس ما أنزل إليهم، وأوضح مشكلات الكتاب. وتركهم على المحجة البيضاء لا سَرَب فيها ولاسراب. فصلى الله عليه وعلى جميع الآل وكل الأصحاب. وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الحشر والحساب. وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فإن أعظم النعم على الإنسان العقل، لأنه الآلة فى معرفة الإله سبحانه والسبب الذى يتوصل به إلى تصديق الرسل، إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد، بُعثت الرسلُ وأُنزلت الكتب، فمثال الشرع الشمس، ومثال العقل العين، فإذا فتحت وكانت سليمة رأت الشمس. ولما ثبت عند العقل أقوال الأنبياء الصادقة بدلائل المعجزات الخارقة، سلَّم إليهم واعتمد فيما يخفى عنه عليهم.

ولما أنعَم الله على هذا العالم الإنسى بالعقل افتتحه الله ببنوة أبيهم آدم- عليه السلام- فكان يعلمهم عن وحى الله عز وجل فكانوا على الصواب إلى أن انفرض قابيل بهواه فقتل أخاه ثم تشعبت الأهواء بالناس فشردتهم فى بيداء الضلال حتى عبدوا الأصنام واختلفوا فى العقائد والأفعال اختلافا خالفوا فيه الرسل والعقول اتباعاً لأهوائهم، وميلاً إلى عاداتهم، وتقليداً لكبرائهم، فصدقّ عليهم إبليسُ ظنهّ فاُتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين.



فصل

واعلم أن الانبياء جاءوا بالبيان الكافى، قابلوا الأمراض بالدواء الشافى، وتوافقوا على منهاج لم يختلف. فأقبل الشيطان يخلط بالبيان شبهاً، وبالدواء سماً، وبالسبيل الواضح جردًا مضلًا، وما زال يلعب بالعقول إلا أن فرق الجاهلية فى مذاهب سخيفة، وبدع قبيحة، فأصبحوا يعبدون الأصنام فى البيت الحرام، ويحرمون السائبة والبحيرة والوصيلة والحام. ويرون وأد البنات ويمنعونهن الميراث، إلى غير ذلك من الضلال الذى سوله لهم إبليس. فابتعث الله سبحانه وتعالى محمداًﷺ ،فرفع المقابح، وشرع المصالح. فسار أصحابه معه وبعده فى ضوء نوره، سالمين من العدو وغروره. فما انسلخ نهار وجودهم. أقبلت أغباش الظلمات، فعادت الأهواء تنشئ بدعاً، وتضيق سبيلا ما زال متسعاً، ففرق الأكثرون دينهم وكانوا شيعاً، ونهض إبليس يلبس ويزخرف ويفرق ويؤلف وإنما يصح له التلصص فى ليل الجهل. فلو قد طلع عليه صبح العلم افتضح.

فرأيت أن أحذر من مكايده، وأدل على مصايده. فإن فى تعريف الشر تحذيراً عن الوقوع فيه. ففى الصحيحين فى حديث حذيفة قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر. مخافة أن يدركنى وقد أخبرنا أبو البركات سعدالله ابن على البزاز قال أخبرنا أحمد ابن على الطرثيثى قال أخبرنا هبة الله بن حسن الطبرى قال أخبرنا محمد بنى أحمد بن سهل قال محمد بن أحمد بنى الحسن قال حدثنا بشر بن موسى قال حدثنا عبيد بنى يعيش قال حدثنا يونس بنى بكير قال حدثنا محمد بن إسحق عن الحسن أو الحسين بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: والله ما أظن على ظهر الأرض اليوم أحداً أحب إلى الشيطان هلاكاً منى. فقيل وكيف ؟ فقال: والله إنه ليحدث البدعة فى مشرق أو مغرب فيحملها الرجل إلىّ فإذا انتهت إلى قمعتها بالسنة فترد عليه كما أخرجها.

فصل

وقد وضعت هذا الكتاب محذراً من فتنـة، ومخوفاً من محنة، وكاشفاً عن مستوره، وفاضحاً له في خفي غروره. والله المعين بجوده. كل صادق في مقصوده.

وقد قسمتـه ثلاثة عشر باباً ينكشف بمجـموعها تلبيسه، ويتـبين للفطن بفهـمها تدليـسه، فمن انتهـض عزمه للعمـل بها ضج منه إبلـيسه. والله موفقي فيما قصدت، وملهمي للصواب فيما أردت.

• •••

الباب الأول
الأمر بلزوم السنة والجماعة

أخبرنا هبة الله بن محمدنا الحسن بن على التيمى نا أحمد بن جعفر بن حمدان ثنا عبد الله بن أحمد حدثنى أبى عن ابن إسحق نا ابن المبارك ثنا محمد بن سوقة عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما خطب بالجابية فقال: قام فينا رسول الله ﷺ فقال: «من أراد منكم بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعد» أخبرنا أحمد وحدثنا جرير عن عبدالملك ابن عمير عن جابر ابن سمرة، قال: خطب عمر الناس بالجابية، فقال إن رسول الله ﷺ قام فى مثل مقامى هذا، فقال « من أحب منكم أن ينال بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعد» قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح. أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ ويحيى على المدينى نا أبو محمد الصريفينى نا أبو بكر محمد بن الحسن بن عبدان ثنا أبو محمد ابن صاعد ثنا سعيد بن يحيى الأموى ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبى النجود عن زر عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله ﷺ: « من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعد» حدثنا عبد الأول بن عيسى نا أبو القصارين يحيى ثنا أبو الحسن على بن عبد العزيز أنبأنا أبو عبيد نا النضر بن اسماعيل عن محمد بن سوقه عن عبد الله بن دينار عن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: « من سره أن يسكن بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة. فإن الشيطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعد» أخبرنا عبد الأول نا أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الفارسى نا عبد الرحمن ابن أبى شريح ثنا ابن صاعد ثنا إبراهيم بن سعد الجوهرى ثنا أبو معاوية عن يزيد بن مردانبه عن زياد ابن علاقة عن عرجفة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « يد الله مع الجماعة، والشيطان من يخالف الجماعة ». أخبرنا محمد بن عمر الأرموى والحسين بن على المقرى نا عبد

الصمد بن المأمون نا علي بن عمر الدارقطني ثنا أبو جعفر أحمد بن إسحق بن البهلول حدثني أبي ثنا محمد بن يعلى ثنا سلمان العامري عن الشيباني عن زياد بن علاقة عن أسامة ابن شريك، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يد الله مع الجماعة، فإذا شذ الشاذ منهم اختطفته الشياطين كما يختطف الذئب الشاة من الغنم. أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد حدثني أبي أنبأنا أسود بن عامر ثنا أبو بكر عن عاصم عن أبي وائل عن عبدالله، قال: خط رسول الله ﷺ خطاً بيده، ثم قال: هذا سبيل الله مستقيما. قال ثم خط عن يمينه وشماله ثم قال: هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ«وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل . وبالإسناد قال أحمد وثنا روح ثنا سعيد عن قتادة قال ثنا العلاء بن زياد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم، يأخذ الشاة القاصية والناحية، فإياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد. حدثنا أحمد ثنا أبو اليمان ثنا ابن عياش عن أبي البحتري بن عبيد ابن سليمان عن أبيه عن أبي ذر عن النبي ﷺ أنه قال: « اثنان خير من واحد، وثلاثة خير من اثنين، وأربعة خير من ثلاثة. فعليكم بالجماعة فإن الله عز وجل لم يجمع أمتي إلا على الهدى» .

أخبرنا عبد الملك بن القاسم الكروخي قال أخبرنا أبو عامر الأزدي وأبو بكر العروجي قالا أخبرنا الحراجي قال أخبرنا المحبوبي ثنا الترمذي ثنا محمود بن غيلان ثنا أبو داود الحفري عن سفيان عن عبد الرحمن بن زياد الإفريقي عن عبد الله بن يزيد عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : «ليأتين على أمتي كما أتى على بني إسرائيل، حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية، لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله ؟ قال ما أنا عليه وأصحابي. قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه. وروى أبو داود في سننه من حديث معاوية بن أبي

سفيان، أنه قام فقال: ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال: « ألا إن مَن قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون فى النار، وواحدة فى الجنة وهى الجماعة وإنه سيخرج من أمتى أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه.

أخبرنا أبو البركات بن على البزار نا أحمد بن على الطريثيثى نا هبة الله ابن الحسين الحافظ نا محمد بن الحسين الفارسى نا يوسف بن يعقوب بن إسحق ثنا العلاء بن سالم ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش بن مالك بن الحارث عن عمارة عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله، قال: الاقتصاد فى السنة خير من الاجتهاد فى البدعة. أخبرنا عبدالوهاب ابن المبارك نا أحمد ابن الحداد نا أبو نعيم الحافظ ثنا محمد بن أحمد بن الحسين ثنا بشر بن موسى ثنا محمد بن سعيد ثنا ابن المبارك عن الربيع عن أبى العالية عن أبى بن كعب، قال: عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار. وإن اقتصاداً فى سبيل وسنة، خير من اجتهاد فى إخلاف. أخبرنا سعد الله ابن على نا الطريثيثى نا هبةالله بن الحسين نا عبدالواحد بن عبد العزيز نا محمد ابن أحمد الشرقى ثنا عثمان أبن أيوب إسحق بن إبراهيم المروزى. قال ثنا أبو إسحاق الأقرع قال: سمعت الحسن بن أبى جعفر يذكر عن أبى الصهباء عن سعيد بن جبيد عن أبن عباس رضى الله عنهما قال: النظر إلى الرجل من أهل السنة يدعو إلى السنة وينهى عن البدعة عبادة. أخبرنا محمد بن أبى القاسم قال: نا أحمد بن أحمد أبو نعيم الأصب هانى ثنا محمد بن أحمد بن الحسن ثنا بشر ابن موسى ثنا الحميدى قال أنبأنا سفيان ابن عيينة، قال: سمعت عاصماً الأحول يحدث عن أبى العالية، قال: عليكم بالأمر الأول الذى كانوا عليه قبل أن يفترقوا - قال عاصم فحدثت به الحسن، فقال: قد نصحك والله صدقك.

أخبرنا محمد بن عبد الباقى نا أحمد بن أحمد قال نا أحمد بن عبد الله الحافظ أنبأنا محمد بن أحمد بن الحسن أنبأنا بشر بن موسى نا معاوية بن

عمرو أبو إسحاق الفزارى. قال: قال الأوزاعى « اصبر نفسك على السنة» وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا ما ، وكف عماكفوا عنه ، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم. أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا أحمد بن أحمد نا أحمد بن عبد الله الحافظ أنبأنا محد بن عبد الله بن أسلم أنبأنا محمد بن منصور الهروى ثنا عبد الله بن عروة، قال سمعت يوسف بن موسى القطان يحدث عن الأوزاعى، قال: رأيت رب العزة فى المنام، فقال لى يا عبد الرحمن، أنت الذى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فقلت: بفضلك يا رب. وقلت يا رب أمتنى على الإسلام، فقال: وعلى السنة. أخبرنا محمد ابن أبى القاسم أنبأنا أحمد بن أحمد نا أحمد ابن عبد الله الحافظ ثنا إبراهيم بن أبى عبد الله ثنا محمد بن إسحاق سمعت أبا همام السكونى يقول: حدثنى أبى قال: سمعت سفيان يقول: لا يقبل قول إلا بعمل ولا يستقيم قول وعمل إلا بنية، ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة. أخبرنا محمد نا أحمد نا أبو نعيم أنبنا محمد ابن على ثنا عمرو بن عبدوية ثنا أحمد بن إسحاق ثنا عبد الرحمن ابن عفان قال ثنا يوسف بن أسباط. قال قال سفيان: يا يوسف إذا بلغك عن رجل بالمشرق أنه صاحب سنة فابعث إليه بالسلام، وإذا بلغك عن آخر بالمغرب أنه صاحب سنة فابعث إليه بالسلام. فقد قل أهل السنة والجماعة . أخبرنا سعدالله بن على نا أحمد بن على الطريثيثى نا هبة الله ابن الحسين الطبرى نا محمد بن عبد الرحمن نا البغوى نا محمد بن زياد البلدى ثنا أبو أسامة عن حماد بن يزيد قال أيوب: إنى لأخبر بموت الرجل من أهل السنة فكأنى أفقد بعض أعضائى. وبه قال الطبرى وأخبرنا الحسين بن أحمد ثنا عبد الله اليزدجردى ثنا عبد الله بن وهب ثنا إسماعيل ابن أبى خالد قال ثنا أيوب بن سويد عن عبد الله بن شوذب عن أيوب. قال: قال: إن من سعادة الحدث والأعجمى أن يوفقهما الله تعالى لعالم من أهل السنة ·

قال الطبرى وأخبرنا أحمد بن محمد بن حنون ثنا جعفر بن محمد بن نضير ثنا أحمد بن محمد بن مسروق ثنا محمد بن هارون أبو نشيط ثنا أبو

عمير بن النحاس ثنا ضمرة عن ابن شوذب. قال: إن من نعمة الله على الشاب إذا نسك، أن يؤاخى صاحب سنة يحمله عليها. قال الطبرى وأخبرنا عيسى بن على ثنا البغوى ثنا محمد ابن هارون ثنا سعيد بن شبيب، قال: سمعت يوسف بن أسباط، يقول: كان أبى قدريا وأخوالى روافض فأنقذنى الله بسفيان. قال الطبرى وأخبرنا أحمد بن محمد بن حفص نا عبد الله عدى ثنى أحمد بن العباس الهاشمى ثنا محمد بن عبد الأعلى. قال: سمعت معتمر بن سليمان يقول: دخلت على أبى وأنا منكسر فقال لى مالك ؟ قلت مات صديق لى فقال: مات على السنة ؟ قلت: نعم ! قال تحزن عليه. قال الطبرى وأخبرنا أحمد بن عبد الله نا محمد بن الحسين ثنا أحمد بن زهير ثنا يعقوب بن كعب ثنا عبدة ثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان الثورى، قال: «استوصوا بأهل السنة خيراً، فإنهم غرباء» . أخبرنا أبو منصور ابن حيرون نا إسماعيل بن أبى الفضل الإسماعيلى نا حمزة بن يوسف السهمى نا عبد الله بن على الحافظ نا أبوعوانة ثنا جعفر ابن عبدالواحد قال: قال لنا ابن أبى بكر بن عياش: السنة فى الإسلام، أعز من الإسلام فى سائر الأديان .

سمعت أبا عبد الله الحسين بن على المقرى يقول: سمعت أبا محمد عبد الله ابن عطاء يقول: سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الاسكندرانى يقول: سمعت أبا منصور محمد الأزدى يقول: سمعت أبا العباس أحمد بن محمد بن فراشة يقول: سمعت أحمد بن منصور يقول: سمعت الحسن بن محمد الطبرى يقول: سمعت محمد ابن المغيرة يقول : سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول: سمعت الشافعى يقول: إذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث، فكأنى رأيت رجلا من أصحاب النبى ﷺ . أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا أحمد أبو نعيم أخبرنى جعفر الخلدى فى كتابه، قال سمعت الجنيد يقول: الطرق كلها مسدودة على الخلق، إلا من اقتفى أثر الرسول ﷺ واتبع سننه ولزم طريقته، فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه . أخبرنا عمر بن ظفر نا جعفر ابن محمد نا عبد العزيز بن على الأزجى نا على بن عبد الله بن جهضم نا محمد بن حابان، قال:

سمعت حامد بن إبراهيم يقول قال الجنيد بن محمد: الطريق إلى الله عز وجل مسدودة على خلق الله تعالى، إلا على المقتفين آثار رسول الله ﷺ والتابعين لسننه. كما قال الله عز وجل: «لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة».

....

الباب الثانى
فى ذم البدع والمبتدعين

أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بـن الحصين الشيبانى قال: أخبرنا أبو على الحسن بن على بن المذهب نا أو بكر أحمد بن حمدان نا أبو عبد الله بن حنبل قال: أخبرنى أبى ثنا يزيـد عن ابراهيم بن سعد أخبرنى أبى وأخبرنا أبو غالـب محمد بن الحسن الماوردى وأبو سعـد البغدادى قالا نا المطهر بن عبد الواحـد نا أبو جعفر أحمد بن محمـد المرزبان نا محمد بن إبراهيم الحـروزى ثنا لوين ثنـا إبراهيم بن سعـد عن أبيه عن القـاسم بن محمد عن عائشة رضى الله تعـالى عنها قالت: قال رسوْل الله ﷺ : « من أحدث فى أمرنا ما لـيس فيه فهو رد » أخبرنا موهـوب بن أحمد نا على ابن أحمد البسرى ثنا محمد ابن عبد الرحمن المخلص ثنا عبد الله بن محمد البغوى ثنا أحمـد بن إبراهيم الموصلى وإسحاق بن إبراهيم المرورى قالا ثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن القاسم بن محمد عن عائشة. قالت: قال رسول الله ﷺ : « من أحـدث فى أمرنا هذا ما ليس مـنه فهو رد » قال البغوى وحدثنـا عبد الأعلى بن حماد ثنا عبد العـزيز عن عبد الواحد بن أبى عون عن سعد ابن إبراهيم عن القاسم عن عائشة رضى الله عنها. أن النبى ﷺ قال: « من فعل أمراً ليس عليه أمرنا فهو رد » أخرجاه فى الصحيحين. أخبرنا هبة الله ابن مـحمد نا الحسين ابن على نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنا هشيم عن حصين بن عبد الرحمن ومغـيرة الضبى عن مـجاهد عن عبـد الله ابن عمر عن الـنبى ﷺ ،أنه قال: « من رغب عن سنتى فليس منى ». انفرد بإخراجه البخارى. أخبرن ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر نا عبد الله ابن أحمد حدثنى أبى ثنا الوليـد بن مسلم ثنا ثور بن يزيد ثـنا خالد بن معدان حدثـنى عبد الرحمن ابـن عمرو السلمـى وحجر بن حجـر. قالا: أتينا العـرباض بن سارية وهو ممن نـزل فيه ﴿ ولا على الذين إذا مـا أتوك لتحمـلهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه ﴾. فسلمنا وقلنا أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين.

فقال عرباض: صلى بنا رسول ﷺ الصبح ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا، فقال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدا حبشياً، فإنه من يعيش بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة». قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو بكر ابن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنا عبد الله بن الوليد ثنا سفيان عن الأعمش عن أبى وائل وعن ابن مسعود، قال قال رسول الله ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض، وليختلجن رجال دونى، فأقول يا رب أصحابى، فيقال إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك» أخرجاه فى الصحيحين. أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا أحمد ابن محمد نا أبو نعيم ثنا أحمد بن إسحاق شيئا عبد الله بن سليمان ثنا محمد بن يحيى ثنا محمد بن كثير عن الأوزاعى عن يحيى بن أبى عمرو الشيبانى عن عبد الله بن محرر قال: يذهب الدين سنة سنة كما يذهب الحبل قوة قوة. أخبرنا إسماعيل بن أحمد نا عمر بن عبد الله البقال نا أبو الحسين بن بشر أن ثنا عثمان بن أحمد الدقاق ثنا حنبل قال: حدثنى أبو عبد الله يعنى أحمد بن حنبل ثنا عبد الرزاق ثنا معمر. قال. كان طاوس جالساً وعنده ابنه. فجاء رجل من المعتزلة فتكلم فى شىء فأدخل طاوس إصبعيه فى أذنيه. وقال: يا بنى ادخل أصبعك فى أذنيك حتى لا تسمع من قوله شيئاً فإن هذا القلب ضعيف. ثم قال: أى بنى أسدد فما زال يقول أسدد حتى قام الآخر. قال حنبل وحدثنا محمد بن داود ثنا عيسى بن على الضبى. قال: كان رجل معنا يختلف إلى إبراهيم. فبلغ إبراهيم أنه قد دخل فى الإرجاء فقال له إبراهيم إذا قمت من عندنا فلا تعد. قال حنبل وحدثنا محمد بن داود الحدائى، قال: قلت لفيان بن عيينة: إن هذا يتكلم فى القدر - يعنى إبراهيم بن أبى يحيى - فقال سفيان: عرفوا الناس أمره وسلوا الله لى العافية. قال حنبل وحدثنا سعدوية ثنا صالح المرى. قال: دخل رجل

على ابن سيرين وأنا شاهد، ففتح باباً من أبواب القدر فتكلم فيه. فقال ابن سيرين: إما أن تقوم وإما أن نقوم. أخبرنا المحمدان ابن ناصر وبن عبد الباقي قالا نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ثنا أبو بكر بن راشد ثنا إبراهيم بن سعيد ابن عامر عن سلام بن أبي مطيع. قال: قال رجل من أهل الأهواء لأيوب أكلمك بكلمة ؟ قال: لا ولا نصف كلمة. قال ابن راشد وحدثنا أبو سعيد الأشج ثنا يحيى بن يمان عن مخلد بن حسين عن هشام بن حسان عن أيوب السختياني قال: ما ازداد صاحب بدعة اجتهاداً إلا ازداد من الله عز وجل بعداً. أخبرنا أبو البركات بن على البزاز نا الطريثيثي نا هبة الله بن الحصين نا عيسى بن على نا البغوى نا أبو سعيد الأشج نا يحيى بن اليمان قال سمعت سفيان الثورى قال البدعة أحب إلى إبليس من المعصية. المعصية يثاب منها والبدعة لايثاب منها أخبرنا ابن أبي القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا سليمان بن أحمد ثنا الحسين بن على ثنا محمود بن غيلان ثنا مؤمل ابن اسماعيل. قال: مات عبد العزيز بن أبي داود وكنت في جنازته حتى وضع عند باب الصفا فصف الناس وجاء الثورى. فقال الناس: جاء الثورى - فجاء حتى خرق الصفوف والناس ينظرون إليه فجاوز الجنازة ولم يصل عليه لأنه كان يرمى بالإرجاء. أخبرنا المبارك بن أحمد الأنصاري نا عبد الله بن أحمد السمرقندي نا أحمد بن ثابت أحمد بن روح النهرواني ثنا طلحة بن أحمد الصوفي ثنا محمد بن أحمد أبي مهزول قال سمعت أحمد بن عبد الله يقول: سمعت شعيب بن حرب يقول: سمعت سفيان الثورى يقول: من سمع من مبتدع لم ينفعه الله بما سمع ومن صافحه فقد نقض الإسلام عروة عروة. أخبرنا محمد بن ناصر نا أحمد بن أحمد نا أحمد بن عبد الله الأصفهاني ثنا اسماعيل بن أحمد نا عبد الله بن محمد ثنا سعيد الكريري. قال: مرض سليمان التيمي فبكى في مرضه بكاءاً شدشداً فقيل له ما يبكيك ؟ أتجزع من الموت ؟ قال: لا ولكني مررت على قدرى فسلمت عليه فأخاف أن يحاسبني ربي عليه. أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ويحيى بن على قالا: أخبرنا أبو محمد الصريفيني نا أبو بكر بن عبدان نا محمد بن الحسين البائع ثني أبي ثنا

محمد بن بكر قال: سمعت فضيل بن عياض يقول: من جلس إلى صاحب بدعة فاحذروه. أخبرنا ابن عبد الباقى نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم ثنا سليمان بن أحمد ثنا محمد بن النضر عبد الصمد ثنا عبد الصمد ابن يزيد، قال: سمعت فضيل بن عياض يقول: من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإسلام من قلبه. أخبرنا محمد ابن عبد الباقى نا أحمد بن عبد الله الحافظ ثنا محمد بن على ثنا عبد الصمد. قال سمعت الفضيل بن عياض يقول: إذا رأيت مبتدعاً فى طريق فخذ فى طريق آخر. ولا يرفع لصاحب البدعة إلى الله عز وجل عمل، ومن أعان صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام. وسمعت رجلا يقول للفضيل من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها ومن جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة، وإذا علم الله عز وجل من رجل أنه مبغض لصاحب بدعة رجوت أن يغفر الله له سيئاته .

قال المصنف: وقد روى بعض هذا الكلام مرفوعا وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: « من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام . وقال محمد بن النضر الحارثى: من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة نزعت منه العصمة ووكل إلى نفسه. وقال إبراهيم سمعت أبا جعفر محمد بن عبد الله القابنى يقول: سمعت على بن عيسى يقول: سمعت محمد بن إسحاق يقول: سمعن يونس بن عبد الأعلى يقول: قال صاحبنا - يعنى الليث بن سعد - لو رأيت صاحب بدعة يمشى على الماء ما قبلته. فقال الشافعى : إنه ما قصرّ لو رأيته يمشى علي الهواء ما قبلته. وعن بشر بن الحارث أنه قال: جاء موت هذا الذى يقال له المريسى وأنا فى السوق فلولا أن الموضع ليس موضع سجود لسجدت شكراً - الحمد لله الذى أماته. هكذا قولوا .

قال المصنف: حدثت عن بى بكر الخلال عن المروزى عن محمد بن سهل البخارى قال: كنا عند القربانى فجعل يذكر أهل البدع فقال له رجل لو حدثتنا كان أعجب إلينا فغضب وقال كلامى فى أهل البدع أحب إلى من عبادة ستين سنة .

فصل

فإن قال قائل قد مدحت السنة وذمت البدعة، فما السنة وما البدعة فإنا نرى أن كل مبتدع فى زعمنا يزعم أنه من أهل السنة.

(فالجواب) أن السنة فى اللغة الطريق. ولاريب فى أن أهل النقل والأثر المتبعين آثار رسول الله ﷺ وآثار أصحابه هم أهل السنة لأنهم على تلك الطريق التى لم يحدث فيها حادث: وإنما وقعت الحوادث والبدع بعد رسول الله ﷺ وأصحابه.

والبدعة: عبارة عن فعل لم يكن فابتدع والأغلب فى المبتدعات أنها تصادم الشريعة بالمخالفة وتوجب التعاطى عليها بزيادة أو نقصان. فإن ابتدع شئ لا يخالف الشريعة ولا يوجب التعاطى عليها فقد كان جمهور السلف يكرهونه وكانوا ينفرون من كل مبتدع وإن كان جائزاً حفظاً للأصل وهو الاتباع. وقد قال زيد بن ثابت لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما، حين قالا له اجمع القرآن: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ وأخبرنا محمد بن على بن أبى عمر قال أخبرنا على بن الحسين ابن شاذان نا أبو سهل نا أحمد البرنى ثنا أبو حذيفة ثنا سفيان عن ابن عجلان عن عبد الله بن أبى سلمة، أن سعد بن مالك سمع رجلاً يقول: لبيك ذا المعارج. فقال: ما كنا نقول هذا على عهد رسول الله ﷺ. وأخبرنا محمد بن أبى القاسم بإسناد يرفعه إلى أبى البحترى. قال: أخبر رجل عبد الله بن مسعود أن قوماً يجلسون فى المسجد بعد المغرب فيهم رجل يقول كبروا الله كذا وكذا. وسبحوا الله كذا وكذا. واحمدوا الله كذا وكذا. قال عبد الله: فإذا رأيتهم فعلوا ذلك فأتنى فأخبرنى بمجلسهم فأتاهم فجلس فلما سمع ما يقولون قام فأتى ابن مسعود فجاء. وكان رجلا حديداً. فقال: أنا عبد الله بن مسعود والله الذى لا إله غيره لقد جئتم ببدعة ظلماً ولقد فضلتم أصحاب محمد ﷺ علماً. فقال عمرو بن عتبة: استغفر الله. فقال عليكم بالطريق فالزموه ولئن أخذتم يميناً وشمالاً لتضلن ضلالاً بعيداً انبأنا أبو بكر ابن أبى طاهر عن أبى محمد الجوهرى عن أبى عمر بن أبى حياة ثنا أحمد بن معروف ثنا الحسين بن

فهم ثنا محمد بن سعد ثنا محمد بن عبدالله الأنصارى ثنا ابن عوف، قال: كنا عند إبراهيم النخعى فجاء رجل فقال: يا أبا عمران ادع الله أن يشفينى فرأيت أنه كرهه كراهية شديدة حتى عرفنا كراهية ذلك فى وجهه. وذكر إبراهيم السنة فرغب فيها وذكر ما أحدثه الناس فكرهه. وقال فيه: أخبرنا المحمدان: ابن ناصر، وابن عبد الباقى نا أحمد نا أبو نعيم سمعت محمد ابن إبراهيم يقول: سمعت محمد بن ريان يقول: سمعت ذا النون - وجاءه أصحاب الحديث فسألوه عن الخطرات والوساوس - فقال: أنا لا أتكلم فى شئ من هذا فإن هذا محدث، سلونى عن شئ فى الصلاة أو الحديث. ورأى ذو النون علىّ خفاً أحمر فقال: انزعها يا بنى فإنه شهرة، ما لبسه رسول الله ﷺ، إنما لبس خفين أسودين ساذجين.

فصل

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله. قد بينا أن القوم كانوا يتحذرون من كل بدعة وإن لم يكن بها بأس لئلا يحدثوا ما لم يكن وقد جرت محدثات لا تصادم الشريعة ولا يتعاطى عليها فلم يروا بفعلها بأساً كما روى أن الناس كانوا يصلون فى رمضان وحدانا وكان الرجل يصلى فيصلى بصلاته الجماعة فجمعهم عمر ابن الخطاب على أبىّ بن كعب رضى الله عنهما فلما خرج فرآهم قال: نعمت البدعة هذه لأن صلاة الجماعة مشرعة. وإنما قال الحسن فى القصص: نعمت البدعة، كم من أخ يستفاد، ودعوة مستجابة. لأن الوعظ مشروع ومتى أسند المحدث إلى أصل مشروع لم يذم. فأما إذا كانت البدعة كالمتمم فقد اعتقد نقص الشريعة. وإن كانت مضادة فهى أعظم. فقد بان بما ذكرنا أن أهل السنة هم المتبعون وأن أهل البدعة هم المظهرون شيئاً لم يكن قبل ولا مستند له ولهذا استتروا ببدعتهم. ولم يكتم أهل السنة مذهبهم فكلمتهم ظاهرة ومذهبهم مشهور والعاقبة لهم. أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن ابن على التميمى نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد قال ثنى أبى ثنا يعلى ابن عبيد ثنا اسماعيل عن قيس عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يزال ناس من أمتى ظاهرين حتى يأتيهم

أمر الله وهم ظاهرون » فى الصحيحين. أخبرنا هبة الله الحسن بن على نا ابن ملك ثنا عبد اللع بن أحمد ثنى أبى قال ثنا يوسف ثنا حماد ابن يزيد عن أيوب عن أبى قلابة عن أبى أسماء عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك » انفرد به مسلم. وقد روى هذا المعنى عن النبى ﷺ معاوية وجابر بن عبد الله وقره أخبرنا الكروخى نا النورجى والأزدى قالا نا الحراجى ثنا المحبوبى ثنا الترمذى قال: قال محمد بن اسماعيل، قال على بن المدينى: هم أصحاب الحديث .

فصل

فى بيان انقسام أهل البدع

أخبرنا عبد الملك الكروخى نا أبو عامر الأزدى وأبو بكر النورجى قالا نا الحراجى ثنا المحبوبى ثنا الترمذى ثنا الحسين بن حريث ثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ : « تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو ثنتين وسبعين، والنصارى مثل ذلك وتفرقت أمتى على ثلاث وسبعين فرقة » قال الترمذى: هذا حديث صحيح.

قال المصنف: وقد ذكرنا هذا الحديث فى الباب الذى قبله وفيه: كلهم فى النار إلا ملة واحدة، قالوا من هى يا رسول الله ؟ قال ما أنا عليه وأصحابى. أخبرنا ابن الحسين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر نا عبد الله ابن أحمد قال: ثنى أبى ثنا حسن ابن لهيعة ثنا خالد بن يزيد عن سعيد ابن أبى هلال عن أنس ابن مالك رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: إن بنى إسرائيل تفرقت إحدى وسبعين فرقة فهلكت سبعون فرقة وخلصت فرقة واحدة. وإن أمتى ستفترق على اثنين وسبعين فرقة، يهلك إحدى وسبعون وتخلص فرقة. قالوا يا رسول الله. ما تلك الفرقة ؟ قال الجماعة. قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله: فإن قيل، وهل هذه الفرق معروفة ؟ فالجواب، إنا نعرف الافتراق وأصول الفرق وإن كل طائفة من الفرق قد انقسمت إلى فرق وإن لم نحط بأسماء تلك الفرق ومذاهبها،

وقد ظهر لنا من أصول الفرق الحرورية والقدرية، والجهمية، والمرجئة، والرافضة، والجبرية: وقد قال بعض أهل العلم: أصل الفرق الضالة هذه الفرق الست، وقد انقسمت كل فرقة منها على اثنتى عشرة فرقة، فصارت اثنتين وسبعين فرقة .

وانقسمت الحرورية: اثنتى عشرة فرقة: فأولهم الأزرقية قالوا: لانعلم أحداً مؤمناً وكفروا أهل القبلة إلا من دان بقولهم والأباضية قالوا: من أخذ بقولنا فهو مؤمن، ومن أعرض عنه فهو منافق والثعلبية قالوا: إن الله لم يقض ولم يقدر، والحازمية قالوا: ما ندرى ماالإيمان، والخلق كلهم معذورون، والخلفية زعموا أن من ترك الجهاد من ذكر أو أنثى فقد كفر. والمكرمية قالوا: ليس لأحد أن يمس أحد لأنه لا يعرف الطاهر من النجس، ولا أن يؤاكله حتى يتوب ويغتسل، والكنزية قالوا: لا ينبغى لأحد أن يعطى ماله أحداً لأنه ربما لم يكن مستحقاً بل يكنزه فى الأرض حتى يظهر أهل الحق، والشمراخية قالوا: لابأس بمس النساء الأجانب لأنهن رياحين، والأخنسية قالوا: لا يلحق الميت بعد موته خير ولا شر والمحكمية قالوا: إن من حاكم إلى مخلوق فهو كافر، والمعتزلة من الحرورية قالوا: اشتبه علينا أمر على ومعاوية فنحن نتبرأ من الفريقين، والميمونية قالوا: لا إمام إلا برضا أهل محبتنا .

وانقسمت القدرية: اثنتى عشرة فرقة: الأحمرية وهى التى زعمت أن شرط العدل من الله أن يملك عباده أمورهم ويحول بينهم وبين معاصيهم، والثنوية وهى التى زعمت أن الخير من الله والشر من إبليس، والمعتزلة هم الذين قالوا بخلق القرآن وجحدوا الرؤية، والكيسانية هم الذين قالوا لا ندرى هذه الأفعال من الله أم من العباد ولا نعلم أيثاب الناس بعد الموت أو يعاقبون، والشيطانية قالوا إن الله لم يخلق شيطاناً، والشريكية قالوا إن السيئات كلها مقدرة إلا الكفر، والوهمية قالوا: ليس لأفعال الخلق وكلامهم ذات ولا للحسنة والسيئة ذات، والراوندية قالوا: كل كتاب أنزل من الله فالعمل به حق ناسخاً كان أو منسوخاً، والبترية زعموا أن من عصى ثم تاب لم تقبل توبته، والناكثية زعموا أن من نكث بيعة رسول الله

ﷺ فلا إثم عليه والقاسطية فضلوا طلب الدنيا على الزهد فيها
والنظامية تبعوا إبراهيم النظام فى قوله من زعم أن الله شئ فهو كافر.

وانقسمت الجهمية: اثنتى عشرة فرقة: المعطلة زعموا أن كل ما ية
عليه وهم الإنسان فهو مخلوق، ومن ادعى أن الله يرى فهو كافر
والمريسية قالوا: أكثر صفات الله مخلوقة، والملتزمة جعلوا البارى سبحا
وتعالى فى كل مكان. والواردية قالوا: لا يدخل النار من عرف ربه وم
دخلها لم يخرج مها أبداً، والزنادقة قالول: ليس لأحد أن يثبت لنفسه ر
لأن الإثبات لا يكون إلا بعد إدراك الحواس وما يدرك فليس بإله وما ا
يدرك، لا يثبت والحرقية زعموا أن الكافر تحرقه النار مرة واحدة ثم يبقى
محترقاً أبداً لا يجد حر النار، والمخلوقية زعموا أن القرآن مخلوق
والفانية زعموا أن الجنة والنار تفنيان، ومنهم من قال أنهما لا تخلة
والمغيرية جحدوا الرسل فقالوا إنما هم حكام، والواقفية قالوا: لا نقول إ
القرآن مخلوق ولا غير مخلوق، والقبرية ينكرون عذاب القبر والشفاعة
واللفظية قالوا لفظنا بالقرآن مخلوق.

وانقسمت المرجئة: اثنتى عشرة فرقة: التاركية قالوا: ليس لله عز وجل
على خلقه فريضة سوى الإيمان به فمن آمن به وعرفه فليفعل ما شاء،
والسائبية قالوا: إن الله تعالى سيب خلقه ليعملوا ما شاءوا، والراجية
قالوا: لا نسمى الطائع طائعاً ولا العاص عاصياً لأننا لا ندرى ما له عند
الله، والشاكية قالوا: إن الطاعات ليست من الإيمان، والبيهسية قالوا:
الإيمان علم ومن لا يعلم الحق من الباطل والحلال من الحرام فهو كافر،
والمنقوصية قالوا: الإيمان لايزيد ولاينقص والمستثنية نفوا الاستثناء فى
الإيمان، والمشبه يقولون لله بصر كبصرى ويد كيدى، والحشوية جعلو
حكم الأحاديث كلها واحداً فعندهم إن تارك النفل كتارك الفرض،
والظاهرية هم الذين نفوا القياس والبدعية أول من ابتدع الأحداث فى هذه
الأمة.

وانقسمت الرافضة: اثنتا عشرة فرقة العلوية قالوا: إن الرسالة كانت
إلى عليّ وإن جبريل أخطأ والأمرية قالوا إن علياً شريك محمد ﷺ فى

أمره، والشيعة قالوا: إن علياً رضى الله عنه وصى رسول الله ﷺ ووليه من بعده وأن الأمة كفرت بمبايعة غيره، والإسحاقية قالوا: إن النبوة متصلة إلى يوم القيامة وكل من يعلم علم أهل البيت فهو نبى، وإن الناووسية قالوا: إن علياً أفضل الأمة فمن فضل غيره عليه فقد كفر، والأمامية قالوا: لا يمكن أن تكون الدنيا بغير إمام من ولد الحسين وإن الإمام يعلمه جبرائيل فإذا مات بدل مكانه مثله، واليزيدية قالوا: إن ولد الحسين كلهم أئمة فى الصلوات فمتى وجد منهم أحد لم تجز الصلاة خلف غيره برهم وفاجرهم، والعباسية زعموا أن العباس كان أولى بالخلافة من غيره، والمتناسخة قالوا: إن الأرواح تتناسخ فمتى كان محسناً خرجت روحه فدخلت فى خلق تسعد بعيشه، ومن كان مسيئاً دخلت روحه فى خلق تشقى بعيشه، والرجعية زعموا أن علياً وأصحابه يرجعون إلى الدنيا وينتقمون من أعدائهم، واللاعنية الذين يلعنون عثمان وطلحة والزبير ومعاوية وأبا موسى وعائشة وغيرهم رضى الله عنهم، والمتربصة تشبهوا بزى النساك ونصبوا فى كل عنصر رجلا ينسبون الأمر إليه يزعمون أنه مهدى هذه الأمة فإذا مات نصبوا رجلاً آخر .

وانقسمت الجبرية: اثنتى عشرة فرقة منهم: المضطربة قالوا لا فعل لآدمى بل الله عز وجل يفعل الكل، والإفعالية قالوا: لنا أفعال ولكن لا استطاعة لنا فيها وإنما نحن كالبهائم نقاد بالحبل، والمفروغية قالوا : كل الأشياء قد خلقت والآن لا يخلق شئ، والنجارية زعمت أن الله يعذب الناس على فعله لا على فعلهم، والمتانية قالوا: عليك بما خطر بقلبك فافعل ما توسمت به الخير والكسبية قالوا: لايكسب العبد ثواباً ولا عقاباً، والسابقية قالوا: من شاء فليعمل ومن شاء لا يعمل فإن السعيد لا تضره ذنوبه والشقى لا ينفعه بر، والحبية قالوا: من شرب كأس محبة الله عز وجل سقطت عنه الأركان والقيام بها، والخوفية قالوا: إن من أحب الله سبحانه وتعالى لم يسعه أن يخافه لأن الحبيب لا يخاف حبيبه والفكرية، قالوا: إن من ازداد علماً سقط عنه بقدر ذلك من العبادة، والخسية قالوا: الدنيا بين العبادسواء لا تفاضل بينهم فيما ورثهم أبوهم آدم، والمعية قالوا: منا الفعل ولنا الاستطاعة.

الباب الثالث
فى التحذير من فتن إبليس ومكايده

قال الشيخ أبو الفرج رحمة الله عليه: اعلم أن الآدمى لما خلق ركب فيه الهوى والشهوة ليجتلب بذلك ما ينفعه. ووضع فيه الغضب ليدفع به ما يؤذيه.

وأعطى العقل كالمؤدب يأمره بالعدل فيما يجتلب ويجتنب، وخلق الشيطان محرضاً له على الإسراف فى اجتلابه واجتنابه، فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذى قد أبان عداوته من زمن آدم عليه الصلاة والسلام وقد بذل عمره ونفسه فى فساد أحوال بنى آدم. قد أمر الله تعالى بالحذر منه فقال سبحانه وتعالى: ﴿ **لا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدوٌ مبين إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون** ﴾ وقال تعالى ﴿ **الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء** ﴾ وقال تعالى: ﴿**ويريد الشيطان أن يضلكم ضلالاً بعيداً** ﴾ وقال: ﴿ **إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون**﴾ وقال تعالى: ﴿ **إنه عدو مضل مبين** ﴾ وقال: ﴿**إن الشيطان لكم عدوٌ فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير**﴾ وقال تعالى: ﴿ **ولا يغرنكم بالله الغرور** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **ألم أعهد إليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين** ﴾. وفى القرآن من هذا كثير.

فصل

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله: وينبغى أن تعلم أن إبليس الذى شغله التلبيس أول ما التبس عليه الأمر فأعرض عن النص الصريح على السجود فأخذ يفاضل بين الأصول فقال: ﴿ **خلقتنى من نار وخلقته من طين**﴾ ثم أردف ذلك بالاعتراض على الملك الحكيم، فقال. ﴿ **أرأيتك هذا الذى كرمت علىّ** ﴾والمعنى أخبرنى لم كرمته علىّ، غرر ذلك الاعتراض أن

الذى فعلته ليس بحكمة ثم أتبع تلك بالكبر فقال: ﴿ **أنا خير منه** ﴾ . ثم امتنع عن السجود فأهان نفسه التى أراد تعظيمها باللعنة والعقاب .

فمتى سول للإنسان أمراً فينبغى أن يحذر منه أشد الحذر وليقل له حين أمره إياه بالسوء إنما تريد بما تأمر به نصحى ببلوغى شهوتى . وكيف يتضح صواب النصح للغير لمن لا ينصح نفسه ثم كيف أثق بنصيحة عدو فانصرف فما فى لقولك منفذ فلا يبقى إلا أنه يستعين بالنفس لأنه يحث على هواها فليستحضر العقل إلى بيت الفكر فى عواقب الذنب لعل مدد توفيق يبعث جند عزيمته فيهن عسكر الهوى والنفس .

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك نا عاصم بن الحسن نا أبو عمر بن مهدى ثنا الحسين ابن اسماعيل ثنا زكريا بن يحيى ثنا شامة بن سوار ثنى المغيرة عن مطرف ابن الشخير عن عياض بن حمار قال: قال رسول الله ﷺ : «ياأيها الناس إن الله تعالى أمرنى أعلمكم ما جهلتم مما علمنى فى يومى هذا إن كل مال نحلته عبدى فهو له حلال، وإنى خلقت عبادى حنفاء كلهم فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وأمرتهم أن لا يشركوا بى ما لم أنزل به سلطاناً، وإن الله تعالى نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب.

إخبرنا ابن الحصين قال: أخبرنا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله ابن أحمد ثنى أبى ثنا يحيى بن سعيد ثنا هشام ثنا قتادة عن مطرف عن عياض ابن حمار . أن النبى ﷺ خطب ذات يوم فقال فى خطبته: إن ربى - إلى آخر الحديث المتقدم .

أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن أبى سفيان عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : « إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجئ أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال فيدنيه أو قال فيلتزمه ويقول نعم أنت وبه قال أحمد وحدثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن أبى الزبير عن جابر رضى الله عنه يرفعه قال: إن إبليس قد يئس أن يعبده المصلون

ولكن فى التحريش بينهم قال المصنف: انفرد به البخارى والذى قبله مسلم وفى لفظ حديثه « قد آيس أن يعبه المصلون فى جزيرة العرب».

أنبأنا اسماعيل السمرقندى نا عاصم بن الحسن نا ابن بشر نا ابن صفوان نا أبو بكر القرشى ثنى الحسين بن السكن ثنا المعلى بن أسد ثنى عدى بن أبى عمارة ثنا زياد النميرى عن أنس بن مالك رضى الله عنه يرفعه، قال إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فإن ذكر الله خنس . وإن نسى الله التقم قلبه .

أخبرنا محمد بن أبى منصور نا عبد القادر نا الحسن بن على التميمى نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبى ثنا عبد الرحمن عن حماد ابن سلمة عن عطاء ابن السائب عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود رضى الله عنه، قال: إن الشيطان طاف بأهل مجلس الذكر ليفتنهم فلم يستطع أن يفرق بينهم، فأتى حلقة يذكرون الدنيا فأغرى بينهم حتى اقتتلوا فقام أهل الذكر فحجزوا بينهم فتفرقوا . قال عبد الله وحدثنى على بن مسلم ثنا سيار ثنا حبان الحريرى ثنا سويد القناوى عن قتاده رضى الله عنه قال: إن لإبليس شيطاناً يقال له قبقب يجمه أربعين سنة فإذا دخل الغلام فى هذا الطريق قال له دونك إنما كنت أجمك لمثل هذا أجلب عليه وافتنه

قال سيار: وحدثنا جعفر ثنا ثابت السنانى رضى الله عنه قال: بلغنا أن إبليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شئ، فقال يحيى: يا إبليس ما هذه المعاليق التى أرى عليك؟ قال: هذه الشهوات التى أصيد بهن ابن آدم، قال: فهل لى فيها من شئ، قال :ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وثقلناك عن الذكر، قال: فهل غير ذلك ؟ قال: لا والله، قال لله علىّ أن لا أملأ بطنى من طعام أبداً، قال إبليس: ولله علىّ أن لا أنصح مسلماً أبداً . قال عبدالله بن أحمد ثنا أبى ثنا وكيع ثنا الأعمش عن حثيمة عن الحارث بن قيس رضى الله عنه. قال: إذا أتاك الشيطان وأنت تصلى فقال إنك ترائى فزدها طولاً.

أنبأنا إسماعيل السمرقندى نا عاصم بن الحسن نا على بن محمد نا أبو على ابن صفوان نا أبو بكر بن عبيد نا عبدالرحمن بن يونس نا سفيان بن

عيينة . قال: سمع عمرو بن دينار عروة بن عامر سمع عبيد بن رفاعة يبلغ به النبى ﷺ يقول: كان راهب فى بنى إسرائيل فأخذ الشيطان جارية فخنقها والقى فى قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب، فأتى بها الراهب فأبى أن يقبلها فما زالوا به حتى قبلها فكانت عنده فأتاه الشيطان فسول له إيقاع الفعل بها فأحبلها - ثم أتاه فقال له الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها فإن أتوك فقل ماتت، فقتلها ودفنها، فأتى الشيطان أهلها فوسوس لهم والقى فى قلوبهم أنه أحبلها ثم قتلها ودفنها فأتاه أهلها يسألونه عنها، فقال: ماتت فأخذوه فأتاه الشيطان . فقال: أنا الذى ضربتها وخنقتها وأنا الذى القيت فى قلوب أهلها وأنا الذى أوقعتك فى هذا فأطعنى تنج، اسجد لى سجدتين، فهو الذى قال عز وجل: ﴿ **كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنى برئ منك إنى أخاف الله رب العالمين** ﴾. وقد و قد روى هذا الحديث على صفة أخرى عن وهب بن منبه رضى الله عنه: أن عابداً كان فى بنى إسرائيل وكان من أعبد أهل زمانه، وكان فى زمانه ثلاثة إخوة لهم أخت وكانت بكراً ليس لهم أخت غيرها . فخرج البعث على ثلاثتهم فلم يدروا عند من يخلفون أختهم ولا من يأمنون عليها ولا عند من يضعونها : قال: فأجمع رأيهم على أن يخلفوها عند عابد بنى إسرائيل . وكان ثقة فى أنفسهم، فأتوه فسألوه أن يخلفوها عنده فتكون فى كنفه وجواره إلى أن يرجعوا من غزاتهم فأبى ذلك وتعوذ بالله عز وجل منم ومن أختهم قال: فلم يزالوا به حتى أطاعهم فقال أنزلوها فى بيت حذاء صومعتى، قال: فأنزلوها فى ذلك البيت ثم انطلقوا وتركوها، فمكثت فى جوار ذلك العابد زماناً ينزل إليها بالطعام من صومعته فيضعه عند باب الصومعة ثم يغلق بابه ويصعد إلى صومعته ثم يأمرها فتخرج من بيتها فتأخذ ما وضع لها من الطعام قال: فتلطف له الشيطان فلم يزل يرغبه فى الخير ويعظم عليه خروج الجارية من بيتها نهاراً ويخوفه من أن يراها أحد فيعلقها فلو مشيت بطعامها حتى تضعه على باب بيتها كان أعظم لأجرك قال: فلم يزل به حتى مشى إليها بطعامها ووضعه على باب بيتها ولم يكلمها، قال: فلبث على هذه الحالة زماناً . ثم جاءه إبليس فرغبه فى الخير والأجر وحضه

عليه، وقال: لو كنت تمشى إلـيها بطعامها حتى تضعه فى بـيتهاكان أعظم لأجرك، قال : فلم يـزل به حتى مشى إليهـا بالطعام ثم وضعه فى بـيتها فلبث عـلى ذلك زماناً ثـم جاءه إبليس فـرغبه فى الخـير والأجر وحـضه عليه، فقال: لو كنت تكلمها وتحدثها فتأنس بحديثك فإنها قد استوحشت وحشـة شديدة، قال: فلـم يزل حتى حدثـها زماناً يـطلع إليهـا من فوق صومعته، قال: ثـم أتاه إبليس بعد ذلك فقال: لو كنت تنزل إليـها فتقعد على باب صومعتك وتحدثها وتقعد هـى على باب بيتها فتحدثك كان آنس لها، فلم يزل بـه حتى أنزله وأجلسه على بـاب صومعته يحدثـها وتحدثه وتخرج الجـارية من بيتهـا حتى تقعـد على باب بيتهـا، قال: فلبثـا زماناً يتحدثان، ثم جاءه إبلـيس فرغبه فى الخير والثواب فيمـا يصنع بها وقال: لو خرجت من باب صومعتك ثم جلست قريباً من باب بيتها فحدثتها كان آنس لها، فلم يزل به حـتى فعل، قال فلبثا زماناً. ثم جـاءه إبليس فرغبه فى الخير وفـيما له عند الله سبحانـه وتعالى من حسن الثواب فيـما يصنع بها. وقال له: لو دنوت منها وجلست عند باب بيـتها فحدثتها ولـم تخرج من بيتها فـفعل فكان ينزل من صومعتـه فيقف على باب بيتها فـيحدثها، فلبـثا على ذلك حـيناً. ثم جاءه إبليـس. فقال: لو دخلـت البيت معـها فحدثتها ولـم تتركها تبرز وجـهها لأحد كان أحسن بك، فلم يزل به حتى دخل البـيت فجـعل يحـدثها نهـارها كله فـإذا مضى النـهار صعـد إلى صومعـته، قال: ثم أتاه إبليس بعـد ذلك فلم يزل يزينها لـه حتى ضرب العابد على فـخذها وقبلها، فلم يـزل إبليس يحسنها فى عـينه ويسول له حتى وقع عليهـا فأحبلها، فولدت له غلاماً فجـاء إبليس فقال: أرأيت إن جاء أخـوة الجارية وقـد ولدت منك كـيف تصنـع لا آمن أن تفتـضح أو يفضحوك فاعمـد إلى إبنها فاذبحه وادفنه فإنها ستكـتم ذلك عليك مخافة إخوتها أن يطلعوا على ما صنعت بها فـفعل فقال له: أتراها تكتم إخوتها ما صنعت بها وقتلت إبنها، قال: خذها واذبحها وادفنها مع إبنها فلم يزل به حتى ذبحهـا وألقاها فى الحفرة مع إبنهـا وأطبق عليهما صخـرة عظيمة وسوى عليهما وصعد إلى صومعته يتعبد فيها فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث حـتى أقبل إخوتـها من الغزو، فـجاءوا فسألـوه عنها فنعـاها لهم

وترحم عليها وبكاها، وقال: كانت خير امرأة وهذا قبرها فانظروا إليه، فأتى إخوتها القبر فبكوا أختهم وترحموا عليها فأقاموا على قبرها أياماً ثم انصرفوا إلى أهاليهم، فلما جن عليهم الليل وأخذوا مضاجعهم جاءهم الشيطان فى النوم على صورة رجل مسافر فبدأ بأكبرهم فسأله عن أختهم فأخبره بقول العابد وموتها وترحمه عليها وكيف أراهم موضع قبرها فكذبه الشيطان، وقال: لم يصدقكم أمر أختكم إنه قد أحبل أختكم وولدت منه غلاماً فذبحه وذبحها معه فرعاً منكم وألقاهما فى حفيرة احتفرها خلف باب البيت الذى كانت فيه عن يمين من دخله فانطلقوا فأدخلوا البيت الذى كانت فيه عن يمين من دخله فإنكم ستجدونهما كما أخبرتكم هناك جميعاً، وأتى الأوسط فى منامه فقال له مثل ذلك، ثم أتى أصغرهم فقال له مثل ذلك، فلما استيقظ القوم متعجبين مما رأى كل واحد منهم، فأقبل بعضهم على بعض يقول كل واحد منهم لقد رأيت الليلة عجباً فأخبر بعضهم بعضاً بما رأى، فقال كبيرهم هذا حلم ليس بشئ فامضوا بنا ودعوا هذا عنكم قال أصغرهم والله لا أمضى حتى آتى إلى هذا المكان فأنظر فيه، قال: فانطلقوا جميعاً حتى أتوا البيت الذى كانت فيه أختهم ففتحوا الباب وبحثوا الموضع الذى وصف لهم فى منامهم فوجدوا أختهم وابنها مذبوحين فى الحفيرة كما قيل لهم، فسألوا عنها العابد فصدق قول إبليس فيما صنع بهما، فاستعدوا عليه ملكهم فأنزل من صومعته وقدم ليصلب فلما أوثقوه على الخشبة أتاه الشيطان، فقال له قد علمت أنى أنا صاحبك الذى فتنتك بالمرأة حتى أحبلتها وذبحتها وابنها فإن أنت أطعتنى اليوم وكفرت بالله الذى خلقك وصورك خلصتك مما أنت فيه، قال: فكفر العابد فلما كفر بالله تعالى خلى الشيطان بينه وبين أصحابه فصلبوه، قال. ففيه نزلت هذه الآية **﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنى برئ منك﴾** - إلى قوله - **﴿جزاء الظالمين﴾** وقد تقدم ذكرها

أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم نا أبو بكر الآجرى ثنا عبد الله بن محمد العطينى ثنا إبراهيم بن الجنيد ثنى محمد بن الحسين ثنا بشر بن محمد بن أبان ثنى الحسين بن عبد الله بن مسلم

القرشي عن وهب بن منبه رضى الله عنه، قال: كان راهب فى صومعته فى زمن المسيح عليه السلام فأراده إبليس فلم يقدر عليه فأتاه بكل رائدة فلم يقدر عليه . فأتاه متشبها بالمسيح . فناداه: أيها الراهب أشرف على أكلمك، قال: انطلق لشأنك فلست أرد ما مضى من عمرى فقال: أشرف على فأنا المسيح فقال إن كنت المسيح فما لى إليك حاجة، ألست قد أمرتنا بالعبادة ووعدتنا القيامة انطلق لشأنك فلا حاجة لى فيك فانطلق اللعين عنه وتركه .

أنبأنا اسماعيل بن أحمد نا عاصم بن الحسن نا على بن محمد بن بشر نا أبو على البردعى ثنا أبو بكر القرشى ثنا أبو عبدالله محمد بن موسى الحرشى ثنا جعفر بن سليمان ثنا عمرو بن دينار ثنا سالم بن عبدالله رضى الله عنه عن أبيه قال: لما ركب نوح عليه السلام فى السفينة رأى فيها شيخاً لم يعرفه فقال له نوح: ماأدخلك، قال دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معى وأبدانهم معك، فقال له نوح عليه السلام اخرج يا عدو الله، فقال إبليس خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولاأحدثك باثنتين فأوحى الله تبارك وتعالى إلى نوح عليه الصلاة والسلام أنه لاحاجة لك إلى ثلاث، مره يحدثك بالاثنتين فقال بهما أهلك الناس وهما لايكذبان: الحسد والحرص فبالحسد لعنت وجعلت شيطاناً رجيماً، وبالحرص أبيح لآدم الجنة كلها فأصبت حاجتى منه فاخرج من الجنة، قال ولقى إبليس موسى عليه السلام، فقال: يا موسى أنت الذى اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليماً، وأنا من خلق الله تعالى أذنبت وأريد أن أتوب فاشفع لى إلى ربى عز وجل أن يتوب على، فدعا موسى ربه فقيل يا موسى قد قضيت حاجتك، فلقى موسى إبليس فقال له قد أمرت أن تسجد لقبر آدم ويتاب عليك، فاستكبر وغضب وقال: لم أسجد له حياً ءأسجد له ميتاً، ثم قال إبليس: يا موسى إن لك حقاً بما شفعت إلى ربك فاذكرنى عند ثلاث لا أهلك فيهن أذكرنى حين تغضب فأنا وحى فى قلبك وعينى فى عينك وأجرى منك مجرى الدم واذكرنى حين تلقى الزحف فأذكره ولده وزوجه وأهله حتى يولى. وإياك أن تجالس امرأة

ليست بذات محرم فإنى رسولها إليك ورسولك إليها . قال القرشى وحدثنا أبوحفص الصفار ثنا جعفر بن سليمان ثنا شعبة عن على بن يزيد عن سعيد بن المسيب رضى الله عنه قال ما بعث الله نبياً إلا لم يأمن إبليس أن يهلكه بالنساء: قال القرشى وثنى القاسم ابن هاشم عن ابراهيم ابن الأشعث عن فضيل بن عياض: قال حدثنى بعض أشياخنا أن إبليس لعنه الله جاء إلى موسى عليهالصلاة والسلام وهو يناجى ربه تعالى، فقال له الملك: ويلك ما ترجو منه وهو على هذه الحالة يناجى ربه، قال: أرجو منه ما رجوت من أبيه آدم وهو فى الجنة . قال القرشى وثنا أحمد بن عبى الأعلى الشيبانى ثنا فرج بن فضالة عن عبد الرحمن بن زياد رضى الله عنه: بينما موسى عليه السلام جالس فى بعض مجالسه إذ أقبل إبليس وعليه برنس له يتلون فيه ألواناً فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه وقال له السلام عليك يا موسى: فقال له موسى عليه السلام، من أنت: قال أنا إبليس، قال فلا حياك الله ما جاء بك؟ قال: جئت لأسلم عليك لمنزلتك عند الله تعالى ومكانك منه قال: فما الذى رأيته عليك، قال: به أختطف قلوب بن آدم، قال: فما الذى إذا صنعه الإنسان استحوذت عليه، قال إذا أعجبته نفسه، واستكثر عمله. ونسى ذنوبه. وأحذرك ثلاثاً:

لا تخلون بامرأة لا تحل لك قط، فإنه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له إلا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أفتنه بها .

ولا تعاهد الله عهداً إلا وفيت به، فإنه ما عاهد الله أحد إلا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أحول بينه وبين الوفاء به .

ولا تخرجن صدقة إلا أمضيتها فإنه ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها إلا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أحول بينه وبين إخراجها، ثم ولى وهو يقول: يا ويله ثلاثاً علم موسى ما يحذر به بنى آدم .

قال القرشى: وحدثنى محمد بن إدريس ثنا أحمد بن يونس ثنا ثنا حسن بن صالح قال: سمعت أن الشيطان قال للمرأة أنت نصف جندى وأنت سهمى الذى أرمى به، فلا أخطئ وأنت موضع سرى وأنت رسولى

فى حاجتى .

قال القـرشي: وحدثنا إسـحاق بن إبراهـيم ثنى هشام بـن يوسف بن عقيـل بن معقل بن أخـى وهب بن منبه قال: سـمعت وهباً يـقول: قال راهب للشيطان وقد بدا له أى أخلاق بنى آدم أعون لك عليهم. قال الحدة إن العبد إذا كان حديداً قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة .

قال القرشى: وحدثنا سعيد بن سليمان الواسطى عن سليمان بن المغيرة عن ثابت رضى الله عنه قال: لما بعث الـنبى ﷺ جعل إبليس لعنه الله يرسل شياطينه إلى أصحاب النبى ﷺ فيجيئون إليه بصحفهم ليس فيها شئ فيقول لهم ما لكم لا تصيبون منهم شيئاً، فقالوا: ما صحبنا قوماً مثل هؤلاء فقال رويداً بهم فعسى أن تفتح لهم الدنيا، هنالك تصيبون حاجتكم منهم .

قال القرشى: وأخبرنا أحمد بن جـميل المروزى نا ابن المبارك نا سفيان عن عطاء بن السـائب عن أبى عبدالرحـمنالسلمى عن أبى مـوسى قال: إذا أصبح إبليس بث جنوده فى الأرض فيقول من أضل مسلماً ألبسته التاج. فيقول له القائل لم أزل بفلان حـتى طلق امرأته، قال يوشك أن يتزوج . ويقول آخر لم أزل بفلان حتى عق، قـال يوشك أن يبر . ويقول آخر لم أزل بفلان حتى زنـى، قال أنت . ويقول آخر لم أزل بفـلان حتى شرب الخمر، قال أنت، قال: ويقول آخر لم أزل بفلان حتى قتل، فيقول: أنت أنت .

قال القرشى: وسمعت سعيد بن سـليمان يحدث عن المبارك بن فضالة عن الحسن قـال: كانت شجـرة تعبد من دون الله فـجاء إليها رجـل فقال لأقطعن هذه الشـجرة، فجاء ليـقطعها غضـباً لله فلقيه إبلـيس فى صورة إنسان، فقال: ما تريد ؟ قال أريد أن أقطع هذه الشجرة التى تعبد من دون الله . قال إذا أنت لـم تعبدها فـما يضرك من عـبدها ؟ قال لأقطعـنها . فقال له الشيطان هل لك فيما هو خير لك لا تقطعها ولك ديناران كل يوم إذا أصبحت عند وسادتك . قال فمن أين لى ذلك؟ قال :أنا لك، فرجع فأصبح فوجد دينارين عند وسادته ثم أصبح بعد ذلك فلم يجد شيئاً، فقام

غضباً فتمثل له الشيطان فى صورته وقال ما تريد ؟ قال أريد قطع هذه الشجرة التى تعبد من دون الله تعالى قال كذبت مالك إلى ذلك من سبيل: فذهب ليقطعها فضرب به الأرض وخنقه حتى كاد يقتله قال أتدرى من أنا أنا الشيطان، جئت أول مرة غضباً فلم يكن لى عليك سبيل، فخدعتك بالدينارين فتركتها فلما جئت غضبًا للدينارين سلطت عليك .

قال القرشى: وحدثنا بشر بنى الوليد الكندى ثنا محمد بنى طلحة عن زيد ابن مجاهد قال: لإبليس خمسة من ولده قد جعل كل واحد منهم على شئ من أمره، ثم سماهم: فذكر ثبر، والأعور، ومسوط، وداسم، وزكنبور، فأما ثبر، فهو صاحب المصيبات الذى يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوة الجاهلية، وأما الأعور، فهو صاحب الزنا الذى يأمر به ويزينه، وأما مسوط فهو صاحب الكذب الذى يسمع فيلقى الرجل فيخبره بالخبر، فيذهب الرجل إلى القوم فيقول لهم قد رأيت رجلاً أعرف وجهه ولا أدرى ما اسمه حدثنى بكذا وكذا، وأما داسم، فهو الذى يدخل مع الرجل إلى أهلة ليريه العيب فيهم ويغضبه عليهم، وأما زكنبور، فهو صاحب السوق الذى يركز رايته فى السوق .

أخبرنا محمد بن القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم ثنا إبراهيم بن عبد الله ثنا محمد بن إسحاق ثنا اسماعيل بن أبى الحارث ثنا سنيد عن مخلد بن الحسين قال: ما ندب الله العباد إلى شئ إلا اعترض فيه إبليس بأمرين ما يبالى بأيهما ظفر :

إما غلواً فيه وإما تقصيراً عنه . وبالإسناد قال محمد بن إسحاق وثنا قتيبة ابن سعيد ثنا ابن لهيعة عن ابى قابيل سمعت حياة بن شراحيل يقول: سمعت عبد الله بن عمر يقول: إن إبليس موثق فى الأرض السفلى، فإذا هو تحرك كان كل شرفى الأرض بين اثنين فصاعدا من تحركه.

قال الشيخ: أبو الفرج رحمه الله، قلت: وفتن الشيطان ومكايده فى غضون هذا الكتاب منها ما يليق بكل موضع منه إن شاء الله تعالى: ولكثرة فتن الشيطان وتشبيثها بالقلوب عزت السلامة. فإن من يدع إلى ما

يحث عليه الطبع كمداد سفينة منحدرة فيا سرعة انحدارها، ولما ركب الهوى فى هاروت وماروت لم يستمسكا، فإذا رأت الملائكة مؤمناً قد مات على الإيمان تعجبت من سلامته .

وأخبرنا محمد بن أبى منصور نا جعفر بن أحمد نا الحسن بن على التميمى ثنا أبو بكر بن حمدان ثنا عبد الله بن أحمد ثن ابن سريج: ثناعتبة بن عبد الواحد عن مالك بن مغول عن ابن عبد العزيز بن رفيع قال: إذا عرج بروح المؤمن إلى السماء قالت الملائكة سبحان الذى نجا هذا العبد من الشيطان، يا ويحه كيف نجا .

ذكر الإعلام بأن مع كل إنسان شيطاناً

أخبرنا أبو الحصين الشيبانى نا أبو على المذهب نا أبو بكر بن حمدان ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنى أبى ثنا هارون ثنا عبد الله بن مهب أخبرنى أبو صخر عن ابن قسيط أنه حدثه عن عروة بن الزبير حدثه أن عائشة زوج النبى ﷺ حدثته أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً قالت فغرت عليه فجاء فرأى ما أصنع، فقال، مالك يا عائشة أغرت ؟، فقلت: ومالى لا يغار مثلى على مثلك ؟ فقال: أو قد جاءك شيطان؟ قالت: يا رسول الله أو معى شيطان ؟ قال نعم، قلت: ومع كل إنسان ؟ قال نعم، قلت: ومعك يا رسول الله ؟ قال نعم، ولكن ربى عز وجل أعاننى عليه حتى أسلم: انفرد به مسلم، ويجئ بلفظ آخر: أعاننى عليه فأسلم . قال الخطابى: عامة الرواة يقولون: فأسلم على مذهب الفعل الماضى إلا سفيان ابن عيينة يقول فأسلم من شره وكان يقول الشيطان لا يسلم . قال الشيخ: وقول ابن عيينة حسن وهو يظهر أثر المجاهدة لمخالفة الشيطان إلا أن حديث ابن مسعود كأنه يرد قول ابن عيينة، وهو ما أخبرنا به ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبى ثنا يحيى عن سفيان ثنى منصور عن سالم بن أبى الجعد عن أبيه عن ابن مسعود يرفعه ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن من الملائكة، قالوا وإياك يا رسول الله. قال: وإياى، ولكن الله عز وجل أعاننى عليه فلا يأمرنى إلا بحق: وفى رواية فلا يأمرنى إلا بخير. انفرد

به مسلم. واسم أبى الجعد رافع وظاهره إسلام الشياطين، ويحتمل القول الآخر .

بيان أن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم

أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على نا أحمد بن جعفر نا عبد الله ابن أحمد ثنى أبى ثنى عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهرى عن على بن الحسين عن صفية بنت حيى زوج النبى ﷺ ، قالت : كان رسول الله ﷺ معتكفاً فأتيته أزوره ليلاً فحدثته ثم قمت لأنقلب فقام معى ليقلبنى وكان مسكنها فى دار أسامة بن زيد، فمر رجلان من الأنصار، فلما رأيا رسول الله ﷺ أسرعا، فقال النبى ﷺ :« على رسلكما إنها صفية بنت حيي» فقالا: سبحان الله يا رسول الله ! قال:« إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم، وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شراً أو قال شيئاً» الحديث فى الصحيحين. قال الخطابى: وفى هذا الحديث من العلم استحباب أن يحذر الإنسان من كل أمر من المكروه مما تجرى به الظنون، ويخطر بالقلوب، وأن يطلب السلامة من الناس بإظهار البراءة من الريب، ويحكى فى هذا عن الشافعى رضى الله عنه أنه قال: خاف النبى ﷺ أن يقع فى قلوبهما شئ من أمر فيكفرا، وإنما قاله ﷺ شفقة منه عليهما لا على نفسه .

ذكر التعوذ من الشيطان الرجيم

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله: قد أمر الله تعالى بالتعوذ من الشيطان الرجيم عند التلاوة فقال تعالى: ﴿ **فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم** ﴾، وعند السحر، فقال: ﴿ **قل أعوذ برب الفلق** ﴾ إلى آخر السورة. فإذا أمر بالتحرز من شره فى هذين الأمرين فكيف فى غيرهما .

أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على نا أحمد بن جعفر نا عبدالله بن أحمد ثنا أبى ثنا سيار ثنا أبو التياح، قال: قلت لعبد الرحمن بن حنيش: أدركت النبى ﷺ ؟ قال: نعم، قلت: كيف صنع رسول الله ﷺ ليلة كادته الشياطين؟ فقال: إن الشياطين تحدرت تلك الليلة

على رسول الله ﷺ من الأودية والشعاب وفيهم شيطان بيده شعلة نار يريد أن يحرق بها وجه رسول الله ﷺ . فهبط إليه جبريل عليه السلام، فقال: يامحمد قل، قال: أما قول؟ قال: قل أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق وذرأ وبرأ، ومن شر ما ينزل من السماء، ومن شر مايعرج فيها، ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يارحمن، قال: فطفئت نارهم، وهزمهم الله تعالى.

أنبأنا اسماعيل بن أحمد السمرقندى نا عاصم بن الحسن نا أبو الحسين ابن بشر أن نا ابن صفوان ثنا أبو بكر القرشى حدثنى أبو سلمة المخزومى ثنا ابن أبى فديك عن الضحاك بن عثمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال: «إن الشيطان يأتى أحدكم فيقول: من خلقك ؟ فيقول الله تبارك وتعالى، فيقول: فمن خلق الله، فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فإن ذلك يذهب عنه». قال القرشى ثنا هناد بن السرى ثنا أبو الأحوص عن عطاء بن السائب عن مرة الهمذانى عن ابن مسعود رضى الله عنه يرفعه، قال: إن للشيطان لمة يابن آدم، وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد من ذلك شيئاً فليعلم أنه من الله فليحمد الله . ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان ثم قرأ ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾ الآية.

قال الشيخ رحمه الله: وقد رواه جرير عن عطاء فوقفه على ابن مسعود. أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنا عبد الرزاق نا سفيان عن منصور عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين فيقول: أعيذكما بكلمات الله التامة، ومن كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة . ثم يقول «هكذا كان أبى إبراهيم ﷺ يعوذ اسماعيل وإسحاق» أخرجاه فى الصحيحين. قال أبو بكر بن الأنبارى الهامة واحد الهوام، ويقال . هى كل نسمة تهم بسوء واللامة الملمة وإنما قال لامة ليوافق لفظ هامة فيكون ذلك أخف على

اللسان .

آخبـرنا محمد بـن ناصر نا المبـارك بن عبد الجـبار نا إبراهيم بن عـمر البرمكى نا أبو الحـسن عبد الله بن إبراهيم الزينبى ثنا محـمد بن خلف ثنا عبد الله بن مـحمد ثنا فضيل بن عـبد الوهاب ثنا جعفر بن سـليمان عن ثابت قال: قـال مطرف: نظرت فإذا ابن آدم ملقى بـين يدى الله عز وجل وبين إبـليس فمـن شاء أن يعـصمه عـصمه، وإن تـركه ذهب به إبـليس (وحكى) عن بعض السلف أنه قال لتلمـيذه. ما تصنع بالشيطان إذا سول لك الخطايا ؟ قال: أجـاهده، قال: فإن عاد ؟ قال: أجـاهده، قال: فإن عاد ؟ قال أجاهده، قال هذا يطول أرأيت إن مررت بغنم فنبحك كلبها أو منعك من العبـور ما تصنع ؟ قال: أكابده وأرده جهـدى، قال هذا يطول عليك، ولكن استعن بصاحب الغنم يكفه عنك .

قال الشيخ رحمه الله: واعلم أن مثـل إبليس مع المتقى والمخلط كرجل جالس بين يديه طعـام، فمر به كلب فقال له اخسأ فذهـب فمر بآخر بين يديه طعام ولحم فكلما أحساه لم يبرح، فالأول مثل المتقى يمر به الشيطان فيكـفيه فى طرده الـذكر، والثانى مـثل المخلط لا يفـارقه الشيـطان لمكان تخليطه، نعوذ بالله من الشيطان .

. . . . .

الباب الرابع
فى معنى التلبيس والغرور

قال المصنف: التلبيس إظهار الباطل فى صورة الحق، والغرور نوع جهل يوجب اعتقاد الفاسد صحيحاً والردى جيداً: وسببه وجود شبهة أوجبت ذلك وإنما يدخل إبليس على الناس بقدر ما يمكنه منهم ويقل على مقدار يقظتهم وغفلتهم وجهلهم وعلمهم، واعلم أن القلب كالحصن، وعلى ذلك الحصن سور، وللسور أبواب، وفيه ثُلم وساكنه العقل، والملائكة تتردد إلى ذلك الحصن، وإلى جانبه رَبَضٌ فيه الهوى والشياطين تختلف إلى ذلك الربض من غير مانع، والحرب قائم بين أهل الحصن وأهل الربض والشياطين لا تزال تدور حول الحصن تطلب غفلة الحارس والعبور من بعض الثلم . فينبغى للحارس أن يعرف جميع أبواب الحصن الذى قد وكل بحفظه وجميع الثلم، وأن لا يفتر عن الحراسة لحظة . فإن العدو ما يفتر . قال رجل للحسن البصرى: أينام إبليس ؟ قال: لو نام لوجدنا راحة، وهذا الحصن مستنير بالذكر مشرق بالإيمان، وفيه مرآة صقيلة يتراءى فيها صور كل ما يمر به، فأول ما يفعل الشيطان فى الربض إكثار الدخان فتسود حيطان الحصن، وتصدأ المرآة وكمال الفكر يرد الدخان، وصقل الذكر يجلو المرآة، وللعدو حملات فتارة يحمل فيدخل الحصن، فيكر عليه الحارس فيخرج، وربما دخل فعاث وربما أقام لغفلة الحارس، وربما ركدت الريح الطاردة للدخان فتسود حيطان الحصن وتصدأ المرآة فيمر الشيطان ولا يدرى به، وربما جرح الحارس لغفلته وأسر واستخدم وأقيم يستنبط الحيل فى موافقة الهوى ومساعدته، وربما صار كالفقيه فى الشر، قال بعض السلف: رأيت الشيطان فقال لى قد كنت ألقى الناس فأعلمهم فصرت ألقاهم فأتعلم منهم . وربما هجم الشيطان على الذكى الفطن ومعه عروس الهوى قد جلاها فيتشاغل الفطن بالنظر إليها فيستأسره، وأقوى القيد الذى يوثق به الأسرى الجهل، وأوسطه فى القوة الهوى، وأضعفه الغفلة، وما دع الإيمان على المؤمن، فإن نبل

العدو لا يقع فى مقتل .

أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ نا أبو حمد بن حيان ثنا أحمد بن محمد بن يعقوب ثنا محمد بن يوسف الجوهرى ثنا أبو غسان النهدى قال: سمعت الحسن بن صالح رحمه الله يقول: إن الشيطان ليفتح للعبد تسعة وتسعين باباً من الخير يريد به بابا من الشر . أنبأنا على بن عبد الله نا محمد بن محمد النديم نا عمى عبد الواحد بن أحمد ثنى أبى أحمد بن الحسين العدل ثنا أبوجعفر محمد بن صالح ثنا حيان بن الفلس الجمانى ثنا حماد بن شعيب عن الأعمش قال: حدثنا رجل كان يكلم الجن، قالوا: ليس علينا أشد ممن يتبع السنة، وأما أصحاب الأهواء، فإنا نلعب لهم لعباً .

. . . . .

الباب الخامس
فى ذكر تلبيسه فى العقائد والديانات
ذكر تلبيسه على السوفسطائية

قال الشيخ: هؤلاء قوم ينسبون إلى رجل يقال له سوفسطا: زعموا أن الأشياء لا حقيقة لها وأن ما يستبعده يجوز أن يكون على ما نشاهده، ويجوز أن يكون على غير ما نشاهده . وقد رد العلماء عليهم، بأن قالوا لمقالتكم هذه حقيقة أم لا ؟ فإن قلتم لا حقيقة لها وجوزتم عليها البطلان فكيف يجوز أن تدعو إلا ما لا حقيقة له ؟ فكأنكم تقرون بهذا القول أنه لا يحل قبول قولكم، وإن قلتم لها حقيقة، فقد تركتم مذهبكم . وقد ذكر مذهب هؤلاء أبو محمد الحسن بن موسى النوبختى فى كتاب الآراء والديانات، فقال: رأيت كثيراً من المتكلمين قد غلطوا فى أمر هؤلاء غلطاً بيناً . لأنهم ناظروهم وجادلوهم وراموا بالحجاج والمناظرة الرد عليه وهم لم يثبتوا حقيقة ولا أقروا بمشاهدة، فكيف تكلم من يقول: لا أدرى أيكلمنى أم لا ؟ وكيف تناظر من يزعم أنه لا يدرى أموجود هو أم معدوم؟ وكيف تخاطب من يدعى أن المخاطبة بمنزلة السكوت فى الإبانة وأن الصحيح بمنزلة الفاسد ؟ قال: ثم إنه إنما يناظر من يقر بضرورة أو يعترف بأمر فيجعل ما يقر سبباً إلى تصحيح ما يجحده . فأما من لا يقر بذلك فمجادلته مطروحة . قال الشيخ: وقد رد هذا الكلام أبو الوفاء بن عقيل فقال: إن أقواماً قالوا كيف نكلم هؤلاء وغاية ما يمكن المجادل أن يقرب المعقول إلى المحسوس ويستشهد بالشاهد فيستدل به على الغائب وهؤلاء لايقولون بالمحسوسات فبم يكلمون؟ قال: وهذا كلام ضيق العطن، ولا ينبغى أن يوئس من معالجة هؤلاء فإن ما اعتراهم ليس بأكثر من الوسواس ولا ينبغى أن يضيق عطننا عن معالجتهم فإنهم قوم أخرجتهم عوارض انحراف مزاج وما مثلنا ومثلهم إلا كرجل رزق ولداً أحول فلايزال يرى القمر بصورة قمرين، حتى إنه لم يشك أن فى السماء قمرين: فقال له أبوه القمر واحد، وإنما السوء فى عينيك، غض عينك

الحولاء وانـظر، فلما فـعل قال: أرى قـمراً واحـداً لأنى عصبـت إحدى عيناى فغاب أحـدهما فجاء من هذا القول شبهة ثـانية، فقال له أبوه: إن كان ذلك كما ذكرت فـغض الصحيحة فعل فرأى قمريـن، فعلم صحة ما قاله أبوه .

أنبأنا محمـد بن ناصر نا الحسن بن أحمد بن الـبنا ثنا ابن دودان نا أبو عبـد الله المرزنانى ثنـى أبو عبد الله الحـكيمى ثـنى يموت بن المـزرع ثنى محمد بن عيسى النظام قال: مات ابن لصالح بن عبد القدوس فمضى إليه أبو الهذيل ومعه النظام وهو غلام حدث كـالمتوجع له . فرآه منحرفاً فقال له أبو الهذيل: لا أعرف لجزعك وجهاً إذا كان الناس عندك كالزرع، فقال له صالح يا أبا الهذيل، إنما أجزع عليـه لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك، فقال له أبو الهذيل: وما كتاب الشكوك، قال: هو كتاب وضعته من قرأه يشك فيمـا قد كان حتى يتـوهم أنه لم يكن، وفيـما لم يكن حتى يـظن أنه قد كان، فـقال له الـنظام: فشك أنـت فى موت إبنـك واعمل علـى أنه لم يمت، وإن كان قـد مات فشك أيضـاً فى أنه قد قرأ الكتـاب وإن كان لم يقرأه . وحكى أبو القاسم البلخى أن رجلاً من الـسوفسطائية كان يختلف إلى بعض المتكلمين فأتاه مرة فناظره فأمر المتكلم بأخذ دابته فلما خرج لم يرها فرجع فقال: سرقت دابتى . فقال ويحك لعلك لم تأت راكباً، قال: بلى، قال: فكر، قال :هـذا أمر أتيقنه . فجعل يقول لـه: تذكر، فقال: ويحك ويحك ما هذا موضع تذكر، أنـا لا أشك أننى جئت راكباً، قال : فكيف تدعـى أنه لاحقيقـة لشئ وأن حال اليـقظان كحال النـائم ؟ فوجم السوفسطائى ورجع عن مذهبه .

فصل

قال النوبـختى قد زعمـا فرقة من المتـجاهلين أنه ليس لـلأشياءحقـيقة واحدة فى نفسها، بل حـقيقتها عند كل قوم على حسب ما يعـتقد فيها، فإن العسل يجـده صاحب المرة الصفراء مراً ، ويجده غـيره حلواً . قالوا وكذلك الـعالم هو قديم عـند من اعتقـد قدمـه، مـحدث عند من اعتـقد

حدوثه. واللون جسم عند من اعتقده جسماً، وعرض عند من اعتقده عرضاً. قالوا فلو توهمنا عدم المعتقدين وقف الأمر على وجود من يعتقد. وهؤلاء من جنس السوفسطائية فيقال لهم أقولكم صحيح ؟ فسيقولون هو صحيح عندنا، باطل عند خصمنا. قلنا دعوا كم صحة قولكم مردودة وإقراركم بأن مذهبكم عند خصمكم باطل شاهد عليكم ومن شهد على قولهم بالبطلان من وجه فقد كفى خصمه بتبيين فساد مذهبه، ومما يقال لهم: أتثبتون للمشاهدة حقيقة ؟ فإن قالوا لا، لحقوا بالأولين، وإن قالوا حقيقتها على حسب الاعتقاد فقد نفوا عنها الحقيقة فى نفسها وصار الكلام معهم كالكلام مع الأولين .

فصل

قال النوبختى. ومن هؤلاء من قال: إن العالم فى ذوب وسيلان قالوا ولا يمكن الإنسان أن يتفكر فى الشئ الواحد مرتين لتغير الأشياء دائماً فيقال لهم: كيف علم هذا وقد أنكرتم ثبوت ما يوجب العلم، وربما كان أحدكم الذى يجيبه الآن غير الذى كلمه .

ذكر تلبيسه على الدهرية

قال المصنف: قد أوهم إبليس خلقاً كثيراً أنه لا إله ولا صانع. وأن هذه الأشياء كانت بلا مكون، وهؤلاء لما لم يدركوا الصانع بالحس ولم يستعملوا فى معرفته العقل جحدوه. وهل يشك ذو عقل فى وجود صانع، فإن الإنسان لو مر بقاع ليس فيه بنيان ثم عاد فرأى حائطاً مبنياً علم أنه لابد له من بانٍ بناه، فهذا المهاد الموضوع، وهذا السقف المرفوع، وهذه الأبنية العجيبة والقوانين الجارية على وجه الحكمة، أما تدل على صانع، وما أحسن ما قال العرب: إن البعرة تدل على البعير، فهيكل علوى بهه اللطافة، ومركز سفلى بهذه الكثافة أما يدلان على اللطيف ؟ ثم لو تأمل الإنسان نفسه لكفت دليلاً، ولشفت غليلاً فإن فى هذا الجسد من الحكم مالا يسع ذكره فى كتاب، ومن تأمل تحديد الأسنان لتقطع، وتقريض الأضراس لتطحن، واللسان يقلب الممضوغ وتسليط الكبد على الطعام ينضجه، ثم ينفذ إلى كل جارحة قدر ما تحتاج إليه من الغذاء،

وهذه الأصابع التى هيئت فيها العقد لتطوى وتنفتح، فيمكن العمل بها، ولم تجوف لكثرة عملها إذ لو جوفت لصدمها الشئ القوى فكسرها، وجعل بعضها أطول من بعض لتستوى إذا ضمت، وأخفى فى البدن ما فيه قوامه، وهى النفس التى إذا ذهبت فسد العقل الذى يرشد إلى المصالح، وكل شئ من هذه الأشياء ينادى أفى الله شك ؟ وإنما يخبط الجاحد لأنه طلبه من حيث الحس، ومن الناس من جحده، لأنه لما أثبت وجوده من حيث الجملة لم يدركه من حيث التفصيل فجحد أصل الوجود، ولو أعمل هذا فكره لعلم أن لنا أشياء لا تدرك إلا جملة كالنفس والعقل، ولم يمتنع أحد من إثبات وجودهما، وهل الغاية إلا إثبات الخلق جملة، وكيف يقال كيف هو أو ما هو ولا كيفية له ولا ماهية. ومن الأدلة القطعية على وجوده أن العالم حادث بدليل أنه لا يخلو من الحوادث وكل مالا ينفك عن الحوادث حادث ولابد لحدوث هذا الحادث من مسبب وهو الخالق سبحانه. وللملحدين اعتراض يتطاولون به على قولنا: لابد للصنعة من صانع فيقولون إنما تعلقتم فى هذا بالشاهد وإليه نقاضيكم فنقول كما أنه لابد للصنعة من صانع فلابد للصورة الواقعة من الصانع من مادة تقع الصورة فيها كالخشب لصورة الباب والحديد لصورة الفأس. قالوا فدليلكم الذى تثبتون به الصانع يوجب قدم العالم، فالواجب أنه لا حاجة بنا إلى مادة بل نقول إن الصانع اخترع الأشياء اختراعاً فإنا نعلم أن الصور والأشكال المتجددة فى الجسم كصورة الدولاب ليس لها مادة، وقد اخترعها ولابد لها من مصور فقد أريناكم صورة وهى شئ جاءت لا من شئ ولا يمكنكم أن ترون صنعة جاءت لا من صانع .

ذكر تلبيسه على الطبائعيين

قال المصنف: لما رأى إبليس قلة موافقته على جحد الصانع لكون العقول شاهدة بأنه لابد للمصنوع من صانع حسن لأقوام أن هذه المخلوقات فعل الطبيعة وقال ما من شئ يخلق إلا من اجتماع الطبائع الأربع فيه، فدل على أنها الفاعلة، وجواب هذا، نقول اجتماع الطبائع دليل على وجودها لا على فعلها ثم قد ثبت أن الطبائع لا تفعل إلا باجتماعها وامتزاجها، وذلك يخالف طبيعتها، فدل على أنها مقهورة.

وقد سلموا أنهـا ليست بحية ولا عالمة ولا قادرة ومعـلوم أن الفعل المنسق المنتظم لا يـكون إلا من عالم حكيم، فكـيف يفعل من ليس عـالماً وليس قادراً، فإن قالوا ولو كان الفعل حكيماً لم يقع فى بنائه خلل، ولا وجدت هذه الحيوانـات المضرة فعلم أنه بالطـبع. قلنا ينقلب هذا علـيكم بما صدر منه من الأمور المنتظـمة المحكمة التى لا يجوز أن يصدر مـثلها عن طبع. فأما الخلـل المشار إليه فيمـكن أن يكون للابتلاء والردع والعـقوبة، أو فى طيه منافع لا نعلمها ثم أين فعل الطبـيعة من شمس تطلع فى نسيان على أنواع من الحـبوب فترطـب الحصرم والخلالـة وتنشف البـرة وتيبسـها ولو فعلت طبعاً لأيبست الكل أو رطبته فلم يبق إلا أن الفاعل المختار استعملها بالمشيـئة فى يبس هذه للادخـار، والنضج فى هذه للتنـاول، والعجب أن الذى أوصل إليـها اليـبس فى أكنة لا يلقـى جرمهـا والذى رطبهـا يلقى جرمهـا، ثم إنها تبيـض ورد الخشخاش وتحمـر الشقائق وتحـمض الرمان وتحلى العنب، والماء واحد، وقد أشـار المولى إلى هذا بقوله ﴿**تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل**﴾ .

ذكر تلبيسه على الثنوية

وهم قوم قـالوا صانع الـعالم اثنان: فـفاعل الخـير نور، وفاعـل الشر ظلمة، وهما قديمـان لم يزالا قويين حساسين، سميعـين بصيرين، وهما مختلفان فى النفس والصورة، متضـادان فى الفعل والتدبير، فجوهر النور فاضل حسن نيـر صاف نقى طيب الريح حسن المنظر، ونفـسه نفس خيره كريمة حكيمة نفاعة منها الخـير واللذة والسرور والصلاح، وليس فيها شئ من الضرر ولا من الشر وجوهر الظلمة على ضد ذلك من الكدر والنقص ونتن الريح وقبح المنظر ونفسه نفس شريرة بخـيلة سفيهة منتنة ضرارة منها الشر والفساد. كذا حكاه النوبختى عنهم، قال: وزعم بعضهم أن النور لم يزل فوق الظلمـة. وقال بعضهم: بل كل واحد إلى جـانب الآخر. وقال أكثرهم: النور لم يزل مرتفعاً فى ناحية الشمال، والظلمة منحطة فى ناحية الجنوب، ولم يزل كل واحد منهما مبايناً لصاحبه، قال النوبختى: وزعموا أن كل واحد مـنهما لـه أجناس خمـسة، أربعة مـنها أبدان وخـامس هو

الروح، وأبدان النور أربعة: النار والريح، والتراب، والماء، وروحه الشبح، ولم تزل تتحرك فى هذه الأبدان، وأبدان الظلمة أربعة: الحريق، والظلمة، والسموم، والضباب، وروحها الدخان وسموا أبدان النور ملائكة، وسموا أبدان الظلمة شياطين وعفاريت . وبعضهم يقول الظلمة تتوالد شياطين والنور يتوالد ملائكة، وأن النور لا يقدر على الشر ولا يجوز منه، والظلمة لا تقدر على الخير ولا تجوز منه. وذكر لهم مذاهب مختلفة فيما يتعلق بالنور والظلمة. ومذاهب سخيفة. فمنها أنه فرض عليهم ألا يدخرون إلا قوت يوم، وقال بعضهم: على الإنسان صوم ربع العمر، وترك الكذب والبخل والسحر، وعبادة الأوثان والزنى والسرقة، وأن لا يؤذى ذا روح، فى مذاهب طريفة اخترعوها بواقعاتهم الباردة.

وذكر يحيى بن بشر النهاوندى أن قوماً منهم يقال لهم (الديصانية) زعموا أن طبيعة العالم كانت طينة خشنة وكانت تحاكى جسم البارى الذى هو النور زماناً، فتأذى بها، فلما طال عليه ذلك قصد تنحيتها عنه فتوحل فيها واختلط بها فتركب منها هذا العالم النورى والظلمى، فما كان من جهة الصلاح فمن النور، وما كان من جهة الفساد فمن الظلمة، وهؤلاء يغتالون الناس ويخنقونهم ويزعمون أنهم يخلصون بذلك النور من الظلمة، مذاهب سخيفة، والذى حملهم على هذا أنهم رأوا فى العالم شراً واختلافاً، فقالوا لا يكون من أصل واحد شيئان مختلفان: كما لا يكون من النار التبريد والتسخين، وقد رد العلماء عليهم فى قولهم إن الصانع اثنان، فقالوا: لو كان اثنين لم يخل أن يكونا قادرين، أو عاجزين، أو أحدهما قادر والثانى عاجز، لا يجوز أن يكونا عاجزين لأن العجز يمنع ثبوت الألوهية، ولا يجوز أن يكون أحدهما عاجزاً، فبقى أن يقال هما قادران، فتصور أن أحدهما يريد تحريك هذا الجسم فى حالة يريد الآخر فيها تسكينه، ومن المحال وجود ما يريدانه، فإن تم مراد أحدهما ثبت عجز الآخر، وردوا عليهم فى قولهم: إن النور يفعل الخير، والطلمة تفعل الشر، فإنه لو هرب مظلوم فاستتر بالظلمة فهذا خير قد صدر من شر ولا ينبغى مد النفس فى الكلام مع هؤلاء فإن مذهبهم خرافات .

ذكر تلبيسه على الفلاسفة وتابعيهم

إنما تمكن إبليس من التلبيس على الفلاسفة من جهة أنهم انفردوا بآرائهم وعقولهم. وتكلموا بمقتضى ظنونهم من غير التفات إلى الأنبياء. فمنهم من قال بقول الدهرية أن لا صانع للعالم، حكاه النوبختي وغيره عنهم. وحكى النهاوندى أن أرسطاطاليس وأصحابه زعموا أن الأرض كوكب في جوف هذا الفلك وأن في كل كوكب عوالم كما في هذا الأرض وأنهاراً وأشجاراً وأنكروا الصانع وأكثرهم أثبت علة قديمة للعالم ثم قال بقدم العالم، وأنه لم يزل موجوداً مع الله تعالى ومعلولاً له ومساوياً غير متأخر عنه بالزمان مساواة المعلول للعلة والنور للشمس بالذات والرتبة لا بالزمان، فيقال لهم لم أنكرتم أن يكون العالم حادثاً بإرادة قديمة اقتضت وجوده في الوقت الذى وجد فيه ؟ فإن قالوا فهذا يوجب أن يكون بين وجود البارى وبين المخلوقات زمان. قلنا الزمان مخلوق وليس قبل الزمان زمان. ثم يقال لهم: كان الحق سبحانه وتعالى قادراً على أن يجعل سمك الفلك الأعلى أكثر مما هو بذراع أو أقل مما هو بذراع. فإن قالوا لا يمكن فهو تعجيز، ولأن مالا يمكن أكبر منه ولا أصغر فوجوده على ما هو عليه واجب لا ممكن، والواجب يستغنى عن علة وقد ستروا مذهبهم بأن قالوا الله عز وجل صانع العالم، وهذا تجوز عندهم لا حقيقة. لأن الفاعل مريد لما يفعله وعندهم أن العالم ظهر ضرورياً لا أن الله فعله، ومن مذاهبهم أن العالم باق أبداً كما لا بداية لوجوده فلا نهاية، قالوا لأنه معلول علة قديمة. وكان المعلول مع العلة، ومتى كان العالم ممكن الوجود لم يكن قديماً ولا معلولاً. وقد قال جالينوس لو كانت الشمس مثلا تقبل الانعدام لظهر فيها ذبول في هذه المدة الطويلة فيقال له قد يفسد الشئ بنفسه بغتة لا بالذبول، ثم من أين له أنها لا تذبل ؟ فإنها عندهم بمقدار الأرض مائة وسبعين مرة أو نحو ذلك، فلو نقص منها مقدار جبل لم يبن ذلك للحس، ثم نحن نعلم أن الذهب والياقوت يقبلان الفساد وقد يبقيان سنين ولا يحس نقصانهما، وإنما الإيجاد والإعدام بإرادة القادر والقادر لا يتغير في نفسه ولا تحدث له صفة

وإنما يتغير الفعل بإرادة قديمة.

فصل

وحكى النوبختي في كتاب الآراء والديانات أن سقراط كان يزعم أن أصول الأشياء ثلاثة: علة فاعله، والعنصر، والصورة. قال: والله تعالى هو الفعال والعنصر هو الموضوع الأول للكون والفساد، والصورة جوهر للجسم، وقال آخر منهم: الله هو العلة الفاعلة. والعنصر المنفعل، وقال آخر منهم العقل رتب الأشياء هذا الترتيب، وقال آخر منهم بل الطبيعة فعلته.

وحكى يحيى بن بشير بن عمير النهاوندي أن قوماً من الفلاسفة قالوا لما شاهدنا العالم مجتمعاً ومتفرقاً ومتحركاً وساكناً علمنا أنه محدث ولابد له من محدث ثم رأينا أن الإنسان يقع في الماء ولا يحسن السباحة فيستغيث بذلك الصانع المدبر فلا يغيثه، أو في النار فعلمنا أن ذلك الصانع معدوم. قال واختلف هؤلاء في عدم الصانع المدبر على ثلاث فرق: فرقة زعمت أنه لما أكمل العالم استحسنه فخشي أن يزيد فيه أو ينقص منه فيفسد، فأهلك نفسه وخلا منه العالم، وبقيت الأحكام تجري بين حيواناته ومصنوعاته على ما اتفق، وقالت الفرقة الثانية: بل ظهر في ذات الباري تولول، فلم يزل تنجذب قوته ونوره حتى صارت القوة والنور في ذلك التولول وهو العالم، وساء نور الباري وكان الباقي منه سنور.

وزعموا أنه سيجذب النور من العالم إليه حتى يعود كما كان، ولضعفه عن مخلوقاته أهمل أمرهم فشاع الجور.

وقالت الفرقة الثالثة: بل الباري لما أتقن العالم تفرقت أجزاؤه فيه فكل قوته في العالم فهي من جوهر اللاهوتية. قال الشيخ رحمه الله: هذا الذي ذكره النهاوندي نقلته من نسخة بالنظامية قد كتبت منذ مائتين وعشرين سنة، ولولا أنه قد قيل ونقل في ذكره بيان ما قد فعل إبليس في تلبيسه، لكان الأولى الإضراب عن ذكره تعظيماً لله عز وجل أن يذكر بمثل هذا، ولكن قد بينا وجه الفائدة في ذكره.

فصل

وقد ذهب أكثر الفلاسفة إلى أن الله تعالى لا يعلم شيئاً، وإنما يعلم نفسه، وقد ثبت أن المخلوق يعلم نفسه ويعلم خالقه، فقد زادت مرتبة المخلوق على رتبة الخالق .

قال المصنف: وهذا أظهر فضيحة من أن يتكلم عليه، فانظر إلى ما زينه إبليس لهؤلاء احمقاء مع ادعائهم كمال العقل، وقد خالفهم أبو على بن سيناء فى هذا فقال بل يعلم نفسه، ويعلم الأشياء الكلية ولا يعلم الجزئيات، وتلقف هذا المذهب منهم المعتزلة، وكأنهم استكثروا المعلومات، فالحمد لله الذى جعلنا ممن ينفى عن الله الجهل والنقص، ونؤمن بقوله ﴿ **ألا يعلم من خلق** ﴾ وقوله: ﴿**ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها** ﴾ وذهبوا إلى أن علم الله وقدرته هو ذاته، وفراراً من أن يثبتوا قديمين، وجوابهم أن يقال إنما هو قديم موجود واحد موصوف بصفات الكمال .

فصل

قال المصنف: وقد أنكرت الفلاسفة بعث الأجساد ورد الأرواح إلى الأبدان ووجود جنة ونار جسمانيين وزعموا أن تلك أمثلة ضربت لعوام الناس ليفهموا الثواب والعقاب والروحانيين، وزعموا أن النفس تبقى بعد الموت بقاء سرمدياً أبداً، إما فى لذة لا توصف وهى الأنفس الكاملة، أو ألم لا يوصف وهى النفوس المتلوثة، وقد تتفاوت درجات الألم على مقادير الناس، وقد ينمحى عن بعضها الألم ويزول، فيقال لهم نحن لا ننكر وجود النفس بعد الموت، ولذلك سمى عودها إعادة، ولا أن لها نعيماً وشقاء، ولكن ما المانع من حشر الأجسام ؟ ولم ننكر اللذات والآلام الجسمانية فى الجنة والنار، وقد جاء الشرع بذلك فنحن نؤمن بالجمع بين السعادتين، وبين الشقاوتين الروحانية والجسمانية، وأما الحقائق فى مقام الأمثال فتحكم بلا دليل، فإن قالوا الأبدان تنحل وتؤكل وتستحيل. قلنا القدرة لا يقف بين يديها شئ، على أن الإنسان إنسان بنفسه. فلو صنع له البدن من تراب غير التراب الذى خلق منه لم يخرج

عن كونه هو هـو، كما أنه تتبدل أجـزاؤه من الصغر إلى الكبـر وبالهزال والسمن فإن قالوا لم يكن البدن بدناً حتى يرقى من حالة إلى حالة إلى أن صار لحـماً وعروقاً قـلنا قدرة الله سبـحانه وتعـالى لا تقف على المفـهوم المشاهد ثم قد أخبرنا نبينا ﷺ أن الأجـسام تنبت فى القبور قبل البعث، وأخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقى البزار أبو محمد الجوهرى نا عمر بن محمد بن الزيات ثنا قاسم بن زكريا المطرز ثنا أبو كريب ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هـريرة قال: قال رسول الله ﷺ : ما بين النفختين أربعون، قالوا: يـا أبا هريرة أربعون يوماً ؟ قال أبيت، قالوا أربعون شهراً ؟ قال أبيت، قالوا أربعون سنة، قال أبيت، قال ثم ينزل الله ماء من السماء فـينبتون كما ينبت البقل، قـال وليس من الإنسان شئ إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب، منه خلق ومنه يركب الخلق يوم القيامة، أخرجاه فى الصحيحين .

فصل

وقد لبس إبليس عـلى أقوام من أهل ملتنا فدخل علـيهم من باب قوة ذكائهم وفـطنتهم فأراهم أن الـصواب اتباع الفلاسـفة لكونهم حكـماء قد صدرت منهم أفعال وأقوال دلت على نهاية الذكاء وكمال الفطنة كما ينقل من حكمة سـقراط وأبقراط وأفلاطون وأرسطاطاليـس وجالينوس وهؤلاء كانت لهم علوم هندسية ومنطقية وطبيعية واستخرجوا بفطنتهم أموراً خفية إلا أنهم لما تكلموا فى دالألهيات خلطوا ولذلك اخـتلفوا فيها ولم يختلفوا فى الحسـيات والهندسيات ،وقـد ذكرنا جنس تخلـيطهم فى معتـقداتهم. وسبب تخليطهـم أن قوى البشر لا تدرك العلوم إلا جملة والـرجوع فيها إلى الشرائـع (وقد حكى) لهؤلاء المتـأخرين فى أمتنا أن أولئـك الحكماء كانوا ينكرون الصانع ويدفعون الشرائع ويعتقدونها نواميس وحيلاً فصدقوا فيمـا حكى لهم عنهـم ورفضوا شعـار الدين وأهملوا الصلـوات ولابسوا المحـذورات واستـهانوا بـحدود الشـرع وخلعـوا ربقـة الإسلام فـاليهـود والنصارى أعذر مـنهم لكونهم متمسـكين بشرائع دلت عليهـا معجزات، والمبتـدعة فى الدين أعذر منـهم لأنهم يدعون النـظر فى الأدلة وهؤلاء لا

مستند لكفرهم إلا عليهم بأن الفلاسفة كانوا حكماء أتراهم ما علموا أن الأنبياء كانوا حكماء وزيادة (وما قد حكى) لهؤلاء الفلاسفة من جحد الصانع محال: فإن أكثر القوم يثبتون الصانع ولا ينكرون النبوات وإنما أهملوا النظر فيها وشذ منهم قليل فتبعوا الدهرية الذين فسدت أفهامهم بالمرة وقد رأينا من المتفلسفة من أمتنا جماعة لم يكسبهم التفلسف إلا التحير فلا هم يعملون بمقتضاه ولا بمقتضى الإسلام بل فيهم من يصوم رمضان ويصلى ثم يأخذ فى الاعتراض على الخالق وعلى النبوات ويتكلم فى إنكار بعث الأجساد ولا يكاد يرى منهم أحد إلا ضربه الفقر فأضر به فهو عامة زمانه فى تسخط على الأقدار والاعتراض على المقدر حتى قال لى بعضهم أنا لا أخاصم إلا من فوق الفلك وكان يقول أشعاراً كثيرة فى هذا المعنى فمنهم قوله فى صفة الدنيا قال:

أتراها صنعة من غير صانع ... أم تـراها رمية من رام

وقوله :

وا حيرتا من وجود ما تقدمه ... منا اختيار ولا علم فيقتبس

كأنه فى عماء ما يخلصنا ... منه ذكاء ولا عقل ولا شرس

ونحن فى ظلمة ما إن لها قمر ... فيها يضئ ولا شمس ولا قبس

مدلهين حيارى قد تكنفنا ... جهل يجهمنا فى وجهه عبس

فالفعل فيه بلا ريب ولا عمل ... ولاقول فيه كلام كله هوس

فصل

ولما كانت الفلاسفة قريباً من زمان شريعتنا والرهبنة كذلك مدّ بعض أهل ملتنا يده إلى التمسك بهذه وبعضهم مدّ يده إلى التمسك بهذه فترى كثيراً من الحمقى إذا نظروا فى باب الاعتقاد تفلسفوا وإذا نظروا فى باب التزهد ترهبنوا فنسأل الله ثباتاً على ملتنا وسلامة من عدونا أنه ولى الإجابة .

ذكر تلبيسه على أصحاب الهياكل

وهم قوم يقولون أن لكل روحانى من الروحانيات العلوية هيكلاً أعنى

جرماً من الأجـرام السماوية هو هيكلـه ونسبته إلى الروحـانى المختص به نسبة أبداننا إلى أرواحنا فيكرن هو مدبره والمتصرف فيه فمن جملة الهياكل العلوية السيارات والثوابت، قالوا: ولا سبيل لها إلى الروحانـى بعينه. فيتقرب إلى هيكله بكل عبادة وقربان.

وقال آخرون منهم لكل هيكل سماوى شخص من الأشخاص السفلية على صورته وجوهره فعمل هؤلاء الصور ونحتوا الأصنام وبنوا لها بيوتاً.

وقد ذكر يحيى بن بشر النهاوندى أن قـوماً قالوا الكواكب السبعة وهى زحل، والمشـترى والمريخ، والشمـس، والزهرة، وعطارد، والقـمر. هى المدبرات لهذا العالم وهى تصدر عن أمر الملأ الأعلى. ونصبوا لها الأصنام على صورتـها، وقربوا لكل واحد مـنها ما يشبـهه من الحيوان. فـجعلوا لزحل جسماً عـظيماً من الآنك أعمى يقرب إليه بثـور حسن يؤتى به إلى بيت تحتـه محفور وفـوقه الدرابزين من حديد عـلى تلك الحفرة فـيضرب الثور حتـى يدخل البيت ويمشى علـى ذلك الداربزين من الحديد فـتغوص رجلاه ويداه هنالـك ثم توقد تحته النار حـتى يحترق. ويقـول له المقربون مقدس أنت أيها الإله الأعمى المطبوع علـى الشر الذى لا يفعل خيراً قربنا لك ما يشـبهك فتقـبل منا وأكفنا شرك وشـر أرواحك الخبيثـة: ويقربون للمشتـرى صبياً طفلاً وذلك أنهـم يشترون جارية ليطأها الـسدنة للأصنام السبعة فتحمل وتترك حتى تضـع ويأتون بها والصبى على يدها ابن ثمانية أيام فينخسونه بالمسل والإبر وهو يبكـى على يد أمه فيقولون له أيها الرب الخير الذى لا يـعرف الشر قد قربنـا لك من لم يعرف الشر يـجانسك فى الطبيعة فتقبل قرباننا وارزقنا خـيرك وخير أرواحك الخيرة ويقربون للمريخ رجلاً أشقر أنمش أبـيض الراس من الشقرة يأتون به فيـدخلون فى حوض عظيم ويشدون قيوده إلى أوتاد فى قعر الحوض ويملأون الحوض زيتاً حتى يبقى الرجل قائماً فيه إلى حلقـه ويخلطون بالزيت الأدوية المقوية للعصب والمعفنة للحم حتى إذا دار عليه الحول بـعد أن يغذى بالأغذية المعفنة للحم والجلد قبضوا على رأسه فملخـوا عصبه من جلده ولفوه تحت رأسه وأتوا به إلى صنـمهم الذى هو علـى صورة المريخ فقـالوا أيها الإله الـشرير ذو

الفتن والجوائح قربنا إليك ما يشبهك فتقبل قربانا واكفنا شرك وشر أرواحك الخبيثة الشريرة. ويزعمون أن الرأس تبقى فيه الحياة سبعة أيام وتكلمهم بعلم ما يصيبهم تلك السنة من خير وشر ويقربون للشمس تلك المرأة التى قتلوا ولدها للمشترى ويطوفون بصورة الشمس ويقولون مسبحة مهللة أنت أيتها الآلهة النورانية قربنا إليك ما يشبهك فتقبلى قرباننا وارزقينا من خيرك وأعيذينا من شرك. ويقربون للزهرة عجوزاً شمطاء ماجنة يقدمونها بين يديها وينادون حولها أيتها الآلهة الماجنة أتيناك بقربان بياضه كبياضك ومجانته كمجانتك وظرفه كظرفك فتقبليها منا. ثم يأتون بالحطب فيجعلونه حول العجوز ويضرمون فيه النار إلى أن تحترق فيحثون رمادها فى وجه الصنم .

ويقربون لعطارد شاباً أسمر حاسبا كاتباً متأدباً يأتون به بحيلة وكذلك يفعلون بالكل يخدعونهم وينجونهم ويسقونهم أدوية تزيل العقل وتخرس الألسنة فيقدمون هذا الشاب إلى صنم عطارد ويقولن أيها الرب الظريف أتيناك بشخص ظريف وبطبعك اهتدينا فتقبل منا ثم ينشر الشاب نصفين ويربع ويجعل على أربع خشبات حوله ويضرم كل خشبة النار حتى تحترق ويحترق الربع معها ويحثون رماده فى وجهه .

ويقربون للقمر رجلاً آدم كبير الوجه ويقولون له يا بريد الآلهة وخفيف الأجرام العلوية .

ذكر تلبيسه على عبَّاد الأصنام

قال المصنف: كل محنة لبس بها إبليس على الناس فسببها الميل إلى الحس والأعراض عن مقتضى العقل ولما كان الحس يأنس بالمثل دعا إبليس لعنه الله خلقاً كثيراً إلى عبادة الصور وأبطل عند هؤلاء عمل العقل بالمرة. فمنهم من حسن له أنها الآلهة وحدها ومنهم من وجد فيه قليل فطنة فعلم أنه لا يوافقه على هذا فزين له أن عبادة هذه تقرب إلى الخالق فقالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى .

ذكر بداية تلبيسه على عبَّاد الأصنام

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو الجعفر

ابن أحمد بن السلم نا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزناتى نا أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله الجوهرى ثنا أبو على الحسن بن عليل العنزى: ثنا أبو الحسن على ابن الصياح بن الفرات قال أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبى قال أخبرنى أبى قال أول ما عبدت الأصنام كان آدم عليه السلام لما مات جعله بنو شيث بن آدم فى مغارة فى الجبل الذى أهبط عليه آدم بأرض الهند ويقال للجبل بوذ وهو أخصب جبل فى الأرض. قال هشام فأخبرنى أبى عن أبى الصالح عن ابن عباس رضى الله عنهما فكان بنو شيث بن آدم عليه الصلاة والسلام يأتون جسد آدم فى المغارة فيعظمونه ويترحمون عليه فقال رجل من بنى قابيل يا بنى قابيل إن لبنى شيث دواراً يدورون حوله ويعظمونه وليس لكم شئ فنحت لهم صنماً فكان أول من عملها قال: وأخبرنى أبى أنه كان ود. وسواع. ويغوث. ويعوق. ونسر. قوماً صالحين فماتوا فى شهر فجزع عليهم أقاربهم فقال رجل من بنى قابيل يا قوم هل لكم أن أعمل لكم خمسة أصنام على صورهم غير أننى لا أقدر أن أجعل فيها أرواحاً، فقالوا نعم. فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم ونصبها لهم فكان الرجل منهم يأتى أخاه وعمه وابن عمه فيعظمه ويسعى حوله حتى ذهب ذلك القرن الأول. وعملت على عهد يزذ بن مهلاييل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم ثم جاء قرن آخر فعظموهم أشد تعظيم من القرن الأول. ثم جاء من بعدهم القرن الثالث فقالوا. ما عظم الأولون هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم عند الله عز وجل، فعبدوهم وعظموا أمرهم واشتد كفرهم فبعث الله سبحانه وتعالى إليهم إدريس عليه الصلاة والسلام فدعاهم فكذبوه فرفعه الله مكاناً علياً، ولم يزل أمرهم يشتد فيما قال الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس حتىٰ أدرك نوح فبعثه الله نبياً وهو يومئذ ابن أربعمائة وثمانين سنة فدعاهم إلى عبادة الله عز وجل مائة وعشرين سنة فعصوه وكذبوه فأمره الله تعالى أن يصنع الفلك فعملها وفرغ منها وركبها وهو ابن ستمائة سنة وغرق من غرق ومكث بعد ذلك ثلاثمائة سنة وخمسين سنة، فكان بين آدم ونوح ألفا سنة ومائتا سنة فأهبط الماء هذه الأصنام من أرض إلى أرض حتى قذفها إلى أرض جُدة فلما نضبت الماء

بقيت على الشط فسفت الريح عليها حتى وارتها .

قال الكلبي : وكان عمرو بن لحى كاهناً وكـان يكنى أبا ثمامة له رئى من الجن. فقال له عجل المسير والظعن من تهامة، بالسعد والسلامة، ائت صفـا جده، تجد فـيها أصنامـاً معدة. فـأوردها تهامـة ولا تهب، ثم ادع العرب إلى عبادتها تجب. فأتى نهر جدة فاستثارها ثم حملها حتى ورد بها تهامة وحضر الحج فدعا العرب إلى عبادتها قاطبة، فأجابه عوف بن عذرة ابن زيد اللات فـدفع إليه وداً فـحمله فكـان بوادى القرى بدومـة الجندل وسمى إبنه عبـد ود فهو أول من سمى به. وجعل عوف ابنـه عامراً سادناً له فلم يزل بنوه يدينون به حتى جاء الله بالإسلام .

قال الكلبي: حدثني مالك بن حارثة أنه رأى وداً. قال وكان أبي يبعثني باللبن إليه ويقول اسق إلهك فَأَشْرَبَـهُ. قال: ثم رأيت خالد بن الوليد بعد كسره فـجعله جذاذاً وكـان رسول الله ﷺ بعثـه من غزوة تبوك لهـدمه فحالـت بينه وبين هدمـه بنو عبد ود وبنو عـامر فقاتـلهم فقتلـهم وهدمه وكسره وقتل يومئذ رجلاً من بني عـبد ود يقال له قطن بن سريح فأقبلت أمه (وهو مقتول) وهي تقول :

ألا تلك المـــودة لا تـــدوم ولا يبقى على الدهر النعيم
ولا يبقى على الحدثانِ عفـــر له أم بشـــــاهقه رؤوم

ثم قالت :

يا جامعاً جامع الأحشاء والكبد يا ليت أمك لم تولد ولم تلد

ثم أكبت عليه فشهقت وماتت .

قال الكلبي: فقلت لمالك بن حارثة صف لي وداً حتى كأني أنظر إليه. قال: كان تمثـال رجل أعظم ما يكون من الرجال قد ديـر أي نفس، عليه حلتان متزر بحـلة مرتد بأخرى، عليه سيف قد تقلـده وتنكب قوساً وبين يديه حربة فيها لواء ووفضة فيها نبل يعني جعبتها .

قال: وأجابت عمرو بن لحى مضر بن نزار إلى رجل من هذيل يقال له الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مـدركة بن إلياس بن مضر سواعاً،

وكان بأرض يقال لها رهاط من بطن نخلة يعبده من يليه من مضر. فقال رجل من العرب :

تراهم حول قبلتهم عكوفاً كما عكفت هذيل على سواع
يظن حياته صرعى لديه غنائم من ذخائر كل راعي

وأجابته مذحج فدفع إلى أنعم بن عمرو المرادى يغوث، وكان بأكمة باليمن تعبده مذحج ومن والاها .

وأجابته همدان فيدفع إلى مالك بن مرثد بن جشم يغوث، وكان بقرية يقال لها جوان تعبده همدان ومن والاها من اليمن .

وأجابته حمير فدفع إلى رجل من ذى رعين يقال له معدى كرب نسراً وكان بموضع من أرض سبأ يقال له بلخع تعبده حمير ومن والاها. فلم يزالوا يعبدونه حتى هودهم ذو نواس ولم تزل هذه الأصنام تعبد حتى بعث الله محمداً ﷺ فأمر بهدمها .

قال ابن هشام : وحدثنا الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : رفعت لى النار فرأيت عمرو ابن لحى قصيراً أحمر أزرق يجر قصبه فى النار قلت من هذا قيل هذا عمرو ابن لحى أول من بحر البحيرة ووصل الوصيلة وسيب السائبة وحمى الحام وغير دين اسماعيل ودعا العرب إلى عبادة الأوثان. قال هشام وحدثنى أبى وغيره أن اسماعيل عليه الصلاة والسلام لما سكن مكة ولد له فيها أولاد فكثروا حتى ملؤا مكة ونفوا من كان بها من العماليق ضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات فأخرج بعضهم بعضاً فتفسحوا فى البلاد والتمسوا المعاش فكان الذى حملهم على عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم وصيانة لمكة فحيث ما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمناً منهم وصيانة للحرم وحباً له وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمرون على أثر ابراهيم واسماعيل ثم عبدوا ما استحسنوا ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام غيره فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم واستخرجوا ما

كان يعبد قوم نوح وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم واسماعيل يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف بعرفة والمزدلفة وإهداء البدن والإهلال بالحج والعمرة وكانت نزار تقول إذا ما أهلت (لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك) .

وكان أول من غير دين اسماعيل ونصب الأوثان وثيب السائبة ووصل الوصيلة عمرو ابن ربيعة وهو لحى بن حارثة وهو أبو خزاعة وكانت أم عمرو بن لحى فهيرة بنت عامر ابن الحارث وكان الحارث هو الذى يلى أمر الكعبة فلما بلغا عمرو بن لحى نازعه فى الولاية وقاتل جرهم بن اسماعيل فظفر بهم وأجلاهم عن الكعبة ونفاهم من بلاد مكة وتولى حجابة البيت من بعدهم ثم أنه مرض مرضاً شديداً فقيل له أن بالبلقاء من أرض الشام حمة إن أتيتها برئت فأتاها فاستحم بها فبرأ ووجد أهلها يعبدون الأصنام فقال ما هذه فقالوا نستسقى بها المطر ونستنصر بها على العدو فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة واتخذت العرب الأصنام .

وكان أقدمها مناة وكان منصوباً على ساحل البحر من ناحية الملك بقديد بين مكة والمدينة وكانت العرب جميعاً تعظمه والأوس والخزرج ومن نزل المدينة ومكة وما والاها ويذبحون له ويهدون له .

قال هشام: وحدثنا رجل من قريش عن أبى عبيدة بن عيد الله بن أبى عبيدة بن محمد بن عامر بن ياسر قال: كانت الأوس والخزرج ومن يأخذ مأخذهم من العرب من أهل يثرب وغيرها يحجون فيقفون مع الناس المواقف كلها ولا يحلقون رؤسهم فإذا نفروا أتوه فحلقوا عنده رؤوسهم وأقاموا عنده لا يرون لحجهم تماماً إلا بذلك وكانت مناة لهذيل وخزاعة فبعث رسول الله ﷺ علياً رضى الله عنه فهدمها عام الفتح .

ثم اتخذوا اللات بالطائف وهى أحدث من مناة وكانت صخرة مرتفعة وكانت سدنتها من ثقيف وكانوا قد بنوا عليها بناء وكانت قريش وجميع العرب تعظماً وكانت العرب تسمى زيد اللات وتيم اللات وكانت فى

موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم فلم يزالوا كذلك حتى أسلمت ثقيف فبعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار .

ثم اتخذوا العزى وهى أحدث من اللات اتخذها ظالم بن أسعد وكانت بوادى نخلة الشامية فوق ذات عرق وبنوا عليها بيتاً وكانوا يسمعون منه الصوت.

قال هشام: وحدثنى أبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كانت العزى شيطانة تأتى ثلاث سمرات ببطن نخلة فلما افتتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد ابن الوليد فقال ائت بطن نخلة فإنك تجد ثلاث سمرات فاعتضد الأولى فأتاها فعضدها. فلما جاء إليه قال: هل رأيت شيئاً ؟ قال لا. قال فاعضد الثانية فأتاها فعضدها. ثم أتى النبى ﷺ . فقال: هل رأيت شيئاً قال لا قال فاعضد الثالثة فأتاها فإذا هو بجنية نافشة شعرها واضعه يديها على عاتقها تصر بأنيابها وخلفها دبية السلمى وكان سادنها.

فقال خالد :

يا عز كفرانك لا سبحانك أنى رأيت الله قد أهانك

ثم ضربها ففلق راسها فإذا هى حممة ثم عضد الشجرة وقتل دبية السادن ثم أتى النبى ﷺ فأخبره فقال تلك العزى ولا عزى بعدها للعرب.

قال هشام: وكان لقريش أصنام فى جوف الكعبة وحولها وأعظمها عندهم هبل. وكان فيما بلغنى من عقيق أحمر على صورة الإنسان مكسور اليد اليمنى أدركته قريش كذلك فجعلوا له يداً من ذهب. وكان أول من نصبه خذيمة بن مدركة بن الياس بن مضر وكان فى جوف الكعبة وكان قدامة سبعة أقدح مكتوب فى أحدها صريح وفى الآخر ملصق فإذا شكوا فى مولود أهدوا له هدية ثم ضربوا بالقدح فإن خرج صريح الحقوه وإن خرج ملصقاً دفعوه. وكانوا إذا اختصموا فى أمر أو أرادوا سفراً أو عملاً أتوه فاستقسموا بالقداح عنده. وهو الذى قال له أبو سفيان يوم أحد: أعلى هبل أى علا دينك؟ فقال رسول الله ﷺ لأصحابه « ألا

تجيبونه » فقالوا وما نقول. قال«قولوا الله أعلى وأجل»(١) وكان لهم أساف ونائلة قال هشام فحدث الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس أن أساف من جرهم يقال له أساف بن يعلى ونائلة بنت زيد من جرهم وكان يتعشقها فى أرض اليمن فأقبلا حجاجاً فدخلا البيت فوجدا غفلة من الناس وخلوة من البيت ففجر بها فى البيت فمسخا فأصبحوا فوجدوهما ممسوخين فأخرجوهما فوضعوهما موضعهما فعبدتهما جزاعة وقريش ومن حج البيت بعد من العرب. قال هشام لما مسخا حجرين وضعا عند البيت ليقظ الناس بهما فلما طال مكثهما وعبدت الأصنام عبداً معها. وكان أحدهما ملصقاً بالكعبة والآخر فى موضع زمزم فنقلت قريش الذى كان ملصقاً بالكعبة إلى الآخر فكانوا ينحرون ويذبحون عندهما .

وكان من تلك الأصنام ذو الخلصة وكان مروة بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج وكانت بتبالة مكة والمدينة على مسيرة سبع ليال من مكة وكانت تعظمها وتهدى لها خثعم وبجيلة. فقال رسول الله ﷺ لجرير رضى الله عنه: إلا تكفنى ذا الخلصة فوجهه إليه فسار بأحمس فقابلته خثعم وباهله فظفر بهم وهدم بنيان ذى الخلصة وأضرم فيه النار وذو الخلصة اليوم عتبة باب مسجد تبالة.

وكان لدوس صنم يقال له ذو الكفين. فلما أسلموا بعث رسول الله ﷺ الطفيل بن عمرو فحرقه .

وكان لبنى الحارث بن يشكر صنم يقال له ذو الشرى .

وكان لقضاعة والخم وجذام وعاملةوغطفان صنم فيمشارف الشام يقال له الأقيصر.

وكان لمزينة صنم يقال له فهم وبه كانت تسمى عبد فهم .

وكان لعنزة صنم يقال له سعيروكان لطىء صنم يقال له الفلس. وكان لأهل كل واد مكة صنم فى دارهم يعبدونه فإذا أراد أحدهم السفر كان أخر ما يصنع فى منزله أن يتمسح به وإذا قدم من سفره كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به. ،منهم من اتخذ بيتاً ومن لم يكن له صنم ولا بيت نصب حجراً مما استحس ثم طاف به وسموها الأنصاب. وكان

الرجل إذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها فاتخذه رباً وجعله ثالثة الأثافى لقدره فإذا ارتحل تـركه. فإذا نزل منزلاً آخر فعل مثل ذلك ولما ظهر رسول الله ﷺ على مكة دخل المـسجد والأصنام منصوبة حول الكعبـة فجعل يطعن بسية قـوسه فى عيونها ووجوهـما ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ثم أمـر بها فكفئت على وجوهها ثم أخرجت مـن المسجد فحرقـت. وعن ابن عباس رضى الله عنهـما أنه قال: فى زمان يزد برد عبدت الأصنام ورجع من رجع عن الإسلام.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد نا عمـر بن عبيد الله نا أبو الحسين بن بشران نا عثمان بن أحمد الدقاق ثنا جميل ثنا حسن الربيع ثنا مهدى بن ميمون. قال سمعت أبـا رجاء العطاردى يقول: لما بعث رسول الله ﷺ فـسمعنا به لحقنا بمسيلمة الكذاب، ولحقنا بالنار، وكنا نعبد الحجر فى الجاهلية فإذا وجدنا حجراً هو أحـسن منه نلقى ذاك ونأخذه وإذا لم نجد حجـراً جمعنا حثية من تراب ثم جئنا بغنم فحلبناهـا عليه ثم طفنا به. أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن أحـمد نا أحمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيـم أحمد بن عبد الله ثنا أبو حامـد بن جبلة ثنا أبو عـباس السراج ثنا أحمـد بن الحسن بن خراش ثنـا مسلم بن إبـراهيم ثنا عمـارة المعولى. قـال سمعـت أبا رجاء العطاردى يقول: كنا نعمد إلى الرمل فنجمـعه فنحلب عليه فنعبده. وكنا نعمد إلى الحجر الأبيض فنعبده زماناً ثم نلقيه. أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر بـن ثابت نا عبد الـعزيز بن على الـوراق نا أحمد بن إبراهـيم ثنا يوسف بن يعقوب النيسابورى نا أبـو بكر ابن أبى شيبة ثنا يزيد بن هارون نا الحجـاج بن أبى زينب. قال سـمعت أبا عثـمان النهدى قـال: كنا فى الجاهلية نعبد حجراً فسمـعنا منادياً ينادى يا أهل الرحال إن ربكم قد هلك فالتمسوا لكم رباً غيره. قال: فخـرجنا على كل صعب وذلول فبينما نحن كذلك نـطلب، إذا نحن بمناد يـنادى إنا قد وجدنـا ربكم أو شبهـه قال: فجـئنا فإذا حجـر فنحرنا عليـه الجزر. أنبأنا مـحمد بن أبى طـاهر نا أبو إسحاق البرمكى نا أبو عمر ابن حيـويه نا أحمد بن معروف نا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد نا محـمد ابن عمرو ثنى الحجاج بن صفوان عن ابن أبى حسين عن شهر بن حوشب عن عمرو بن عنبسة قال: كنت امرءاً

ممن يعبد الحجارة فينزل الحى ليس معهم آلهة فيخرج الحى منهم فيأتى بأربع أحجار. فينصب ثلاثة لقدره ويجعل أحسنها إلهاً يعبد. ثم لعله يجد ما هو أحسن منه قبل أن يرتحل فيتركه ويأخذ غيره. أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو الحسن العتيقى نا عثمان ابن عمرو بن الميثاب نا أبو محمد عبد الله بن سليمان الفامى ثنى أبو الفضل محمد بن أبى هارون الوراق ثنا الحسن بن عبد العزيز الجروى عن شيخ من ساكني مكة. قال: سئل سفيان بن عيينة كيف عبدت العرب الحجارة والأصنام. فقال أصل عبادتهم الحجارة أنهم قالوا البيت حجر فحيث ما نصبنا حجراً فهو بمنزلة البيت. وقال أبومعشر: كان كثير من أهل الهند يعتقد الربوبية ويقرون بأن لله تعالى ملائكة إلا أنهم يعتقدونه صورة كأحسن الصور وأن الملائكة أجسام حسان وأنه سبحانه وتعالى وملائكته محتجبون بالسماء فاتخذوا أصناماً على صورة الله سبحانه عندهم وعلى صور الملائكة فعبدوها وقربوا لها لموضع المشابهة على زعمهم. وقيل لبعضهم: أن الملائكة والكواكب والأفلاك أقرب الأجسام إلى الخالق فعظموها وقربوا لها ثم عملوا الأصنام.

وبنى جماعة من القدماء بيوتاً كانت للأصنام فمنها بيت على رأس جبل بأصبهان كانت فيه أنام أخرجها كوشتاسب لما تمجس وجعله بيت نار. والبيت الثانى والثالث فى أرض الهند. والرابع بمدينة بلخ بناه بنو شهب ظهر الإسلام خربه أهل بلخ. والخامس بيت بصنعاء بناه الضحاك على اسم الزهرة فخربه عثمان بن عفان رضى الله عنه. والسادس بناه قابوس الملك على اسم الشمس بمدينة فرغانة فخربه المعتصم.

وذكر يحيى بن بشير بن عمير النهاوندى: أن شريعة الهند وضعها لهم رجل برهمى، ووضع لهم أصناماً وجعل لهم أعظم بيوتهم بيتاً بالميلتان. (وهى مدينة من مداين السند). وجعل فيهم صنمهم الأعظم الذى هو كصورة الهيولى الأكبر. وهذه المدينة فتحت فى أيام الحجاج وأرادوا قلع الصنم فقيل لهم: إن تركتموه ولم تقلعوه جعلنا لكم ثلث ما يجتمع له من مال. فأمر عبد الملك بن مروان بتركه فالهند تحج إليه من ألفى فرسخ

ولابد للحاج أن يحمل معه دراهم على قدر ما يمكنه من مائة إلى عشرة آلاف لا يكون أقل من هذا ولا أكثر ومن لم يحمل معه ذلك لم يتم حجه. فيلقية فى صندوق عظيم هناك ويطوفون بالصنم. فإذا ذهبوا قسم ذلك المال فثلثه للمسلمين وثلثه لعمارة المدينة وحصونها وثلثه لسدنة الصنم ومصالحه .

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله: فانظر كيف تلاعب الشيطان بهؤلاء وذهب بعقولهم فنحتوا بأيديهم ما عبدوه وما أحسن ما عاب الحق سبحانه وتعالى أصنامهم فقال: ﴿**ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها**﴾ وكانت الإشارة إلى العباد أى أنتم تمشون وتبطشون وتبصرون وتسمعون والأصنام عاجزة عن ذلك وهى جماد وهم حيوان فكيف عبد التام الناقص. ولو تفكروا لعلموا أن الإله يصنع الأشياء ولا يصنع، ويجمع ليس بمجموع، وتقوم الأشياء به ولا يقوم بها، وإنما ينبغى للإنسان أن يعبد من صنعه لا ما صنعه. وما خيل إليهم أن الأصنام تشفع فخيال ليس فيه شبهة ينطق بها .

ذكر تلبيسه على عابدى النار والشمس والقمر

قال المصنف: قد لبس إبليس على جماعة فحسن لهم عبادة النار وقالوا هى الجوهر الذى لا يستغنى العالم عنه ومن ههنا زين عبادة الشمس .

وذكر أبو جعفر بن جرير الطبرى: أنه لما قتل قابيل هابيل وهرب من أبيه إلى اليمن أتاه إبليس. فقال له: إن هابيل إنما قبل قربانه وأكلته النار لأنه كان يخدم النار ويعبدها فانصب أنت ناراً تكون لك ولعقبك. فبنى بيت نار فهو أول من نصب النار وعبدها، قال الجاحظ: وجاء زرادشت من باخ وهو صاحب المجوس فادعى أن الوحى ينزل إليه على جبل سيلان فدعى أهل تلك النواحى الباردة الذين لا يعرفون إلا البرد وجعل الوعيد يتضاعف البرد، وأقر بأنه لم يبعث إلا إلى الجبال فقط وشرع لأصحابه التوضأ بالأبوال وغشيان الأمهات، وتعظيم النيران، مع أمور سمجة. قال ومن قال زرادشت كان الله وحده، فلما طالت وحدته فكر فتولد من فكرته إبليس. فلما مثل بين يديه وأراد قتله امتنع منه فلما رأى امتناعه

ودعه إلى مدة .

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله: وقد بنى عـابدوا النار لها بيوتاً كثيرة. فأول من رسم لها بيـتاً أفريدون فاتخذ لها بيتاً بطـرسوس وآخر ببخارى. واتخذ لها بهمن بسجستان. واتخذ لها أبو قباذ بيتاً بناحية بخارى. وبنيت بعد ذلك بيوت كـثيرة لها. وقد كان زرادشت وضـع ناراً زعم أنها جاءت من السماء فأكلت قربانهم. وذلك أنه بنى بيتاً وجعل فى وسطه مرآة ولف القربان فـى حطب وطرح عليه الـكبريت فلما اسـتوت الشمس فـى كبد السماء قابلت كـوة قد جعلها فى ذلك البيت فدخل شـعاع الشمس فوقع على المرآة فانـعكس على الحطب فوقعت فـيه النار. فقال لا تطـفئوا هذه النار .

فصل

قال المصنف: وقد حسن إبليس لعنه الله لأقـوام عبادة القمر ولآخرين عبادة النجوم. قال ابن قتيبة وكان قـوم فى الجاهلية عبدوا الشعرى العبور وفتنوا بهـم. وكان أبو كبشة الذى كـان المشركون ينسبـون إليه رسول الله ﷺ أول من عـبدها. وقال قـطعت السمـاء عرضاً ولـم يقطع السـماء عرضاً غيرها وعبدها وخالف قريشاً فلما بعث رسول الله ﷺ ودعا إلى عبادة الله وترك الأوثان قالوا هذا ابن أبى كبشة أى شبهه ومثله فى الخلاف كما قالت بنو إسرائيل لمريم يا أخت هارون أى يا شبيهة هارن فى الصلاح وهما شعريان إحداهما هذه والشعرى الأخـرى هى الغميصاء وهى تقابلها وبينها المجرة - والغميصاء من الذراع فى جبهة الأسد وتلك فى الجوزاء .

وزين إبلـيس لعنـه الله لآخرين عـبادة الملائكـة وقالوا: هـى بنات الله تعالـى. تعالى الله عن ذلك. وزيـن لآخرين عبـادة الخيل والبقـر. وكان السامرى مـن قوم يعبدون البـقر فلهذا صاغ عـجلاً. وجاء فى التعـبير أن فرعون كان يعبد تيسا وليس فـى هؤلاء من أعمل فكره ولا استعمل عقله فى تدبير ما يفعل نسأل الله السلامة فى الدنيا والآخرة

ذكر تلبيسه على الجاهلية

قال المصنـف: ذكرنا كيف لبس علـيهم فى عبادة الأصنـام. ومن أقبح

تلبيسه عليهم فى ذلك تقليد الآباء من غير نظر فى دليل كما قال الله عز وجل: ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون﴾ المعنى أتتبعوهم أيضاً .

وقد لبس إبليس على طائفة منهم فقالوا بمذاهب الدهرية وأنكروا الخالق وجحدوا البعث، وهؤلاء الذين قال الله سبحانه فيهم: ﴿ ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيي وما يهلكنا إلا الدهر ﴾. وعلى آخرين منهم: فأقروا بالخالق لكنهم جحدوا الرسل والبعث. وعلى آخرين منهم: فزعموا أن الملائكة بنات الله، وأمال مذهب آخرين منهم إلى مذهب اليهود وآخرين إلى مذهب المجوس، وكان فى بنى تميم منهم زرارة ابن جديس التميمى وابنه حاجب .

وممن كان يقر بالخالق والابتداء والإعادة والثواب والعقاب عبد المطلب ابن هاشم، وزيد بن عمرو بن نفيل، وقس بن ساعدة، وعامر بن الظرب، وكان عبد المطلب إذا رأى ظالماً لم تصبه عقوبة. قال تالله إن وراء هذا الدار لداراً يجزى فيها المحسن والمسئ. ومنهم زهير بن أبى سلمى وهو القائل :

يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

ثم أسلم ومنهم زيد الفوارس بن حصن، ومنهم القلمس بن أمية الكنانى كان يخطب بفناء الكعبة وكانت العرب لا تصدر عن مواسمها حتى يعظها ويوصيها فقال يوماً: يا معشر العرب أطيعونى ترشدوا قالوا: وما ذاك قال: إنكم تفردتم بآلهة شتى إنى لأعلم ما الله بكل هذا راض وأن الله رب هذه الآلهة وأنه ليحب أن يعبد وحده. فتفرقت عنه العرب لذلك ولم يسمعوا مواعظه. وكان فيهم قوم يقولون من مات فربطت على قبره دابته وتركت حتى تموت حشر عليها ومن لم يفعل ذلك حشر ماشياً وممن قاله عمرو زيد الكلبى .

قال المصنف: وأكثر هؤلاء لم يزل عن الشرك وإنما تمسك منهم بالتوحيد ورفض الأصنام القليل كقس بن ساعده وزيد وما زالت الجاهلية تبتدع البدع الكثيرة. فمنها النسئ وهو تحريم الشهر الحرام وتحليل الشهر

الحرام وذلك أن العرب كانت قد تمسكت من ملة إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه بتحريم الأشهر الأربعة فإذا احتاجوا إلى تحليل المحرم للحرب أخروا تحريمه إلى صفر ثم يحتاجون إلى صفر ثم كذلك حتى تتدافع السنة. وإذا حجوا قالوا: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك. ومنها توريث الذكر دون الأنثى. ومنها أن أحدهم كان إذا مات ورث نكاح زوجته أقرب الناس إليه ومنها البحيرة وهى الناقة تلد خمسة أبطن فإن كان الخامس أنثى شقوا أذنها وحرمت على النساء. والسائبة من الأنعام كانوا يسيبونها ولا يركبون لها ظهراً ولا يحلبون لها لبناً. والوصيلة الشاة تلد سبعة أبطن فإن كان السابع ذكراً أو أنثى قالوا وصلت أخاها فلا تذبح وتكون منافعها للرجال دون النساء فإذا ماتت اشترك فيها الرجال والنساء. والحام الفحل ينتج من ظهر عشرة أبطن فيقولون قد حمى ظهره فيسيبونه لأصنامهم ولا يحمل عليه ثم يقولون أن الله عز وجل أمرنا بهذا فذلك معنى قوله تعالى: ﴿ **ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب**﴾. ثم الله عز وجل رد عليهم فيما حرموه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام فيما أحلوه بقولهم ﴿ **خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا**﴾ قال الله تعالى: ﴿ **قل ءالذكرين حرم أم الأنثيين** ﴾ المعنى إن كان الله تعالى حرم الذكرين فكل الذكور حرام وإن كان حرم الأنثيين فكل الإناث حرام وإن كان حرم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين فإنها تشتمل على الذكور والإناث فيكون كل جنين حراماً. وزين لهم إبليس قتل أولادهم فالإنسان منهم يقتل ابنته ويغذو كلبه. ومن جملة ما لبس عليهم إبليس أنهم قالوا لو شاء الله ما أشركنا أى لو لم يرض شركنا لحال بيننا وبينه فتعلقوا بالمشيئة وتركوا الأمر ومشيئة الله نعم الكائنات وأمره لا يعم مراداته فليس لأحد أن يتعلق بالمشيئة بعد ورود الأمر ومذاهبهم السخيفة التى ابتعدوها كثيراً لا يصلح تضييع الزمان بذكرها ولا هى مما يحتاج إلى تكلف ردها .

ذكر تلبيس إبليس على جاحدى النبوات

قال المصنف: قد لبس إبليس على البراهمة والهندوس وغيرهم فزين لهم جحد النبوات ليسد طريق ما يصل من الإله. وقد اختلف أهل الهند فمهم دهرية ومهم ثنوية ومنهم على مذاهب البراهمة ومنهم من يعتقد نبوة آدم وإبراهيم فقط وقد حكى أبو محمد النوبختى فى كتاب الآراء والديانات أن قوماً من الهند من البراهمة أثبتوا الخالق والرسل والجنة والنار، وزعموا أن رسولهم ملك أتاهم فى صورة البشر من غير كتاب له أربعة أيد وإثنا عشر رأساً من ذلك رأس إنسان ورأس أسد ورأس فرس ورأس فيل ورأس خنزير وغير ذلك من رؤوس الحيوانات وأنه أمرهم بتعظيم النار ونهاهم عن القتل والذبائح إلا ما كان للنار ونهاهم عن الكذب وشرب الخمر وأباح لهم الزنا وأمرهم أن يعبدوا البقر ومن ارتد منهم ثم رجع حلقوا رأسه ولحيته وحاجبيه وأشفار عينيه ثم يذهب فيسجد للبقر فى هذيانات يضيع الزمان بذكرها .

قال المصنف: وقد ألقى إبليس إلى البراهمة ست شبهات :

(**الشبهة الأولى**): استبعاد اطلاع بعضهم على ما خفى عن بعض فقالوا: ﴿ **ما هذا إلا بشر مثلكم** ﴾ والمعنى كيف اطلع على ما خفى عنكم. وجواب هذه الشبهة أنهم لو ناطقوا العقول لأجازت اختيار شخص بشخص لخصائص يعلو بها جنسه فيصلح بتلك الخصائص لتلقف الوحى إذ ليس كل أحد يصلح لذلك وقد علم الكل أن الله سبحانه وتعالى ركب الأمزجة متفاوتة وأخرج إلى الوجود أدوية تقاوم ما يعرض من الفساد البدنى فإذا أمد النبات والأحجار بخواص لإصلاح أبدان خلقت للفناء ههنا وللبقاء فى دار الآخرة لم يبعد أن يخص شخصاً بالحكمة البالغة والدعاية إليه إصلاحاً لمن يفسد فى العالم بسوء الأخلاق والأفعال ومعلوم أن المخالفين لا يستنكرون أن يختص أقوام بالحكمة ليسكنوا فورات الطباع الشريرة بالموعظة فكيف ينكرون أمداد البارى سبحانه بعض الناس برسائل ومصالح ووصايا يصلح بها العالم ويطيب أخلاقهم ويقيم بها سياستهم وقد أشار عز وجل إلى ذلك فى قوله عز وجل: ﴿ **أكان للناس**

عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس ﴾ .

(الشبهة الثانية): قالوا هلا أرسل ملكاً فإن الملائكة إليه أقرب ومن الشك فيهم أبعد والآدميون يحبون الرياسة على جنسهم فيوقع هذا شكاً وجواب هذا من ثلاثة أوجه: أحدهما أن فى قوى الملائكة قلب الجبال والصخور فلا يمكن إظهار معجزة تدل على صدقهم لأن المعجزة ما خرقت العادة وهذه العادة الملائكة وإنما المعجزات الظاهرة ما ظهرت على يد بشر ضعيف ليكون دليلاً على صدقه. والثانى: أن الجنس أميل فصح أن يرسل إليهم من جنسهم لئلا ينفروا وليعقلوا عنه ثم تخصيص ذلك الجنس بما عجز عنه جنسه على صدقه: والثالث أنه ليس فى قوى البشر رؤية الملك وإنما الله تعالى يقوى الأنبياء بما يرزقهم من إدراك الملائكة ولهذا قال الله تعالى: ﴿ ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً ﴾ أى لينظروا إليه ويأنسوا به ويفهموا عنه ثم قال ﴿ وللبسنا عليهم ما يلبسون ﴾ أى لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يشكوا فلا يدرون أملك هو أم آدمى؟ .

(الشبهة الثالثة): قالوا نرى ما تدعيه الأنبياء من علم الغيب والمعجزات وما يلقى إليهم من الوحى يظهر جنسه على الكهنة والسحرة فلم يبق لنا دليل نفرق به بين الصحيح والفاسد. والجواب أن نقول: أن الله تبارك وتعالى بين الحجج ثم بث الشبهة وكلف العقول الفرق فلا يقدر ساحر أن يحى ميتاً ولا أن يخرج من عصا حيا وأما الكاهن فقد يصيب ويخطئ بخلاف النبوة التى لا خطأ فيها بوجه .

(الشبهة الرابعة): قالوا لا يخلوا ما أن تجئ الأنبياء بما يوافق العقل أو بما يخالفه فإن جاءوا بما يخالفه لم يقبل وإن جاءوا بما يوافقه فالعقل يغنى عنه. والجواب أن نقول: قد ثبت أن كثيراً من الناس يعجزون عن سياسات الدنيا حتى يحتاجون إلى متمم كالحكماء والسلاطين فكيف بالأمور الإلهية والأخروية .

(الشبهة الخامسة): قالوا قد جاءت الشرائع ينفر منها العقل فكيف يجوز أن تكون صحيحة من ذلك إيلام الحيوان. والجواب أن العقل ينكر

إيلام الحيوان بعضه لبعض فأما إذا حكم الخالق بالإيلام لم يبق للعقل اعتراض وبيان ذلك أن العقل قد عرف حكمة الخالق سبحانه وتعالى وأنه لا خلل فيها ولا نقص فأوجبت عليه هذه المعرفة التسليم لما خفى عنه ومتى اشتبه علينا أمر فى فرع لم يجز أن نحكم على الأصل بالبطلان ثم قد ظهرت حكمة ذلك فأنا نعلم أن الحيوان يفضل على الجماد ثم الناطق افضل مما ليس بناطق بما أوتى من الفهم والفطنة والقوى النظرية والعملية وحاجة هذا الناطق إلى إبقاء فهمه ولا يقوم فى إبقاء القوى مقام اللحم شئ ولا يستطرف تناول القوى الضعيف وما فيه فائدة عظيمة لما قلت فائدته. وإنما خلق الحيوان البهيم للحيوان الكريم فلو لم يذبح لكثر وضاق به المرعى ومات فيتأذى الحيوان الكريم بجيفته فلم يكن لإيجاده فائدة. وأما ألم الذبح فإنه يستر وقدقيل أنه لا يوجد أصلاً لأن الحساس للألم أغشية الدماغ لأن فيه الأعضاء الحساسة ولذلك إذا أصابها آفة من صرع أو سكتة لم يحس الإنسان بألم فإذا قطعت الأوداج سريعاً لم يصل ألم الجسم إلى محل الحس ولهذا قال ﷺ: « إذا ذبح أحدكم فليحد شفرته وليرح ذبيحته ».

(الشبهة السادسة): قالوا ربما يكون أهل الشرائع قد ظفروا بخواص من حجارة وخشب. والجواب أن هذا الكلام ينبغى أن يستحى من إيراده فإنه لم يبق شئ من العقاقير إلا وقد وضحت خواصها وبان سترها فلو ظفر واحد منهم بشئ وأظهر خاصيته لوقع الإنكار من العلماء بتلك الخواص وقالوا هذا ليس منك إنما هذه خاصية فى هذا. ثم إن المعجزات ليست نوعاً واحداً بل هى بين صخرة خرجت منها ناقة وعصا انقلبت حية وحجر تفجر عيوناً وهذا القرآن الذى له منذ نزل دون الستمائة سنة فالأسماع تدركه والأفكار تتدبره والتحدى به على الدوام ولم يقدر أحد على مد أناة منه فأين هذا والخاصة والسحر والشعبذة .

قال أبو الوفاء على بن عقيل رضى الله عنه: صبئت قلوب أهل الإلحاد لانتشار كلمة الحق وثبوت الشرائع بين الخلق والامتثال لأوامرها كإبن الراوندى ومن شاكله كأبى العلاء. ثم مع ذلك لا يرون لمقالتهم نباهة ولا

أثراً بل الجوامع تتدفق زحاماً والأذانات تملأ أسماعهم بالتعظيم لشأن النبي ﷺ والإقرار بما جاء به. وإنفاق الأموال والأنفس في الحج مع ركوب الأخطار ومعاناة الأسفار ومفارقة الأهل والأولاد. فجعل بعضهم يندس في أهل النقل فيضع المفاسد على الأسانيد ويضع السير والأخبار وبعضهم يروى ما يقارب المعجزات من ذكر خواص في أحجار وخوارق العادات في بعض البلاد وأخبار عن الغيوب عن كثير من الكهنة والمنجمين ويبالغ في تقرير ذلك حتى قالوا أن سطيحاً قال في الخبئ الذي خبئ له: حبة بر، في إحليل مهر. والأسود كان يعظ ويقول الشئ قبل كونه. وههنا اليوم معزمون يكلمون الجني الذي في باطن المجنون فيكلمهم بما كان ويكون وما شاكل ذلك من الخرافات فمن رأى مثل هذا قال بقلة عقله وقلة تلمحه لقصد هؤلاء الملحدة وهل ما جاءت به النبوات إلا مقارب هذا، وليس قول الكاهن. حبة بر في إحليل مهر، وقد أخفيت كل الإخفاء بأكثر من قوله. ﴿ **وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم** ﴾ وهل بقى لهذا وقع في القلوب وهذا التقويم ينطق بالمنع من الركوب اليوم وهل ترك تلمح هذا إلا النبي والله ما قصدوا بذلك إلا قصداً ولمحوا إلا لمحاً جلياً فقالوا تعالوا نكثر الجولان في البلاد والأشخاص والنجوم والخواص فلا يخلو مع الكثرة من مصادفة الاتفاق لواحدة من هذه. فيصدق بها الكل ويبطل أن يكون ما جاء به الأنبياء خرقاً للعادات. ثم دس قوم من الصوفية أن فلاناً أهوى بإنائه إلى دجلة فامتلأ ذهباً فصار هذا كالعادة بطريق الكرامات من المتصوفين. وبطريق العادات في حق المنجمين. وبطريق الخواص في حق الطباعين. وبطريق الكهانة في حق المعزمين. والعرافين فأى حكم بقى لقول عيسى عليه السلام. ﴿ **وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم** ﴾. وأى خرق بقى للعادات وهل العادات إلا استمرار الوجود. وكثرة الحصول. فإذا نبههم العاقل المتدين على ما في هذا من الفساد قال الصوفي: أتنكر كرامات الأولياء، وقال أهل الخواص: أتنكر المغناطيس الذي يجذب الحديد والنعامة تبلع النار فتسكت عن جحد ما لم يكن لأجل ما كان فويل للحق معهم هذا والباطنية من جانب والمنجمون من جانب مع أرباب المناصب لا يحلون

ولا يعقدون إلا بقولهم فسبحان من يحفظ هذه الملة ويعلى كلمتها حتى أن كل الطوائف تحت قهرها إقبالاً من الله عز وجل على حراسة النبوات وقمعاً لأهل المحال .

فصل

ومن الهند البراهمة قوم قد حسن لهم إبليس أن يتقربوا بإحراق نفوسهم فيحفر للإنسان منهم أخدود وتجتمع الناس فيجئ مضمخاً بالخلوق والطيب وتضرب المعازف والطبول والصنوج ويقولون طوبى لهذه النفس التى تعلق إلى الجنة ويقول هو ليكن هذا القربان مقبولاً ويكون ثواب الجنة ثم يلقى نفسه فى الأخدود فيحترق فإن هرب نابذوه ونفوه وتبرأوا منه حتى يعود ومنهم من يحمى له الصخر فلا يزال يلزم صخرة صخرة حتى يثقب جوفه ويخرج معاه فيموت ومنهم من يقف قريباً من النار إلى أن يسيل ودكه فيسقط. ومنهم من يقطع من ساقه وفخذه قطعاً ويلقيها إلى النار والناس يزكونه ويمدحونه ويسألون مثل مرتبته حتى يموت: ومنهم من يقف فى أخثاء البقر إلى ساقه ويشعل النار فيحترق. ومنهم من يعبد الماء ويقول هو حياة كل شئ فيسجد له. ومنهم من يجهز له أخدود قريب من الماء فيقع فى الأخدود حتى إذا التهب قام فانغمس فى الماء ثم رجع إلى الأخدود حتى يموت فإن مات وهو بينهما حزن أهله وقالوا حرم الجنة وإن مات فى أحدهما شهدوا له بالجنة. ومنهم من يزهق نفسه بالجوع والعطش فيسقط أولاً عن المشى ثم عن الجلوس ثم ينقطع كلامه ثم تبطل حواسه ثم تبطل حركته ثم يخمد. ومنهم من يهيم فى الأرض حتى يموت: ومنهم من يغرق نفسه فى النهر. ومنهم من لا يأتى النساء ولا يوارى إلى العورة ولهم جبل شاهق تحته شجرة وعندها رجل بيده كتاب يقرأ فيه يقول: طوبى لمن ارتقى هذا الجبل وبعج بطنه وأخرج أمعاءه بيده. ومنهم من يأخذ الصخور فيرض بها جسده حتى يموت: والناس يقولون طوبى لك وعندهم نهران فيخرج أقوام من عبادهم يوم عيدهم وهناك رجال فيأخذون ما على العباد من الثياب ويبطحونهم فيقطعونهم نصفين ثم يلقون أحد النصفين فى نهر والنصف الآخر فى نهر ويزعمون أنهما

يجريـان إلى الجنة. ومنهم من يـخرج إلى براح ومعـه جماعة يـدعون له ويهنئونه بنيته فإذا أضجر جلس وجمع له سباع الطير من كل جهة فيتجرد من ثيابه ثـم يمتد والناس ينظرون إلـيه فتبتـدره الطير فتأكله فـإذا تفرقت الطير جـاءت الجماعة فأخـذوا عظامه وأحرقـوها وتبركوا بها، فـى أفعال طويلة قد ذكرها أبو محمد النوبختى يـضيع الزمان فى كتابتها والعجب أن الهند قوم تـؤخذ الحكمة عنهم ويؤخـذ عنهم دقائق الحكمة وتـلهم دقائق الأعمال، فـسبحان من أعـمى قلوبهم حـتى قادهم إبليس هذا المـقاد قال: وفيهم من يزعم أن الجنة ثنتان وثلاثون مرتبة وأن مكث أهل الجنة فى أدنى مرتبة منها أربع مائة ألف سنة وثلاثـة وثلاثون ألف سنة وستمائة وعشرون سنة وكل مرتبة أضعاف ما دونها، وأن النار اثنتان وثلاثون مرتبة منها ست عشر مرتبـة فيها الزمهرير وصنـوف عذابه وست عشرة مرتبة فـيها الحريق وصنوف عذابه .

ذكر تلبيسه على اليهود

قال المصنف: قد لبس عليهم فى أشياء كثيرة نذكر منها نبذة ليستدل بها على تلك. فمن ذلك تشبيههم الخالق بـالخلق ولو كان تشبيههم حقاً لجاز عليه ما يجوز عليهم وحكى أبو عبد الله بن حامد من أصحابنا. أن اليهود تزعم أن الإله المعبود رجل من نور على كرسى من نور على رأسه تاج من نور وله أعضاء كما للآدميين ومـن ذلك قولهم عزيز بن الله ولو فهموا أن حقيقة الـبنوة لا تكون إلا بالتبعيض والخالق لـيس بذى أبعاض لأنه ليس بمؤلف لم يثبتوا بنوة. ثم أن الولد فى مـعنى الوالد وقد كان عزير لا يقوم إلا بالطعام والإله مـن قامت به الأشياء لا من قام بهـا والذى دعاهم إلى هذا مع جـهلهم بالحقـائق أنهم رأوه قد عـاد بعد الموت وقرأ الـتوراة من حفظه فتكلـموا بذلك من ظنونهم الفاسدة ويدل عـلى أن القوم كانوا فى بعد من الـذهن أنهم لما رأوا أثر القدرة فى فـرق البحر لهم ثـم مروا على أصنام طلبوا مثـلها فقالوا ﴿ اجعل لنا آلهة كـما لهم آلهة ﴾ فلما زجرهم موسى عن ذلك بـقى فى نفوسهم فظهـر المستور بعبادتهـم العجل والذى حملهم على هذا شـيئان، أحدهما جهلهم بالخالـق والثانى أنهم أرادوا ما

يسكن إليه الحس لغلبة الحس عليهم وبعد العقل عنهم ولولا جهلهم بالمعبود ما اجترءوا عليه بالكلمات القبيحة كقولهم ﴿ **إن الله فقير ونحن أغنياء** ﴾ وقولهم ﴿ **يد الله مغلولة** ﴾ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ومن تلبيسه عليهم أنهم قالوا: لا يجوز نسخ الشرائع. وقد علموا أن من دين آدم جواز نكاح الأخوات، وذوات المحارم، والعمل فى يوم السبت، ثم نسخ ذلك بشريعة موسى قالوا إذا أمر الله عز وجل بشئ كان حكمه فلا يجوز تغييره. قلت: قد يكون التغيير فى بعض الأوقات حكمة فإن تقلب الآدمى من صحة إلى مرض ومن مرض إلى موت كله حكمة وقد حظر عليكم العمل يوم السبت وأطلق لكم العمل يوم الأحد وهذا من جنس ما أنكرتم وقد أمر الله عز وجل إبراهيم عليه السلام بذبح إبنه ثم نهاه عن ذلك .

ومن تلبيسه عليهم أنهم قالوا: ﴿ **لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة** ﴾ وهى الأيام التى عبد فيها العجل وفضائحهم كثيرة ثم حملهم إبليس على العناد المحض فجحدوا ما كان فى كتابهم من صفة نبينا ﷺ وغيروا ذلك وقد أمروا أن يؤمنوا به ورضوا بعذاب الآخرة فعلماؤهم عاندوا وجهالهم قلدوا ثم العجب أنهم غيروا ما أمروا به وحرفوا ودانوا بما يريدون فأين العبودية ممن يترك الأمر ويعمل بالهوى ثم إنهم كانوا يخالفون موسى ويعيبونه حتى قالوا أنه آدر واتهموه بقتل هارون واتهموا داود بزوجة أوريا.

أخبرنا محمد بن عبد الباقى البزار الحسن بن على الجوهرى نا أبو عمر ابن حياة نا ابن معروف نا الحارث بن أبى أسامة ثنا محمد بن سعد نا على بن محمد عن على بن مجاهد عن محمد بن إسحاق عن سالم مولى عبد الله بن مطيع عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: أتى رسول الله ﷺ بيت المدارس فقال أخرجوا إلىّ أعلمكم فخرج إليه عبد الله بن صوريا فخلا به فناشده الله بدينه وبما أنعم الله عليهم وأطعمهم من المنّ والسلوى وظللهم به من الغمام أتعلمون أنى رسول الله ؟. قال: اللهم نعم. وأن القوم ليعرفوا ما أعرف وإن صفتك ونعتك لمبين فى التوراة ولكنهم

حسدوك. قال: فما يمنعك أنت. قال: أكره خلاف قومى وعسى أن يتبعوك ويسلموا فأسلم.

أخبرنا هبة الله بن محمد بن عبد الواحد قال: أخبرنا الحسن بن على قال أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال ثنا عبد الله بن أحمد قال حدثنى أبى قال ثنا يعقوب قال ثنا أبى عن ابن إسحاق قال حدثنى صالح بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن لبيد عن سلمة بن سلامة بن وقش. قال: كان لنا جار من اليهود فى بنى عبد الأشهل فخرج علينا يوماً من بيته قبل مبعث النبى ﷺ حتى وقف على مجلس بنى عبد الأشهل قال سلمة: وأنا يومئذ أحدث من فيهم سنا علىّ بردة مضطجعاً فيها بفناء أهلى فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار لقوم أهل شرك وأصحاب أوثان لا يرون بعثاً كائناً بعد الموت. فقال له ويحك: يا فلان أترى هذا كائناً أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم قال نعم والذى يحلف به يود أحدهم أن له لحظة من تلك النار بأعظم تنور فى الدار يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطبقونه عليه وأن ينجو من تلك النار غداً قال له ويحك وما آية ذلك قال نبى مبعوث من نحو هذه البلاد وأشار بيده نحو مكة واليمن قالوا ومتى نراه قال فنظر إلىّ وأنا من أحدثهم سنا أن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه قال سلمة فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله ﷺ وهو حى بين أظهرنا فآمنا به وكفر به بغياً وحسداً فقلنا له ويلك يا فلان ألست الذى قلت لنا فيه ما قلت قال بلى ولكن ليس به .

ذكر تلبيسه على النصارى

قال المصنف: تلبيسه عليهم كثير فمن ذلك أن إبليس أوهمهم أن الخالق سبحانه جوهر فقال اليعقوبية أصحاب يعقوب والملكية أهل دين الملك والنسطورية أصحاب نسطورس: أن الله جوهر واحد أقانيم ثلاثة فهو واحد فى الجوهرية ثلاثة فى الأقنومية فأحد الأقانيم عندهم الأب والآخر الإبن والآخر روح القدس فبعضهم يقول: الأقانيم خواص. وبعضهم يقول: صفات وبعضهم يقول أشخاص وهؤلاء قد نسوا أنه لو كان الإله

جوهـراً لجاز عليـه ما يجـوز على الجـواهر من التـحيـز بمكان والتـحرك والسكون والأوان ثـم سول لبعـضهم أن المسيـح هو الله. قال أبو محـمد النوبختى زعمـت الملكية واليعقوبية أن الذى ولـدته مريم هو الإله وسول الشيـطان لبعضـهم أن المسيح هـو ابن الله وقال بعـضهم المسيـح جوهران أحدهما قديم والآخـر محدث ومع قولهم هذا فى المسيح يقـرون بحاجته إلى الطعام ولا يختلفون فى هـذا وفى أنه صلب ولم يقدر على الدفع عن نفسه ويقولون إنمـا فعل هذا بالناسوت فهلا دفع عن الناسـوت ما فيه من اللاهوت. ثم لبس عليهم أمر نبينا مـحمد ﷺ حتى جحدوه بعد ذكره فى الإنجيل ومن الـكتابيين من يقول عـن نبينا أنه نبى إلا أنه مـبعوث إلى العرب خاصة وهذا تلبيس من إبليس استـغفلهم فيه لأنه متى ثبت أنه نبى فالنـبى لا يكذب وقد قـال بعثت إلى النـاس كافة وقـد كتب إلى قيـصر وكسرى وسائر ملوك الأعاجم .

ومن تلبيس إبليس على اليهود والنصارى

أنهم قالوا لا يعذبنا الله لأجل أسلافنا فمنا الأولياء والأنبياء فأخبرنا الله عز وجل عنـهم بذلك: ﴿ نحن أبناء الله وأحـباؤه ﴾. أى منا ابنـه عزيز وعيسى. وكشـف هذا التلبيس إن كان شخص مطالب بـحق الله عليه فلا يدفعـه عنه دو قرابته ولو تـعدت المحبة شخـصاً إلى غيره لموضـع القرابة لتعدى الـبعض وقد قال نبيـنا ﷺ لابنته فاطمـة لا أغنى عنك من الله شيئاً (١) وإنما فضل المحبوب بالتقوى فـمن عدمها عدم المحبة ثم أن محبة الله عز وجل للعبـد ليست بشغف كمحـبة الآدميين بعضهـم بعضا إذ لو كانت كذلك لكان الأمر يحتمل .

ذكر تلبيسه على الصابئين

قال المصنف: أصل هذه الكلمـة أعنى الصابئين من قـولهم صبأت إذا خرجت من شـئ إلى شئ وصبأت النـجوم إذا ظهرت وصبـأ به إذا خرج والصابئون الخارجون من دين إلى دين وللعلـماء فى مذاهبه معشرة أقوال: أحدها أنهـم قوم بين النصـارى والمجوس رواه سالم عن سـعيد بن جبـير وليث عن مجاهـد والثانى: أنهم بين اليهود والمجـوس رواه ابن أبى نجيح

عن مجاهد: والثالث: أنهم بين اليهود والنصارى. رواه القاسم بن أبى بزة عن مجاهد. والرابع: أنهم صنف من النصارى ألين قولاً منهم رواه أبو صالح عن ابن عباس. والخامس: أنهم قوم من المشركين لا كتاب لهم رواه القاسم أيضاً عن مجاهد. والسادس: أنهم كالمجوس قاله الحسن. والسابع: أنهما فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور قاله أبو العالية. والثامن أنهم قوم يصلون إلى القبلة ويعبدون والملائكة ويقرؤون الزبور قاله قتادة ومقاتل: والتاسع: أنهم طائفة من أهل الكتاب قاله السدى. والعاشر: أنهم كانوا يقولون لا إله إلا الله وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبى إلا قول لا إله إلا الله قاله ابن زيد. قال المصنف: هذه أقوال المفسرين مثل ابن عباس والقاسم والحسن وغيرهم فأما المتكلمون فقالوا مذهب الصابئين مختلف فيه فمنهم من يقول أن هناك هيولى كان لم يزل يصنع العالم من ذلك الهيولى وقال أكثرهم العالم ليس بمحدث وسموا الكواكب ملائكة وسماها قوم منهم آلهة وعبدوها وبنوا لها بيوت عبادات وهم يدعون أن بيت الله الحرام واحد منها وهو بيت زحل وزعم بعضهم أنه لا يوصف الله عز وجل إلا بالنفى دون الإثبات ويقال ليس بمحدث ولا موات ولا جاهل ولا عاجز قالوا لئلا يقع تشبيه ولهم تعبدات فى شرائع منها أنهم زعموا أن عليهم ثلاث صلوات فى كل يوم أولها ثمان ركعات وثلاث سجدات فى كل ركعة وانقضاء وقتها عند طلوع الشمس والثانى خمس ركعات والثالثة كذلك وعليهم صيام شهر أوله الثمان ليال يمضين من آذار وسبعة أيام أولها النسع يبقين من كانون الأول وسبعة أيام أولها الثمان ليال يمضين من شباط ويختمون صيامهم بالصدقة والذبائح وحرموا لحم الجزور فى خرافات يضيع الزمان بذكرها وزعموا أن الأرواح الخيرة تصعد إلى الكواكب الثابتة وإلى الضياء وأن الشريرة تنزل إلى أسفل الأرضين وإلى الظلمة. وبعضهم يقول هذا العالم لا يفنى وأن الثواب والعقاب فى التناسخ ومثل هذه المذاهب لا يحتاج إلى تكلف فى ردها إذ هى دعاوى بلا دليل وقد حسن إبليس لأقوام من الصابئين أنهم رأوا الكمال فى تحصيل مناسبة بيهم وبين الروحانيات العلوية باستعمال الطهارات وقوانين ودعوات واشتغلوا بالتنجيم والتسخير وقالوا لابد من

متوسط بين الله وبين خلقه فى تعـريف المعارف والإرشاد للمصالح إلا أن ذلك المتـوسط ينبغى أن يـكون روحانياً لا جـسمانيـاً قالوا نحن نـحصل لأنفســنا مناسبة قـدسيةبينـنا وبينه فيكـون ذلك وسيلة لنا إلـيه وهؤلاء لا ينكرون بعث الأجساد .

ذكر تلبيس إبليس على المجوس

قال يحيى بن بـشر عمير النهاوندى: كان أول مـلوك المجوس كومرث فجاءهم بدينهم ثم تتابع مدعو النبوة فيهم حتى اشتهر بها زرادشت وكانوا يقولون أن الله تعالـى عن ذلك شخص روحانى ظهر فظهـرت معه الأشاء روحانية تامة فقال لا يـتهيأ لغيرى أن يبتدع مثل هذه التى ابتـدعتها فتولد من فكرته هذه ظلمة إذ كان فيها جحود لقدرة غيره فقامت الظلمة تغاليه. وكان مما سنه زرادشت عبادة النار ولاصلاة إلى الشـمس يتأولون فيها أنها ملكة العالم وهى التى تأتى بالنهار وتذهب بالليل وتحيى النبات والحيوانات وترد الحرارات إلى أجسادها. وكانوا لا يدفنون موتاهم فى الأرض تعظيماً لها ويـقولون أنها نـشوء الحيوانـات فلا نقذرهـا وكانوا لا يغسـلون بالماء تعظيـماً له وقالوا لأن بـه حياة كل شئ إلا أن يـستعمـلوا قبله بول البـقر ونحوه ولا يبزقون فيه ولا يرون قتل الحـيوانات ولا ذبحها وكانوا يغسلون وجوههم ببول الـبقر تبركاً به وإذا كان عـتيقاً كان أكثر ويسـتحلون فروج الأمهات قالوا الإبن أحرى بتسكيـن شهوة أمه وإذا مات الزوج فإبنه أولى بالمرأة فإن لم يكن له إبن اكترى رجـل من مال الميت ويجيزون للرجل أن يتزوج بمائة وألـف وإذا أرادت الحائض أن تغتسل دفعـت ديناراً إلى الموبذ ويحملها إلى بيت النار ويقيمها على أربع وينظفها بسبابته وأظهر هذا الأمر مزدك فى أيام قباذ وأبـاح النساء لكل من شاء ونكح نساء قبـاذ لتقتدى به العامـة فيفـعلون فى النسـاء مثله فـلما بلغ إلى أم أنـو شروان قال لقـباذ أخرجها إليّ فإنك إن معتنى شهوتى لـم يتم إيمانك فهم بإخراجها فجعل أنو شروان يبكى بين يدى مزدك ويقبل رجـله بين يدى أبيه قباذ ويسأله أن يهب له أمـه فقال قباذ لمـزدك ألست تزعم أن المؤمن لا ينبـغى أن يرد عن شهوته قـال بلى قال فلم ترد أنوشروان عن شـهوته قال قد وهبتـها له ثم

أطلق للناس فى أكل الميتة فلما ولى أنوشروان أفنى المزدكية هو ومن أقوال المجوس أن الأرض لا نهاية لها من أسفلها وأن السماء جلد من جلود الشياطين والرعد إنما هو حركة خرخرة العفاريت المحبوسة فى الأفلاك المأسورة فى حرب والجبال من عظامهم والبحر من أبوالهم ودمائهم (ونبغ للمجوس) رجل فى زمان انتقال دولة بنى أمية إلى بنى العباس واستغوى خلقاً وجرت له قصص يطول الأمر بذكرها فهو آخر من ظهر للمجوس وذكر بعض العلماء أنه كان للمجوس كتب يدرسونها وأنهم أحدثوا ديناً فرفعت كتبهم .

ومن أظرف تلبيس إبليس عليهم. أنهم رأوا فى الأفعال خيراً وشراً فسول لهم أن فاعل الخير لا يفعل الشر فأثبتوا إلهين وقالوا أحدهما نور حكيم لا يفعل إلا الخير والآخر شيطان هو ظلمة لا يفعل إلا الشر على نحو ما ذكرنا عن الثنوية .

قال المصنف: وقد سبق ذكر شبههم وجوابها. وقال بعضهم الباري قديم فلا يكون منه إلا الخير والشيطان محدث فلا يكون منه إلا الشر فيقال لهم إذا أقررتم أن النور خلق الشيطان فقد خلق رأس الشر وزعم بعضهم أن الخالق هو النور ففكر فكرة رديئة فقال أخاف أن يحدث فى ملكى من يضادنى وكانت فكرته رديئة فحدث منها إبليس فرضى إبليس أن ينسب إلى الرداءة بعد إثبات أنه شريك وحكى النوبختى أن بعضهم قال أن الخالق شك فى شئ فكان الشيطان من ذلك الشك: قال وزعم بعضهم أن الإله والشيطان جسمان قديمان كان بينهما فضاء وكانت الدنيا سليمة من آفة والشيطان بمعزل عنها فاحتال إبليس حتى خرق السماء بجنوده وهرب الرب عز وجل من فعلتهم وتقدس عن قولهم فاتبعوا إبليس حتى حاصره وحاربه ثلاثة آلاف سنة لاهو يصل إليه ولا الرب عز وجل يدفعه ثم يصالحه على أن يكون إبليس وجنوده فى الدنيا سبعة آلاف سنة ورأى الرب أن الصلاح فى احتمال مكروه إبليس إلى أن ينقضى الشرط فالناس فى بلايا إلى انقضائه ثم يعودون إلى النعيم وشرط إبليس عليه أن يمكنه من أشياء رديئة فوضعها فى هذا العالم وأنهما لما فرغا من

شرطهما أشهدا عدلين ودفعا سيفيهما إلى العدلين وقال من نكث فاقتلاه في هذيانات كثيرة يضيع الوقت لذكرها فتنكبناها لذلك ونذكر ما انتهى تلبيس إبليس إليه ما أثرنا ذكر شئ من هذا الخليط (والعجب) أنهم يجعلون الخالق خيراً ثم يجعلون أنه حدثت منه فكرة رديئة فعلى قولهم يجوز أن تحدث من فكرة إبليس ملك ثم يقال لهم أيجوز أن يفي الشيطان بما ضمن: فإن قالوا لا قيل لهم فلا يليق بالحكمة استبقاؤه وإن قالوا نعم فقد أقروا بوجود الوفاء المحمود من الشرير: وكيف أطاع الشيطان العدلين وقد عصى ربه وكيف يجوز الافتيات على الإله: وهذه الخرافات لولا التفرج فيما صنعه إبليس بالعقول ما كان لذكرها فائدة ولا معنى .

ذكر تلبيس إبليس على المنجمين وأصحاب الفلك

قال أبو محمد النوبختي ذهب قوم إلى أن الفلك قديم لا صانع له: وحكى جالينوس عن قوم أنهم قالوا زحل وحده قديم. وزعم قوم أن الفلك طبيعة خالصة ليست فيها حرارة ولابرودة ولا رطوبة ولا يبوسة وليس بخفيف ولا ثقيل. وكان بعضهم يرى أن الفلك جوهر نارى وأنه اختطف من الأرض بقوة دورانه وقال بعضهم الكواكب من جسم تشابه الحجارة: وقال بعضهم هي من غيم تطفأ كل يوم وتستنير بالليل مثل الفحم يشتعل وينطفئ. وقال بعضهم جسم القمر مركب من نار وهوى. وقال آخرون الفلك من الماء والريح والنار وأنه بمنزلة الكرة وأنه يتحرك بحركتين من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق قالوا وزحل يدور الفلك في نحو من ثلاثين سنة والمشترى في نحو من اثنتى عشرة سنة والمريخ في نحو من سنتين والشمس والزهرة وعطارد في سنة والقمر في ثلاثين يوماً: وقال بعضهم أفلاك الكواكب سبع فالذى يلينا فلك القمر ثم فلك عطارد ثم فلك الزهرة ثم فلك الشمس ثم فلك المريخ ثم فلك المشترى ثم فلك زحل ثم فلك الكواكب الثابتة: واختلفوا في مقادير أجرام الكواكب فقال أكثر الفلاسفة أعظمها جرمة الشمس وهو نحو من مائة ستة وستين مرة مثل الأرض. والكواكب الثابتة مقدار كل واحد منها نحو أربعة وتسعين مرة مثل الأرض. والمشترى نحو من اثنتين

وثمانين مرة مثل الأرض والمريخ نحـو من مرة ونصف مثل الأرض. قالوا ومن كل موضع من أعلى الفلك إلى أن يعـود إليه مائة ألف فرسخ وألف فرسخ وأربعة وسـتون فرخساً. وقال بـعضهم الفلك حى والسـماء حيوان وفى كل كوكب نفس قال قدماء الفلاسفـة النجوم تفعل الخير والشر وتمنع على حسب طبائعـها من الصعود والنحوس وتؤثر فى النـفوس وإنها حية فعالة.

ذكر تلبيس إبليس على جاحدى البعث

قال المصنف: قد لبـس على خلق كثـير فجحـدوا البعث واستـهولوا الإعادة بعـد البلاء وأقـام لهم شبهـتين إحـداهما أنه أراهم ضـعف المادة والثانية اختلاط الأجزاء المتفرقـة فى أعماق الأرض قالوا وقد يأكل الحيوان الحيوان فكـيف يتهيأ إعـادته وقد حكى القرآن شبـهتهم فقـال تعالى فى الأولى: ﴿ **أيعـدكم أنكم إذا مـتم وكنـتم تراباً وعظـاماً أنكـم مخـرجون هيهات هيهات لما توعدون** ﴾.

وقال فى الثـانية: ﴿ **ءإذا ضللنـا فى الأرض ءإنا لفى خلـق جديد** ﴾. وهذا كان مذهب أكثر الجاهلية قال قائلهم:

يخبرنا الرسول بأنا سنحيى ... وكيف حياة أصداء وهام

وقال آخر: (هو أبو العلاء المعرى).

حياة ثم موت ثم بعث ... حديث خرافة يا أم عمرو

(**والجواب**) عن شـبهتـهم الأولى: أن ضعـف المادة فى الثـانى وهو التراب يدفعه كون البداية من نطفة ومضغة وعلقة: ثم أصل الآدميين وهو آدم من تراب على أن الله سبحانه وتعالى لم يخلـق شيئاً مستحسناً إلا من مادة سخـيفة. فإنه أخرج هذا الآدمـى من نطفة، والطاووس من البـيضة المذرة والطرفـة الخضراء من الحبـة العفنة فالـنظر ينبغى أن يـكون إلى قوة الفاعل وقـدرته لا إلى ضعف المواد. وبالـنظر إلى قدرته يحـصل جواب الشبهة الثـانية ثم قد أرانا كالأنموذج في جمع التمـزق فإن سحالة الذهب المتفرقة فى التراب الكثير إذا ألقـى عليها قليل من زئبق اجتمع الذهب مع تبدده فكيف بالقدرة الإلهية التى من تأثيرها خلق كل [illegible] شئ على

أنا لو قدرنا أن نحيل هذا التراب ما استحالت إليه الأبدان لم يصر بنفسه لأن الآدمى بنفسه لا ببدنه فإنه ينحل ويسمن ويهزل ويتغير من صغر إلى كبر وهو هو: ومن أعجب الأدلة على البعث أن الله عز وجل قد أظهر على يدي أنبياءه ما هو أعظم من البعث وهو قلب العصا حية حيواناً وأخرج ناقة من صخرة وأظهر حقيقة البعث على يدي عيسى صلوات الله وسلامه عليه.

قال المصنف: وقد زدنا هذا شرحاً فى الرد على الفلاسفة.

فصل

وقد لبس إبليس على أقوام شاهدوا قدرة الخالق سبحانه وتعالى ثم اعترضت لهم الشبهتان اللتان ذكرناهما فترددوا فى البعث فقال قائلهم ﴿**ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيراً منها منقلباً**﴾ وقال العاص بن وائل ﴿**لأوتين مالاً وولداً**﴾. وإنما قالوا هذا لموضع شكهم وقد لبس إبليس عليهم فى ذلك. فقالوا: إن كان بعث فنحن على خير: لأن من أنعم علينا فى الدنيا بالمال لا يمنعناه فى الآخرة.

قال المصنف: وهذا غلط منهم لأنه لم لا يجوز أن يكون الإعطاء استدراجاً أو عقوبة والإنسان قد يحمى ولده ويطلق فى الشهوات عبده.

ذكر تلبيسه على القائلين بالتناسخ

قال المصنف: وقد لبس إبليس على أقوام فقالوا بالتناسخ وأن أرواح أهل الخير إذا خرجت دخلت فى أبدان خيرة فاستراحت وأرواح أهل الشر إذا خرجت تدخل فى أبدان شريرة فيتحمل عليها المشاق وهذا المذهب ظهر فى زمان فرعون موسى (وذكر أبوالقاسم البلخى) أن أرباب التناسخ لما رأوا ألم الأطفال والسباع والبهائم استحال عندهم أن يكون ألمها يمتحن به غيرها أو ليتعوض أو لا لمعنى أكثر من أنها مملوكة فصح عندهم أن ذلك لذنوب سلفت منها قبل تلك الحال (وذكر يحيى بن بشر بن عمير النهاوندى) أن الهند يقولون الطبائع أربع هيولى مركبة ونفس وعقل وهيولى مرسلة.

فالمركبة هى الرب الأصغر والنفس هى الهيولى الأصغر والعقل الرب الأكبر والهيولى هو أيضاً أكبر وأن النفس إذا فارقت الدنيا صارت إلى الرب الأصغر وهو الهيولى المركبة فإن كانت محسنة صافية قبلها فى طبعه فصفاها حتى يخرجها إلى الهيولى الأصغر وهو النفس حتى تصير إلى الرب الأكبر فيتخلصه إلى الهيولى المركب الأكبر. فإن كان محسناً تام الإحسان أقام عنده فى العالم البسيط وإن كان محسناً غير تام أعاده إلى الرب الأكبر ثم يعيده الرب الأكبر إلى الهيولى الأصغر ثم يعيده الهيولى الأصغر إلى الرب الأصغر فيخرجه مارجاً لشعاع الشمس حتى ينتهى إلى بقلة خسيسة يأكلها الإنسان فيتحول إنساناً ويولد ثانية فى العالم وهكذا تكون حاله فى كل موتة يموتها. (وأما المسيئون) فإنهم إذا بلغت نفوسهم إلى الهيولى الأصغر انعكست فصارت حشائش تأكلها البهائم فتصير الروح فى بهيمة ثم تنسخ من بهيمة فى أخرى عند موت تلك البهيمة فلا يزال منسوخاً متردداً فى العلل: ويعود كل ألف سنة إلى صورة الإنس. فإن أحسن فى صورة الإنس لحق بالمحسنين .

قال المصنف: قلت فانظر إلى هذه التلبيسات التى رتبها لهم إبليس على ما عن له لا يستند إلى شئ. أنبأنا محمد بن أبى طاهر البزار قال أنبأنا على بن المحسن عن أبيه قال حدثنى أبو الحسن على بن نظيف المتكلم قال كان يحضر معنا ببغداد شيخ الأمامية يعرف بأبى بكر بن الفلاس فحدثنا أنه دخل على بعض من كان يعرفه بالتشيع ثم صار يقول بمذهب التناسخ قال فوجدته بين يديه سنور أسود وهو يمسحها ويحك بين عينيها ورأيتها وعينها تدمع كما جرت عادة السنانير بذلك وهو يبكى بكاءاً شديداً فقلت له لم تبك فقال ويحك أما ترى هذه السنور تبكى كلما مسحتها هذه أمى لا شك وإنما تبكى من رؤيتها إلىّ حسرة قال وأخذ يخاطبها خطاب من عنده أنها تفهم منه وجعلت السنور تصيح قليلاً قليلاً فقلت له فهى تفهم عنك ما تخاطبها به فقال: نعم فقلت: أتفهم أنت صياحها قال: لا قلت : فأنت المنسوخ وهى الإنسان .

ذكر تلبيس إبليس على أمتنا فى العقائد والديانات

قال المصنف: دخل إبليس على هذه الأمة فى عقائدها من طريقين: أحدهما التقليد للآباء والأسلاف. والثانى: الخوض فيما لا يدرك غوره ويعجز الخائض عن الوصول إلى عمقه فأوقع أصحاب هذا القسم فى فنون من التخليط فأما الطريق الأول فإن إبليس زين للمقلدين أن الأدلة قد تشتبه والصواب قد يخفى والتقليد سليم: وقد ضل فى هذا الطريق خلق كثير وبه هلاك عامة الناس فإن اليهود والنصارى قلدوا آباءهم وعلماءهم فضلوا وكذلك أهل الجاهلية واعلم أن العلة التى بها مدحوا التقليد بها يذم لأنه إذا كانت الأدلة تشتبه والصواب يخفى وجب هجر التقليد لئلا يوقع فى ضلال. وقد ذم الله سبحانه وتعالى الواقفين مع تقليد آباءهم وأسلافهم فقال عز وجل: ﴿ **بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون . قل أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه أباءكم** ﴾ المعنى أتتبعونهم وقد قال عز وجل: ﴿ **أنهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون** ﴾ .

قال المصنف: اعلم أن المقلد على غير ثقة فيما قلد فيه وفى التقليد إبطال منفعة العقل لأنه إنما خلق للتأمل والتدبر. وقبيح بمن أعطى شمعة يستضئ بها أن يطفئها ويمشى فى الظلمة. واعلم أن عموم أصحاب المذاهب يعظم فى قلوبهم الشخص فيتبعون قوله من غير تدبر بما قال: وهذا عين الضلال لأن النظر ينبغى أن يكون إلى القول لا إلى القائل كما قال على رضى اله عنه للحرث بن حوط وقد قال له أتظن أن طلحة والزبير كانا على باطل فقال له يا حارث أنه ملبوس عليك إن الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف أهله. وكان أحمد بن حنبل يقول: من ضيق علم الرجل أن يقلد فى اعتقاده رجلاً، ولهذا أخذ أحمد بن حنبل يقول: زيد فى الجد وترك قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه « فإن قال قائل » فالعوام لا يعرفون الدليل فكيف لا يقلدون فالجواب - إن دليل الاعتقاد ظاهر على ما أشرنا إليه فى ذكر الدهرية ومثل ذلك لا يخفى على عاقل وأما الفروع فإنها لما كثرت حوادثها واعتاص على العامى

عرفانها وقرب لها أمر الخطأ فيها كان أصلح ما يفعله العامى لمن قد سبر ونظر إلا أن اجتهاد العامى فى اختيار من يقلده .

قال المصنف: وأما الطريق الثانى: فإن إبليس لما تمكن فورطهم فى التقليد وساقهم سوق البهائم. ثم رأى خلقاً ، وفطنة فاستغواهم على قدر تمكنه منهم فمنهم من قبح عند التقليد وأمره بالنظر ثم استغوى كلا من هؤلاء بفن فمن الوقوف مع ظواهر الشرائع عجز. فساقهم الفلاسفة ولم يزا أخرجهم عن الإسلام وقد سبق ذكرهم فى الرد على الف هؤلاء من حسن له أن لا يعتقد إلا ما أدركته حواسه. بالحواس علمتم صحة قولكم فإن قالوا نعم كابروا لأن حواس قالوا إذ ما يدرك بالحواس لا يقع فيه خلاف وإن قالوا ب ناقضوا قولهم: ومنهم من نفره إبليس عن التقليد وحسن علم الكلام والنظر فى أوضاع الفلاسفة ليخرج بزعمه عن وقد تنوعت أحوال المتكلمين وأفضى الكلام بأكثرهم وبعضهم إلى الإلحاد ولم تسكت القدماء من فقهاء هذه الأ عجزاً ولكنهم رأوا أنه لا يشفى غليلاً ثم يرد الصحيح عليلا ونهوا عن الخوض فيه. حتى قال الشافعى رحمه الله: لإ بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر فى وإذا سمعت الرجل يقول الإسم هو المسمى أو غير المسمى اهل الكلام ولا دين له. قال وحكمى فى علماء الكلام أن ي ويطاف بهم فى العشائر والقبائل ويقال هذا جزاء من ترك وأخذ فى الكلام: وقال أحمد بن حنبل لا يفلح صاحب ك الكلام زنادقة .

قال المصنف: قلت وكيف لا يذم الكلام وقد أفضى بالم قالوا إن الله عز وجل يعلم جمل الأشياء ولا يعلم تفاصيله بن صفوان علم الله وقدرته وحياته محدثة. وقال أبو محمد جهم انه قال إن الله عز وجل ليس بشئ. وقال أبو على

هاشم ومن تابعهما من البصريين المعدوم شئ وذات ونفس وجوهر وبياض وصفرة وحمرة وإن البارى سبحانه وتعالى لا يقدر على جعل الذات ذاتاً ولا العرض عرضاً ولا الجوهر جوهراً وإنما هو قادر على إخراج الذات من العدم إلى الوجود. وحكى القاضى أبو يعلى فى كتاب المقتبس قال: قال لى العلاف المعتزلى لنعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار أمر لا يوصف الله بالقدرة على دفعه ولا تصح الرغبة حينئذ إليه ولا الرهبة منه لأنه لا يقدر إذ ذاك على خير ولا شر ولا نفع ولا ضرر. قال ويبقى أهل الجنة جموداً سكوتاً لا يفضون بكلمة ولا يتحركون ولا يقدرون هم ولا ربهم على فعل شئ من ذلك. لأن الحوادث كلها لابد لها من آخر تنتهى إليه لا يكون بعده شئ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

قال المصنف: قلت وذكر أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمد البلخى فى كتاب المقالات. إن أبا الهذيل إسمه محمد بن الهذيل العلاف وهو من أهل البصرة من عبد القيس مولى لهم وانفرد بأن قال أهل الجنة تنقضى حركاتهم فيصيرون إلى سكون دائم وأن لما يقدر الله عليه نهاية لو خرج إلى الفعل ولن يخرج استحال أن يوصف الله عز وجل بالقدرة على غيره. وكان يقول إن علم الله هو الله وإن قدرة الله هى الله. وقال أبو هاشم من تاب عن كل شئ إلا أنه شرب جرعة من خمر فإنه يعذب عذاب أهل الكفر أبداً. وقال النظام أن الله عز وجل لا يقدر على شئ من الشر وإن إبليس يقدر على الخير والشر. وقال هشام القوطى أن الله لا يوصف بأنه عالم لم يزل وقال بعض المعتزلة يجوز على الله سبحانه وتعالى الكذب إلا أنه لم يقع منه. وقالت المجبرة لا قدر لآدمى بل هو كالجماد مسلوب الاختيار والفعل. وقالت المرجئة أن من أقر بالشهادتين وأتى بكل المعاصى لم يدخل النار أصلاً وخالفوا الأحاديث الصحاح فى إخراج الموحدين من النار قال ابن عقيل ما أشبه أن يكون واضع الأرجاء زنديقاً فإن صلاح العالم بإثبات الوعيد واعتقاد الجزاء فالمرجئة لما لم يمكنهم جحد الصانع لما فيه من نفور الناس ومخالفة العقل أسقطوا فائدة الإثبات وهى الخشية والمراقبة وهدموا سياسة الشرع فهم شر طائفة على

الإسلام .

قال المصنف: قلت وتبع أبو عبد الله بن كرام فاختار من المذاهب أردأها ومن الأحاديث أضعفها ومال إلى التشبيه وأجاز حلول الحوادث فى ذات البارى سبحانه وتعالى. وقال إن الله لا يقدر على إعادة الأجسام والجواهر إنما يقدر على ابتدائها. قالت السالمية إن الله عز وجل يتجلى يوم القيامة لكل شئ فى معناه فيراه الآدمى آدمياً. والجنى جنياً. وقالوا الله سر لو أظهره لبطل التدبير .

قال المصنف: قلت أعوذ بالله من نظر وعلوم أوجبت هذه المذاهب القبيحة: وقد زعم أرباب الكلام أنه لا يتم الإيمان إلا بمعرفة ما رتبوه وهؤلاء على الخطاء لأن الرسول ﷺ أمر بالإيمان ولم يأمر ببحث المتكلمين ودرجة الصحابة الذين شهد لهم الشارع بأنهم خير الناس على ذلك. وقد ورد ذم الكلام على ما قد أشرنا إليه. وقد نقل إلينا أقلاع منطقى المتكلمين عما كانوا عليه لما رأوا من قبح غوائله .

فأخبرنا أبو منصور القزاز أبو بكر أحمد بن على بن ثابت نا أبو منصور محمد بن عيسى بن عبد العزيز البزار ثنا صالح الوفاة بن أحمد بن محمد الحافظ ثنا أحمد بن عبيد الله بن إبراهيم ثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث قال سمعت أحمد بن سنان قال. كان الوليد بن أبان الكرابيسى خالى فلما حضرته الوفاة قال لبنيه: تعلمون أحداً أعلم بالكلام منى ؟ قالوا: لا قال: فتتهموننى قالوا: لا قال فإنى أوصيكم أتقبلون قالوا نعم قال عليكم بما عليه أصحاب الحديث فإنى رأيت الحق معهم. وكان أبو المعالى الجوينى يقول لقد جلت أهل الإسلام جولة وعلومهم ركبت البحر الأعظم وغصت فى الذى نهوا عنه كل ذلك فى طلب الحق وهرباً من التقليد والآن فقد رجعت عن الكل إلى كلمة الحق عليكم بدين العجائز فإن لم يدركنى الحق بلطيف بره فأموت على دين العجائز ويختم عاقبة أمرى عند الرحيل بكلمة الإخلاص فالويل لابن الجوينى. وكان يقول لأصحابه. يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بى ما بلغ ما تشاغلت به. وقال أبو الوفاء ابن عقيل لبعض أصحابه أنا أقطع

أن الصحابة ماتوا وماعرفوا الجوهر والعرض فإن رضيت أن تكون مثلهم فكن وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبى بكر وعمر فبئس ما رأيت. قال وقد أفضى الكلام بأهله إلى الشكوك وكثير منهم إلى الإلحاد تشم روائح الإلحاد من فلتات كلام المتكلمين وأصل ذلك أنهم ما قنعوا بما قنعت به الشرائع وطلبوا الحقائق وليس فى قوة العقل إدراك ما عند الله من الحكمة التى انفرد بها ولا أخرج البارى من علمه لخلقه ما علمه هو من حقائق الأمور. قال: وقد بالغت فى الأول طول عمرى ثم عدت القهقرى إلى مذهب الكتب وإنما قالوا أن مذهب العجائز أسلم لأنهم لما انتهوا إلى غاية التدقيق فى النظر لم يشهدوا ما يشفى العقل من التعليلات والتأويلات فوقفوا مع مراسم الشرع وجنحوا عن القول بالتعليل وأذعن العقل بأن فوقه حكمة إلهية فسلم. وبيان هذا أن نقول أحب أن يعرف أراد أن يذكر فيقول قائل هل شغف باتصال النفع هل دعاه داع إلى إفاضة الإحسان: ومعلوم أن للداعى عوارض على الذات وتطلبات من النفس وما تعقل ذلك إلا الذات يدخل عليها داخل من شوق إلى تحصيل ما لم يكن لها وهى محتاجة فإذا وجد ذلك العرض سكن الشغف وفتر الداعى وذلك الحاصل يسمى غنى والقديم لم يزل موصوفاً بالغسنى منعوتاً بالاستقلال بذاته الغنية عن استزادة أو عارض ثم إذا نظرنا فى إنعامه رأيناه مشحوناً بالنقص والآلام وأذى الحيوانات فإذا رام العقل أن يعلل بالإنعام جاء تحقيق النظر فرأى أن الفاعل قادر على الصفاء ولا صفاء ورآه منزهاً بأدلة العقل عن البخل الموجب لمنع ما يقدر على تحصيله. وعن العجز عن دفع ما يعرض لهذه الموجودات من الفساد فإذا عجز عن التعليل كان التسليم أولى: وإنما الفساد من أن الخلق اقتضاؤه الفوائد ودفع المضار على مقتضى قدرته: ولو مزجوا فى ذلك العلم بأنه الحكيم لاقتضت نفوسهم له التسليم بحسب حكمته فعاشوا فى بحبوحة التفويض بلا اعتراض .

فصل

وقد وقف أقوام مع الظواهر فحملوها على مقتضى الحس فقال بعضهم

إن الله جسم تعالى الله عن ذلك: وهذا مذهب هشام بن الحكم وعلى بن منصور ومحمد ابن الخليل ويونس بن عبد الرحمن. ثم اختلفوا فقال بعضهم جسم كالأجسام. ومنهم من قال لا كالأجسام. ثم اختلفوا فمنهم من قال هو نور ومنهم من قال هو على هيئة السبيكة البيضاء. هكذا كان يقول هشام بن الحكم ،كان يقول إن الإله سبعة أشبار بشبر نفسه ﴿تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً﴾ وأنه يرى ما تحت الثرى بشعاع متصل منه قلت ما أعجب إلا من حده سبعة أشبار حتى علمت أنه جعله كالآدميين والآدمى طوله سبعة أشبار بشبر نفسه وذكر أبو محمد النوبختى عن الجاحظ عن النظام أن هشام بن عبد الحكم قال فى التشبيه فى سنة واحدة خمسة أقاويل قطع فى آخرها أن معبوده أشبر نفسه سبعة أشبار: فإن قوماً قالوا إنه على هيئة السبيكة وأن قوماً قالوا هو على هيئة البلورة الصافية المستوية الاستدارة التى من حيث أتيتها رأيتها على هيئة واحدة وقال هشام: هو متناهى الذات حتى قال إن الجبل أكبر منه قال وله ماهية يعلمها هو .

قال المصنف: وهذا يلزمه أن يكون له كيفية أيضاً وذلك ينقض القول بالتوحيد وقد استقرأن الماهية لا تكون إلا لمن كان ذا جنس وله نظائر فيحتاج أن يفرد منها ويبان عنها والحق سبحانه ليس بذى جنس ولا مثل له ولا يجوز أن يوصف بأن ذاته أرادته ومتناهيه لاعلى معنى أنه ذاهب فى الجهات بلا نهاية: إنما المراد أنه ليس بجسم ولاجوهر فنلزمه النهاية قال النوبختى وقد حكى كثير من المتكلمين أن مقاتل بن سليمان ونعيم بن حماد وداود الحوارى يقولون إن الله صورة وأعضاء .

قال المصنف: أترى هؤلاء كيف يثبتون له القدم دون الآدميين ولم لا يجوز عليه عندهم ما يجوز على الآدميين من مرض أو تلف: ثم يقال لكل من ادعى التجسيم بأى دليل أثبت حدث الأجسام فيدلك بذلك على أن الإله هو الذى اعتقدته جسماً محدثاً غير قديم ومن قول المجسمة أن الله عز وجل يجوز أن يمس ويلمس: فيقال له يجوز على قولكم أن يمس ويلمس ويعانق وقال بعضهم أنه جسم هو فضاء والأجسام كلها فيه. وكان

بيان بن سمعان يزعم أن معبوده نور كله وأنه على صورة رجل وأنه يهلك جميع أعضائه إلا وجهه فقتله خالد ابن عبد الله وكان المغيرة بن سعد العجلى يزعم أن معبوده رجل من نور على رأسه تاج من نور وله أعضاء وقلب تنبع منه الحكمة وأعضاؤه على صورة حروف الهجاء .

وكان هذا يقول بإمامة محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن وكان زرارة ابن أعين يقول. لم يكن البارى قادراً حياً عالماً في الأزل حتى خلق لنفسه هذه الصفات تعالى الله عن ذلك. وقال داود الحوارى هو جسم لحم ودم وله جوارح وأعضاء وهو أجوف من فمه إلى صدره ومصمت ما سوى ذلك: ومن الواقفين مع الحس أقوام قالوا هو على العرش بذاته على وجه المماسة فإذا نزل انتقل وتحرك وجعلوا لذاته نهاية وهؤلاء قد أوجبوا عليه المساحة والمقدار واستدلوا على أنه على العرش بذاته بقول النبى ﷺ ينزل الله إلى سماء الدنيا: قالوا ولا ينزل إلا من هو فوق. وهؤلاء حملوا نزوله على الأمر الحسى الذى يوصف به الأجسام: و هؤلاء المشبهة الذين حملوا الصفات على مقتضى الحس وقد ذكرنا جمهور كلامهم فى كتابنا المسمى بمنهاج الوصول إلى علم الأصول. وربما تخيل بعض المشبهة فى رؤية الحق يوم القيامة لما يراه فى الأشخاص فيمثله شخصاً يزيد حسنه عل كل حسن: فتراه يتنفس من الشقوق إليه ويمثل الزيادة فيزداد توقه ويتصور رفع الحجاب فيقلق ويتذكر الرؤية فيغشى عليه. ويسمع فى الحديث أنه يدنى عبده المؤمن إليه فيتخايل القرب الذاتى كما يجالس الجنس وهذا كله جهل بالموصوف. ومن الناس من يقول لله وجه هو صفة زائدة على صفة ذاته لقوله عز وجل ﴿ ويبقى وجه ربك ﴾ وله يد وله أصبع لقول رسول الله ﷺ «يضع السموات على أصبع»(١) وله قدم إلى غير ذلك مما تضمنته الأخبار وهذا كله إنما استخرجوه من مفهوم الحس: وإنما الصواب قراءة الآيات والأحاديث من غير تفسير ولا كلام فيها وما يؤمن هؤلاء أن يكون المراد بالوجه الذات لا إنه صفة زائدة وعلى هذا فسر الآية المحققون فقالوا ويبقى ربك وقالوا فى قوله: ﴿يريدون وجه ﴾ يريدونه وما يؤمنهم أن يكون أراد بقوله قلوب العباد بين

إصبعيه أن الأصبع لما كانت هي المقبلة للشئ وأن ما بين الإصبعين يتصرف فيها صاحبها كيف شاء ذكر ذلك لا أن ثم صفة زائدة. قال المصنف: والذى أراه السكوت عن هذا التفسير أيضاً إلا أنه يجوز أن يكون مراداً ولا يجوز أن يكون ثم ذات تقبل التجزىء والانقسام ومن أعجب أحوال الظاهرية قول السالمية أن الميت يأكل في القبر ويشرب وينكح لأنهم سمعوا بنعيم ولم يعرفوا من النعيم إلا هذا ولو قنعوا بما ورد في الآثار من إن أرواح المؤمنين وتجعل في حواصل طير تأكل من شجر الجنة. لسلموا لكنهم أضافوا ذلك إلى الجسد قال ابن عقيل: ولهذا المذهب مرض يضاهى الاستشعار الواقع للجاهلية وما كانوا يقولونه في الهام والصدا والمكالمة لهؤلاء ينبغى أن تكون على سبيل المداراه لاستشعارهم لا على وجه المناظرة فإن المقاومة تفسدهم. وإنما لبس إبليس على هؤلاء لتركهم البحث عن تأويل المطابق لأدلة الشرع والعقل. فإنه لما ورد النعيم والعذاب للميت علم أن الإضافة حصلت إلى الأجساد والقبور تعريفاً كأنه يقول صاحب هذا القبر الروح التي كانت في هذا الجسد منعمة بنعيم الجنة معذبة بعذاب النار.

فصل

قال المصنف: فإن قال قائل قد عبد طريق المقلدين في الأصول وطريق المتكلمين فما الطريق السليم من تلبيس إبليس. فالجواب أنه ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأصحابه وتابيعهم بإحسان من إثبات الخالق سبحانه وإثبات صفاته على ما وردت به الآيات والأخبار من غير تفسير ولا بحث عما ليس في قوة البشر إدراكه وأن القرآن كلام الله غير مخلوق. قال علي كرم الله وجه: والله ما حكمت مخلوقاً إنما حكمت القرآن وإنه المسموع قوله عز وجل ﴿حتى يسمع كلام الله﴾ وأنه في المصاحف لقوله عز وجل ﴿في رقّ منشور﴾ ولا نتعدى مضمون الآيات ولا نتكلم في ذلك برأينا. ولقد كان أحمد بن حنبل ينهى أن يقول الرجل لفظى بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق لئلا يخرج عن الأتباع للسلف إلى حدث.

والعجب ممن يدعى اتباع هذا الإمام ثم يتكلم فى المسائل المحدثة.
أخبرنا سعدالله بن على البزار نا أبو بكر الطرائيثى نا هبة الله بن الحسن الطبرى أبو حامد أحمد بن أبى طاهر الفقيه نا عمر بن أحمد الواعظ ثنا محمد بن هارون الحضرمى ثنا القاسم بن العباس الشيبانى ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال أدركت تسعة من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون من قال أن القرآن مخلوق فهو كافر. وقال مالك بن إنس من قال القرآن مخلوق فاستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه. أخبرنا أبو البركات بن على البزار نا أحمد بن على الطرايثيى نا هبة الله الطبرى ثنا محمد بن أحمد القاسم ثنا أحمد بن عثمان ثنا محمد ابن ماهان ثنا عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان عن جعفر بن برقان إن عمر بن عبد العزيز قال لرجل فسأله عن الأهواء فقال عليك بدين الصبى فى الكتاب والإعرابى واله عما سواهما قال ابن مهدى وثنا عبد الله بن المبارك عن الأوراعى قال: قال عمر بن عبد العزيز إذا رأيت قوماً يتناجون فى دينهم بشئ دون العامة فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة .

أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا محمد بن أحمد ابن الحسن ثنا بشر بن موسى ثنا خلاد بن يحيى عن سفيان الثورى: قال بلغنى عن عمر أنه كتب إلى بعض عماله «أوصيك بتقوى الله عز وجل، واتباع سنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وترك ما أحدث المحدثون بعده بما قد كفوا مؤنته» واعلم أن من سن السنن قد علم ما فى خلافها من الخطأ والزلل والتعمق فإن السابقين الماضين عن علم توقفوا وتبصر ناقد قد كفوا. وفى رواية أخرى عن عمر. وأنهم كانوا على كشف الأمور أقوى وما أحدث إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم لقد قصر دونهم أقوام فخفوه وطمح عنهم آخرون فعلوه.

أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا أحمد بن أحمد نا أحمد بن عبد الله الحافظ ثنا سليمان ابن أحمد ثنا بشر بن موسى ثنا عبد الصمد بن حسان قال سمعت سفيان الثورى يقول عليكم بما عليه الحمالون والنساء فى

البيوت والصبيان فى الكتاب من الإقراء والعمل .

قال المصنف: فإن قال قائل هذا مقام عجـر لا مقام الرجال فقد أسلفنا جواب هذا. وقـلنا إن الوقوف عـلى العمل ضـرورة لأن بلوغ ما يـشفى العقل مـن التعليل لم يدركـه من غاص من المتكـلمين فى البحـار فلذلك أمروا بالوقوف على الساحل كما ذكرنا عنهم .

ذكر تلبيس إبليس على الخوارج

قال المصنف: أول الخوارج وأقـبحهم حالـة ذو الخويصرة أخبـرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نـا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله ثنـى أبى ثنا محمد بن فضيل ثنا عمارة ابن القعقـاع عن ابن أبى يعمر عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عـنه قال: بـعث علـى رضى الله عنـه من اليـمن إلى رسـول الله ﷺ بذهبة فى أديم مقروظ لم تخلص من تـرابها فقسمها رسول الله ﷺ بين أربـعة بين زيد الخـيل والأقرع بـن حابس وعـيينة بن حـصن وعلقمة بن عـلاثة أو عامر بن الطفيل شك عمـارة فوجد من ذلك بعض أصحابه والأنصـار وغيرهم فقال رسول الله ﷺ الا تأمـنونى وأنا أمين من فى السماء يأتينى خبر السماء صباحاً ومساءاً ثم أتاه رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناتئ الجبهة كث اللـحية مشمر الأزار محلوق الرأس فقال اتق الله يا رسـول الله فرفع رأسه إليـه فقال ويحك أليـس أحق الناس أن يتقى الله أنا ثم أدبر فقال خالد يـا رسول الله ألا أضرب عنقه فقال رسول الله ﷺ فلعله يكون يصلى فقال إنه رُبَّ مصل يقول بلسانه ما ليس فى قلبه فـقال رسول الله ﷺ إنى لم أؤمر أن أنقـب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم ثـم نظر إليه النبى ﷺ وهو مـقف فقال إنه سيـخرج من ضئضئ هذا قوم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميةَ .

قال المصنف: هذا الرجل يقال له ذو الخويصرة الـتميمى وفى لفظ أنه قال له أعدل فقال ويلك ومن يعـدل إذا لم أعدل فهذا أول خارجى خرج فى الإسلام وآفـته أنه رضى برأى نفـسه ولو وقف لعلـم أنه لا رأى فوق رأى رسول الله ﷺ وأتبـاع هذا الرجل هم الـذين قاتلوا عـلى بن أبى

طالب كرم الله وجهه. وذلك أنه لما طالت الحرب بين معاوية وعلى رضى الله عنهما رفع أصحاب معاوية المصاحف ودعوا أصحاب على إلى ما فيها وقال: تبعثون منكم رجلاً ونبعث منا رجلاً. ثم نأخذ عليهما أن يعملا بما فى كتاب الله عز وجل فقال أناس: قد رضينا فبعثوا عمرو بن العاص فقال أصحاب على ابعث أبا موسى فقال على لا أرى أن أولى أبا موسى: هذا ابن عباس قالوا لا نريد رجلاً منك فبعث أبا موسى وأخر القضاء إلى رمضان فقال عروة بن أذينة تحكمون فى أمر الله الرجال لا حكم إلا الله، ورجع علىّ من صفين فدخل الكوفة ولم تدخل معه الخوارج فأتوا حروراء. فنزل بها منهم إثنا عشر ألفًا وقالوا لا حكم إلا الله وكان ذلك أول ظهورهم ونادى مناديهم أن أمير القتال شبيب بن ربعى التميمى وأمير الصلاة عبد الله بن الكوا الشكرى. وكانت الخوارج تتعبد إلا أن اعتقادهم أنهم أعلم من على ابن أبى طالب كرم الله وجهه وهذا مرض صعب .

أخبرنا اسماعيل بن أحمد نا محمد بن هبة الله الطبرى نا محمد بن الحسين بن الفضل نا عبد الله بن جعفر بن درستوية نا يعقوب بن سفيان ثنى موسى بن مسعود ثنا عكرمة بن عمار عن سماك بن رميل قال: قال عبد الله بن عباس أنه لما اعتزلت الخوارج دخلوا داراً وهم ستة آلاف وأجمعوا على أن يخرجوا على على بن أبى طالب فكان لا يزال يجئ إنسان فيقول يا أمير المؤمنين إن القوم خارجون عليك فيقول دعوهم فإنى لا أقاتلهم حتى يقاتلونى وسوف يفعلون. فلما كان ذات يوم أتيته قبل صلاة الظهر فقلت له يا أمير المؤمنين ابرد بالصلاة لعلى أدخل على هؤلاء القوم فأكلمهم. فقال إنى أخاف عليك. فقلت كلا وكنت رجلاً حسن الخلق لا أؤذى أحداً فأذن لى فلبست حلة من أحسن ما يكون من اليمن وترجلت فدخلت عليهم نصف النهار فدخلت على قوم لم أرَ قط أشد منهم اجتهاداً. جباههم قرحة من السجودوأياديهم كأنها ثفن الإبل. وعليهم قمص مرحضة مشمرين مسهمة وجوههم من السهر فسلمت عليهم فقالوا مرحباً بابن عباس ما جاء بك. فقلت أتيتكم من عند المهاجرين والأنصار ومن عند صهر رسول الله ﷺ وعليهم نزل القرآن

وهم أعلم بتأويله منكم. فقالت طائفة منهم لا تخاصموا قريشاً فإن الله عز وجل يقول: ﴿ **بل هم قوم خصمون** ﴾ فقال اثنان أو ثلاثة لنكلمنه: فقلت هاتوا ما نقمتم على صهر رسول الله ﷺ والمهاجرين والأنصار وعليهم نزل القرآن وليس فيكم منهم أحد: وهم أعلم بتأويله. قالوا ثلاثاً. قلت هاتوا. قالوا أما إحداهن فإنه حكم الرجال فى أمر الله. وقد قال الله عز وجل: ﴿ **إن الحكم إلا لله** ﴾ فما شأن الرجال والحكم بعد قول الله عز وجل. فقلت هذه واحدة وماذا. قالوا وأما الثانية فإنه قاتل وقتل ولم يسب ولم يغنم فإن كانوا مؤمنين فلم حل لنا قتالهم وقتلهم ولم يحل سبيهم قلت وأما الثالثة قالوا فإنه محا عن نفسه أمير المؤمنين فإنه إن لم يكن أمير المؤمنين فإنه لأمير الكافرين. قلت هل عندكم غير هذا ؟ قالوا كفانا هذا. قلت لهم أما قولكم حكم الرجال فى أمر الله أنا أقرأ عليكم فى كتاب الله ما ينقض هذا. فإذا نقض قولكم أترجعون ؟ قالوا نعم. قلت فإن الله قد صير من حكمه إلى الرجال فى ربع درهم ثمن أرنب وتلى هذه الآية ﴿ **لا تقتلوا الصيد وأنت حرم** ﴾ إلى آخر الآية وفى المرأة وزوجها ﴿ **فإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها** ﴾ إلى آخر الآية فنشدتكم بالله هل تعلمون حكم الرجال فى إصلاح ذات بينهم وفى حقن دماءهم أفضل أم حكمهم فى أرنب ويضع امرأة فأيهما ترون أفضل. قالوا بل هذه. قلت خرجت من هذه. قالوا نعم. قلت وأما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم فتسبون أمكم عائشة رضى الله تعالى عنها. فوالله لئن قلتم ليست بأمنا لقد خرجتم من الإسلام. ووالله لئن قلتم لنسبينها ونستحل منها ما نستحل من غيرها لقد خرجتم من الإسلام. فأنتم بين ضلالتين لأن الله عز وجل قال ﴿ **النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم** ﴾ أخرجت من هذه ؟ قالوا نعم. قلت وأما قولكم محا عن نفسه أمير المؤمنين فأنا آتيكم بمن ترضون أن النبى ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين أبا سفيان ابن حرب وسهيل بن عمرو. فقال لعليّ رضى الله عنه أكتب لهم كتاباً فكتب لهم على.

هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله فقال المشركون: والله ما نعلم

أنك رسول الله لو نعلم أنك رسول الله ما قتلناك فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم اللهم إنك تعلم أنى رسول الله امح يا على. اكتب هذا ما اصطلح عليه محمد ابن عبد الله فوالله لرسول الله خير من على وقد محا نفسه قال فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم فقتلوا.
أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت نا ولاد بن على الكوفى نا محمد بن على بن دحيم الشيبانى ثنا أحمد بن حازم ثنا أحمد ابن عبد الرحمن يعنى ابن أبى ليلى ثنا سعيد بن جثيم عن القعقاع بن عمارة عن أبى الخليل عن أبى الشائعة عن جندب الأزدرى. قال لما عدلنا إلى الخوارج ونحن مع على ابن أبى طالب كرم الله وجهه قال فانهتينا إلى معسكرهم فإذا لهم دوى كدوى النحل من قراءة القرآن.

قال المصنف: وفى رواية أخرى أن علياً رضى الله عنه لما حكم أتاه من الخوارج زرعه ابن البرج الطائى وحرقوص بن زهير السعدى فدخلا عليه فقالا له لا حكم إلا لله. فقال على لا حكم إلا لله فقال له حرقوص تب من خطيئتك وارجع عن قضيتنا واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا ولئن لم تدع تحكيم الرجال فى كتاب الله عز وجل لأقاتلنك أطلب بذلك وجه الله واجتمعت الخوارج فى منزل عبد الله بن وهب الراسى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ما ينبغى لقوم يؤمنون بالرحمن وينسبون إلى حكم القرآن أن تكون هذه الدنيا التى إيثارها عناء آثر عنده من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والقول بالحق فاخرجوا بنا. فكتب إليهم على بن أبى طالب كرم الله وجهه. أما بعد فإن هذين الرجلين اللذين ارتضيا حكمين فقد خالفا كتاب الله واتبعا أهواءهما ونحن على الأمر الأول. فكتبوا إليها إنك لم تغضب لربك وإنما غضبت لنفسك فإن شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك. وإلا فقدنا بذلك على سواء والسلام ولقى الخوارج فى طريقهم عبد الله بن خباب فقالوا هل سمعت من أبيك حديثاً تحدثه عن رسول الله ﷺ تحدثناه قال نعم سمعت أبى يحدث عن رسول الله ﷺ أنه ذكر فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشى والماشى فيها خير من السالمى فإن

على رضى الله عنه. فقد قال ذو الخويصرة لرسول الله ﷺ أعدل فما عدلت وما كان إبليس ليهتدى إلى هذه المخازى نعوذ بالله من الخذلان .

أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو بكر بن ملك ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنى أبى قال قرأت على عبد الرحمن بن ملك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يخرج قوم فيكم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وأعمالكم مع أعمالهم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية. أخرجاه فى الصحيحين.

أخبرنا سعدالله بن على نا أبو بكر الطريثيثى ثنا هبة الله بن الحسن الطبرى نا أحمد ابن عبيد ثنا على بن عبد الله بن مبشر ثنا أحمد بن سنان ثنا إسحاق بن يوسف الأزرق عن الأعمش عن عبد الله بن أبى أوفى وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول الخوارج كلاب أهل النار.

فصل

قال المصنف : ومن رأى الخوارج أنه لا تختص الإمامة بشخص إلا أن يجتمع فيه العلم والزهد فإذا اجتمعا كان إماماً نبطياً ومن رأى هؤلاء أحدث المعتزلة فى التحسين والتقبيح إلى العقل وأن العدل ما يقتضيه ثم حدث القدرية فى زمن الصحابة وصار معبد الجهنى وغيلان الدمشقى والجعد ابن درهم إلى القول بالقدر ونسج على منوال معبد الجهنى واصل بن عطاء وانضم إليه عمرو بن عبيد. وفى ذلك الزمان حدثت سنة المرجئة حين قالوا لايضر مع الإيمان معصية كمالا ينفع مع الكفر طاعة. ثم طالعت المعتزلة مثل أبى الهذيل العلاف والنظام ومعمر والجاحظ كتب الفلاسفة فى زمان المأمون واستخرجوا منها ماخلطوه بأوضاع الشرع مثل لفظ الجوهر والعرض والزمان ،المكان والكون. وأول مسألة أظهروها القول بخلق القرآن. وحينئذ سمى هذا الفصل فصل الكلام. وتلت هذه المسألة مسائل الصفات مثل العلم والقدرة والحياة والسمع والبصر. فقال قوم هى معانى زائدة على الذات ونفتها المعتزلة وقالوا عالم لذاته قادر لذاته. وكان أبو الحسن الأشعرى على مذهب الجبائى ثم انفرد عنه إلى مثبتى الصفات. ثم

أحذ بعض مشبتى الصفات فى اعتقاد التشبيه وإثبات الانتقال فى النزول والله الهادى لما يشاء.

ذكر تلبيسه على الرافضة

قال المصنف: وكما لبس إبليس على هؤلاء الخوارج حتى قاتلوا على بن أبى طالب حمل آخرين على الغلو فى حبه. فزادوه على الحد منهم من كان يقول هو الإله. ومنهم من يقول هو خير الأنبياء. ومنهم من حمله على سب أبى بكر وعم حتى أن بعضهم كفر أبا بكر وعمر إلى غير ذلك من المذاهب السخيفة التى يرغب عن تضييع الزمان بذكرها. وإنما نشير إلى بعضها.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد نا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت قال حدث أبو يعقوب بن إسحاق بن محمد النخعى عن عبيد الله بن محمد ابن عائشة وأبى عثمان المازنى وغيرهما وسمعت عبد الواحد بن على بن برهان الأسدى يقول إسحاق بن محمد النخعى الأحمر كان يقول: إن علياً هو الله. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وبالمدائن جماعة من الغلاة يعرفون بالإسحاقية ينسبون إليه. قال الخطيب ووقع إلىّ كتاب لأبى محمد الحسن بن يحيى النوبختى من تصنيفه فى الرد على الغلاة وكان النوبختى هذا من متكلمى الشيعة الأمامية. فذكر أصناف مقالات الغلاة إلى أن قال وقد كان ممن جرد الجنن فى الغلو فى عصرنا إسحاق بن محمد المعروف بالأحمر كان يزعم أن علياً هو الله عز وجل وأنه يظهر فى كل وقت فهو الحسن فى وقت وكذلك هو الحسين وهو الذى بعث محمداً ﷺ.

قال المصنف: قلت: وقد اعتقد جماعة من الرافضة أن أبا بكر وعمر كانا كافرين. وقال بعضهم ارتدا بعد موت رسول الله ﷺ. ومنهم من يقول بالتبرى من غير على. وقد روينا أن الشيعة طالبت زيد بن على بالتبرى ممن خالف علياً فى إمامته فامتنع من ذلك فرفضوه فسموا الرافضة. ومنهم أقوام قالوا الإمامة فى موسى بن جعفر ثم فى ابنه على ثم إلى محمد بن على ثم إلى على بن محمد ثم إلى الحسن بن محمد العسكرى ثم إلى ابنه محمد وهو الإمام الثانى عشر الإمام المنتظر

الذى يزعمون أنه لم يمت وأنه سيرجع فى آخر الزمان فيملأ الأرض عدلاً. وكان أبو منصور العجلى يقول بانتظار محمد بن على الباقر ويدعى أنه خليفة. وأنه عرج به إلى السماء فمسح الرب بيده على رأسه. وزعم أنه الكسف الساقط من السماء وكانت طائفة من الرافضة يقال لها الجناحية وهم أصحاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذى الجناحين يقولون إن روح الإله دارت فى أصلاب الأنبياء والأولياء إلى أن انتهى إلى عبد الله وأنه لم يمت وهو المنتظر. ومنهم طائفة يقال لها الغرابية يثبتون شركة على فى النبوة. وطائفة يقال لها المفوضة يقولون إن الله عز وجل خلق محمداً ثم فوض خلق العالم إليه. وطائفة يقال لها الذمامية يذمون جبريل ويقولون كان مأموراً بالنزول على على فنزل على محمد. ومنهم من يقول إن أبا بكر ظلم فاطمة ميراثها. وقد روينا على السفاح أنه خطب يوماً فقام رجل من آل على رضى الله عنه قال أنا من أولاد على رضى الله عنه. فقال يا أمير المؤمنين أعدنى على من ظلمنى. قال: ومن ظلمك، قال: أنا من أولاد على رضى الله عنه والذى ظلمنى أبو بكر رضى الله عنه حين أخذ فدك من فاطمة، قال: ودام على ظلمكم. قال: نعم، قال: ومن قال بعده قال: عمر رضى الله عنه قال: ودام على ظلمكم. قال: نعم. ومن قام بعده قال: عثمان رضى الله عنه، قال: ودام على ظلمكم، قال: نعم، قال: ومن قام بعده فجعل يلتفت كذا وكذا ينظر مكاناً يهرب منه .

قال ابن عقيل الظاهر أن من وضع مذهب الرافضة قصد الطعن فى أصل الدين والنبوة وذلك أن الذى جاء به رسول الله ﷺ أمر الغائب عنا وإنما نثق فى ذلك بنقل السلف وجودة نظر الناظرين إلى ذلك منهم. فكأننا نظرنا إذ نظر لنا من نثق بدينه وعقله فإذا قال قائل أنهم أول ما بدأوا بعد موته بظلم أهل بيته فى الخلافة وابنته فى إرثها وما هذا إلا لسوء اعتقاد فى المتوفى. فإن الاعتقادات الصحيحة سيما فى الأنبياء توجب حفظ قوانينهم بعدهم لاسيما فى أهليهم وذريتهم. فإذا قالت الرافضة أن القوم استحلوا هذا بعده خابت آمالنا فى الشرع. لأنه ليس بيننا وبينه إلا

النقل عنهم والثقة بهم. فإذا كان هذا محصول ما حصل لهم بعد موته خبنا فى المنقول. وزالت ثقتنا فيما عولنا عليه من اتباع ذوى العقول. ولم نأمن أن يكون القوم لم يروا ما يوجب اتباعه فراعوه مدة الحياة وانقلبوا عن شريعته بعد الوفاة ولم يبق على دينه إلا الأقل من أهله. فطاحت الاعتقادات، وضعفت النفوس، عن قبول الروايات فى الأصل وهو المعجزات فهذا من أعظم المحن على الشريعة .

قال المصنف: وغلو الرافضة فى حب على رضى الله عنه حملهم على أن وضعوا أحاديث كثيرة فى فضائله أكثرها تشينه وتؤذيه. وقد ذكرت منها جملة فى كتاب الموضوعات. منها أن الشمس غابت ففاتت علياً صلاة العصر فردت له الشمس. وهذا من حديث النقل موضوع. لم يروه ثقة ومن حيث المعنى فإن الوقت قد فات وعودها طلوع متجدد فلا يرد الوقت. وكذلك وضعوا أن فاطمة اغتسلت ثم ماتت وأوصت أن تكتفى بذلك الغسل. وهذا من حيث النقل كذب. ومن حيث المعنى قلة فهم. لأن الغسل عن حدث الموت فكيف يصح قبله ثم لهم خرافات لا يسندونها إلى مستند. ولهم مذاهب فى الفقه ابتدعوها وخرافات تخالف الإجماع. فنقلت منها مسائل من خط ابن عقيل. قال نقلتها من كتاب المرتضى فيما انفردت به الأمامية. منها أنه لا يجوز السجود على ما ليس بأرض ولا من نبات الأرض. فأما الصوف والجلود والوبر فلا. وأن الاستجمار لا يجزئ فى البول بل فى الغائط خاصة. ولا يجزئ مسح الرأس إلا بباقى البلل الذى فى اليد فإن استأنف للرأس بللاً مستأنفاً لم يجزه حتى لو نشفت يده من البلل احتاج إلى استئناف الطهارة. وانفردوا بتحريم من زنى بها وهى تحت زوج أبداً فلو طلقها زوجها لم تحل للزانى بها بنكاح أبداً. وحرموا الكتابيات وأن الطلاق المعلق على شرط لا يقع وإن وجد شرطه وأن الطلاق لا يقع إلا بحضور شاهدين عدلين. وأن من نام عن صلاة العشاء إلى أن مضى نصف الليل وجب عليه إذا استيقظ القضاء وأن يصبح صائماً كفارة لذلك التفريط، وأن المرأة إذا جزت شعرها فعليها الكفارة مثل قتل الخطأ.

وأن من شق ثوبه فى موت ابن له أو زوجة فعليه كفارة يمين. وأن من تزوج امرأة ولها زوج وهو لا يعلم لزمه الصدقة بخمسة دراهم. وأن شارب الخمر إذا حد ثانية قتل فى الثالثة. ويحد شارب الفقاع كشارب الخمر. وأن قطع السارق من أصول الأصابع ويبقى له الكف فإن سرق مرة أخرى قطعت الرجل اليسرى. فإن سرق الثالثة خلد فى الحبس إلى أن يموت. وحرموا السمك الجرى (كذا) وذبائح أهل الكتاب، واشترطوا فى الذبح استقبال القبلة، فى مسائل يطول ذكرها خرقوا فيها الإجماع وسول لهم إبليس وضعها على وجه لا يستندون فيه إلى أثر ولا قياس، بل إلى الواقعات ومقابح الرافضة أكثر من أن تحصى. وقد حرموا الصلاة لكونهم لا يغسلون أرجلهم فى الوضوء والجماعة لطلبهم إماماً معصوماً وابتلوا بسب الصحابة. وفى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال لا تسبوا أصحابى فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفة.

وقد أخبرنا محمد بن عبد الملك ويحيى بن على قالا أخبرنا محمد بن أحمد بن المسلمة نا أبو طاهر المخلص ثنا البغوى ثنا محمد بن عباد المكى ثنا محمد بن طلحة المدينى عن عبد الرحمن بن سالم بن عبد الله بن عويم بن ساعدة عن أبيه عن جده قال، قال رسول الله ﷺ : « إن الله اختارنى واختار لى أصحاباً فجعل لى منهم وزراء وأنصاراً وأصهاراً فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً.

قال المصنف: والمراد بالعدل الفريضة والصرف النافلة، أخبرنا أبو البركات بن على البزار نا أبو بكر الطريثيثى نا هبة الله بن الحسن الطبرى نا عبيد الله بن محمد بن أحمد نا على بن محمد بن أحمد بن يزيد الرياحى ثنا أبى ثنا الحسن بن عمارة عن المنهال بن عمرو عن سريد بن غفلة قال: مررت بنفر من الشيعة يتناولون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما وينتقصونهما فدخلت على علىّ بن أبى طالب فقلت: يا أمير المؤمنين مررت بنفر من أصحابك يذكرون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما بغير

الذى هما له أهل ولولا أنهم يرون أنك تضمر لهما على مثل ما أعلنوا ما اجترأوا على ذلك. قال على. أعوذ بالله أعوذ بالله أن أضمر لهما إلا الذى ائتمننى النبى عليه. لعن الله من أضمر لهما إلا الحسن الجميل أخو رسول الله ﷺ وصاحباه ووزيراه رحمة الله عليهما ثم نهض دامع العينين يبكى قابضاً على يدى حتى دخل المسجد فصعد المنبر وجلس عليه متمكناً قابضاً على لحيته وهو ينظر فيها وهى بيضاء حتى اجتمع لنا الناس. ثم قام فنشهد بخطبة موجزة بليغة. ثم قال: ما بال أقوام يذكرون سيدى قريش وأبوى المسلمين بما أنا عنه متنزه. ومما قالوه برئ، وعلى ما قالوا معاقب أما والذى فلق الحبة وبرأ النسمة لا يحبهما إلا مؤمن تقى ولا يبغضهما إلا فاجر شقى صحبا رسول الله ﷺ على الصدق والوفاء يأمران وينهيان ويبغضان ويعاقبان فما يتجاوزان فيما يصنعان رأى رسول الله ﷺ ولا كان رسول الله ﷺ يرى غير رأيهما. ولا يحب كحبهما أحداً مضى رسول الله ﷺ وهو راضٍ عنهما. ومضيا والمؤمنون عنهما راضون. أمره رسول الله ﷺ على صلاة المؤمنين فصلى بهم بتسعة أيام فى حياة رسول الله ﷺ فلما قبض الله نبيه واختار له ما عنده. ولاه المؤمنون ذلك. وفوضوا إليه الزكاة ثم أعطوه البيعة طائعين غير مكرهين. وأنا أول من سن له ذلك من بنى عبد المطلب وهو لذلك كاره يود لو أن منا أحداً كفاه ذلك. وكان والله خير من أبقى أرحمه رحمة وأرأفه رأفة وأسنه ورعاً وأقدمه سناً وإسلاماً. شبهه رسول الله ﷺ بميكائيل رأفة ورحمة وبإبراهيم عفواً ووقاراً فسار بسيرة رسول الله ﷺ حتى مضى على ذلك رحمة الله عليه. ثم ولى الأمر بعده عمر رضى الله عنه وكنت فيمن رضى. فأقام الأمر على منهاج رسول الله ﷺ وصاحبه. يتبع أثرهما كما يتبع الفصيل أثر أمه وكان والله رفيقاً رحيماً بالضعفاء ناصراً للمظلومين على الظالمين. لا يأخذه فى الله لومة لائم وضرب الله الحق على لسانه وجعل الصدق من شأنه. حتى إن كنا لنظن أن ملكاً ينطق على لسانه أعز الله بإسلامه الإسلام. وجعل هجرته للدين قواماً والقى له فى قلوب المنافقين الرهبة. وفى قلوب المؤمنين المحبة. شبهه رسول الله ﷺ بجبريل فظاً غليظاً على الأعداء، فمن لكم بمثلهما رحمة الله عليهما

ورزقنا المضى فى سبيلهما فمن أحبنى فليحبهما ومن لم يحبهما فقد أبغضنى وأنا منه برئ، ولو كنت تقدمت إليكم فى أمرهما لعاقبت فى هذا أشد العقوبة إلا فمن أوتيت به يقول بعد هذا اليوم فإن عليه ما على المفترى. إلا وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ثم الله أعلم بالخير أين هو. أقول قولى وأستغفر الله لى ولكم.

أخبرنا سعد الله بن على نا الطريثيثى نا هبة الله الطبرى نا محمد بن عبد الرحمن نا البغوى ثنا سويد بن سعيد ثنا محمد بن حازم عن أبى خباب الكلبى عن أبى سليمان الهمدانى عن على كرم الله وجهه قال يخرج فى آخر الزمان قوم لهم نبذ يقال لهم الرافضة ينتحلون شيعتنا وليسوا من شيعتنا وآية ذلك أنهم يشتمون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما أينما أدركتموهم فاقتلوهم أشد القتل فإنهم مشركون .

ذكر تلبيس إبليس على الباطنية

قال المصنف: الباطنيه قوم تستروا بالاسلام ومالوا إلى الرفض وعقائدهم وأعمالهم تباين الاسلام بالمرة فمحصول قولهم تعطيل الصانع وابطال النبوة والعبادات وانكار البعث ولكنهم لا يظهرون هذا فى أول أمرهم .

بل يزعمون أن الله حق وان محمداً رسول الله والدين صحيح لكنهم يقولون لذلك سر غير ظاهر وقد تلاعب بهم ابليس فبالغ وحسن لهم مذاهب مختلفة ولهم ثمانية أسماء :

(**الاسم الأول الباطنية**): سموا بذلك لأنهم يدعون أن لظواهر القرآن والأحاديث بواطن تجرى من الظواهر مجرى اللب من القشر وانها بصورتها توهم الجهال صوراً جلية وهى عند العقلاء رموز واشارات إلى حقائق خفية وان من تقاعد عقله من العوص على الخفايا والأسرار والبواطن والاغوار وقنع بظواهرها كان تحت الاغلال التى هى تكليفات الشرع .

ومن ارتقى إلى علم الباطن انحط عنه التكليف واستراح من اعبائه قالوا وهم المرادون بقوله تعالى ﴿ **ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى**

كانت عليهم * ومرادهم أن ينزعوا من العقائد موجب الظوهر ليقدروا بالتحكم بدعوى الباطل على أبطال الشرائع ·

الإسم الثانى الاسماعلية. نسبو إلى زعيم لهم يقال له محمد بن اسماعيل ابن جعفر ويزعمون ان دور الامامه انتهى اليه · لأنه سابع · واحتجوا بأن السماوات سبع، والارضين سبع، وايام الاسبوع سبع · فدل على أن دور الأئمه يتم بسبعه. وعلى هذا فيما يتعلق بالمنصور فيقولون العباس ثم ابنه عبد الله ثم ابنه محمد بن على ثم ابراهيم ثم السفاح ثم المنصور ·

وذكر أبو جعفر الطبرى فى تاريخة قال: قال على بن محمد عن أبية إن رجلاً من الروانـدية كان يقال له الابلق وكان أبرص · فبكى بالعلو ودعا الراوندية اليه وزعم أن الروح التى كانت فى عيسى بن مريم صارت إلى على بن أبى طالب كرم الله وجه ثم فى الأئمة واحدا بعد واحد إلى ان صارت إلى إبراهيم ابن محمد · واستحلوا الحرمات فكان الرجل منهم يدعو الجماعة الى منزله فيطعمهم ويسقيهم ويحملهم على امرأته · فبلغ ذلك أسد بن عبد الله فقتلهم وصلبهم · فلم يزل فيهم إلى اليوم وعبدوا أبا جعفر وصعدوا الخضراء وألقوا نفوسهم كأنهم يطيرون فلا يبلغون الارض إلا وقدهلكوا وخرج جماعتهم على الناس فى السلاح وأقبلوا يصيحون يا أبا جعفر أنت أنت ·

الاسم الثالث السبعية: لقبوا بذلك لأمرين أحدهما اعتقادهم أن دور الامامة سبعة سبعة على ما بينا وأن الانتهاء إلى السابع هو آخر الادوار وهو المراد بالقيامة وأن تعاقب هذة الادوار لا آخر له · والثانى لقولهم أن تدبير العالم السفلى منوط بالكواكب السبعه: زحل ثم المشترى ثم المريخ · ثم الزهرة ثم الشمس ثم عطارد · ثم القمر ·

الاسم الرابع البابكيه· قال المصنف وهو اسم لطائفة منهم تبعوا رجلا يقال له بابك الخرمى وكان من الباطنيه وأصله أنه ولد زنا فظهر فى بعض الجبال بناحية أذربيجان سنة إحدى ومائتين وتبعه خلق كثير واستفحل أمرهم واستباح المحظورات وكان إذا علم أن عند أحد بنتاً جميلة أو أختاً

جميلة طلبها فإن بعثها إليه وإلا قتله وأخذها ومكث على هذا عشرين سنة فقتل ثمانين ألفاً وقيل خمسة وخمسين ألفاً وخمسمائة إنسان وحاربه السلطان وهزم خلقاً من الجيوش حتى بعث المعتصم أفسين فحاربه فجاء ببابك وأخيه فى سنة ثلاث وعشرين ومائتين فلما دخلا قال لبابك أخوه يا بابك قد عملت ما لم يعمله أحد فاصبر الآن صبراً لم يصبره أحد. فقال سترى صبرى فأمر المعتصم بقطع يديه ورجليه فلما قطعوا مسح بالدم وجهه فقال المعتصم أنت فى الشجاعة كذا وكذا ما بالك قد مسحت وجهك بالدم أجزعاً من الموت فقال لا. ولكنى لما قطعت أطرافى نزف الدم، فخفت أن يقال عنى أنه اصفر وجهه جزعاً من الموت قال فيظن ذلك بى فسترت وجهى بالدم كيلا يرى ذلك منى. ثم بعد ذلك ضربت عنقه وأضرمت عليه النار وفعل مثل ذلك بأخيه فما فيهما من صاح ولا تأوه ولا أظهر جزعاً لعنهما الله وقد بقى من البابكية جماعة يقال أن لهم ليلة فى السنة تجتمع فيها رجالهم ونساؤهم ويطفئون السرج ثم يتناهضون للنساء فيثب كل رجل منهم إلى امرأة، ويزعمون أن من احتوى امرأة يستحلها بالاصطياد لأن الصيد مباح .

الاسم الخامس:المحمرة قال المصنف: سموا بذلك لأنهم صبغوا ثيابهم بالحمرة فى أيام بابك ولبسوها .

الاسم السادس:القرامطة قال المصنف: وللمؤرخين فى سبب تسميتهم بهذا قولان: أحدهما أن رجلاً من ناحية خوزستان قدم سواد الكوفة فأظهر الزهد ودعا إلى امام من أهل بيت الرسول الله ﷺ ونزل على رجل يقال له كرميته لقب بهذا لحمرة عينيه وهو بالنبطية حاد العين فأخذه أمير تلك الناحية فحبسه وترك مفتاح البيت تحت رأسه ونام فرقت له جارية فأخذت المفتاح ففتحت البيت وأخرجته وردت المفتاح إلى مكانه. فلما طلب فلم يوجد زاد افتتان الناس به فخرج إلى الشام فسمى كرميته باسم الذى كان نازلاً عليه ثم خفف فقيل قرمط ثم توارث مكانه أهله وأولاده. والثانى أن القوم قد لقبوا بهذا نسبة إلى رجل يقال له حمدان قرمط كان أحد دعاتهم في الابتداء فاستجاب له جماعة فسموا القرامطة كان هذا

الرجل من أهل الكوفة وكان يميل إلى الزهد فصادفه أحد دعاة الباطنية فى فريق وهو متوجه إلى قرية وبين يديه بقر يسوقها. فقال حمدان لذلك الراعى وهو لا يعرفه أين مقصدك فذكر قرية حمدان فقال له اركب بقرة من هذه لئلا تتعب فقال إنى لم أؤمر بذلك فقال وكأنك لا تعمل إلا بأمر قال نعم قال وبأمر من تعمل قال بأمر مالكى ومالكك ومالك الدنيا والآخرة. فقال ذلك إذن هو الله رب العالمين. فقال صدقت قال له فما غرضك فى هذه القرية التى تقصدها قال أمرت أن أدعو أهلها من الجهل إلى العلم ومن الضلالة إلى الهدى ومن الشقاء إلى السعادة. وأن استنقذهم من ورطات الذل والفقر وأملكهم ما يستغنون به عن الكد. فقال له حمدان: أنقذنى أنقذك الله وأفض علىّ من العلم ما تحييني به فما أشد احتياجى إلى مثل هذا فقال ما أمرت أن أخرج السر المخزون إلى كل أحد إلا بعد الثقة به والعهد إليه. فقال اذكر عهدك فإنى ملتزم به فقال له: أن تجعل لى وللإمام على نفسك عهد الله وميثاقه ألا تخرج سر الإمام الذى ألقيه إليك ولا نفس سرى أيضاً فالتزم حمدان عهده ثم اندفع الداعى فى تعليمه فنون جهله حتى استغواه فاستجاب له ثم انتدب للدعاء وصار أصلاً من أول هذه البدعة فسمى أتباعه القرامطة والقرمطية. ثم لم يزل بنوه وأهله يتوارثون مكانه وكان أشدهم بأساً رجل يقال له أبو سعيد ظهر فى سنة ست وثمانين ومائتين وقوى أمره وقتل ما لا يحصى من المسلمين وخرب المساجد وأحرق المصاحف. وفتك بالحاج وسنى لأهله وأصحابه سنناً وأخبرهم بمحالات. وكان إذا قاتل يقول وعدت بالنصر فى هذه الساعة. فلما مات بنوا على قبره قبة وجعلوا على رأسها طائراً من جص. وقالوا إذا طار هذا الطائر خرج أبو سعيد من قبره وجعلوا عند القبر فرساً وخلعه ثياب وسلاحاً وقد سول إبليس لهذه الجماعة أنه من مات وعلى قبره فرس حشر راكباً وإن لم يكن له فرس حشر ماشياً. وكان أصحاب أبى سعيد يصلون عليه إذا ذكروه ولا يصلون على رسول الله ﷺ فإذا سمعوا من يصلى على رسول الله ﷺ يقولون أتأكل رزق أبى سعيد وتصلى على أبى القاسم. وخلف بعده ابنه أبا طاهر ففعل مثل فعله وهجم على الكعبة فأخذ ما فيها من الذخائر وقلع الحجر الأسود

فجعله إلى بلده وأوهم الناس أنه الله عز وجل .

الاسم السابع الخرمية: وخرم لفظ أعجمى ينبى عن الشئ المستلذ المستطاب الذى يرتاح الإنسان له . ومقصود هذا الاسم تسليط الناس على اتباع اللذات وطلب الشهوات كيف كانت وطى بساط التكليف وحط أعباء الشرع عن العباد وقد كان هذا الاسم لقباً للمزدكية وهم أهل الإباحة من المجوس الذين تبعوا فى أيام قباذ وأباحوا النساء المحرمات وأحلوا كل محظور فسموا هؤلاء بهذا الاسم لمشابهتهم إياهم فى نهاية هذا المذهب وإن خالفوهم فى مقدماته .

الاسم الثامن التعليمية: لقبوا بذلك لأن مبدأ مذهبهم إبطال الرأى وإفساد تصرف العقول ودعاء الخلق إلى التعليم من الأمام المعصوم وأنه لا يدرك العلوم إلا بالتعليم .

فصل

فى ذكر السبب الباعث لهم على الدخول فى هذه البدعة

قال المصنف : اعلم أن القوم أرادوا الانسلال من الدين فشاوروا جماعة من المجوس والمزدكية والثنوية وملحدة الفلاسفة فى استنباط تدبير يخفف عنهم ما نابهم من استيلاء أهل الدين عليهم حتى أخرسوهم عن النطق بما يعتقدونه من إنكار الصانع وتكذيب الرسل وجحد البعث وزعمهم أن الأنبياء ممخرقون ومنمسون ورأوا أمر محمد ﷺ قد استطار فى الأقطار وأنهم قد عجروا عن مقاومته فقالوا سبيلنا أن ننتحل عقيدة طائفة من فرقهم أركاهم عقلا وأسخفهم رأياً وأقبلهم للمحالات والتصديق بالأكاذيب وهم الروافض فنتحصن بالانتساب إليهم ونتودد إليهم بالحزن على ما جرى على آل محمد من الظلم والذل ليمكننا شتم القدماء الذين نقلوا إليهم الشريعة فإذا هان أولئك عندهم لم يلتفتوا إلى ما نقلوا فأمكن استدراجهم إلى الانخداع عن الدين فإن بقى منهم معتصم بظواهر القرآن والأخبار أوهمناه أن تلك الظواهر لها أسرار وبواطن وأن المنخدع بظواهرها أحمق وإنما الفطنة فى اعتقاد بواطنها ثم نبث إليهم عقائدنا ونزعم أنها المراد بظواهرها عندكم فإذا تكثرنا بهؤلاء سهل علينا استدراج

باقى الفرق. ثم قالوا وطريقنا أن نختار رجلاً يساعد على المذهب ويزعم أنه من أهل البيت وأنه يحب كل الخلق كافة متابعته ويتعين عليهم طاعته لكونه خليفة رسول الله ﷺ. والمعصوم من الخطأ والزلل من جهة الله عز وجل، ثم لا تظهر هذه الدعوة على القرب من جوار هذا الخليفة الذى وسمناه بالعصمة. فإن قرب الدار يهتك الأستار، وإذا بعدت الشقة وطالت المسافة فمتى يقدر المستجيب للدعوة أن يفتش عن حال الإمام أو يطلع على حقيقة أمره. وقصدهم بهذا كله الملك والاستيلاء على أموال الناس والإنتقام منهم لما عاملوهم به من سفك دمائهم ونهب أموالهم قديماً فهذا غاية مقصودهم ومبدأ أمرهم.

فصل

قال المصنف: وللقوم حيل فى استذلال الناس فهم يميزون من يجوز أن يطمع فى استدراجه ممن لايطمع فيه. فإذا طمعوا فى شخص نظروا فى طبعه، فإن كان مائلاً إلى الزهد دعوه إلى الأمانة والصدق وترك الشهوات. وإن كان مائلاً إلى الخلاعة قرروا فى نفسه أن العبادة بله. وأن الورع حماقة وإنما الفطنة فى اتباع اللذات من هذه الدنيا الفانية ويثبتون عند أكل ذى مذهب ما يليق بمذهبه ثم يشككونه فيما يعتقدوه فيستجيب لهم أما رجل أبله أو رجل من أبناء الأكاسرة وأولاد المجوس ممن قد انقطعت دولة أسلافه بدولة الإسلام أو رجل يميل إلى إلى الاستيلاء ولايساعده الزمان فيعدونه بنيل آماله. أو شخص يجب الترفع عن مقامات العوام ويروم بزعمه الاطلاع على الحقائق. أو رافضى يتدين بسب الصحابة رضى الله عنهم أو ملحد من الفلاسفة والثنوية والمتحيرين فى الدين أو من قد غلبت عليه حب اللذات. وثقل عليه التكليف.

فصل

فى ذكر نبذة من مذاهبهم، قال أبو حامد الطوسى الباطنية قوم يدعون الإسلام ويميلون إلى الرفض وعقائهم وأعمالهم تباين الإسلام. فمن مذهبهم القول بإلهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان إلا أن أحدهما علة لوجود الثانى. قالوا: والسابق لا يوصف بوجود ولا عدم

ولا هو موجود ولاهو معدوم ولا هو معلوم ولاهو مجهول، ولاهو موصوف ولا غير موصوف وحدث عن السابق الثانى وهو أول مبدع. ثم حديث النفس الكلية. وعندهم أن النبى صلى عليه السلام عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق بواسطة الثانى قوة قدسية صافية. وزعموا أن جبريل عليه السلام عبارة عن العقل الفائض عليه لا أنه شخص. واتفقوا على أنه لابد لكل عصر من إمام معصوم قائم بالحق يرجع إليه فى تأويل الظواهر مساو للنبى عليه السلام فى العصمة. وأنكروا المعاد وقالوا معنى المعاد عود الشئ إلى أصله وتعود النفس إلى أصلها. وأما التكليف فالمنقول عنهم الإباحة المطلقة واستباحة المحظورات وقد ينكرون هذا إذا حكى عنهم وإنما يقرون بأنه لابد للإنسان من التكليف. فإذا اطلع على بواطن الظواهر ارتفعت التكاليف. ولما عجزوا عن صرف الناس عن القرآن والسنة صرفوهم عن المراد بهما إلى مخاريق زخرفوها إذ لو صرحوا بالنفى المحض لقتلوا. فقالوا معنى الجناية مبادرة المستجيب بإفشاء السر، ومعنى الغسل تجديد العهد على من فعل ذلك. ومعنى الزنا إلقاء نطفة العلم الباطن فى نفس من لم يسبق معه عقد العهد. والصيام الإمساك عن كشف السر و الكعبة هى النبى والباب على. والطوفان طوفان العلم أغرق به المتمسكون بالشبهة والسفينة الحرز الذى يحصن به من استجاب لدعوته. ونار إبراهيم عبارة عن غضب نمرود لا عن نار حقيقة. وذبح إسحاق معناه أخذ العهد عليه. وعصى موسى حجته ويأجوج ومأجوج هم أهل الظاهر، وذكر غيره أنهم يقولون إن الله عز وجل لما أوجد الأرواح ظهر لهم فيما بينهم كهم فلم يشكوا أنه واحد منهم فعرفوه فأول من عرفه سلمان الفارسى والمقداد وأبو ذر وأول المنكرين الذى يسمى إبليس. عمر بن الخطاب فى خرافات ينبغى أن يصان الوقت العزيز عن التضييع بذكرها، ومثل هؤلاء لم يتمسكوا بشبهة فتكون معهم مناظرة وإنما اخترعوا بواقعاتهم ما أرادوا فإن اتفقت مناظرة لأحدهم فليقل له أعرفتم هذه الأشياء التى تذكرونها عن ضرورة. أو عن نظر أو عن نقل عن الإمام المعصوم، فإن قلتم ضرورة فكيف خالفكم ذووا العقول السليمة، ولو ساغ للإنسان أن يهدى بدعوى الضرورة فى كل ما يهواه جار لخصمه دعوى

الصرورة فى نقص ما ادعاه، وإن قلتم بالنظر فالنظر عندكم باطل لأنه تصرف بالعقل وقضايا العقول عندكم لا يوثق بها. وإن قلتم عن إمام معصوم قلنا فما الذى دعاكم إلى قبول قوله بلا معجزة، وترك قول محمد ﷺ مع المعجزات. ثم ما يؤمنكم أن يكون ما سمع من الإمام المعصوم لا باطن غير ظاهر. ثم يقال لهم هذه البواطن والتأويلات يجب إخفاؤها أم إظهارها فإن قالوا يجب إظهارها قلنا فلم كتمها محمد ﷺ . وإن قالوا يجب إخفاؤها قلنا ما وجب على الرسول إخفاؤه كيف حل لكم إفشاؤه. قال ابن عقيل هلك الإسلام بين طائفتين بين الباطنية والظاهرية فأما أهل البواطن فإنهم عطلوا ظواهر الشرع بما ادعوه من تفاسيرهم التى لا برهان لهم عليها حتى لم يبق فى الشرع شئ إلا وقد وضعوا وراءه معنى حتى أسقطوا إيجاب الوجب. والنهى عن المنهى، وأما أهل الظاهر فإنهم أخذوا بكل ما ظهر مما لابد من تأويله. فحملوا الأسماء والصضفات على ما عقلوه والحق بين المنزلتين وهو أن تأخذ بالظاهر ما لم يصرفنا عنه دليل. ونرفض كل باطن لا يشهد به دليل من أدلة الشرع.

قال المصنف: ولو لقيت مقدم هذه الطائفة المعروفة بالباطنية لم أكن سالكاً معه طريق العلم، بل التوبيخ والازدراء على عقله وعقول أتباعه. بأن أقول أن للآمال طرقاً تسلك ووجوهاً توصل. ووضع الأمل في جهة اليأس حمق ومعلوم أن هذه الملل التى قد طبقت الأرض أقربها شريعة الإسلام التى تتظاهرون بها. وتطمعون فى إفسادها قد تمكنت تمكناً يكون الطمع فى تمحيقها فضلاً عن إزالتها حمقاً. فلها مجمع كل سنة بعرفة ومجمع كل أسبوع فى الجوامع ومجمع كل يوم فى المساجد. فمتى تحدثكم نفوسكم بتكدير هذا البحر الزاخر وتمحيق هذا الأمر الظاهر. فى الآفاق يؤذن كل يوم على ما بين ألوف منابر بأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وغاية ما أنتم عليه فى حديث خلوة - أو متقدم قلعة - آن نبس بكلمة يرمى رأسه وقتل قتل الكلاب فمتى يحدث العقل منكم نفسه بظهور ما أنتم عليه على هذا الأمر الكلى الذى طبق البلاد فما أعرف أحمق منكم إلى أن يجئ إلى باب المناظرة بالبراهين العقلية .

فصل

قال المصنف: والتهبت جمرة الباطنية المتأخرين فى سنة أربع وتسعين وأربعمائة فقتل السلطان جلال الدولة برقيارق خلقاً منهم لما تحقق مذهبهم فبلغت عدة القتلى ثلثمائة ونيفاً وتتبعت أموالهم فوجد لأحدهم سبعون بيتاً من اللآلى الحفور وكتب ذلك كتاب إلى الخليفة: فتقدم بالقبض على قوم يظن فيهم ذلك المذهب ولم يتجاسر أحد أن يشفع فى أحد لئلا يظن ميله إلى ذلك المذهب. وزاد تتبع العوام لكل من أرادوا وصار كل من فى نفسه شئ من إنسان يرميه بهذا المذهب فيقصيه وينتهب ماله. وأول ما عرف من أحوال الباطنية فى أيام الملك شاه جلال الدولة أنهم اجتمعوا فصلوا صلاة العيد فى ساوة. ففطن بهم الشحنة فأخذهم وحبسهم ثم أطلقهم. ثم اغتالوا مؤذناً من أهل ساوة فاجتهدوا أن يدخل معهم فلم يفعل فخافوه أن ينم عليهم فاغتالوه فبلغ الخبر إلى نظام الملك فتقدم بأخذ من يتهم فيقتله فقتل المتهم وكان نجاراً وكانت أول فتكة لهم فتكهم بنظام الملك. وكانوا يقولون قلتم منا نجاراً فقتلنا به نظام الملك، واستفحل أمرهم بأصبهان فلما مات الملك شاه وآل الأمر إلى أنهم كانوا يسرقون الإنسان ويقتلونه ويلقونه فى البئر. وكان الإنسان إذا دنا وقت العصر ولم يعد إلى منزله أيسوا منه. وفتش الناس المواضع فوجدوا امرأة فى دار لا تبرح فوق حصير فأزالوها فوجدوا تحت الحصير أربعين قتيلاً. فقتلوا المرأة وأحرقوا الدار والمحلة. وكان يجلس رجل ضرير على باب الزقاق الذى فيه هذه الدار. فإذا مر إنسان سأله أن يقوده خطوات إلى الزقاق فإذا حصل هناك جذبه من فى الدار واستولوا عليه، فجد المسلمون فى طلبهم بأصبهان وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وأول قلعة تملكها الباطنية قلعة فى ناحية يقال لها الروزباد من نواحى الديلم وكانت هذه القلعة لقماح صاحب ملكشاه وكان يستحفظها متهماً بمذهب القوم. فأخذ ألفاً ومائتى دينار وسلم إليهم القلعة فى سنة ثلاث وثمانين فى أيام ملكشاه وكان مقدمها الحسن بن الصباح وأصله من مرو وكان كاتباً للرئيس عبد الرازق بن بهرام إذ كان صبياً ثم إلى مصر وتلقى من دعاتهم المذاهب وعاد داعية القوم ورأساً فيهم

وحصلت له هذه القلعة وكانت سيرته فى دعاته ألا يدعو إلا غبياً لا يفرق بين يمينه وشماله مثلاً ومن لا يعرف أمور الدنيا ويطعمه الجوز والعسل والشونيز حتى ينبسط دماغه ثم يذكر له حينئذ ما تم على أهل بيت المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعليهم من الظلم والعدوان حتى يستقر ذلك فى نفسه، ثم يقول إذا كانت الأزارقة والخوارج سمحوا بنفوسهم فى قتال بنى أمية فما سبب بخلك بنفسك فى نصرة إمامك فيتركه بهذه المقالة طعمة للسيف، وكان ملكشاه قد أرسل إلى هذا ابن الصباح يدعوه إلى الطاعة ويتهدده إن خالفه ويأمره بالكف عن بث أصحابه لقتل العلماء والأمراء، فقال فى جواب الرسالة والرسول حاضر الجواب ما تراه، ثم قال لجماعة وقوف بين يديه أريد أن أنقذكم إلى مولاكم فى حاجة فمن ينهض لها فأشرأب كل منهم لذلك، فظن رسول السلطان أنها رسالة يحملها إياهم، فأومأ إلى شاب منهم فقال له أقتل نفسك فجذب سكينة وضرب بها غلصمته فخر ميتاً وقال لآخر إرم نفسك من القلعة فتمزق، ثم التفت إلى رسول السلطان فقال أخبره أن عندى من هؤلاء عشرين ألفاً هذا حد طاعتهم لى وهذا هو الجواب، فعاد الرسول إلى السلطان ملكشاه فأخبره بما رأى فعجب من ذلك وترك كلامهم وصارت بأيديهم قلاع كثيرة ثم قتلوا جماعة من الأمراء والوزراء.

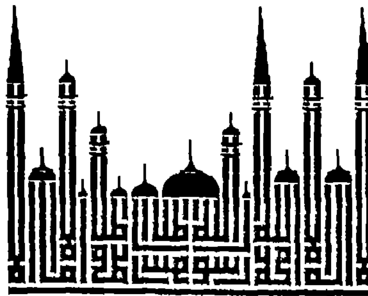
قال المصنف: وقد ذكرنا من صفة القوم فى التاريخ أحوالاً عجيبة فلم تر التطويل بها هنا .

فصل

وكم من زنديق فى قلبه حقد على الإسلام خرج فبالغ واجتهد فزخرف دعاوى يلقى بها من يصحبه. وكان غور مقصده فى الاعتقاد الانسلال من ربقة الدين، وفى العمل نيل الملذات واستباحة المحظورات. فمنهم بابك الخرمىّ حصل له مقصوده من اللذات ولكن بعد أن قتل الناس وبالغ فى الأذى ثم القرامطة وصاحب الزنج الذى خرج فاستغوى المماليك السودان ووعدهم الملك، فنهب وفتك وقتل وبالغ وكانت عواقبهم فى الدنيا أقبح العواقب فما وفى ما نالوا بما نيل منهم ومنهم من لم يبرح على تعثيره

ففاتته الدنيا والآخرة مثل ابن الرواندى والمعرى، أنبأنا محمد بن أبى طاهر عن أبى القاسم علـى بن المحسن التنوخى عن أبيه قـال كان ابن الراوندى ملازم الرافضة وأهل الإلحاد فإذا عوتب قال إنما أريد أن أعرف مذاهبهم ثم كاشف وناظر.

قال المصنف: من تأمل حـال ابن الراوندى وجـده من كبار الملاحدة وصنف كتاباً سماه الدامغ زعم أنه يدمغ به هذه الشريعة فسبحان من دمغه فأخـذه وهو فى شرخ الشـباب وكان يـعترض علـى القرآن ويدعى عـليه التناقض وعدم الفصاحة. وهو يعلم أن فصحاء العرب تحيرت عند سماعه فكيف بالألكن ؟وأما أبو العلاء المعرى فأشعاره ظاهرة الإلحاد، وكان يبالغ فى عداوة الأنبياء ولـم يزل متخبطاً فى تـعثيره خائفاً من القتل إلى أن مات بخسرانه. ومـا خلا زمان من خلف للفـريقين إلا أن جمرة المنبـسطين قد خبت بحمد الله. فليس إلا باطنى مستتر ومتفلسف متكاتم هو أعثر الناس وأخساهم قدراً. وأرداهم عيشاً وقد شرحـنا أحوال جماعة من الفريقين فى التاريخ فلم نر التطويل بذلك والله الموفق.



الباب السادس

فى ذكر تلبيس إبليس على العلماء فى فنون العلم

قال المصنف: اعلم أن إبليس يدخل على النـاس فى التلبيس من طرق منها ظاهر الأمر. ولـكن يغلب الإنسان فى إيثار هواه فيـغمض على علم يذلله. ومنها غامض وهو الذى يخفى على كـثير من العلماء. ونحن نشير إلى فنون من تلبيـسه يستدل بمذكورها على مغفلهـا إذ حصر الطرق يطول والله العاصم .

ذكر تلبيسه على القراء

فمن ذلك أن أحـدهم يشتغل بالـقراءات الشاذة وتحصـيلها فيفنـى أكثر عمره فى جمعها. وتصنيفها والأقراء بها ويشغله ذلك عن معرفة الفرائض والواجبات. فربما رأيـت إمام مسجد يتصدى للأقراء ولا يعـرف ما يفسد الصـلاة، وربما حمله حـب التصـدر حتى لا يرى بـعين الجهـل على أن يجلس بين يـدى العلماء ويأخذ عنـهم العلم ولو تفكروا لعـلموا أن المراد حفظ القرآن وتقويم ألفاظه ثم فهمه ثم العمل به ثم الإقبال على ما يصلح النفس ويطـهر أخلاقهـا ثم التشاغل بـالمهم من علوم الشـرع، ومن الغبن الفاحش تضييع الزمان فيما غيره الأهم، قال الحسن البصرى: أنزل القرآن ليعـمل به. فاتخذ النـاس تلاوته عملاً يعنـى أنهم اقتصروا عـلى التلاوة وتركوا العمل بـه. ومن ذلك أن أحدهم- يقرأ فى محرابـه بالشاذ ويترك المتواتر المـشهور. والصحـيح عند العلمـاء أن الصلاة لا تصح بهـذا الشاذ وإنما مقـصود هذا إظهار الغـريب لاستجلاب مـدح الناس وإقبالهـم عليه وعنده أنه متشاغل بالقرآن. ومنهم من يـجمع القراءات فيقول ملك مالك ملاك وهذا لا يـجوز لأنه إخراج للـقرآن على نظـمه، ومنهم من يـجمع السجدات والتهليلات والتكبيرات وذلك مكره، وقد صاروا يوقدون النيران الكثيرة للختمـة فيجمعون بين تضييع المال والتشـبه بالمجوس والتسبب إلى اجتمـاع النساء والرجـال بالليل للفـساد ويريهم إبليـس أن فى هذا إعزازاً للإسلام. وهـذا تلبيس عظيـم لأن إعزاز الشرع باسـتعمال المـشروع ومن

ذلك منهم من يتسامح بادعاء القراءة على من لم يقرأ عليه وربما كانت له إجازة منه. فقال أخبرنا تدليساً وهو يرى أن الأمر فى ذلك قريب لكونه يروى القراءات ويراها فعل خير وينسى أن هذا كذب يلزمه أثم الكذابين. ومن ذلك أن المقرئ المجيد يأخذ على اثنين وثلاثة ويتحدث مع من يدخل عليه والقلب لا يطيق جمع هذه الأشياء ثم يكتب خطه بأنه قد قرأ على فلان بقراءة فلان. وقد كان بعض المحققين يقول ينبغى أن يجتمع اثنان أو ثلاثة ويأخذوا على واحد ومن ذلك أن أقواماً من القراء يتبارون بكثرة القراءة وقد رأيت من مشايخهم من يجمع الناس ويقيم شخصاً ويقرأ فى النهار الطويل ثلاث ختمات فإن قصر عيب وإن أتم مدح. وتجتمع العوام لذلك ويحسنونه كما يفعلون فى حق السعاة ويريهم إبليس أن فى كثرة التلاوة ثواباً، وهذا من تلبيسه لأن القراءة ينبغى أن تكون لله تعالى لا للتحسين بها. وينبغى أن تكون على تمهل. وقال عز وجل ﴿ لتقرأه على الناس على مكث ﴾ وقال عز وجل ﴿ورتل القرآن ترتيلاً ﴾ ومن ذلك أن جماعة من القراء أحدثوا قراءة الألحان وقد كانت إلى حد قريب. وعلى ذلك فقد كرهها أحمد بن حنبل وغيره ولم يكرهها الشافعى. أنبأنا محمد بن ناصر نا أبو على الحسين بن سعد الهمذانى نا أبو بكر أحمد بن على بن لال ثنا الفضل ابن الفضل ثنا السياحى ثنا الربيع بن سليمان قال: قال الشافعى: أما استماع الحداء ونشيد الأعراب فلا بأس به ولا بأس بقراءة الألحان وتحسين الصوت .

قال المصنف: وقلت: إنما أشار الشافعى إلى ما كان فى زمانه وكانوا يلحنون يسيراً فأما اليوم فقد صيروا ذلك على قانون الأغانى وكلما قرب ذلك من مشابهة الغناء زادت كراهته. فإن أخرج القرآن عن حد وضعه حرم ذلك ومن ذلك أن قوماً من القراء يتسامحون بشئ من الخطايا كالغيبة للنظراء وربما أتوا أكبر من ذلك الذنب واعتقدوا أن حفظ القرآن يرفع عنهم العذاب واحتجوا بقوله عليه الصلاة والسلام : « لو جعل القرآن فى إهاب ما احترق » وذلك من تلبيس إبليس عليهم لأن عذاب من يعلم أكثر من عذاب من لم يعلم إذ زيادة العلم تقوى الحجة وكون القارئ لم يحترم

ما يحفظ ذنب آخر. قال الله عز وجل: ﴿أفمن يعلم أن ما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى﴾. وقال فى أزواج رسول الله ﷺ: ﴿من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين﴾.

وقد أخبرنا أحمد بن أحمد المتوكلى نا أحمد بن على بن ثابت نا أبوالحسن بن رزقويه نا إسماعيل الصفار ثنا زكريا بن يحيى ثنا معروف الكرخى قال قال أبو بكر بن حبيش: إن فى جهنم لوادياً تتعوذ جهنم من ذلك الوادى كل يوم سبع مرات. وإن فى جهنم لجباً يتعوذ الوادى وجهنم من ذلك الجب كل يوم سبع مرات. وإن فى الجب لحية يتعوذ الجب والوادى وجهنم من تلك الحية فى اليوم سبع مرات. يبدأ بفسقة حملة القرآن فيقولون: إى رب يبدأ بنا قبل عبدة الأوثان فقيل لهم: ليس من يعلم كمن لا يعلم. قال المصنف فلنقتصر على هذا الأنموذجة فيما يتعلق بالقراء.

ذكر تلبيس إبليس على أصحاب الحديث

من ذلك أن قوماً استغرقوا أعمارهم فى سماع الحديث والرحلة فيه وجمع الطرق الكثيرة وطلب الأسانيد العالية والمتون الغربية وهؤلاء على قسمين قسم قصدوا حفظ الشرع بمعرفة صحيح الحديث من سقيمه وهم مشكورون على هذا القصد إلا أن إبليس يلبس عليهم بأن يشغلهم بهذا عما هو فرض عين من معرفة ما يجب عليهم والاجتهاد فى أداء اللازم والتفقه فى الحديث.

فإن قال قائل: فقد فعل هذا خلق كثير من السلف كيحيى بن معين وابن المدينى والبخارى ومسلم فالجواب أن أولئك جمعوا بين معرفة المهم من أمور الدين والفقه فيه وبين ما طلبوا من الحديث وأعانهم على ذلك قصر الإسناد وقلة الحديث فاتسع زمانهم للأمرين فأما فى هذا الزمان فإن طرق الحديث طالت والتصانيف فيه اتسعت وما فى هذا الكتاب فى تلك الكتب وإنما الطرق تختلف فقل أن يمكن أحداً أن يجمع بين الأمرين فترى المحدث يكتب ويسمع خمسين سنة ويجمع الكتب ولا يدرى ما فيها ولو وقعت له حادثة فى صلاته لافتقر إلى بعض أحداث المتفقهة الذين

يترددون إليه لسماع الحديث منه وبهؤلاء تمكن الطاعنون على المحدثين فقالوا: زوامل أسفار لا يدرون ما معهم. فإن أفلح أحدهم ونظر فى حديثه فربما عمل بحديث منسوخ وربما فهم من الحديث ما يفهم العامى الجاهل وعمل بذلك وليس بالمراد من الحديث كما روينا أن بعض المحدثين روى عن رسول الله ﷺ أنه نهى أن يسقى الرجل ماءه زرع غيره. فقال جماعة ممن حضر: قد كنا إذا فضل عنا ماء فى بساتيننا سرحناه إلى جيراننا ونحن نستغفر الله. فما فهم القارئ ولا السامع ولا شعروا أن المراد وطء الحبالى من السبايا. قال الخطابى: وكان بعض مشايخنا يروى الحديث أن النبى ﷺ نهى عن الحلق قبل الصلاة يوم الجمعة. بإسكان اللام، قال وأخبرنى: أنه بقى أربعين سنة لا يحلق رأسه قبل الصلاة قال فقلت إنما هو الحلق جمع حلقة وإنما كره الاجتماع قبل الصلاة للعلم والمذاكرة وأمر أن يشتغل بالصلاة وينصت للخطبة. فقال قد فرجت على وكان من الصالحين. وقد كان ابن صاعد كبير القدر فى المحدثين لكنه لما قلت مخالطته للفقهاء كان لا يفهم جواب فتوى حتى أنه قد أخبرنا أبو منصور البزار أبو بكر أحمد بن على بن ثابت قال سمعت البرقانى يقول قال أبو بكر الأبهرى الفقيه قال: كنت عند يحيى بن محمد ابن صاعد فجاءته امرأته فقالت: أيها الشيخ ما تقول فى بئر سقطت فيه دجاجة فماتت فهل الماء طاهر أو نجس. فقال يحيى ويحك. كيف سقطت الدجاجة إلى البئر. قال الأبهرى فقلت يا هذه إن كان الماء تغير فهو نجس وإلا فهو طاهر.

قال المصنف: وكان ابن شاهين قد صنف فى الحديث مصنفات كثيرة أقلها جزء وأكثرها التفسير وهو ألف جزء وما كان يعرف من الفقه شيئاً وقد كان فيهم من يقدم على الفتوى بالخطأ لئلا يرى بعين الجهل فكان فيهم من يصير بما يفتى به ضحكة فسأل بعضهم عن مسألة من الفرائض فكتب فى الفتوى تقسم على فرائض الله سبحانه وتعالى.

وأنبأنا محمد بن أبى منصور نا أحمد بن الحسين بن حبرون نا أحمد بن محمد العتيقى نا أبو عمر بن حياة نا سليمان بن إسحاق الحلاب ثنا إبراهيم الحربى قال بلغنى أن امرأة جاءت إلى على بن داود وهو يحدث

وبين يديه مقدار آلف نمس فقالت له: حلفت بصدقة إزارى فقال لها بكم اشتريتيه ؟ قالت: بـاثنين وعشـرين درهمـاً قال اذهبى فـصومى اثـنين وعشريـن يوماً فلما مـرت جعل يقول: آه آه غـلطنا والله أمرناها بـكفارة الظهار .

قال المصنف: قلت فـانظروا إلى هاتيـن الفضيـحتين فـضيحـة الجهل وفضيحة الإقدام على الفتوى بمثل هذا التخليط. واعلم أن عموم المحدثين حملوا ظـاهر ما تعلق من صفـات البارى سبحـانه وتعالى على مقـتضى الحس فشبهوا لأنهم لم يخالطوا الفقهاء فيعرفوا حمل المتشابه على مقتضى الحكم وقد رأينا فى زماننا من يجمع الكـتب منهم ويكثر السماع ولا يفهم ما حصل. ومنهـم من لا يحفظ القرآن ولا يعرف أركان الصـلاة فتشاغل هؤلاء على زعـمهم بفروض الـكفاية عن فـروض الأعيان وإيثار مـا ليس بمهم على المهم من تلبيس إبليس .

القسم الثانى: قوم أكثروا سماع الحديث ولم يكـن مقصودهم صحيحاً ولا أرادوا معرفة الصحيح من غيره بجمع الطرق وإنما كان مرادهم العوالى والغرائب فطـافوا البلدان ليقول أحـدهم لقيت فلاناً ولى من الأسـانيد ما ليس لغيرى وعـندى أحاديث ليست عند غيرى. وقـد كان دخل إلينا إلى بغداد بعض طلبة الحديث وكان يأخذ الشيخ فيقعده فى الرقة وهى البستان الذى على شـاطئ دجلة فيقـرأ عليه ويقول فى مـجموعاته حـدثنى فلان وفلان بالرقة ويوهم الناس أنها البلدة التى بناحية الشام ليظنوا أنه قد تعب فى الأسفار لـطلب الحديث. وكان يقعـد الشيخ بين نهر عيـسى والفرات ويقول حـدثنى فلان من وراء الـنهر يوهم أن قد عـبر خراسـان فى طلب الحديث. وكان يقول حـدثنى فلان فى رحلتى الثانية والثالـثة ليعلم الناس قدر تعبه فى طلب الحديث فما بورك له ومات فى زمان الطلب.

قال المصنف: وهذا كله من الإخلاص بمعزل وإنما مـقصودهم الرياسة والمباهاة ولذلك يتبـعون شاذ الحديث وغريبه وربما ظفر أحـدهم بجزء فيه سماع أخـيه المسلم فأخـفاه ليتفـرد هو بالرواية وقد يمـوت هو ولا يرويه فيفـوت الشخصين وربما رحـل أحدهم إلى شيخ أول اسمـه قاف أو كاف

ليكتب ذلك فى مشيخته فحسب .

ومن تلبيس إبليس على أصحاب الحديث قدح بعضهم فى بعض طلباً للتشفى ويخرجون ذلك مخرج الجرح والتعديل الذى استعمله قدماء هذه الأمة للذب عن الشرع والله أعلم بالمقاصد ودليل مقصد خبث هؤلاء سكوتهم عمن أخذوا عنه وما كان القدماء هكذا فقد كان على بن المدينى يحدث عن أبيه وكان ضعيفاً ثم يقول وفى حديث الشيخ ما فيه. أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامرى نا أبو سعيد بن أبى صادق أبو عبد الله باكويه ثنا بكر أن ابن أحمد الجيلى قال سمعت يوسف بن الحسين يقول: سألت حارساً المحاسبى عن الغيبة فقال احذرها فإنها شر مكتسب وما ظنك بشئ يسلبك حسناتك فيرضى به خصماءك ومن تبغضه فى الدنيا كيف ترضى به خصمك يوم القيامة يأخذ من حسناتك أو تأخذ من سيئاته إذ ليس هناك درهم ولا دينار فاحذرها وتعرف منبعها فإن منبع غيبة الهمج والجهال من إشفاء الغيظ والحمية والحسد وسوء الظن وتلك مكشوفة غير خفية وأما غيبة العلماء فمنبعها من خدعة النفس على إبداء النصيحة وتأويل مالا يصح من الخبر ولو صح ما كان عوناً على الغيبة وهو قوله أترغبون عن ذكره اذكروه بما فيه ليحذره الناس(١) ولو كان الخبر محفوظاً صحيحاً لم يكن فيه إبداء شناعة على أخيك المسلم من غير أن تسأل عنه وإنما إذا جاءك مسترشد فقال أريد أن أزوج كريمتى من فلان فعرفت منه بدعة أو إنه غير مأمون على حرم المسلمين صرفته عنه بأحسن صرف أو يجيئك رجل آخر فيقول لك أريد أو أودع مالى فلاناً وليس ذلك الرجل موضعاً للأمانة فتصرفه عنه بأحسن الوجوه أو يقول لك رجل أريد أن أصلى خلف فلان أو أجعله إمامى فى علم فتصرفه عنه بأحسن الوجوه ولا تشف غيظك من غيبته .

وأما مبع القراء والنساك فمن طريق التعجب يبدى عوار الأخ ثم يتصنع بالدعاء فى ظهر الغيب فيتمكن من لحم أخيه المسلم ثم يتزين بالدعاء له وأما منبع الغيبة من الرؤساء والأساتذة فمن طريق إبداء الرحمة والشفقة حتى يقول مسكين فلان ابتى بكذا وامتحن بكذا نعوذ بالله من الخذلان

فيتصنع بإبداء الرحمة والشفقة على أخيه. ثم يتصنع بالدعاء له عند إخوانه ويقول إنما أبديت لكم ذاك لتكثروا دعاءكم له ونعوذ بالله من الغيبة تعريضاً أو تصريحاً فاتق الغيبة فقد نطق القرآن بكراهتها فقال عز وجل: ﴿**أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه**﴾. وقد روى عن النبي ﷺ فى ذلك أخبار كثيرة .

ومن تلبيس إبليس على علماء المحدثين رواية الحديث الموضوع من غير أن يبينوا أنه موضوع وهذه جناية منهم على الشرع ومقصودهم ترويج أحاديثهم وكثرة رواياتهم وقد قال النبي ﷺ : « من روى عنى حديثاً يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين». ومن هذا الفن تدليسهم فى الرواية فتارة يقول أحدهم فلان عن فلان أو قال فلان عن فلان يوهم أنه سمع منه المنقطع ولم يسمع وهذا قبيح لأنه يجعل المنقطع فى مرتبة المتصل ومنهم من يروى عن الضعيف والكذاب فينفى اسمه فربما سماه بغير اسمه وربما كناه وربما نسبه إلى جده لئلا يعرف وهذه جناية على الشرع لأنه يثبت حكماً بما لا يثبت به فأما إذا كان المروى عنه ثقة فنسبه إلى جده أو اقتصر على كنيته لئلا يرى أنه قد ردد الرواية عنه أو يكون المروى عنه فى مرتبة الراوى فيستحى الراوى من ذكره فهذا على الكراهة والبعد من الصواب قريب بشرط أن يكون المروى عنه ثقة والله أعلم .

ذكر تلبيس إبليس على الفقهاء

قال المصنف: كان الفقهاء فى قديم الزمان هم أهل القرآن والحديث فما زال الأمر يتناقص حتى قال المتأخرون يكفينا أن نعرف آيات الأحكام من القرآن وأن نعتمد على الكتب المشهورة فى الحديث كسنن أبى داود ونحوها ثم استهانوا بهذا الأمر أيضاً وصار أحدهم يحتج بآية لا يعرف معناها وبحديث لا يدرى أصحيح هو أم لا وربما اعتمد على قياس يعارضه حديث صحيح ولا يعلم لقلة التفاته إلى معرفة النقل وإنما الفقه استخراج من الكتاب والسنة فكيف يستخرج من شئ لا يعرفه ومن القبيح تعليق حكم على حديث لا يدرى أصحيح هو أم لا ولقد كانت معرفة هذا تصعب ويحتاج الإنسان إلى السفر الطويل والتعب الكثير حتى تعرف كثير

فصنفت الكتب وتقررت السنن وعرف الصحيح من السقيم ولكن غلب على المتأخرين الكسل بالمرة عن أن يطالعوا علم الحديث حتى إنى رأيت بعض الأكابر من الفقهاء يقول فى تصنيفه عن ألفاظ فى الصحاح لا يجوز أن يكون رسول الله ﷺ قال هذا ورأيته يحتج فى مسألة فيقول دليلنا ما روى بعضهم أن رسول الله قال كذا ويجعل الجواب عن حديث صحيح قد احتج به خصمه أن يقول هذا الحديث لا يعرف وهذا كله جناية على الإسلام .

ومن تلبيس إبليس على الفقهاء. أن جل اعتمادهم على تحصيل علم الجدل يطلبون بزعمهم تصحيح الدليل على الحكم والاستنباط لدقائق الشرع وعلل المذاهب لو صحت هذه الدعوى منهم لتشاغلوا بجميع المسائل وإنما يتشاغلون بالمسائل الكبار ليتسع فيها الكلام فيتقدم المناظر بذلك عند الناس فى خصام النظر فهمٌ أحدهم بترتيب المجادلة والتفتيش على المناقضات طلباً للمفاخرات والمباهة وربما لم يعرف الحكم فى مسألة صغيرة تعم بها البلوى .

ذكر تلبيسه عليهم بإدخالهم فى الجدل كلام الفلاسفة واعتمادهم على تلك الأوضاع

ومن ذلك إيثارهم للقياس على الحديث المستدل به فى المسألة ليتسع لهم المجال فى النظر. وإن استدل أحد منهم بالحديث هجن ومن الأدب تقديم الاستدلال بالحديث. ومن ذلك أنهم جعلوا النظر جل اشتغالهم ولم يمزجوه بما يرقق القلوب من قراءة القرآن وسماع الحديث وسيرة الرسول ﷺ وأصحابه. ومعلوم أن القلوب لا تخشع بتكرار إزالة النجاسة والماء المتغير، وهى محتاجة إلى التذكار والمواعظ لتنهض لطلب الآخرة، ومسائل الخلاف وإن كانت من علم الشرع إلا أنها لا تنهض بكل المطلوب. ومن لم يطلع على أسرار سير السلف وحال الذى تمذهب له لم يمكنهم سلوك طريقهم. وينبغى أن يعلم أن الطبع لص فإذا ترك مع أهل هذا الزمان سرق من طبائعهم فصار مثلهم. فإذا نظر فى سير القدماء زاحمهم وتأدب بأخلاقهم وقد كان بعض السلف يقول حديث يرق له

قلبى أحب إلىّ من مائة قضية من قضايا شريح. وإنما قال هذا لأن رقة القلب مقصوده ولها أسباب. ومن ذلك أنهم اقتصروا على المناظرة وأعرضوا عن حفظ المذهب وباقى علوم الشرع فترى الفقيه المفتى يسأل عن آية أو حديث فلا يدرى. وهذا غبن فأين الأنفة من التقصير. ومن ذلك أن المجادلة إنما وضعت ليستبين الصواب. وقد كان مقصود السلف المناصحة بإظهار الحق، وقد كانوا ينتقلون من دليل إلى دليل وإذا خفى على أحدهم شئ نبهه الآخر لأن المقصود كان إظهار الحق فصار هؤلاء إذا قاس الفقيه على أصل بعلة يظنها. فقيل له ما الدليل على أن الحكم فى الأصل معلل بهذه العلة فقال هذا الذى يظهر لى فإن ظهر لكم ما هو أولى من ذلك فاذكروه فإن المعترض لا يلزمنى ذكر ذلك. ولقد صدق فى أنه لا يلزمه ولكن فيما ابتدع من الجدل. بل فى باب النصح وإظهار الحق يلزمه ومن ذلك أن أحدهم يتبين له الصواب مع خصمه ولا يرجع ويضيق صدره كيف ظهر الحق مع خصمه. وربما اجتهد فى رده مع علمه أنه الحق. وهذا من أقبح القبيح لأن المناظرة إنما وضعت لبيان الحق، وقد قال الشافعى رحمة الله عليه ما ناظرت أحداً فأنكر الحجة إلا سقط من عينى. ولا قبلها إلا هبته، وما ناظرت أحداً فباليت مع من كانت الحجة إن كانت معه صرت إليه. ومن ذلك طلبهم للرياسة بالمناظرة تثير الكامن فى النفس من حب الرياسة فإذا رأى أحدهم فى كلامه ضعفاً يوجب قهر خصمه له خرج إلى المكابرة فإن رأى خصمه قد استطال عليه بلفظ أخذته حمية الكبر فقابل ذلك بالسب فصارت المجادلة مخاذلة ومن ذلك ترخصهم فى العيبة بحجة الحكاية عن المناظرة فيقول أحدهم. تكلمت مع فلان فما قال شيئاً، ويتكلم بما يوجب التشفى من غرض خصمه بتلك الحجة ومن ذلك أن إبليس لبس عليهم بأن الفقه وحده علم الشرع ليس ثم غيره فإن ذكر لهم محدث قالوا ذاك لا يفهم شيئاً وينسون أن الحديث هو الأصل فإن ذكر لهم كلام يلين به القلب قالوا هذا كلام الوعاظ ومن ذلك إقدامهم على الفتوى وما بلغوا مرتبتها وربما أفتوا بواقعاتهم المخالفة للنصوص ولو توقفوا فى المشكلات كان أولى.

فقد أخبرنا إسماعيل بن أحمد السمرقندى نا محمد بن هبة الله الطبرى ثنا محمد بن الحسين بن الفضل نا عبد الله بن جعفر بن دستورية ثنا يعقوب بن سفيان ثنا الحميدى ثنا سفياثنا عطاء بن السائب عن عبدالرحمن بن أبى ليلى. قال: أدركت مائة وعشرين من أصحاب رسول الله ﷺ يسأل أحدهم عن المسألة فيردها هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى ترجع الأول. قال يعقوب وثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن عطاء بن السائب قال سمعت عبد الرحمن بن أبى ليلى أيضاً. يقول أدركت فى هذا المسجد عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ ما منهم من يحدث حديثاً إلا ود أن أخاه كفاه الحديث ولا يسأل عن فتيا إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا.

قال المصنف: وقد روينا عن إبراهيم النخعى أن رجلاً سأله عن مسألة فقال: ما وجدت من تسأله غيرى. وعن مالك بن أنس رضى الله عنه قال: ما أفتيت حتى سألت سبعين شيخاً هل ترون لى أن أفتى. فقالوا: نعم، فقيل له فلو نهوك قال لو نهونى انتهيت. وقال رجل لاحمد ابن حنبل: إنى حلفت ولا أدرى كيف حلفت قال ليتك إذ دريت كيف حلفت دريت أنا كيف أفتيك .

قال المصنف: وإنما كانت هذه سجية السلف لخشيتهم الله عز وجل وخوفهم منه ومن نظر فى سيرتهم تأدب .

ومن تلبيس إبليس على الفقهاء. مخالطتهم الأمراء والسلاطين ومداهنتهم وترك الإنكار عليهم مع القدرة على ذلك. وربما رخصوا لهم فيما لا رخصة لهم فيه لينالوا من دنياهم عرضاً فيقع بذلك الفساد لثلاثة أوجه. الأول الأمير يقول لولا أنى على صواب لأنكر على الفقيه وكيف لا أكون مصيباً وهو يأكل من مالى، والثانى العامى أنه يقول لا بأس بهذا الأمير ولا بماله ولا بأفعاله فإن فلاناً الفقيه لا يبرح عنده، والثالث الفقيه فإنه يفسد دينه بذلك .

وقد لبس إبليس عليهم فى الدخول على السلطان فيقول إنما ندخل لنشفع فى مسلم وينكشف هذا التلبيس بأنه لو دخل غيره يشفع لما أعجبه

ذلك وربما قدح فى ذلك الشخص لتفرده بالسلطان. ومن تلبيس إبليس عليه فى أخذ أموالهم فيقول لك فيها حق. ومعلوم أنها إن كانت من حرام لم يحل له منها شئ وإن كانت من شبهة فتركها أولى وإن كانت من مباح جاز له الأخذ بمقدار مكانه من الدين لا على وجه اتفاقه فى إقامة الرعونة وربما اقتدى العوام بظاهر فعله واستباحوا ما لا يستباح .

وقد لبس إبليس على قوم من العلماء. ينقطعون على السلطان إقبالاً على التعبد والدين فيزين لهم غيبة من يدخل على السلطان من العلماء فيجمع لهم آفتين غيبة الناس ومدح النفس. وفى الجملة فالدخول على السلاطين خطر عظيم لأن النية قد تحسن فى أول الدخول ثم تتغير بإكرامهم وإنعامهم أو بالطمع فيهم ولا يتماسك عن مداهنتهم وترك الإنكار عليهم، وقد كان سفيان الثورى رضى الله عنه يقول: ما أخاف من إهانتهم لى إنما أخاف من إكرامهم فيميل قلبى إليهم. وقد كان علماء السلف يبعدون عن الأمراء لما يظهر من جورهم فتطلبهم الأمراء لحاجتهم إليهم فى الفتاوى والولايات فنشأ أقوام قويت رغبتهم فى الدنيا فتعلموا العلوم التى تصلح للأمراء وحملوها إليهم ينالوا من دنياهم. ،ويدلك على أنهم قصدوا بالعلوم الأمراء أن الأمراء كانوا قديماً يميلون إلى سماع الحجج فى الأصول فأظهر الناس علم الكلام. ثم مال بعض الأمراء إلى المناظرة فى الفقه فمال الناس إلى الجدل. ثم بعض الأمراء إلى المواعظ فمال خلق كثير من المتعلمين إليها ولما كان جمهور العوام يميلون إلى القصص كثر القصاص وقل الفقهاء .

ومن تلبيس إبليس على الفقهاء: أن أحدهم يأكل من وقف المدرسة المبنية على المتشاغلين بالعلم فيمكث فيها ستين ولا يتشاغل ويقنع بما عرف أو ينتهى فى العلم فلا يبقى له فى الوقف حظ لأنه إنما جعل لمن يتعلم إلا أن يكون ذلك الشخص معيداً أو مدرساً فإن شغله دائم، ومن ذلك ما يحكى عن بعض الأحداث المتفقهة من الانبساط فى المنهيات فبعضهم لبس الحرير ويتحلى بالذهب ويحال عليى المكث فيأخذه إلى غير ذلك من المعاصى. وسبب انبساط هؤلاء مختلف، فمنهم من يكون فاسد

العقـيدة في أصل الدين وهو يتـفقه ليستـر نفسه أو ليأخـذ من الوقف أو ليرأس أو ليـناظر. ومنهم من عقـيدته صحيـحة لكن يغلبـه الهوى وحب الشهوات وليس عنده صارف عن ذلك لأن نفس الجدل والمناظرة تحرك إلى الكبر والعـجبى وإنما يتقوم الإنسان بالـرياضة ومطالعة سير الـسلف وأكثر القوم فـي بعد عن هذا ولـيس عندهم إلا مـا يعين الطـبع على شمـوخه فحيـنئذ يسرح الهـوى بلا زاد. ومنهم من يلبـس عليه إبليس بـأنك عالم وفقيـه ومفت العلم يـدفع عن أربابه وهيهـات فإن العلم أولى أن يـحاجه ويضاعف عذابه كما ذكرنا في حق القراء، وقد قال الحسن البصرى : إنما الفقيه من يخشى الله عز وجل. قال ابن عقيل: رأيت فقيهاً خراسانياً عليه حريـر وخواتم ذهب فـقلت له: مـا هذا: فقـال :خلع الـسلطان وكـمد الأعداء فقـلت له بل هو شماتة الأعـداء بك أن كنت مسلمـاً لأن إبليس عدوك وإذا بلغ منك مبلـغك ألبسك ما يسخط الشرع فقد أشـمته بنفسك وهل خلع السلطان سائغة لنهى الرحـمن يا مسكين. خلع عليك السلطان فانخلعت به من الإيمان وقد كان ينبغى أن يخلع بك السلطان لباس الفسق ويلبسك لباس التقوى رماكم الله بخزيه حيث هونتم أمره هكذا ليتك قلت هذه رعـونات الطبـع الآن تمت محـنتك لأن عـدوانك دليل عـلى فسـاد باطنك.

ومن تلبيسه عليهم. أن يحـسن له ازدراء الوعاظ ويمنعهم من الحضور عندهم فيقولون من هؤلاء. هؤلاء قـصاص ومراد الشيطان أن لا يحضروا في موضع يلين فـيه القلب ويخشع. والقصاص لا يـذمون من حيث هذا الاسم لأن الله عز وجل قال: ﴿ **نحن نقص عليك أحسن القصص** ﴾. وقال: ﴿ **فاقـصص القـصص** ﴾. وإنما ذم القـصاص لأن الغالـب منهم الاتساع بذكر القصص دون ذكر العلم المفيـد ثم غالبهم يخلط فيما يورده. وربما اعتـمد على ما أكثـره محال فأمـا إذا كان القصص صـدقاً ويوجب وعظاً فهـو ممدوح وقد كان أحمـد بن حنبل يقول: ما أحـوج الناس إلى قاص صدوق .

ذكر تلبيسه على الوعاظ والقصاص

قال المصنف: كان الوعاظ فى قديم الزمان علماء فقهاء. وقد حضر مجلس عبيد بن عمير عبد الله بن عمر رضى الله عنه. وكان عمر بن عبدالعزيز يحضر مجلس القاص. ثم خست هذه الصناعة فتعرض لها الجهال فبعد عن الحضور وعندهم المميزون من الناس وتعلق بهم العوام والنساء فلم يتشاغلوا بالعلم وأقبلوا على القصص وما يعجب الجهلة وتنوعت البدع فى هذا الفن

وقد ذكرنا آفاتهم فى كتاب القصاص والمذكرين. إلا أنا نذكر هنا جملة فمن ذلك: أن قوماً منهم كانوا يضعون أحاديث الترغيب والترهيب ولبس عليه إبليس بأننا نقصد حث الناس على الخير وكفهم عن الشر وهذا افتيات منهم على الشريعة لأنها عندهم على هذا الفعل ناقصة تحتاج إلى تتمة ثم نسوا قوله ﷺ : « من كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار». ومن ذلك أنهم تلمحوا ما يزعج النفوس ويطرب القلوب فنوعوا فيه الكلام فتراهم ينشدون الأشعار الرائقة الغزلية فى العشق. ولبس عليهم إبليس بأننا نقصد الإشارة إلى محبة الله عز وجل ومعلوم أن عامة من يحضرهم العوام الذين بواطنهم مشحونة بحب الهوى فيضل القاص ويضل، ومن ذلك من يظهر من التواجد والتخاشع زيادة على ما فى قلبه وكثرة الجمع توجب زيادة تعمل فتمسح النفس بفضل بكاء وخشوع فمن كان منهم كاذباً فقد خسر الآخرة. ومن كان صادقاً لم يسلم صدقه من رياء يخالطه. ومنهم من يتحرك الحركات التى يوقع بها على قراءة الألحان والألحان التى قد أخرجوها اليوم مشابهة للغناء فهى إلى التحريم أقرب منها إلى الكراهة والقارئ يطرب والقاص ينشد الغزل مع تصفيق بيديه وإيقاع برجليه فتشبه السكر ويوجب ذلك تحريك الطباع وتهييج النفوس وصياح الرجال والنساء وتمزيق الثياب لما فى النفوس من دفائن الهوى ثم يخرجون فيقولون كان المجلس طيباً ويشيرون بالطيبة إلى ما لا يجوز. ومنهم من يجرى فى مثل تلك الحالة التى شرحناها لكنه ينشد أشعار النوح على الموتى ويصف ما يجرى لهم من البلاء ويذكر الغربة

ومن مات غريباً فيبكى بها النساء ويصير المكان كالمأتم وإنما ينبغى أن يذكر الصبر على فقد الأحباب لا مـايوجب الجزع. ومنهم من يتكلم فى دقائق الزهد ومحبة الحق سبحانه فلبس عليهم إبليس. إنك من جملة الموصوفين بذلك لأنك لم تقدر على الوصف حتى عرفت ماتصف وسلكت الطريق. وكشـف هذا التلبـيس أن الوصف علم والـسلوك غيـر العلم. ومنـهم من يتكلـم بالطامات والشـطح الخارج عن الشرع ويـستشهـد بأشعار الـعشق وغرضه أن يكثر فى مجلسه الصـياح ولو على كلام فاسد. وكم منهم من يزوق عبارة لا معنى تحـتها وأكثر كلامهم اليوم فى مـوسى والجبل وزليخاً ويوسف ولا يكادون يذكـرون الفرائض ولا ينهون عن ذنب فـمتى يرجع صاحب الـزنا مستـعمل الربا وتـعرف المرأة حق زوجهـا وتحفظ صـلاتها هيهات هؤلاء تركـوا الشرع وراء ظهورهم ولهذا نفـقت سلعهم لأن الحق ثقيل والبـاطل خفيف. ومنهم من يـحث على الزهد وقيام الليـل ولا يبين للعامة المقصود فربما تاب الرجل منهم وانقطع إلى زاوية أو خرج إلى جبل فبقيت عائـلته لا شئ لهم. ومنهم من يتكلم فى الرجـاء والطمع من غير أن يمزج ذلك بما يوجـب الخوف والحذر فيزيد الناس جـرأة على المعاصى ثم يقـوى ما ذكر بميله إلـى الدنيا من المراكـب الفارهة والملابس الفـاخرة فيفسد القلوب بقوله وفعله .

فصل

وقد يكون الوعظ صادقاً قاصداً للنصيحة إلا أن منهم من شرب الرئاسة فى قلبه مع الزمان فيجب أن يعظـم وعلامته أنه إذا ظهر واعظ ينوب عنه أو يعـينه على الخلـق كره ذلك ولو صح قـصده لم يـكره أن يعينـه على خلائق الخلق .

فصل

ومن القصاص من يخلط فى مجلسه الرجال والنساء وترى النساء يكثرن الصياح وجداً على زعمهن فلا ينكر دلك عليهن جمعاً للقلوب عليه ولقد ظهر فى زماننا هذا من القصاص مـا لا يدخل فى التلبيس لأنه أمر صريح من كونهم جعلوا الـقصص معاشاً يستمنحون بـه الأمراء والظلمة والأخذ

من أصحاب المكوس والتكسب به فى البلدان، وفيهم من يحضر المقابر فيذكر البلى وفراق الأحبة فيبكى النسوة ولا يحث الصبر .

فصل

وقد يلبس إبليس على الواعظ المحقق فيقول له: مثلك لا يعظ وإنما يعظ متيقظ فيحمله على السكوت والانقطاع وذلك من دسائس إبليس لأنه يمنع فعل الخير ويقول إنك تلتذ بما تورده وتجد لذلك راحة. فربما دخل الرياء فى قولك وطريق الوحدة أسلم. ومقصوده بذلك سد باب الخير. وعن ثابت قال: كان الحسن فى مجلس فقيل للعلاء تكلم فقال أوهناك أنا ثم ذكر الكلام ومؤنته وتبعته. قال ثابت فأعجبنى. قال ثم تكلم الحسن واننا هناك يود الشيطان أنكم أخذتموها عنه فلم يأمر أحداً بخير ولم ينهه عن شر .

ذكر تلبيسه على أهل اللغة والأدب

قال المصنف: قد لبس على جمهورهم فشغلهم بعلوم النحو واللغة من المهمات اللازمة التى هى فرض عين عن معرفة ما يلزمهم عرفانه من العبادات وما هو أولى بهم من آداب النفوس وصلاح القلوب. وبما هو أفضل من علوم التفسير والحديث والفقه. فأذهبوا الزمان كله فى علوم لا تراد لنفسها بل لغيرها فإن الإنسان إذا فهم الكلمة فينبغى أن يترقى إلى العمل بها إذ هى مرادة لغيرها. فترى الإنسان منهم لا يكاد يعرف من آداب الشريعة إلا القليل ولا من الفقه ولا يلتفت إلى تزكية نفسه وصلاح قلبه. ومع هذا ففيهم كبر عظيم وقد خيل لهم إبليس أنهم من علماء الإسلام لأن النحو واللغة من علوم الإسلام وبها يعرف معنى القرآن العزيز. ولعمرى إن هذا لا يكر ولكن معرفة ما يلزم من النحو لإصلاح اللسان وما يحتاج إليه من اللغة فى تفسير القرآن والحديث أمر قريب وهو أمر لازم وما عدا ذلك فضل لا يحتاج إليه وإنفاق الزمان فى تحصيل هذا الفاضل وليس بمهم مع ترك المهم غلط وإيثاره على ما هو أنفع وأعلى رتبة كالفقه والحديث غبن. ولو اتسع العمر لمعرفة الكل كان حسناً ولكن العمر قصير فينبغى إيثار الأهم والأفضل .

فصل

ومما ظنوه صواباً وهو خطأ ما أخبرنا به أبو الحسين بن فارس قال: قيل لفقيه العرب هل يجب على الرجل إذا أشهد الوضوء ؟ قال: نعم. قال والإشهاد أن يمذى الرجل .

قال المصنف. وذكر من هذا الجنس مسائل كثيرة وهذا غاية فى الخطأ لأنه متى كان الإسم مشتركاً بين مسميين كان إطلاق الفتوى على أحدهما دون الآخر خطأ مثاله أن يقول: المستفتى. ما تقول فى وطء الرجل زوجته فى قرئها. فإن القرء يقع عند اللغويين على الأطهار وعلى الحيض. فيقول الفقيه: يجوز إشارة إلى الطهر أو لا يجوز إشارة إلى الحيض خطأ. وكذلك لو قال السائل: هل يجوز للصائم أن يأكل بعد طلوع الفجر. لم يجز إطلاق الجواب .فما ذكره فقيه العرب هو خطأ من وجهين أحدهما أنه لم يستفصل فى المحتملات والثانى أنه صرف الفتوى إلى أبعد المحتملات وترك الأظهر. وقد استحسنوا هذا وقلة الفقه أوجبت هذا الزلل.

فصل

ولما كان عموم اشتغالهم بأشعار الجاهلية ولم يجد الطبع صاداً عما وضع عليه من مطالعة الأحاديث ومعرفة سير السلف الصالح سالت بهم لطباع إلى هوة الهوى فانبث شرع البطالة يعبث فقل أن ترى منهم متشاغلاً بالتقوى أوناظراً فى مطعم فإن النحو يغلب طلبه على السلاطين فيأكل النحاة من أموالهم الحرام كما كان أبو على الفارسى فى ظل عضد الدولة وغيره. وقد يظنون الشئ وهو غير جائز لقلة فقههم كما جرى للزجاج أبى إسحاق إبراهيم بن السرى. قال: كنت أؤدب القاسم بن عبد الله فأقول له: إن بلغت إلى مبلغ أبيك ووليت الوزارة ماذا تصنع بى ؟ فيقول: ما أحببت. فأقول له: أن تعطينى عشرين ألف دينار. وكانت غاية أمنيتى فما مضت إلا سنون حتى ولى القاسم الوزارة وأنا على ملازمتى له، وقد صرت نديمه فدعتنى نفسى إلى إذكاره بالوعد ثم هبته. فلما كان فى اليوم الثالث من وزارته قال لى: يا أبا إسحاق لم أرك أذكرتنى بالنذر.

فقلت عولت على رعاية الوزير أيده الله وأنه لا يحتاج إلى إذكار لنذر عليه فى أمر خادم واجب الحق. فقال لى: إنه المعتضد. ولولاه ما تعاظمنى دفع دلك إليك فى مكان واحد ولكن أخاف أن يصير لى معه حديث فاسمح بأخذه متفرقاً. فقلت افعل. فقال: اجلس للناس وخذ رقاعهم فى الحوائج الكبار واستجعل عليها ولا تمتنع من مسائلتى شيئاً تخاطب فيه صحيحاً كان أو محالاً إلى أن يحصل لك مال النذر ففعلت ذلك وكنت أعرض عليه كل يوم رقاعاً فيوقع فيها وربما قال لى كم ضمن لك على هذا ؟ فأقول كذا وكذا. فيقول غبنت هذا يساوى كذا وكذا فاستزد فاراجع القوم ولا أزال أماكسهم ويزيدوننى حتى أبلغ الحد الذى رسمه. قال: فعرضت عليه شيئاً عظيماً فحصل عندى عشرون ألف دينار وأكثر منها فى مدة مديدة. فقال لى بعد شهور: يا أبا إسحاق حصل مال النذر. فقلت. لا فسكت وكنت أعرض ثم يسألنى فى كل شهر أو نحوه هل حصل المال فأقول لا خوفاً من انقطاع الكسب إلى أن حصل عندى ضعف المال. وسألنى يوماً فاستحييت منه من الكذب المتصل. فقلت: قد حصل ذلك بسعادة الوزير فقال: فرجت والله عنى فقد كنت مشغول القلب إلى أن يحصل ذلك. قال ثم أخذ الدواة ووقع إلى خازنه بثلاثة آلاف دينار صلة فأخذتها وامتنعت أن أعرض عليه شيئاً ولم أدر كيف أقع منه فلما كان من الغد جئته وجلست على رسمى فأومأ إلىّ هات ما معك ليستدعى منى الرقاع على الرسم فقلت ما أخذت من أحد رقعة لأن النذر قد وقع الوفاء به ولم أدر كيف أقع من الوزير فقال: يا سبحان الله أتراني كنت أقطع عنك شيئاً قد صار لك عادة وعلم به الناس وصارت لك به منزلة عندهم وجاه وغدو ورواح إلى بابك ولا يعلم سبب انقطاعه فيظن ذلك لضعف جاهك عندى أو تغير رتبتك أعرض علىّ رسمك وخذ بلا حساب. فقبلت يده وباكرته من غد بالرقاع وكنت أعرض عليه كل يوم شيئاً إلى آن مات وقد تأثلت مالى هذا .

قال المصنف: انظروا ما يصنع قلة الفقه فإن هذا الرجل الكبير القدر فى معرفته النحو واللغة لو علم أن هذا الذى جرى له لم يجز شرعاً ما حكاه

وتبجح به. فإن إيصال الظلامات واجب ولا يجوز أخذ البرطيل عليها ولا على شئ مما نصب الوزير له من أمور الدولة وبهـذا تبين مرتبة الفقه على غيره .

ذكر تلبيس إبليس على الشعراء

قال المصنف: وقد لبس علـيهم فأراهم أنهم من أهـل الأدب وأنهم قد خصوا بفطنة تميزوا بها عن غيرهم. ومن خصكم بهذه الفطنة ربما عفا عن زللكم. فتراهـم يهيمون فى كل واد من الكذب والقـذف والهجاء وهتك الأعراض والإقرار بـالفواحش. وأقل أحوالـهم أن الشاعر يمـدح الإنسان فيخاف أن يهجوه فيعطيه اتقاء شره أو يمدحه بين جماعة فيعطيه حياء من الحاضرين وجميع ذلك من جنس المـصادرة. وترى خلقاً من الشعراء وأهل الأدب لايتحـاشون من لبـس الحرير والكذب فـى المدح خارجاً عـن الحد ويحكـون اجتـماعهـم على الفـسق وشرب الخـمر وغـير ذلك. ويـقول أحدهم: اجتمعت أنا وجماعة من الأدباء ففعلنا كذا وكذا - هيهات هيهات ليس الأدب إلا مع الله عز وجل باسـتعمال التقوى له. ولاقـدر للفطن فى أمور الـدنيا ولا تحـسن العبـارة عند الله إذا لـم يتقـه. وجمهـور الأدباء والشعراء إذا ضاق بهم رزق تسخطوا فكفروا وأخذوا فى لوم الأقدار كقول بعضهم :

لئن سمت همتى فى الفضل عالية ... فإن حظى ببطن الأرض ملتصق
كم يفعل الدهـر بى ما لا أسر به ... وكم يـسـئ زمان جائر حنـق

وقد نسى هؤلاء أن معاصيهم تضيق أرزاقهم فقد رأوا أنفسهم مستحقين للنعم مـستوجبـين للسلامة مـن البلاء ولم يتلمـحوا ما يجب علـيهم من امتثال أوامر الشرع فقد ضلت فطنتهم فى هذه الغفلة .

ذكر تلبيس إبليس على الكاملين من العلماء

قال المصنف: إن أقواماً علت هممهم فـحصلوا علوم الشرع من القرآن والحديث والفقه والأدب وغير ذلك. فأتاهـم إبليس بخفى التبليس فأراهم أنفسهم بعين عظيمة لما نالوا وأفادوا غيرهم. فمنهم من يستفزه لطول عنائه فى الطلب فحسن له اللذات وقال لـه إلى متى هذا التعب فأرح جوارحك

من كلف التكاليف وأفسح لنفسك فى مشتهاها . فإن وقعت فى زلة فالعلم يدفع عنك العقوبة. وأورد عليه فضل العلماء، فإن خذل هذا العبد وقبل هذا التلبيس يهلك وإن وفق فينبغى له أن يقول: جوابك من ثلاثة أوجه، أحدها إنه إنما فضل العلماء بالعمل ولولا العمل به ما كان له معنى، وإذا لم أعمل به كنت كمن لم يفهم المقصود به ويصير مثلى كمثل رجل جمع الطعام وأطعم الجياع ولم يأكل فلم ينفعه ذلك من جوعه. والثانى أن يعارضه بما ورد فى ذم من لم يعمل بالعلم لقوله ﷺ : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه». وحكايته ﷺ عن رجل يلقى فى النار فتندلق أقتابه فيقول كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه. وقول أبى الدرداء رضى الله عنه: ويل لمن يعلم مرة وويل لم علم ولم يعمل سبع مرات. والثالث أن يذكر له عقاب من هلك من العلماء دالتاركين للعمل بالعلم كإبليس وبلعام. ويكفى فى ذم العالم إذا لم يعمل قوله تعالى: ﴿ كمثل الحمار يحمل أسفاراً ﴾ .

فصل

وقد لبَّس إبليس على أقوام من المحكمين فى العلم والعمل من جهة أخرى، فحسن لهم الكبر بالعلم، والحسد للنظير، والرياء لطلب الرياسة، فتارة يريهم أن هذا كالحق الواجب لهم، وتارة يقوى حب ذلك عندهم فلا يتركونه مع علمهم بأنه خطأ، وعلاج هذا لمن وفق إدمان النظر فى إثم الكبر والحسد والرياء وإعلام النفس أن العلم لا يدفع شر هذه المكتسبات بل يضاعف عذابها لتضاعف الحجة بها. ومن نظر فى سير السلف من العلماء العاملين استقل نفسه فلم يتكبر، ومن عرف الله لم يراء ومن لاحظ جريان أقداره على مقتضى إرادته لم يحسد .

وقد يدخل إبليس على هؤلاء بشبهة ظريفة فيقول: طلبكم للرفعة ليس بتكبر لأنكم نواب الشرع فإنكم تطلبون أعزاز الدين ودحض أهل البدع وإطلافكم اللسان فى الحساد غضب للشرع إذ الحساد قد ذموا من قام به وما تظنونه رياء فليس برياء لأن من تخاشع منكم وتباكى به الناس كما يقتدون بالطبيب إذا احتمى أكثر من من اقتدائهم بقوله إذا وصف .

وكشف هـذا التلبيس: أنـه لو تكبر مـتكبر على غـيرهم من جنسهم وصعد فـى المجلس فويه أو قل حـاسداً عنه شيـئاً لم يغضب هـذا العالم لذلك كغـضبه لنفـسه وإن كان المذكـور من نواب الشرع فعـلم أنه إنما لم يغضب لـنفسه بل للـعلم. وأما الرياء فـلا عذر فيه لأحـد ولا يصلح أن يجعل طريـقاً لدعاية الناس وقد كـان أيوب السختيانى إذا حـدث بحديث فرق ومسـح وجهه وقال. مـا أشد الزكام، وبعـد هذا فالأعمال بـالنيات والناقد بصير وكم من ساكت عن غيبة المـسلمين إذا اغتيبوا عنده فرح قلبه وهو آثم بذلـك من ثلاثة أوجه. أحـدها الفرح فـإنه حصل بـوجود هذه المعصية من المغتاب. والثانى لسروره بثلب المسلمين. والثالث أنه لا ينكر.

فصل

وقد لبس إبليس على الكاملين فى العـلوم فيسهرون ليلهم ويدأبون فى تصانيف العلوم ويـريهم إبليس أن المقصود نشر الدين ويـكون مقصودهم الباطن انتشار الذكر وعلو الصـيت والرياسة وطلب الرحلة من الآفاق إلى المصنف .

وينكشف هذا التلبييس بأنه لو انتـفخ بمصنفاته الناس من غير تردد إليه أو قرئت على نظيره فى العلم فرح بذلك إن كان مراده نشر العلم وقد قال بعض السلف ما من علم علمته إلا أحبـبت أن يستفيده الناس من غير أن ينسشـب إلىّ ومنهم من يفـرح بكثر الاتباع ويـلبس عليه إبلـيس بأن هذا الفرح لكثرة طلاب العلم وإنما مراده كـثرة الأصحاب واستطارة الذكر ومن ذلك العـجب بكلماتـهم وعلمهم ويـنكشف هذا التـلبيس بأنه لـو انقطع بعضهم إلى غيره ممن هو أعلم منه ثقل ذلك عليه. وما هذه صفة المخلص فى التعليم لأن مثل المخلص مثل الأطباء الذين يداوون المرضى لله سبحانه وتعالى فـإذا شفىٰ بعض المرضى علـى يد طبيب منهم فـرح الآخر وقد ذكرنا آنفاً حديث ابن أبى ليلى ونعيده بإسناد آخر عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال. أدركت عشرين ومائة مـن أصحاب النبى ﷺ من الأنصار ما منهم رجل يسأل عن شئ إلا ود أن أخاه كـفاه ولا يحدث بحديث إلا ود أن أخاه كفاه .

فصل

قال المصنف: وقد يتخلص العلماء الكاملون من تلبيسات إبليس الظاهرة فيأتيهم بخفى من تلبيسه. بأن يقول له: مالقيت مثلك ماأعرفك بمداخلى ومخارجى فأن سكن إلى هذا هلك بالعجب وإن سلم من المسالمة له سلم. وقد قال السرى السقطى: لو أن رجلاً دخل بستاناً فيه من جميع ما خلق الله عز وجل من الأشجار عليها من جميع ما خلق الله تعالى من الأطيار فخاطبه كل طائر بلغته وقال السلام عليك يا ولىّ الله فسكنتْ نفسه إلى ذلك كان فى أيديها أسيراً. والله الهادى لا إله إلا هو .

.....

الباب السابع
فى تلبيس إبليس على الولاة والسلاطين

قال المصنف: قد لبس عليهم إبليس من وجوه كثيرة نذكر أمهاتها. فالوجه **الأول**: أنه يريهم أن الله عز وجل يحبهم ولولا ذلك ما ولاهم سلطانه ولا جعلهم نواباً عنه في عباده، وينكشف هذا التلبيس بأنهم كانوا نواباً عنه فى الحقيقة فليحكموا بشرعه وليتبعوا مراضيه. فحينئذ يحبهم لطاعته، فأما صورة الملك والسلطنة فإنه قد أعطاها خلقاً ممن يبغضه وقد بسط الدنيا لكثير ممن لا ينظر إليه. وسلط جماعة من أولئك على الأولياء و الصالحين فقتلوهم وقهروهم فكان ما أعطاهم عليهم لا لهم. ودخل ذلك فى قوله تعالى: ﴿ **إنما نملى لهم ليزدادوا إثماً** ﴾. **والثانى**: أنه يقول لهم الولاية تفتقر إلى هيبة فيتكبرون عن طلب العلم ومجالسة العلماء فيعملون بآرائهم فيتلفون الدين والمعلوم أن الطبع يسرق من خصال المخالطين فإذا خالطوا مؤثرى الدنيا الجهال بالشرع سرق الطبع من خصالهم مع ما عنده منها ولا يرى ما يقاومها ولا ما يزجره عنها وذلك سبب الهلاك. **والثالث**: أنه يخوفهم الأعداء ويأمرهم بتشديد الحجاب فلا يصل إليهم أهل المظالم. ويتوانى من جعل بصدد رفع المظالم. وقد روى أبو مريم الأسدى عن النبى ﷺ قال: « من ولاه الله شيئاً من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله عز وجل دون حاجته وخلته وفقره ». **والرابع**: أنهم يستعملون من لا يصلح ممن لا علم عنده ولا تقوى. فيجتلب الدعاء عليهم بظلمه الناس. ويطعمهم الحرام بالبيوع الفاسدة ويحد من لا يجب عليه الحد. ويظنون أنهم يتخلصون من الله عز وجل مما جعلوه فى عنق الوالى، هيهات إن العامل على الزكاة إذا وكل الفساق بتفرقتها فخانوا ضمن. **والخامس** أنه يحسن لهم العمل برأيهم فيقطعون من لا يجوز قطعه ويقتلون من لا يحل قتله، ويوهمهم أن هذه سياسة وتحت هذا من المعنى أن الشريعة ناقصة تحتاج إلى إتمام ونحن نتمها بآرائنا .

وهذا من أقبح التلبيس لأن الشريعة سياسة إلهية ومحال أن يقع فى سياسة الإله خلل يحتاج معه إلى سياسة الخلق، قال الله عز وجل: ﴿ ما فرطنا فى الكتاب من شئ﴾. وقال: ﴿ لا معقب لحكمه ﴾. فمدعى السياسة مدعى الخلل فى الشريعة، وهذا يزاحم الكفر. وقد روينا عن عضد الدولة أنه كان يميل إلى جارية فكانت تشغل قلبه فأمر بتغريقها لئلا يشتغل قلبه عن تدبير الملك، وهذا هو الجنون المطبق لأن قتل مسلم بلا جرم لا يحل، اعتقاده أن هذا جائز كفر وإن اعتقده غير جائز لكنه رآه مصلحة فلا مصلحة فيما يخالف الشرع. والسادس أنه يحسن لهم الانبساط فى الأموال ظانين أنها بحكمهم .

وهذا تلبيس يكشفه وجوب الحجر على المفرط فى مال نفسه فكيف بالمستأجر فى حفظ مال غيره. وإنما له من المال بقدر عمله فلا وجه للانبساط. قال ابن عقيل: وقد روى عن حماد الراوية أنه أنشد الوليد بن يزيد أبياتاً فأعطاه خمسين ألفاً وجاريتين، قال وهذا مما يروى على وجه المدح لهم وهو غاية القدح فيهم لأنه تبذير فى بيت مال المسلمين، وقد يزين لبعضهم منع المستحقين وهو نظير التبذير. والسابع أنه يحسن لهم الانبساط فى المعاصى ويلبس عليهم أن حفظكم للسبيل وأمن البلاد بكم يمنع عنكم العقاب. وجواب هذا أن يقال: إنما وليتم لتحفظوا البلاد وتؤمنوا السبل. وهذا واجب عليهم. وما انبسطوا فيه من المعاصى منهى عنه فلا يرفع هذا ذلك. والثامن أنه يلبس على أكثرهم بأنه قد قام بما يجب من جهة أن ظواهر الأحوال مستقيمة. ولو حقق النظر لرأى اختلالاً كثيراً. وقد روينا عن القاسم بن طلحة بن محمد الشاهد. قال: رأيت على بن عيسى الوزير وقد وكل بدور البطيخ رجلاً برزق يطوف على باعة العنب فإذا اشترى أحد سلة عنب خمرى لم يعرض له وإن اشترى سلتين فصاعداً طرح عليها الملح لئلا يتمكن من عملها خمراً. قال: وأدركت السلاطين يمنعون المنجمين من القعود فى الطرق حتى لا يفشوا العمل بالنجوم، وأدركنا الجند ليس فيهم أحد معه غلام أمرد له طرة ولاشعر إلى أن بدئ بحكم العجم. والتاسع أنه يحسن لهم

استجلاب الأموال واستخراجها بالضرب العنيف وأخذ كل ما يملكه الخائن واستحلافه وإنما الطريق إقامة البينة على الخائن. وقد روينا عن عمر بن عبد العزيز أن غلاماً كتب له: أن قوماً خانوا فى مال اللهوولا أقدر على استخلاص مافى أيديهم إلا أن أنالهم بعذاب. فكتب إليه: لإن يلقوا الله بخيانتهم أحب إلىّ من أن ألقاه بدمائهم. والعاشر أنه يحسن لهم التصدق بعد الغصب. يريهم أن هذا يمحو ذلك، ويقول :إن درهماً من الصدقة يمحو إثم عشرة من الغصب. وهذا محال لأن اسم الغصب باق ودرهم الصدقة إن كان من الغصب لم يقبل وإن كانت الصدقة من الحلال لم يدفع أيضاً إثم الغصب لأن إعطاء الفقير لا يمنع تعلق الذمة بحق آخر. والحادى عشر أنه يحسن لهم مع الإصرار على المعاصى زيارة الصالحين وسؤالهم الدعاء ويريهم أن هذا يخفف ذلك الإثم، وهذا خير لا يدفع ذلك الشر، وفى الحديث عن الحسين بن زياد قال سمعت منيعاً يقول: مر تاجر بعشار فحبسوا عليه سفينته فجاء إلى مالك بن دينار فذكر له ذلك، فقام مالك فمشى معه إلى العشار، فلما رأوه قالوا يا أبا يحيى ألا بعثت إلينا فى حاجتك قال: حاجتى أن تخلوا عن سفينة هذا الرجل. قالوا قد فعلنا قال وكان عندهم كوز يجعلون ما يأخذون من الناس من الدراهم فيه، فقالوا: ادع لنا يا أبا يحيى قال: قولوا للكوز يدعو لكم كيف أدعو لكم وألف يدعون عليكم. أترى يستجاب لواحد ولا يستجاب لألف. والثانى عشر: أن من الولاة من يعمل لمن فوقه فيأمره بالظلم فيظلم ويلبس عليهم إبليس بأن الإثم على الأمير لا عليك، وهذا باطل لأنه معين على الظلم وكل معين على المعاصى عاص فإن رسول الله ﷺ لعن فى الخمر عشرة ولعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه ومن هذا الفن أن يجبى المال لمن هو فوقه وقد علم أنه يبذر فيه ويخون فهذا معين على الظلم أيضاً. وفى الحديث بإسناد مرفوع إلى جعفر بن سليمان، قال: سمعت مالك بن دينار يقول: كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة. والله الهادى إلى الصواب.

. . . . .

الباب الثامن

ذكر تلبيس إبليس على العباد في العبادات

قال المصنف. اعلم أن الباب الأعظم الذى يدخل منه إبليس على الناس هو الجهل. فهو يدخل منه على الجهال بأمان. وأما العالم فلا يدخل عليه إلا مسارقة وقد لبس إبليس على كثير من المتعبدين بقلة علمهم لأن جمهورهم يشتغل بالتعبد ولم يحكم العلم. وقد قال الربيع بن خثيم. تفقه ثم اعتزل .

فأول تلبيسه عليهم إيثارهم التعبد على العلم والعلم أفضل من النوافل فأراهم أن المقصود من العلم العمل، وما فهموا من العمل إلا عمل الجوارح وما علموا أن العمل عمل القلب وعمل القلب أفضل من عمل الجوارح، قال مطرف بن عبد الله: فضل العلم خير من فضل العبادة . وقال يوسف بن اسباط: باب من العلم تتعلمه أفضل من سبعين غزاة، وقال المعافى بن عمران: كتابة حديث واحد أحب إلىّ من صلاة ليلة.

قال المصنف: فلما مر عليهم هذا التلبيس وآثروا التعبد بالجوارح على العلم تمكن إبليس من التلبيس عليهم فى فنون التعبد .

ذكر تلبيسه عليهم فى الاستطابة والحدث

من ذلك أنه يأمرهم بطول المكث فى الخلاف وذلك يؤذى الكبد وإنما ينبغى أن يكون بمقدار ومنهم من يقوم فيمشى ويتنحنح ويرفع قدماً ويحط الأخرى وعنده أن يستنقى بهذا وكلما زاد فى هذا نزل البول - وبيان هذا أن الماء يرشح إلى المثانة ويجمع فيها فإذا تهيأ الإنسان للبول خرج ما اجتمع فإذا مشى وتنحنح وتوقف رشح شئ آخر فالرشح لا ينقطع وإنما يكفيه أن يحتلب ما فى الذكر بين إصبعيه ثم يتبعه الماء. ومنهم من يحسن له استعمال الماء الكثير وإنما يجزيه بعد زوال العين سبع مرات على أشد المذاهب فإن استعمل الأحجار فيما لا يتعد المخرج أجزأه ثلاثة أحجار إذا أنقى بهن ومن لم يقنع بما قنع الشرع به فهو مبتدع شرعاً لا

متبع والله الموفق .

ذكر تلبيسه عليهم فى الوضوء

منهم من يلبس عليه فى النية فتراه يقول: أرفع الحدث، ثم يقول: أستبيح الصلاة، ثم يعيد فيقول: أرفع الحدث. وسبب هذا التلبيس الجهل بالشرع لأن النية بالقلب لا باللفظ فتكلف اللفظ أمر لا يحتاج إليه ثم لا معنى لتكرار اللفظ. ومنهم من يلبس عليه بالنظر فى الماء المتوضأ به فيقول: من أين لك أنه طاهر ويقدر له فيه كل احتمال بعيد. وفتوى الشرع يكفيه بأن أصل الماء الطهارة فلا يترك الأصل بالاحتمال. ومنهم من يلبس عليه بكثرة استعمال الماء وذلك يجمع أربعة أشياء مكروهة. الإسراف فى الماء، وتضييع العمر القيم فيما ليس بواجب ولا مندوب، والتعاطى على الشريعة إذا لم يقنع بما قنعت به من استعمال الماء القليل. والدخول فيما نهت عنه من الزيادة على الثلاث وربما أطال الوضوء ففات وقت الصلاة أو فات أوله وهو الفضيلة أو فاتته الجماعة .

وتلبيس إبليس على هذا: بأنك فى عبادة ما لم تصح لا تصح الصلاة، ولو تدبر أمره لعلم أنه فى مخالفة وتفريط، وقد رأينا من ينظر فى هذه الوساوس ولا يبالى بمطعمه ومشربه ولا يحفظ لسانه من غيبة فليته قلب الأمر، وفى الحديث عن عبد الله ابن عمرو بن العاص أن النبى ﷺ مر بسعد وهو يتوضأ فقال: ما هذا السرف يا سعد، قال: أفى الوضوء سرف، قال: نعم وإن كنت على نهر جار وفى الحديث عن أبىّ عن النبى ﷺ قال: « للوضوء شيطان يقال له الولهان فاتقوه، أو قال فاحذروه». وعن الحسن رضى الله عنه قال: شيطان الوضوء يدعى الولهان يضحك بالناس فى الوضوء. وبإسناد مرفوع إلى أبى نعامة أن عبد الله ابن معفل سمع ابنه يقول اللهم إنى أسألك الفردوس وأسألك. فقال عبد الله، سل الله الجنة وتعوذ به من النار، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: « سيكون فى هذه الأمه قوم يعتدون فى الدعاء والطهور». وعن ابن شوذب قال: كان الحسن يعرض بابن سيرين يقول: يتوضأ أحدهم بقربة فيغتسل بمزادة صبا صبا، ودلكا دلكا، تعذيبا لأنفسهم،

وخلافاً لسنة نبيهم ﷺ وكان أبو الوفاء بن عقيل يقول: أجلّ محصول عند العقلاء الوقت، وأقل متعبد به الماء، وقد قال ﷺ «صبوا على بول الاعرابى ذنوباً من ماء»، وقال فى المنى: أمطه عنك بأذخرة. قال: وفى الحذاء طهوره بأن يدلك بالأرض. وفى ذيل المرأة يطهره ما بعده، وقال: يغسل بول الجارية وينضح بول الغلام، وكان يحمل بنت أبى العاص ابن الربيع فى الصلاة. ونهى الراعى عن إعلام السائل له عن الماء وما يرده، وقال: ما أبقيت لنا طهور، وقال: يا صاحب الماء لا تخبره، وقد صالح رسول الله ﷺ الأعراب، وركب الحمار معروريا، وما عرف من خلقه التعبد بكثرة الماء. وتوضأ من سقاية المسجد، ومعلوم حال الأعراب الذين يأتى أحدهم من البادية كأنه بهيمة، أو ما سمعت أن أحدهم أقدم على البول فى المسجد كل ذلك لتعليمنا وإعلامنا أن الماء على أصل الطهارة، وتوضأ من غدير كأن ماءه نقاعة الحناء، فأما قوله استنزهوا البول فإن التنزه حداً معلوماً وهو أن لا يغفل عن محل قد أصابه حتى يتبعه الماء، فأما الاستنثار فإنه إذا علق بما وانقطع الوقت بما لا يقضى بمثله الشرع .

قال المصنف: وكان أسود بن سالم وهو من كبار الصالحين يستعمل ماءاً كثيراً فى وضوئه ثم ترك ذلك فسأله رجل عن سبب تركه، فقال: نمت ليلة فإذا بهاتف يهتف بى يا أسود ما هذا ؟. يحيى بن سعيد الأنصارى حدثنى عن سعيد بن المسيب. قال: إذا جاوز الوضوء ثلاثاً لم يرفع إلى السماء. قال: قلت لا أعود لا أعود، فأنا اليوم يكفينى كف من ماء .

ذكر تلبيسه عليهم فى الأذان

ومن ذلك التلحين فى الأذان وقد كرهه مالك بن أنس وغيره من العلماء كراهية شديدة لأنه يخرجه عن موضع التعظيم إلى مشابهة الغناء. ومنه أنهم يخلطون أذان الفجر بالتذكير والتسبيح والمواعظ ويجعلون الأذان وسطاً فيختلط، وقد كره العلماء كل ما يضاف إلى الأذان، وقد رأينا من يقوم بالليل كثيراً على المنارة فيعظ ويذكر. ومنهم من يقرأ سوراً من القرآن بصوت مرتفع فيمنع الناس من نومهم ويخلط على المتهجدين

قرائتهم وكل ذلك من المنكرات.

ذكر تلبيسه عليهم فى الصلاة

من ذلك تلبيسه علـيهم فى الثياب التى يستتر بها فـترى أحدهم يغسل الثوب الطاهر مراراً وربما لمسه مسلم فيغسله. ومنهم مـن يغسل ثيابه فى دجلة لا يرى غسلها فـى البيت يجزئ، ومنهم من يدليها فى الـبئر كفعل اليهـود وما كانت الصـحابة تعمل هـذا بل قد صلوا فى ثيـاب فارس لما فتحوها واستعـملوا أوطئتهم وأكسيتهم. ومن الموسـوسين من يقطر عليه قطرة ماء فيغسل الثوب كله وربما تـأخر لذلك عن صلاة الجماعة، ومنهم من ترك الصلاة جماعة لأجل مطر يسير يخاف أن يتتضح عليه، ولا يظن ظان أننى أمتنع من الـنظافة والورع ولكن المبالغة الخارجـة عن حد الشرع المضيـعة للزمان هى الـتى ننهى عنهـا. ومن ذلك تلبيـسه عليهم فـى نية الصلاة فـمنهم من يقول أصـلى صلاة كذا ثم يعـيد هذا ظناً منـه أنه قد نقض النية والنية لا تنقض وان لم يرض اللفظ ومنهم من يكبر ثم ينقض ثم يكبر ثم ينقض فإذا ركع الإمام كبر الموسوس وركع معه، فليت شعرى ما الذى أحضر النية حينئـذ وما ذاك إلا أن إبليس أراد أن يفوته الفضيلة، وفى الموسـوسين من يـحلف بالله لا كبـرت غيـر هذه المرة. وفيـهم من يحلف بالله بالخـروج من ماله أو بالطلاق وهذه كـلها تلبيسـات إبليس، الشريعة سمحة سهلة سليمة من هذه الآفات وما جرى لرسول الله ﷺ ولا لأصحـابه شئ من هذا. وقـد بلغنا عن أبـى حازم أنه دخل المسـجد فوسوس إليـه إبليس أنك تصلى بغيـر وضوء فقال: ما بلـغ نصحك إلى هذا.

وكشف هذا التلبـيس أن يقال للموسوس: إن كنت تريد إحـضار النية فالنية حاضـرة لأنك قمت لتؤدى الفريضة وهذه هى النيـة ومحلها القلب لا اللفـظ إن كنت تريد تـصحيـح اللفظ فـاللفظ لا يجـب ثم قد قلـته صحيحاً فما وجه الإعادة أفتراك تظن وقد قلت إنك ما قلت هذا مرض.

قال المـصنف: وقد حـكى لى بعض الأشـياخ عن ابن عـقيل حـكاية عجيبـة أن رجلاً لقيه فقال: إنى أغـسل العضو وأقول ما غسلـته، وأكبر

وأقول ماكبرت. فقال له ابن عقيل. دع الصلاة فإنها ما تجب عليك. فقال قوم لابن عقيل: كيف تقول هذا. فقال لهم: قال النبى ﷺ: رفع القلم عن المجنون حتى يفيق ومن يكبر ويقول ما كبرت فليس بعاقل والمجنون لا تجب عليه الصلاة .

قال المصنف: واعلم أن الوسوسة فى نية الصلاة سببها خبل فى العقل وجهل بالشرع. ومعلوم أن من دخل عليه عالم فقام له وقال: نويت أن أنتصب قائماً تعظيماً لدخول العالم لأجل علمه مقبلاً عليه بوجهى: سفه فى عقله فإن هذا قد تصور فى ذهنه منذ رأى العالم. فقيام الإنسان إلى الصلاة ليؤدى الفرض أمر يتصور فى النفس فى حالة واحدة لا يطول زمانه وإنما يطول زمان نظم هذه الألفاظ والألفاظ لا تلزم والوسواس جهل محض. وإن الموسوس يكلف نفسه أن يحضر فى قلبه الظهرية والأدائية والفرضية فى حالة واحدة مفصلة بألفاظها وهو يطالعها وذلك محال. ولو كلف نفسه ذلك فى القيام للعالم لتعذر عليه فمن عرف هذا عرف النية. ثم إنه يجوز تقديمها على التكبير بزمان يسير ما لم يفسخها. فما وجه هذا التعب فى إلصاقها بالتكبير على أنه إذا حصلها ولم يفسخها فقد التصقت بالتكبير وعن مسور قال: أخرج إلىّ معن بن عبد الرحمن كتاباً وحلف بالله أنه خط أبيه وإذا فيه قال عبد الله: والذى لا إله غيره ما رأيت أحداً كان أشد على المتنطعين من رسول الله ﷺ ولا رأيت بعده أشد خوفاً عليهم من أبى بكر. وإنى لأظن عمر كان أشد أهل الأرض خوفاً عليهم.

فصل

ومن الموسوسين من إذا صحت له النية وكبر ذهل عن باقى صلاته كأن المقصود من الصلاة التكبير فقط. وهذا تلبيس يكشفه أن التكبير يراد للدخول فى العبادة، فكيف تهمل العبادة وهى كالدار ويقتصر على التشاغل بحفظ الباب .

فصل

ومن الموسوسين من تصح له التكبيرة خلف الإمام وقد بقى من الركعة

يسير فيستفتح ويستعيذ فيركع الإمام. وهذا تلبيس أيضاً لأن الذى شرع فيه من التعوذ والاستفتاح مسنون والذى تركه من قراءة الفاتحة وهو لازم للمأموم عند جماعة من العلماء فلا ينبغى أن يقدم عليه سنة .

قال المصنف: وقد كنت أصلى وراء شيخنا أبى بكر الدينورى الفقيه فى زمان الصبا فرآنى مرة أفعل هذا فقال: يابنى إن الفقهاء قد اختلفوا فى وجوب قراءة الفاتحة خلف الإمام ولم يختلفوا فى أن الاستفتاح سنة فاشتغل بالواجب ودع السنن.

فصل

وقد لبس إبليس على قوم فتركوا كثيراً من السنن لواقعات وقعت لهم. فمنهم من كان يتخلف عن الصف الأول ويقول إنما أراد قرب القلوب ومنهم من لم ينزل يداً على يد فى الصلاة وقال أكره أن أظهر من الخشوع ما ليس فى قلبى وقد روينا هذين الفعلين عن بعض أكابر الصالحين، وهذا أمر أوجبه قلة العلم ففى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «لو يعلم الناس ما لهم فى النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا». وفى أفراد مسلم من حديثه عن النبى ﷺ أنه قال خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وأما وضع اليد على اليد فسنة. روى أبو داود فى سننه أن ابن الزبير قال: وضع اليد على اليد من السنة وأن ابن مسعود كان يصلى فوضع يده اليسرى على اليمنى فرآه النبى ﷺ فوضع يده اليمنى على اليسرى.

قال المصنف: ولا يكبرن عليك إنكارنا على من قال أراد قرب القلوب ولا أضع يداً على يد - وإن كان من الأكابر - فإن الشرع هو المنكر لا نحن وقد قيل لأحمد بن حنبل رحمة الله عليه إن ابن المبارك يقول كذا وكذا فقال إن ابن المبارك لم ينزل من السماء وقيل له قال: إبراهيم بن أدهم فقال: جتمونى ببيانات الطريق عليهم بالأصل فلا ينبعى أن يترك الشرع لقول معظم فى النفس فإن الشرع أعظم والخطأ فى التأويل على الناس يجرى ومن الجائز أن تكون الأحاديث لم تبلغه.

فصـــــل

وقد لبس إبليس عـلى بعض المصلين فى مخارج الحـروف فتراه يقول الحمد الحـمد فيخرج بإعـادة الكلمة عن قانون أدب الصـلاة وتارة يلبس عليه فى تحقـيق التشديد وتارة فى إخراج ضاد المغـضوب ولقد رأيت من يقول الغـضوب فيخرج بساقـه مع إخراج الضاد لقوة تـشديده وإنما المراد تحقيق الحرف فحسب .

وإبليس يخرج هؤلاء بالـزيادة عن حد التحقيق ويشغلهـم بالمبالغة فى الحروف عن فهم التلاوة وكل هذه الوسـاوس من إبليس، وعن سعيد بن عبد الرحمن بـن أبى العمياء أن سهل بن أبى أمامـة حدثهم أنه دخل هو وأبوه على أنس بن مالـك رضى الله عنه وهو يصلى صلاة خفيـفة كأنها صلاة المـسافر فلـما سلم قـال يرحمك الله أرأيت هـذه الصلاة مكتـوبة كصلاة رسول الله ﷺ أم شئ تنفلته قال. إنها لصلاة رسول الله ﷺ ما أخطأت الأشياء سهوت عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول لا تشددوا على أنفسكم فيـشدد الله عليكم فإن قوماً شددوا على أنـفسهم فشدد الله عليـهم فتلك بقـاياهم فى الصـوامع والديورات ﴿ **رهبانـية ابتدعـوها ما كتبناهـا عليهم** ﴾. وفى أفراد مسـلم من حديث عثمـان بن أبى العاص قال: قلـت لرسول الله ﷺ أن الشـيطان قد حـال بينى وبين صـلاتى وقراتى يلبسها علىّ فـقال رسول الله ﷺ ذاك الشيطان يقال له خنزب فإذا أحسستـه فتعوذ بالله منه ثلاثاً واتفل عن يسارك ففـعلت ذلك فأذهبه الله عنى.

فصل

وقد لبس إبليـس على حلق كثير من جـهلة المتعبدين فـرأى أن العبادة هى القـيام والقـعود فحـسب وهم يدأبـون فى ذلك ويخلون فـى بعض واجباتهم ولا يعلمون وقد تأملت جماعة يسلمون إذا سلم الإمام وقد بقى عليـهم التشهـد الواجب شئ وذلك لا يحـمله الإمام عنه ولـبس على آخرين منهم فهـم يطيلون الصلاة ويقصرون القراءة ويـتركون المسون فى الصلاة ويرتكبون المكروه فيها وقد دخلت على بعض المتعبدين وهو يتنفل

بالنهار ويجهر بالقراءة فقلت له إن الجهر بالقراءة بالنهار مكروه فقال لى أنا أترك النوم عنى بالجهر فقلت إن السنن لا تترك لأجل سهرك ومتى غلبك النوم فنم فإن للنفس عليك حقاً وعن ريدة قال قال رسول الله ﷺ من جهر بالقراءة فى النهار فارجموه بالبعر.

فصل

وقد لبس إبليس على جماعة من المتعبدين فأكثروا من صلاة الليل وفيهم من يسهره كله ويفرح بقيام الليل وصلاة الضحى أكثر مما يفرح بأداء الفرائض ثم يقع قبيل الفجر فتفوته الفريضة أو يقوم فيتهيأ لها فتفوته الجماعة أو يصبح كسلان فلا يقدر على الكسب لعائلته ولقد رأيت شيخاً من المتعبدين يقال له حسين القزوينى يمشى كثيراً من النهار فى جامع المنصور فسألت عن سبب مشيه فقيل لى لئلا ينام. فقلت هذا جهل بمقتضى الشرع والعقل أما الشرع فإن النبى ﷺ قال: «إن لبدنك عليك حق فقم ونم». وكان يقول عليكم هدياً قصد فإنه من يشاد هذا الدين يغلبه. وعن أنس بن مالك قال دخل رسول الله ﷺ المسجد وحبل ممدود بين ساريتين فقال ما هذا قالوا لزينب تصلى فإذا كسلت أو فترت أمسكت به فقال: حلوه ثم قال: ليصلى أحدكم نشاطه فإذا كسل أو فتر فليقعد. وعن عائشة قالت قال :رسول الله ﷺ إذا نعس أحدكم فليرقد حتى يذهب عنه النوم فإنه إذا صلى وهو ينعس لعله يذهب ليستغفر فيذهب فيسب نفسه.

قال المصنف: هذا حديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم وانفرد بالذى قبله البخارى وأما العقل فإن النوم يجدد القوى التى قد قلت بالسهر فمتى دفعه الإنسان وقت الحاجة إليه أثر فى بدنه وعقله فتعوذ بالله من الجهل (فإن قال قائل) فقد رويت لنا أن جماعة من السلف كانوا يحيون الليل فالجواب أولئك تدرجوا حتى قدروا على ذلك وكانوا على ثقة من حفظ صلاة الفجر فى جماعة وكانوا يستعينون بالقائلة. مع قلة المطعم يصح لهم ذلك ثم لم يبلغنا أن رسول الله ﷺ سهر ليلة لم ينم فيها فسنته هى المتبوع .

فصل

وقد لبس إبليس علـى جماعة من قوام الليل فتحـدثوا بذلك بالنهار، فربما قال أحدهم فلان المؤذن أذن بوقت ليعلم الناس أنه كان منتبهاً، فأقل ما فى هذا إن سلم مـن الرياء أن ينقل من ديوان السر إلى ديـوان العلانية فيقل الثواب .

فصل

وقد لبس على آخرين انفردوا فى المساجد للصلاة والتعبد فعرفوا بذلك واجتمع إليـهم ناس فصلوا بصلاتهم وشاع بين الـناس حالهم وذلك من دسائس إبليس وبه تقوى النفس على التعبد لعلمها أن ذلك يشيع ويوجب المدح وعن زيد بن ثابت أن النبى ﷺ قـال: « إن أفضل صلاة المرء فى بيته إلا الصلاة المكتوبة ».

قال المصنف: أخرجاه فى الصحيحين. وكان عامر بن عبد قيس يكره أن يروه يصـلى وكان لا يتـنفل فى المسـجد وكـان يصلى كـل يوم ألف ركعة. وكان ابن أبى ليلى إذا صلى ودخل عليه داخل اضطجع .

فصل

وقد لبس على قوم من المتعبدين وكانوا يبكون والناس حولهم وهذا قد يقع علـيهم فلا يـمكن دفعه فـمن قدر علـى ستره فأظـهره فقـد تعرض للرياء. وعن عاصم قال كان أبو وائل إذا صلى فـى بيته نشج نشيجاً ولو جعـلت له الدنيـا على أن يفـعله وأحـد يراه ما فـعله، وقد كـان أيوب السختيانى إذا غلبه البكاء قام .

فصل

وقد لبس إبليس على جماعة من المتعبدين فتراهم يصلون الليل والنهار ولا ينظرون فى إصلاح عيب باطن ولا فى مطعم، والنظر فى ذلك أولى بهم من كثرة التنفل .

ذكر تلبيسه عليهم فى قراءة القرآن

وقد لبس علـى قوم بكثرة التلاوة فـهم يهزون هزاً من غيـر ترتيل ولا

تثبت وهذه حالة ليست بمحمودة وقد روى عن جماعة من السلف أنهم كانوا يقرأون القرآن فى كل يوم أو فى كل ركعة، وهذا يكون نادراً منهم ومن داوم عليه فإنه وإن كان جائزاً إلا أن الترتيل والتثبت أحب إلى العلماء وقد قال رسول الله ﷺ لا يفقه من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث.

قال المصنف: وقد لبس إبليس على قوم من القراء فهم يقرأون القرآن فى منارة المسجد بالليل بالأصوات المجتمعة المرتفعة الجزء والجزأين فيجمعون بين أذى الناس فى منعهم من النوم وبين التعرض للرياء. ومنهم من يقرأ فى مسجده وقت الأذان لأنه حين اجتماع الناس فى المسجد.

قال المصنف: ومن أعجب ما رأيت فيهم أن رجلاً كان يصلى بالناس صلاة الصبح يوم الجمعة ثم يلتفت فيقرأ المعوذتين ويدعو دعاء الختمة ليعلم الناس أنى قد ختمت الختمة. وما هذه طريقة السلف فإن السلف كانوا يسترون عبادتهم وكان عمل الربيع بن خثيم كله سراً فربما دخل عليه الداخل وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه. وكان أحمد ابن حنبل يقرأ القرآن كثيراً ولا يدرى متى يختم.

قال المصنف: قد سبق ذكر جملة من تلبيس إبليس على القراء والله أعلم بالصواب وهو الموفق.

ذكر تلبيسه عليهم فى الصوم

قال المصنف وقد لبس على أقوام فحسن لهم الصوم الدائم، وذلك جائز إذا أفطر الإنسان الأيام المحرم صومها إلا أن الآفة فيه من وجهين أحدهما أنه ربما عاد بضعف القوى فأعجز الإنسان عن الكسب لعائلته ومنعه من إعفاف زوجته وفى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن لزوجك عليك حقاً». فكم من فرص يضيع بهذا النفل، والثانى أنه يفوت الفضيلة فإنه قد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أفضل الصلاة صلاة داود عليه الصلاة والسلام كان يصوم يوماً». وبالإسناد عن عبد الله بن عمرو قال لقينى رسول الله ﷺ فقال: ألم أحدث عنك

أنك تقوم الليل. وأنت الذى تقول لأقومن الليل ولأصومن النهار، قال أحسبه قال: نعم يا رسول الله قد قلت ذلك. فقال فقم ونم وصم وأفطر. وصم من كل شهر ثلاثة أيام، ولك مثل صيام الدهر، قال قلت يا رسول الله إنى أطيق أكثر من ذلك قال فصم يوماً وأفطر يومين، قلت إنى أطيق أفضل من ذلك. قال : فصم يوماً وأفطر يوماً وهو أعدل الصوم وهو صيام داود عليه السلام. قلت إنى أطيق أفضل من ذلك، فقال رسول الله ﷺ لا أفضل من ذلك. أخرجاه فى الصحيحين. فإن قال قائل: فقد بلغنا عن جماعة السلف أنهم كانوا يسردون الصوم فالجواب. أنهم كانوا يقدرون على الجمع بين ذلك وبين القيام بحقوق العائلة ولعل اكثرهم لم تكن له عائلة ولا حاجة إلى الكسب، ثم أن فيهم من فعل هذا فى اخر عمره على أن قول رسول الله ﷺ « لا أفضل من ذلك » قطع هذا الحديث، وقد داوم جماعة من القدماء على الصوم مع خشونة المطعم وقلته ومنهم من ذهبت عينه. وهذا تفريط فى حق النفس الواجب وحمل عليها مالا تطيق فلا يجوز .

فصل

وقد يشيع عن المتعبد أنه يصوم الدهر فيعلم بشياع ذلك فلا يفطر أصلاً وإن أفطر أخفى إفطاره لئلا ينكسر جاهه وهذا من خفى الرياء، ولو أراد الإخلاص ستر الحال لأفطر بين يدى من قد علم أنه يصوم ثم عاد إلى الصوم ولم يعلم به. ومنهم من يخبر بما قد صام فيقول اليوم منذ عشرين سنة ما أفطرت، ويلبس عليه بأنك إنما تخبر ليقتدى بك والله أعلم بالمقاصد، قال سفيان الثورى رضى الله عنه: إن العبد ليعمل العمل فى السر فلا يزال به الشيطان حتى يتحدث به فينتقل من ديوان السر إلى ديوان العلانية وفيهم من عادته صوم الإثنين والخميس فإذا دعى إلى طعام قال اليوم الخميس ولو قال أنا صائم كانت محنة وإنما قوله يوم الخميس معناه أنى أصوم كل خميس، وفى هؤلاء من يرى الناس بعين الاحتقار لكونه صائما وهم مفطرون. ومنهم من يلازم الصوم ولا يبالى على ماذا أفطر، ولا يتحاشى فى صومه عن غيبة ولا عن نظرة ولا عن فضول الكلام وقد خيل له إبليس أن صومك يدفع إثمك وكل هذا من التلبيس .

ذكر تلبيسه عليهم في الحج

قال المصنف: قد يسقط الإنسان الفرض بالحج مرة ثم يعود لا عن رضا الوالدين وهذا خطأ. وربما خرج وعليه ديون أو مظام وربما خرج للنزهة وربما حج بمال فيه شبهة. ومنهم من يحب أن يتلقى ويقال الحاج وجمهورهم يضيع في الطريق فرائض من الطهارة والصلاة ويجتمعون حول الكعبة بقلوب دنسة وبواطن غير نقية، وإبليس يريهم صورة الحج فيغرهم وإنما المراد من الحج القرب بالقلوب لا بالأبدان. وإنما يكون ذلك مع القيام بالتقوى وكم من قاصد إلى مكة همته عدد حجاته فيقول لى عشرون وقفة، وكم من مجاور قد طال مكثه ولم يشرع فى تنقية باطنه وربما كانت همته متعلقة بفتوح يصل إليه ممن كان وربما قال إن لى اليوم عشرين سنة مجاوراً، وكم قد رأيت فى طريق مكة من قاصد إلى الحج يضرب رفقاءه على الماء ويضايقهم في الطريق .

وقد لبس إبليس على جماعة من القاصدين إلى مكة فهم يضيعون الصلوات ويطففون إلا باعوا ويظنون أن الحج يدفع عنهم، وقد لبس إبليس على قوم منهم ابتدعوا فى المناسك ما ليس منها فرأيت جماعة يتصنعون فى إحرامهم فيكشفون عن كتف واحدة ويقون فى الشمس أياماً فتكشط جلودهم وتنتفخ رؤوسهم ويتزينون بين الناس بذلك، وفى أفراد البخارى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ رأى رجلاً يطوف بالكعبة بزمام فقطعه، وفى لفظ آخر رأى رجلاً يقود إنساناً بخزامة فى أنفه فقطعها بيده ثم أمره أن يقوده بيده.

قال المصنف: وهذا الحديث يتضمن النهى عن الابتداع فى الدين وإن قصدت بذلك الطاعة .

فصل

وقد لبس على قوم يدعون التوكل فخرجوا بلا زاد وظنوا أن هذا هو التوكل وهو على غاية الخطأ، قال رجل للإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه أريد أن أخرج إلى مكة على التوكل من غير زاد. فقال له أحمد فاخرج فى غير القافلة. قال: لا إلا معهم: قال فعلى جراب الناس

توكلت ؟ فنسأل الله أن يوفقنا .

ذكر تلبيس إبليس على الغزاة

قال المصنف: قد لبس أبليس على خلق كثير فخرجوا إلى الجهاد ونيتهم المباهاة والرياء ليقال فلان غاز وربما كان المقصود أن يقال شجاع أو كان طلب الغنيمة وإنما الأعمال بالنيات، وعن أبى موسى قال جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء فأى ذلك فى سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله. أخرجاه فى الصحيحين. وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: إياكم أن تقولوا مات فلان شهيداً أو قتل فلان شهيداً فإن الرجل ليقاتل ليغنم ويقاتل ليذكر ويقاتل ليرى مكانه، وبالإسناد عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: « أول الناس يقضى فيه يوم القيامة ثلاثة، رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال: ما عملت فيها، قال قاتلت فيك حتى قتلت قال كذبت ولكنك قاتلت ليقال هو جرئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى فعرفه نعمه فعرفها، فقال: ما عملت فيها، قال تعلمت فيك العلم وعلمته وقرأت القرآن فقال كذبت ولكنك تعلمت ليقال هو عالم فقد قيل وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار. ورجل وسع الله عليه فأعطاه أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال: ما عملت فيها، فقال ما تركت من سبيل أنت تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ». انفرد بإخراجه مسلم، وبإسناد مرفوع عن أى حاتم الرازى قال: سمعت عبدة بن سليمان يقول، كنا فى سرية مع عبد الله بن المبارك فى بلاد الروم فصادفنا العدو فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا إلى البراز فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله ثم آخر فقتله ثم آخر فقتله ثم آخر فقتله ثم دعا إلى البراز فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه

الرجل فقتله، فاردحم الناس عليه فكنت فيمن ازدحم عليه فإذا هو ملثم وجهه بكمه فأخذت بطرف كمه فمددته فإذا هو عبد الله بن المبارك فقال: وأنت يا أبا عمرو ممن يشنع علينا قلت فانظروا رحمكم الله إلى هذا السيد المخلص، كيف خاف على إخلاصه برؤية الناس له ومدحهم إياه فستر نفسه، وقد كان إبراهيم بن أدهم يقاتل فإذا غنموا لم يأخذ شيئاً من الغنيمة ليوفر له الأجر.

فصل

وقد لبس إبليس على المجاهد إذا غنم، فربما أخذ من الغنيمة ما ليس له أخذه فأما أن يكون قليل العلم فيرى أن أموال الكفار مباحة لمن أخذها ولا يدرى أن الغلول من الغنائم معصية. وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة. قال خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر ففتح الله علينا. فلم نغنم ذهباً ولا ورقاً غنمنا المتاع والطعام والثياب. ثم انطلقنا إلى الوادى ومع رسول الله ﷺ عبد له فلما نزلنا قام عبد رسول الله ﷺ يحل رحله فرمى بسهم فكان فيه حتفه، فلما قلنا له هنيئاً الشهادة يا رسول الله فقال: كلا والذى نفس محمد بيده أن الشملة لتلتهب عليه ناراً أخذها من الغنائم يوم خيبر لم تصبها المقاسم قال ففزع الناس. فجاء رجل بشراك أو شراكين فقال: أصبته يوم خيبر فقال رسول الله ﷺ شراك من نار أو شراكان من نار.

فصل

وقد يكون الغازى عالماً بالتحريم إلا أنه يرى الشئ الكثير فلا يصبر عنه. وربما ظن أن جهاده يدفع عنه ما فعل. وها هنا يتبين أثر الإيمان والعلم. روينا بإسناد عن هبيرة بن الأشعث عن أبى عبيدة العنبرى قال: لما هبط المسلمون المداين وجمعوا الأقباض. أقبل رجل بحق معه فدفعه إلى صاحب الأقباض فقال الذى معه. ما رأينا مثل هذا قط، ما يعدله ما عندنا ولا ما يقاربه فقال له هل أخذت منه شيئاً فقال: أما والله لولا الله ما أتيتكم به، فعرفوا أن للرجل شأناً فقالوا: من أنت، فقال والله لا أخبركم لتحمدونى ولا أغريكم لتقرظونى، ولكن أحمد الله وأرضى

بوابه فاتبعوه رجلاً حتى انتهى إلـى أصحابه، فسأل عنه فإذا هو عامر بن عبد قيس .

ذكر تلبيسه على الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر

وهم قسمان عالم وجاهل، فدخول إبليس على العالم من طريقين :-

الطريق الأول : التزيـن بذلك وطلب الذكـر والعجب بذلك الـفعل، روينا بـإسناد عن أحمـد بن أبى الحوارى قـال سمعـت أبا سلمان يـقول سمعت أبا جعفر المنصور يبكى فى خطبتـه يوم الجمعة فاستقبلنى الغضب وحضرتنى نية أن أقوم فأعظه بما أعرف من فعله إذا نزل، قال فكرهت أن أقوم إلى خليـفة فأعظه والناس جلوس يرمـقوننى بأبصارهم فـيعرض لى تزين فيأمر بى فأقتل على غير صحيح فجلست وسكت .

والطريق الـثانى: الغضب لـلنفس. وربما كان ابتـداء وربما عرض فى حالة الآمر بالمعروف لأجـل ما يلقى به المنكر من الإهانة فتصـير خصومة لنفسه كما قـال عمر ابن عبد العزيز لرجل: لولا أنى غضـبان لعاقبتك، وإنما أراد أنك أغضبتنى فخفت أن تمتزج العقوبة من غضب الله ولى .

فصل

فأما إذا كان الآمـر بالمعروف جاهلاً فإن الشيطان يـتلاعب به وإنما كان إفساده فى أمره أكثر من إصلاحـه، لأنه ربما نهى عن شئ جائز بالإجماع وربما أنكر ما تأول فيه صاحبه وتبـع فيه بعض المذاهب. وربما كسر الباب وتسور الحيطان وضرب أهل المنكر وقذفهم فإن أجابوه بكلمة تصعب عليه صار غضبه لنفـسه. وربما كشف ما قد أمر الشرع بستـره وقد سئل أحمد بن حنبل عن القوم يكون معهم المنكـر مغطى مثل طنبور ومسكر قال: إذا كان مغطى فلا تكسره، وال فى رواية أخرى: إكسره. وهذا محمول على أنه يكون مـغطى بشئ خفيف يـصفه فيتـبين والأولى على أنه لا يتـبين. وسئل عن الرجل يسمع صوت الطبل والمزمار ولا يعرف مكانه فقال: ولا عليك ما غاب عنك فلا تفـتش، وربما رفع هذا المنكر أهل المنكر إلى من يظلمهـم وقد قال أحمد بن حـنبل: إن علمت أن السلطان يـقيم الحدود فأرفع اليه .

فصل

ومن تلبيس إبليس على المنكر أنه إذا أنكر جلس فى مجمع يصف ما فعل ويتباهى به ويسب أصحاب المنكر سب الحنق عليهم ويلعنهم ولعل القوم قد تابوا وربما كان خيراً منه لندمهم وكبره ويندرج فى ضمن حديثه كشف عورات المسلمين لأنه يعلم من لا يعلم والستر على المسلم واجب مهما أمكن. وسمعت عن بعض الجهلة بالإنكار أنه يهجم على قوم ما يتيقن ما عندهم ويضربهم الضرب المبرح ويكسر الأوانى وكل هذه يوجبه الجهل. فأما العالم إذا أنكر فأتت منه على أمان، وقد كان السلف يتلطفون فى الإنكار ورأى صلة بن أشيم رجلاً يكلم امرأة. فقال: إن الله يراكما. سترنا الله وإياكما. وكان يمر بقوم يلعبون فيقول: يا إخوانى ما تقولون فيمن أراد سفراً فنام طول الليل ولعب طول النهار متى يقطع سفره. فانتبه رجل منهم فقال: يا قوم إنما يعلمنا هذا فتاب وصحبه .

فصل

وأولى الناس بالتلطف فى الإنكار على الأمراء فيصلح أن يقال لهم: إن الله رفعكم فاعرفوا قدر نعمته، فإن النعم تدوم بالشكر فلا يحسن أن تقابل بالمعاصى .

فصل

وقد لبس إبليس على بضع المتعبدين فيرى منكراً فلا ينكره ويقول إنما يأمر وينهى من قد صلح وأنا ليس بصالح فكيف آمر غيرى. وهذا غلط لأنه يجب عليه أن يأمر وينهى ولو كانت تلك المعصية فيه. إلا أنه متى أنكر متنزهاً عن المنكر أثر إنكاره وإذا لم يكن متنزهاً لم يكد يعمل إنكاره فينبغى للمنكر أن ينزه نفسه ليؤثر إنكاره، قال ابن عقيل: رأينا فى زماننا أبا بكر الآقفالى فى أيام القائم إذا نهض لإنكار منكر استتبع معه مشايخ لا يأكلون إلا من صنعة أيديهم كأبى بكر الخبار شيخ صالح أضر من إطلاعه فى التنور وتبعه، وجماعة ما فيهم من يأخذ صدقة ولا يدنس بقبول عطاء صوام النهار قوام الليل أرباب بكاء فإذا تبعه مخلط رده وقال متى لقينا الجيش بمخلط انهزم الجيش .

الباب التاسع
فى ذكر تلبيس إبليس على الزهاد والعباد

فد يسمع العامى ذم الدنيا فى القرآن المجيد والأحاديث فيرى أن النجاة تركها ولا يدرى ما الدنيا المذمومة فيلبس عليه إبليس بأنك لا تنجو فى الآخرة إلا بترك الدنيا فيخرج على وجهه إلى الجبال فيبعد عن الجمعة والجماعة والعلم ويصير كالوحش ويخيل إليه أن هذا هو الزهد الحقيقى. كيف لا وقد سمع عن فلان أنه هام على وجهه وعن فلان أنه تعبد فى جبل وربما كانت له عائلة فضاعت أو والدة فبكت لفراقه وربما لم يعرف أركان الصلاة كما ينبغى وربما كانت عليه مظالم لم يخرج منها. وإنما يتمكن إبليس من التلبيس على هذا لقلة علمه ومن جهله رضاه عن نفسه بما يعلم ولو أنه وفق لصحبة فقيه يفهم الحقائق لعرفه أن الدنيا لا تذم لذاتها وكيف يذم ما منّ الله تعالى به وما هو ضرورة فى بقاء الآدمى وسبب فى إعانته على تحصيل العلم والعبادة من مطعم ومشرب وملبس ومسجد يصلى فيه وإنما المذموم أخذ الشئ من غير حله أو تناوله على وجه السرف لا على مقدار الحاجة ويصرف النفس فيه بمقتضى رعوناتها لا بإذن الشرع. وأن الخروج إلى الجبال المنفردة منهى عنه فإن النبى ﷺ نهى أن يبيت الرجل وحده وأن التعرض لتركه الجماعة والجمعة خسران لا ربح والبعد عن العلم والعلماء يقوى سلطان الجهل، وفراق الوالد والوالدة فى مثل هذه عقوق والعقوق من الكبائر، وأما من سمع عنه أنه خرج إلى جبل فأحوالهم تحتمل أنهم لم يكن لهم عيال ولا والد ولا والدة فخرجوا إلى مكان يتعبدون فيه مجتمعين، ومن لم يحتمل حالهم وجهاً صحيحاً فهم على الخطأ من كانوا، وقد قال بعض السلف: خرجنا إلى جبل نتعبد فجاءنا سفيان الثورى فردنا .



فصل

ومن تلبيسه على الزهاد:- إعراضهم عن العلم شغلاً بالزهد فقد استبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير وبيان ذلك أن الزاهد لا يتعدى نفعه عتبة بابه والعالم نفعه متعد. وكم قد رد إلى الصواب من ماعبد.

فصل

ومن تلبيسه عليهم: - أنه يوهمهم أن الزهد ترك المباحات فمنهم من لا يزيد على خبز الشعير. ومنهم من لا يذوق الفاكهة، ومنهم من يقلل المطعم حتى ييبس بدنه ويعذب نفسه يلبس الصوف ويمنعها الماء البارد وما هذه طريقة الرسول ﷺ ولا طريق أصحابه وأتباعهم. وإنما كان يجوعون إذا لم يجدوا شيئاً فإذا وجدوا أكلوا. وقد كان رسول الله ﷺ يأكل اللحم ويحبه ويأكل الدجاج ويحب الحلوى ويستعذب له الماء البارد ويختار الماء البائت فإن الماء الجارى يؤذى المعدة ولا يروى. وقد كان رجل يقول: أنا لا آكل الخبيص لأنى لا أقوم بشكره. فقال الحسن البصرى: هذا رجل أحمق وهل يقوم بشكر الماء البارد، وقد كان سفيان الثورى إذا سافر حمل فى سفرته اللحم المشوى والفلوذج، وينبغى للإنسان أن يعلم أن نفسه مطيته ولابد من الرفق بها ليصل بها إلى المقصود فليأخذ ما يصلحها وليترك ما يؤذيها من الشبع والإفراط فى تناول الشهوات فإن ذلك يؤذى البدن والدين .

ثم إن الناس يختلفون فى طباعهم فإن الأعراب إذا لبسوا الصوف واقتصروا على شرب اللبن لم نلمهم لأن مطايا أبدانهم تحمل ذلك. وأهل السواد إذا لبسوا الصوف وأكلوا الكوامخ لم نلمهم أيضاً ولا نقول فى هؤلاء من قد حمل على نفسه لأن هذه عادة القوم. فأما إذا كان البدن مترفاً قد نشأ على التنعم فإنا نهى صاحبه أن يحمل عليه ما يؤذيه، فإن تزهد وآثر ترك الشهوات إما لأن الحلال لا يحتمل السرف أو لأن الطعام اللذيذ يوجب كثرة التناول فيكثر النوم والكسل فهذا يحتاج أن يعلم ما يضر تركه ومالا يضر فيأخذ قدر القوام من غير أن يؤذى النفس. وقد ظن قوم أن الخبز القفار يكفى فى قوام البدن ولو كفى إلا أن

الاقتصار يؤدى من جهة أن أخلاط البدن تفتقر إلى الحامض والحلو والحار والبارد والممسك والمسهل، وقد جعل فى الطبع ميل إلى الملايم فتارة يميل إلى الحامض وتارة يميل إلى الحلو ولذلك أسباب مثل أن يقل عندهم البلغم الذى لابد فى قوامها منه فتشتاق إلى اللبن ويكثر عندها الصفراء فتميل إلى الحموضة فمن كفها عن التصرف على مقتضى ما قد وضع فى طبعها مما يصلحها فقد آذاها إلا أن يكفها عن الشبع والشره وما يخاف عاقته فإن ذلك يفسدها. فأما الكف المطلق فخطأ فافهم هذا ولا يلتفت إلى قول الحارث المحاسبى وأبى طالب المكى فيما ذكرا من تقليل المطعم ومجاهدة النفس بترك مباحاتها فإن اتباع الشارع وصحابته أولى. وكان ابن عقيل يقول: ما أعجب أموركم فى المتدين إما أهواء متبعة أو رهبانية مبتدعة، بين تجير أذيال المرح فى الصبا واللعب، وبين إهمال الحقوق وإطراح العيال واللحوق بزوايا المساجد فهلا عبدوا على عقل وشرع .

فصل

ومن تلبيسه عليهم أنه يوهمهم إن الزهد هو القناعة بالدون من المطعم والملبس فحسب، فهم يقنعون بذلك وقلوبهم راغبة فى الرياسة وطلب الجاه فتراهم يترصدون لزيارة الأمراء ويكرمون الأغنياء دون الفقراء ويتخاشعون عند لقاء الناس كأنهم قد خرجوا من مشاهدة، وربما رد أحدهم المال لئلا يقال قد بدا له من الزهد وهم من تردد الناس إليهم وتقبيل أيديهم فى أوسع باب من ولايات الدنيا لأن غاية الدنيا الرياسة .

فصل

وأكثر ما يلبس يه إبليس على العباد والزهاد خفى الرياء، فأما الظاهر من الرياء فلا يدخل فى التلبيس مثل إظهار النحول وصفار الوجه وشعث الشعر ليستدل به على الزهد، وكذلك خفض الصوت لإظهار الخشوع وكذلك الرياء بالصلاة والصدقة ومثل هذه الظواهر لا تخفى، وإنما نشير إلى خفى الرياء، وقد قال النبى ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات ». ومتى لم يرد بالعمل وجه الله عز وجل لم يقبل، قال مالك ابن دينار: قولوا لمن لم يكن صادقاً لا تتعب .

واعلم أن المؤمن لا يـريد بعمله إلا الله سـبحانه ونعـالى، وإنما يدخل عليه خفى الرياء فيلبس الأمر فنجاته منه صعبة. وفى الحديث مرفوعاً عن يسار قـال لي يوسف ابن أسباط: تـعلموا صحة الـعمل من سقمـه فإنى تعلمته فى اثنتين وعشرين سنة. وفى الحديث مرفوعاً عن إبراهيم الحنظلى قال سمعت بقية بن الوليد يقول سمعت إبراهيم ابن أدهم يقول: تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان ودخلـت عليه فى صومعته فقلت له ياسمـعان: منذ كـم أنت فى صومعـتك هذه. قال: منـذ سبعـين سنة. قلت: ما طعامـك. قال: يا حنيفى وما دعاك إلى هـذا. قلت أحببت أن أعلم. قال: فى كل ليلة حمصة. قلـت: فما الذى يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحـمصة. قال: ترى الذين بحذائك. قـلت نعم. قال إنهم يأتونـنى فى كل سنة يـوماً واحداً فـيزينون صـومعتى ويـطوفون حولـها يعظموننى بذلك وكلما تثاقلت نفسى عن العبادة ذكرتها تلك الساعة، فأنا احتمل جهد سنة لعز ساعة فاحتمل يا حنيفى جهد ساعة لعز الأبد. فوقر فى قلبى المعرفة. فقال: أزيدك قلت: نعم. قال انزل عن الصومعة فنزلت فأدلى إلىّ ركـوة فيها عـشرون حمصـة قال لى أدخل الدير فـقد رأوا ما أدليت إليك فلما دخلت الدير اجتمعت النصارى فقالوا يا حنيفى ما الذى أدلى إليك الشيخ. قلت: من قوته. قـالوا ما تصنع به نحن أحق ساوم. قلت عـشرين ديناراً فـأعطونى عشـرين ديناراً فرجـعت إلى الشيخ فـقال اخطأت لو ساومتـهم عشرين ألفاً لأعطوك، هذا عز من لا يـعبده فانظر كيف تكون بعز من تعبده يا حنيفى، أقبل على ربك .

قلت: ولخوف الرياء ستر الـصالحون أعمالهم حذراً عليـها ويهرجوها بضدها، فكان ابن سـيرين يضحك بالنهار ويبكى بـالليل، وكان فى ذيل أيوب السخـتيانى بعض الـطول، وكان ابن أدهم إذا مرض يـرى عنده ما يأكله الأصحاء وبالإسناد عن عـبد الله بن المبارك عن بكار بن عبد الله أنه سمع وهب ابـن منبه يقول: كـان رجل من أفضل أهل زمـانه وكان يزار فيعظمهم فـاجتمعوا إليه ذات يوم فقال: إنا قد خرجـنا من الدنيا وفارقنا الأهل والأموال مخـافة الطغيان وقـد خفت أن يكون قد دخل عـلينا فى

هذه حالة من الطغيان أكثر مما يدخل على أهل الأموال في أموالهم، أرانا يحب أحدنا أن تقضى له حاجته، وإن اشترى بيعاً أن يقارب لمكان دينه، وإن لقى حيى ووقر لمكان دينه فشاع ذلك الكلام حتى بلغ الملك فعجب به فركب إليه ليسلم عليه وينظر إليه فلما رآه الرجل قيل له: هذا الملك قد أتاك ليسلم عليك. فقال وما يصنع، قال للكلام الذى وعظت به، فسأل غلامه هل عندك طعام فقال شئ من ثمر الشجر مما كنت تفطر به فأمر به فأتى على مسح فوضع بين يديه، فأخذ يأكل منه وكان يصوم النهار ولا يفطر، فوقف عليه الملك فسلم عليه فأجابه بإجابة خفية وأقبل على طعامه يأكله. فقال الملك: أين الرجل فقيل له: هو هذا. قال هذا الذي يأكل. قالوا: نعم، قال: فما عند هذا من خير فأدبر، فقال الرجل: الحمد لله الذى صرفك عنى بما صرفك به. وفى رواية أخرى عن وهب، أنه لما أقبل الملك قدم الرجل طعامه فجعل يجمع البقول فى اللقمة الكبيرة ويغمسها فى الزيت فيأكل أكلاً عنيفاً. فقال له الملك: كيف أنت يا فلان، فقال كالناس. فرد الملك عنان دابته وقال ما فى هذا من خير فقال: الحمد لله الذى أذهبه عنى وهو لائم لى، وبإسناد عن عطاء قال: أراد أبو الوليد عبد الملك أن يولى يزيد ابن مرتد فبلغ ذلك يزيد فلبس فروة فجعل الجلد على ظهره والصوف خارجاً وأخذ بيده رغيفاً وعرقاً وخرج بلا رداء ولا قلنسوة ولا نعل ولا خف فجعل يمشى فى الأسواق ويأكل. فقيل للوليد: إن يزيد قد اختلط وأخبر بما فعل فتركه ومثل هذا كثير.

فصل

ومن الزهاد من يستعمل الزهد ظاهراً وباطناً، لكنه قد علم أنه لابد أن يتحدث بتركه للدنيا أصحابه أو زوجته. فيهون عليه الصبر كما هان على الراهب الذي ذكرنا قصته مع إبراهيم بن أدهم. ولو أنه أراد الإخلاص فى زهده لأكل مع أهله قدر ما ينمحى به جاه النفس ويقطع الحديث عنه فقد كان داود بن أبى هند، صام عشرين سنة ولم يعلم به أهله. كان يأخذ غذاءه ويخرج إلى السوق فيتصدق به فى الطريق، فأهل السوق

يظنون أنه قد أكل فـى البيت. وأهل البيت يظنون أنه قـد أكل فى السوق هكذا كان الناس .

فصل

ومن المتزهدين: من قوته الانقطاع فى المسـجد أو رباط أو جبل فلذته علم الناس بانفـراده وربما احتج لانقطاعه بأنـى أخاف أ أرى فى خروجى المنكرات. وله فى ذلـك مقاصد: منها الـكبر واحتقار النـاس، ومنها أنه يخاف أن يقصروا فى خـدمته، ومنها حفظ ناموسه ورياستـه فإن مخالطة الناس تذهب وهو يريـد أن يبقى إطراؤه وذكره، وربما كان مقـصوده ستر عيوبه ومقابحه وجهله بالعلم فيرى هذا. ويحب أن يزار ولا يزور ويفرح بمجئ الأمراء إليه واجتماع العوام على بابه وتقبيلهم يده. فهو يترك عيادة المرضى وشهود الجنائز ويقول لأصحـابه: اعذروا الشيخ فهذه عادته - لا كانت عادة تـخالف الشريعة. ولـو احتاج هذا الشخص إلـى القوت ولم يكن عنده من يشـتريه له صبر على الجـوع لئلا يخرج لشراء ذلك بـنفسه فيضيع جاهه لمشيه بين العوام ولو أنه خرج فاشترى حاجته لانقطعت عنه الشهرة ولكن فى باطنه حفظ الناموس. وقد كان رسول الله ﷺ يخرج إلى السوق ويشترى حاجته ويحمـلها بنفسه. وكان أبو بكر رضى الله عنه يحمل الثياب علـى كتفه فيبيع ويشترى. والحديث بـإسناد عن محمد ابن القاسـم قال: روى عن عبـد الله بن حنظلة قـال: مر عبـد الله بن سلام وعلى رأسه حزمة حطب فقال له نـاس: ما يحملك على هذا وقد أغناك الله. قال: أردت أن أدفع به الـكبر وذلك أنى سمـعت رسول الله ﷺ يقول: « لا يدخل الجنة عبد فى قلبه مثقال ذرة من الكبر ».

فصل

قال المصنف: وهذا الذى ذكرته من الخروج لشـراء الحاجة ونحوها من التبـذل كان عادة السلـف القدماء وقد تـغيرت تلك الـعادة كما تغـيرت الأحوال والملابس. فلا أرى للعالم أن يخرج اليوم لشراء حاجته لأن ذلك يكشف نور العلم عند الجهلة وتعظيمه عندهم مشروع ومراعاة قلوبهم فى مثل هذا يخرج إلى الرياء واستعمال مـا يوجب الهيبة فى القلوب لا يمنع

منه .

وليس كل ما كان فى السلف مما لا يتغير به قلوب الناس يومئذ ينبغى أن يفعل اليوم، قال الأوزاعى: كنا نضحك ونمزح فإذا صرنا يقتدى بنا فلا أرى ذلك يسعنا وقد روينا عن إبراهيم بن أدهم. أن أصحابه كانوا يوماً يتمازحون فدق رجل الباب فأمرهم بالسكوت والسكون فقالوا له: تعلمنا الرياء فقال: إنى أكره أن يعصى الله فيكم .

قال المصنف: وإنما خاف قول الجهلة، انظروا إلى هؤلاء الزهاد كيف يفعلون وذلك أن العوام لا يحتملون مثل هذا للمتعبدين .

فصل

ومن هؤلاء قوم لو سئل أحدهم أن إبليس من ثوبه ما فعل لئلا يتوكس جاهه فى الزهد ولو خرج روحه لا يأكل والناس يرونه ويحفظ نفسه فى التبسم فضلاً عن الضحك. ويوهمه إبليس أن هذا لإصلاح الخلق وإنما هو رياء يحفظ به قانون الناموس فتراه مطأطئ الرأس عليه آثار الحزن فإذا خلا رأيته ليث شرى .

فصل

وقد كان السلف يدفعون عنهم كل ما يوجب الإشارة إليهم ويهربون من المكان الذى يشار إليهم فيه والحديث بإسناد عن عبد الله بن خفيف قال، قال يوسف بن أسباط: خرجت من سبج راجلاً حتى أتيت المصيصة وجرابى على عنقى. فقام ذا من حانوته يسلم علىّ وذا يسلم. فطرحت جرابى ودخلت المسجد أصلى ركعتين فأحد قوابى واضطلع رجل فى وجهى نقلت فى نفسى كم بقاء قلبى على هذا، فأخذت جرابى ورجعت بعرفى وعنائى إلى سبج فما رجعت إلى قلبى سنتين .

فصل

ومن الزهاد من يلبس الثوب المخرق ولا يخيطه ويترك إصلاح عمامته وتسريح لحيته ليرى أنه ما عنده من الدنيا خير، وهذا من أبواب الرياء فإن كان صادقاً فى إعراضه عن أغراضه كما قيل لداود الطائى: ألا تسرح

لحيتك فقال: إنى عنها لمشغول فليعلم أنه سلك غير الجادة، إذ ليست هذه طريقة الرسول ﷺ ولا أصحابه فإنه كان يسرح شعره وينظر فى المرآة ويدهن ويتطيب وهو أشغل الخلق بالآخرة. وكان أبو بكر وعمر ابن الخطاب رضى الله عنهما يخضبان بالحناء والكتم وهما أخوف الصحابة وأزهدهم. فمن ادعى رتبة تزيد على السنة وأفعال الأكابر لم يلتفت إليه.

فصل

ومن الزهاد من يلزم الصمت الدائم وينفرد عن مخالطة أهله فيؤذيهم بقبح أخلاقه وزيادة انقباضه وينسى قول النبى ﷺ إن لأهلك عليك حقاً. وقد كان رسول الله ﷺ يمزح فيلاعب الأطفال ويحدث أزواجه وسابق عائشة إلى غير ذلك من الأخلاق اللطيفة فهذا المتزهد الجاعل زوجته كالأيم وولده كاليتيم لانفراده عنهم وقبح أخلاقه لأنه يرى أن ذلك يشغله عن الآخرة، ولا يدرى لقلة علمه أن الانبساط إلى الأهل من العون على الآخرة، وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال لجابر: «هلا تزوجت بكراً تلاعبها وتلاعبك». وربما غلب على هذا المتزهد التجفف فترك مباضعة الزوجة فيضيع فرضاً بنافلة غير ممدوحة.

فصل

ومن الزهاد من يرى عمله فيعجبه فلو قيل له أنت من أوتاد الأرض رأى ذلك حقاً، ومنهم من يترصد لظهور كرامته ويخيل إليه أنه لو قرب من الماء قدر أن يمشى عليه، فإذا عرض له أمر فدعا فلم يجب تذمر فى باطنه فكأنه أجير يطلب أجر عمله. ولو رزق الفهم لعلم أنه عبد مملوك والمملوك لا يمن بعمله. ولو نظر إلى توفيقه للعمل لرأى وجوب الشكر فخاف من التقصير فيه. وقد كان ينبغى أن يشغله خوفه على العمل من التقصير فيه عن النظر إليه كما كانت رابعة تقول: أستغفر الله من قلة صدقى فى قولى. وقيل لها هل عملت عملاً ترين أنه يقبل منك. فقالت: إذا كان فمخافتى أن يرد علىّ.

فصل

ومن تلبيس إبليس على قوم من الزهاد الذى دخل عليهم فيه من قلة

العلم أنهم يعملون بواقعاتهم ولا يلتفتون إلى قول الفقيه، قال ابن عقيل: كان أبو إسحاق الخراز صالحاً وهو أول من لقنني كتاب الله وكان من عادته الإمساك عن الكلام فى شهر رمضان. فكان يخاطب بآى القرآن فيما يعرض إليه من الحوائج فيقول فى إذنه ﴿ ادخلوا عليهم الباب ﴾ ويقول لابنه فى عشية الصوم ﴿ من بقلها وقثائها ﴾ آمراً له أن يشترى البقل، فقلت له هذا الذى تعتقده عبادة هو معصية. فصعب عليه، فقلت: أن هذا القرآن العزيز أنزل فى بيان أحكام شرعية فلا يستعمل فى أغراض دنيوية وما هذا إلا بمثابة صرك السدر والأشنان فى ورق المصحف أو توسدك له. فهجرنى ولم يصغ إلى الحجة.

قال المصنف: قلت: وقد يسمع الزاهد القليل العلم أشياء من العوام فيفتى به. حدثنى أبو حكيم إبراهيم بن دينار الفقيه. أن رجلاً استفتاه فقال ما تقول فى امرأة طلقت ثلاثاً فولدت ذكراً هل تحل لزوجها. قال: فقلت لا. وكان عندى الشريف الدحالى وكان مشهوراً بالزهد عظيم القدر بين العوام. فقال لى: بلى تحل. فقلت: ماقال بهذا أحد، فقال: والله لقد أفتيت بهذا من ههنا إلى البصرة.

قال المصنف: فانظر ما يصنع الجهل بأهله ويضاف إليه حفظ الجاه خوفاً أن يرى الزاهد بعين الجهل. وقد كان السلف ينكرون على الزاهد مع معرفته بكثير من العلم أن يفتى لأنه لم يجمع شروط الفتوى فكيف لو رأوا تخبيط المترهدين اليوم فى الفتوى بالواقعات وبالإسناد. عن اسماعيل بن شبة قال: دخلت على أحمد بن حنبل وقد قدم أحمد بن حرب من مكة فقال لى أحمد بن حنبل من هذا الخراسانى الذى قد قدم ؟ قلت: من زهده كذا وكذا ومن ورعه كذا وكذا، فقال: لا ينبغى لمن يدعى ما يدعيه أن يدخل نفسه فى الفتيا.

فصل

ومن تلبيسه على الزهاد احتقارهم العلماء وذمهم إياهم فهم يقولون المقصود العمل ولا يفهمون أن العلم نور القلب. ولوعرفوا مرتبة العلماء فى حفظ الشريعة وأنها مرتبة الأنبياء لعدوا أنفسهم عند الفصحاء والعمى

عند البصراء والعلماء آدلة الطريق والخلق وراءهم وسليم هؤلاء يمشى وحده. وفى الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن النبى ﷺ قال لعليّ ابن أبى طالب رضى الله عنه: والله لإن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم.

فصل

وبما يعيبون به العلماء. تفسح العلماء فى بعض المباحات التى يتقوون بها على دراسة العلم، وكذلك يعيبون جامع الأموال. ولو فهموا معنى المباح لعلموا أنه لا يذم فاعله وغاية الأمر أن غيره أولى منه. أفيحسن لمن صلى الليل أن يعيب على من أدى الفرض ونام. ولقد روينا بإسناد عن محمد بن جعفر الخولانى قال قال: حدثنى عبد الله الخواص وكان من أصحاب حاتم الأصم. قال: دخلنا مع حاتم البلخى إلى الرى ومعه ثلثمائة وعشرون رجلاً من أصحابه يريد الحج. وعليهم الصوف والزرمانقات ليس فيهم من معه جراب ولا طعام. فنزلنا على رجل من التجار متنسك فضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد. قال لحاتم: يا أبا عبد الرحمن لك حاجة فإنى أريد أن أعود فقيهاً لنا هو عليل فقال حاتم: إن كان لكم فقيه عليل فعيادة الفقيه لها فضل كبير والنظر إلى الفقيه عبادة وأنا أجئ معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضى الرى، فقال له مر بنا يا أبا عبد الرحمن فجاؤا إلى باب داره فإذا البواب فبقى حاتم متفكراً يقول: يا ربى دارعالم على هذا الحال، ثم أذن لهم فدخلوا فإذا بدار قوراء وآلة حسنة وبزة وفرش وستور، فبقى حاتم متفكراً ينظر حتى دخلوا إلى المجلس الذى فيه محمد بن مقاتل، وإذا بفراش حسن وطئ وهو عليه راقد وعد رأسه مذبة وناس وقوف، فقعد الرازى وبقى حاتم قائماً فأومأ إليه محمد بن مقاتل بيده أن أجلس فقال حاتم لا أجلس، فقال له ابن مقاتل فلك حاجة قال نعم، قال وما هى، قال مسألة أسألك عنها قال فاسألنى قال حاتم قم فاسطو جالساً حتى أسألك عنها فأمر غلمانه فأسندوه، فقال حاتم: علمك من هذا أين جئت به فقال حدثنى عن الثقات من الأئمة قال عمن أخذوه قال عن التابعين قال والتابعون عمن

أخذوه قال عن أصحاب رسول الله ﷺ ، قالوا أصحاب رسول الله ﷺ عمن أخذوه قال عن رسول الله ﷺ ، قال ورسول الله ﷺ من أين جاء به جاء به قال عن جبريل عن الله عز وجل فقال حاتم ففيم أداه جبريل عن الله عز وجل إلى النبى ﷺ وأداه النبى ﷺ إلى الصحابة وأداه الصحابة إلى تابعيهم وأداه التابعون إلى الأئمة وأداه الأئمة إلى الثقات وأداه الثقات إليكم، هل سمعت فى هذا العلم من كانت داره فى الدنيا أحسن وفراشه ألين وزينته أكثر كان له المنزلة عند الله عز وجل أكبر، قال: لا، قال، فكيف سمعت قال سمعت من زهد فى الدنيا ورغب فى الآخرة وأحب المساكين وأقدم لآخرته كان عند الله عز وجل له منزلة أكثر وإليه أقرب، قال حاتم، وأنت بمن اقتديت أبا لنبى ﷺ وبأصحابه التابعين من بعدهم والصالحين على أثرهم أو فرعون ونمروذ فإنهما أول من بنى بالجص والأجر. يا علماء السوء إن الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها يقول هذا العالم على هذه الحالة ألا أكون أنا. قال، فخرج من عنده وازداد محمد بن مقاتل مرضاً وبلغ أهل الرى ما جرى بين حاتم وبين ابن مقاتل فقالوا لحاتم أن محمد بن عبيد الطنافسى بقزوين أكثر شئ من هذا فصار إليه فدخل عليه وعنده الخلق يحدثهم فقال لهم: رحمك الله إنا رجل أعجمى جئتك لتعلمنى مبدأ دينى ومفتاح صلاتى كيف أتوضأ للصلاة فقال: نعمة وكرامة يا غلام إناء فيه ماء فجاءه بإناء فيه ماء فقعد محمد ابن عبيد فتوضأ ثلاثاً ثم قال له هكذا فتوضأ، قال حاتم مكانك رحمك الله حتى أتوأ بين يديك ليكون أوكد لما أريد، فقام الطنافسى وقعد حاتم مكانه فتوضأ وغسل وجهه ثلاثاً حتى بلغت الذراع غسل أربعاً، فقال الطنافسى أسرفت فقال حاتم: فى ماذا أسرفت قال غسلت ذراعك أربعاً قال يا سبحان الله أنا فى كف ماء أسرفت وأنت فى جميع هذا الذى أراه كله لم تسرف فعلم الطنافسى أنه أراده بذلك فدخل البيت ولم يخرج إلى الناس أربعين يوماً وخرج حاتم إلى الحجاز فلما صار إلى المدينة أحب أن يخصم علماء المدينة، فلما دخل المدينه قال يا قوم أى مدينة هذه قالوا مدينة الرسول ﷺ قال فأين قصر رسول الله ﷺ حتى أذهب إليه فأصلى فيه ركعتين قالوا ما كان

لرسول الله ﷺ قصر إنما كان له بيت لاط، قال، فأين قصور أهله وأصحابه وأزواجه قالوا ما كان لهم قصور إنما كان لهم بيوت لاطئه فقال حاتم فهذه مدينة فرعون قال فسبوه وذهبوا به إلى الوالى فقالوا هذا العجمى يقول هذه مدينة فرعون فقال الوالى: لم قلت ذلك قال حاتم لا تعجل علىّ أيها الأمير أنا رجل غريب دخلت هذه المدينة سألت أى مدينة هذه قالوا مدينة رسول الله ﷺ وسألت عن قصر رسول اله ﷺ وقصور أصحابه قالوا إنما كانت لهم بيوت لاطئة وسمعت الله عز وجل يقول: ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ﴾ فأنتم بمن تأسيتم برسول الله ﷺ أو بفرعون.

قال المصنف: قلت الويل للعلماء من الزاهد الجاهل الذى يقتنع بعلمه فيرى الفضل فرضاً فإن الذى أنكره مباح والمباح مأذون فيه والشرع لا يأذن فى شئ ثم يعاتب عليه فما أقبح الجهل ولو أنه قال لهم: لو قصرتم فيه أنتم لتقتدى الناس بكم كان أقرب حالة ولو سمع هذا بأن عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود رضوان الله عليهم، وفلاناً وفلاناً من الصحابة خلفوا مالاً عظيماً أتراهم ماذا كان يقول وقد اشترى تميم الدارى حلة بألف درهم وكان يقوم فيها بالليل ففرض على الزاهد التعلم من العلماء إذا لم يتعلم فليسكت والحديث بإسناد عن مالك بن دينار رضى الله عنه إن الشيطان يلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز. وبإسناد عن حبيب الفارسى يقول: والله إن الشيطان ليلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز.

قال المصنف: قلت المراد بالقراء الزهاد، وهذا اسم قديم لهم معروف والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب.

. . . . .

الباب العاشر

فى ذكر تلبيسه على الصوفية من جملة الزهاد

قال المصنف: الصوفية من جملة الزهاد وقد ذكرنا تلبيس إبليس على الزهاد إلا أن الصوفية انفردوا عن الزهاد بصفات وأحوال وتوسموا بسمات فاحتجنا إلى إفرادهم بالذكر، والتصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلى ثم ترخص المتنسبون اليها بالسماع والرقص فمال اليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من الزهد. ومال اليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب فلابد من كشف تلبيس إبليس عليهم فى طريقة القوم ولاينكشف ذلك إلا بكشف أصل هذه الطريقة وفروعها وشرح أمورها والله الموفق للصواب.

فصل

قال المصنف: كانت النسبة فى زمن رسول الله ﷺ إلى الإيمان والإسلام. فيقال مسلم ومؤمن. ثم حدث زاهد وعابد. ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد وانقطعوا إلى العبادة واتخذوا فى ذلك طريقة تفردوا بها. وأخلاقا تخلقوا بها ورأوا أن أول من انفرد به بخدمة الله سبحانه وتعالى عند بيته الحرام رجل يقال له صوفة واسمه الغوث ابن مر فنتسبوا اليه لمشابهتهم اياه فى الانقطاع إلى الله سبحانه وتعالى فسموا بالصوفية. أنبأنا محمد بن ناصر عن أبى اسحاق ابراهيم بن سعيد الحبال. قال: قال أبو محمد عبد الغنى بن سعيد الحافظ. قال: سألت وليد بن القاسم إلى أى شئ ينسب الصوفى فقال: كان فى الجاهلية يقال لهم صوفة انقطعوا إلى الله عز وجل وقطنوا الكعبة فمن تشبه بهم فهم الصوفية قال عبدالغنى فهؤلاء المعروفون بصوفة ولد الغوث ابن مر بن أخى تميم بن مر. بالاسناد إلى الزبير بن بكار قال. كانت الاجازة بالحج للناس من عرفة إلى الغوث بن مر بن أد بن طانجة ثم كانت فى ولده وكان يقال لهم صوفة. وكان اذا حانت الاجازة قالت العرب. أجز صوفة. قال الزبير. قال أبو عبيدة وصوفة وصوفان يقال لكل من ولى من البيت شيئا من غير أهله أو قام

بشئ من أمر المناسك يقال لهم صوفة وصوفان. قال الزبير حدثنى أبو الحسن الأثرم عن هشام بن محمد بن السائب الكلبى. قال إنما سمى الغوث بن مرصوفة لأنه ماكان يعيش لأمه ولد. فنذرت لئن عاش لتعلقن لرأسه صوفة ولتجعلنه ربيط الكعبة. ففعلت. فقيل له صوفة ولولده من بعده. قال الزبير. وحدثنى ابراهيم بن المنذرى عن عبد العزيز بن عمران. قال أخبرنى عقال بن شبة قال قالت أم تميم بن مر وقد ولدت نسوة فقالت لله على أن ولدت غلاما لأعبدنه للبيت. فولدت الغوث بن مر فلما ربطته عند البيت أصابه الحر فمرت به وقد سقط واسترخى. فقالت ماصار ابنى إلا صوفة فسمى صوفة وكان الحج واجارة الناس من عرفة إلى منى ومن منى إلى مكة لصوفة.

فلم تزل الإجارة فى عقب صوفة حتى أخذتها عدوان فلم تزل فى عدوان حتى أخذتها قريش.

فصل

قال المصنف: وقد ذهب قوم إلى أن التصوف منسوب إلى أهل الصُّفة. وإنما ذهبوا إلى هذا لأنهم رأوا أهل الصفة على ماذكرنا من صفة صوفة فى الانقطاع إلى الله عز وجل وملازمة الفقر فإن أهل الصفة كانوا فقراء يقدمون على رسول الله ﷺ ومالهم أهل ولا مال فبنيت لهم صفة فى مسجد رسول الله ﷺ وقيل أهل الصفة. والحديث باسناد عن الحسن. قال بنيت صفة لضعفاء المسلمين فجعل المسلمون يوصلون إليها ماستطاعوا من خير. وكان رسول الله ﷺ يأتيهم فيقول. السلام عليكم ياأهل الصفة. فيقولون. وعليك السلام يارسول الله فيقول كيف أصبحتم .فيقولون بخير يارسول الله. وباسناد عن نعيم بن المجمر عن أبيه عن أبى ذر قال. كنت من أهل الصفة وكنا إذا أمسينا حضرنا باب رسول الله ﷺ فيأمر كل رجل فينصرف برجل فيبقى من بقى من أهل الصفة عشرة أو أقل فيؤثرنا النبى ﷺ بعشائه فنتعشى فإذا فرغنا قال رسول الله ﷺ .ناموا فى المسجد.

قال المصنف. وهؤلاء القوم إنما قعدوا فى المسجد ضرورة. وإنما أكلوا

من الصدقة ضرورة. فلما فتح الله على المسلمين استغنوا عن تلك الحال وخرجوا ونسبة الصوفى إلى أهل الصفة غلط لأنه لو كان كذلك لقيل صفى، وقد ذهب إلى أنه من الصوفانة وهى بقلة رعناء قصيرة. فنسبوا اليها لاجتزائهم بنبات الصحراء وهذا أيضا غلط لأنه لو نسبوا اليها لقيل صوفانى. وقال آخرون هو منسوب إلى صوفة القفا. وهى الشعرات النابتة فى مؤخرة كأن الصوفى عطف به إلى الحق وصرفه عن الخلق. وقال آخرون. بل هو منسوب إلى الصوف. وهذا يحتمل. والصحيح الأول.

وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة وحاصلها أن التصوف عندهم رياضة النفس. ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة، وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر الإخلاص والصدق إلى غير ذلك من الخصال الحسنة التى تكسب المدائح فى الدنيا والثواب فى الأخرى. والحديث باسناد عن الطوسى يقول سمعت أبا بكر بن المثاقف يقول: سألت الجنيد بن محمد عن التصوف. فقال الخروج عن كل خلق ردئ، والدخول فى كل خلق سنى وباسناد عن عبد الواحد بن بكر قال سمعت محمد بن خفيف يقول: قال رويم كل الخلق قعدوا على الرسوم. وقعدت هذه الطائفة على الحقائق. وطالب الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع وهم طالبوا أنفسهم بحقيقة الورع ومداومة الصدق.

قال المصنف: وعلى هذا كان أوائل القوم فلبس إبليس عليهم فى أشياء ثم لبس على من بعدهم من تابعيهم فكلما مضى قرن زاد طعمه فى القرن الثانى فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن.

وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا فى الظلمات. فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا فى الجملة فرفضوا مايصلح أبدانهم. وشبهوا المال بالعقارب، ونسوا أنه خلق للمصالح وبالغوا فى الحمل على النفوس حتى أنه كان فيهم من لايضطجع. وهؤلاء كانت مقاصدهم

حسنة غير أنهم على غير الجادة. وفيـهم من كان لقلة علمه يعمل بما يقع اليه من الأحاديث الموضوعة وهو لايدرى.

ثم جاء أقـوام فتكلمـوا لهم فى الجـوع والفقر والوسـاوس والخطرات وصنفـوا فى ذلك مثل الحـارث المحاسبى. وجـاء آخرون فهذبـوا مذهب التصـوف وأفردوه بصفات مـيزوه بها من الاختـصاص بالمواقعة والـسماع والوجد والـرقص والتصفـيق وتميزوا بزيادة الـنظافة والطهـارة. ثم مازال الأمر ينمي والأشياخ يـضعون لهم أوضاعا ويتكلمون بواقـعاتهم. ويتفق بعدهم عن العلماء لابل رؤيتهم ماهم فيه أو فى العلوم حتى سموه العلم الباطن وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر. ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة فادعى عشق الحق والهيمـان فيه فكأنهم تخايلوا شخصا مستحسن الصورة فهاموا به. وهؤلاء بين الكفر والبدعة ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق. ففسدت عقائـدهم. فمن هؤلاء من قال بالحلول ومنهم من قال بالاتحاد. ومـازال إبليس يخبطهم بفـنون البدع حتى جعلوا لأنـفسهم سنناً وجاء أبو عبد الرحمن السلمـى فصنف لهم كتاب السنن وجمع لهم حقائق التفسير فذكر عنهم فيه العجب فى تفسيرهم القرآن بما يقع لهم من غير إسناد ذلـك إلى أصل من أصول العلم وإنما حملـوه على مذاهبهم. والعجب من ورعـهم فى الطعام وانبسـاطهم فى القرآن. وقد أخـبرنا أبو منصور عـبد الرحمن الـقزاز. قال أخبـرنا أبو بكر الخطيب قـال قال لى محمد بـن يوسف القطان النيسابـورى قال كان أبو عبد الرحـمن السلمى غير ثقـة ولم يكن سمع من الأصم إلا شيـئاً يسيراً فلما مـات الحاكم أبو عبد الله ابن البيع حدث عن الأصم بتاريخ يحـيى ين معين وبأشياء كثيرة سواه. وكان يضع للصوفية الأحاديث .

قال المصنف: وصنف لهم أبو نصر السراج كتاباً سماه لمع الصوفية ذكر فيه من الاعتـقاد القبيح والكلام المرذول ما سنذكـر منه جملة إن شاء الله تعالى. وصنف أبو طالب المكى قوت القلوب فذكر فيه الأحاديث الباطلة وما لا يسـتند فيـه إلى أصل من صلوات الأيام والـليالى وغيـر ذلك من الموضوع وذكر فيه الاعتقاد الفاسـد. وردد فيه قول- قال بعض المكاشفين-

وهذا كلام فارغ ودكر فيه عن بعض الصوفية إن الله عز وجل يتجلى فى الدنيا لأوليائه. أخبرنا أبو منصور القزاز أخبرنا أبو بكر الخطيب قال: قال أبو طاهر محمد بن العلاف. قال: دخل أبو طالب المكى إلى البصرة بعد وفاة أبى الحسين بن سالم فانتمى إلى مقالته وقدم بغداد فاجتمع الناس عليه فى مجلس الوعظ فخلط فى كلامه فحفظ عنه أنه قال. ليس على المخلوق أضر من الخالق فبدعه الناس وهجروه فامتنع من الكلام على الناس بعد ذلك قال الخطيب. وصنف أبو طالب المكى كتاباً سماه قوت القلوب على لسان الصوفية وذكر فيه أشياء منكرة مستبشعة فى الصفات .

قال المصنف: وجاء أبو نعيم الأصبهانى فصنف لهم كتاب الحلية. وذكر فى حدود التصوف أشياء منكرة قبيحة ولم يستح أن يذكر فى الصوفية أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وسادات الصحابة رضى الله عنهم فذكر عنهم فيه العجب وذكر منهم شريحاً القاضى والحسن البصرى وسفيان الثورى وأحمد ابن حنبل وكذلك ذكر السلمى فى طبقات الصوفية الفضيل وابراهيم بن أدهم ومعروفاً الكرخى وجعلهم من الصوفية بأن أشار إلى أنهم من الزهاد.

فالتصوف مذهب معروف يزيد على الزهد ويدل على الفرق بينهما أن ابن هوازن القشيرى كتاب الرسالة فذكر فيها العجائب من الكلام فى الفناء. والبقاء والقبض. والبسط. والوقت. والحال. والوجد. والوجود. والجمع. والتفرقة. والصحو. والسكر. والذوق. والشرب. والمحو. والإثبات. والتجلى والمحاضرة. والمكاشفة. واللوائح. والطوالع. واللوامع. والتكوين. والتمكين. والشريعة. والحقيقة. إلى غير ذلك من التخليط الذى ليس بشىء وتفسيره أعجب منه، وجاء محمد بن طاهر المقدسى فصنف لهم صفوة التصوف فذكر فيه أشياء يستحى العاقل من ذكرها سنذكر منها ما يصلح ذكره فى مواصعه إن شاء الله تعالى.

وكان شيخنا أبو الفضل بن ناصر الحافظ يقول: كان ابن طاهر يذهب مذهب الاباحة وصنف كتابا فى جواز النظر إلى المراد أو رد فيه حكاية عن يحيى بن معين قال: رأيت جارية بمصر مليحة صلى الله عليها. فقيل

له تصلى عليها فقال صلى الله عليها وعلى كل مليح: قال شيخنا ابن ناصر. وليس ابن طاهر بمن يحتج به، وجاء أبو حامد الغزالى فصنف لهم كتاب الأحياء على طريقة القوم وملأه بالأحاديث الباطلة وهو لا يعلم بطلانها وتكلم فى علم المكاشفة وخرج عن قانون الفقه وقال ان المراد بالكوكب والشمس والقمر اللواتى رآهن إبراهيم صلوات الله عليه أنوارهى حجب الله عز وجل ولم يرد هذه المعروفات. وهذا من جنس كلام الباطنية. وقال فى كتابه المفصح بالأحوال. إن الصوفية فى يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصورة إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق .

قال المصنف: وكان السبب فى تصنيف هؤلاء مثل هذه الأشياء قلة علمهم بالسنن والاسلام والآثار واقبالهم على ما استحسنوه من طريقة القوم. وإنما استحسنوها لأنه قد ثبت فى النفوس مدح الزهد وما رأوا حالة أحسن من حالة هؤلاء القوم فى الصورة ولا كلاما أرق من كلامهم. وفى سير السلف نوع خشونة ثم أن ميل الناس إلى هؤلاء القوم شديد لما ذكرنا من أنها طريقة ظاهرها النظافة والتعبد وفى ضمنها الراحة والسماع والطباع تميل إليها. وقد كان أوائل الصوفية ينفرون من السلاطين والأمراء فصاروا أصدقاء .

فصل

وجمهور هذه التصانيف التى صنفت لهم لاتستند إلى أصل وإنما هى واقعات تلقفها بعضهم عن بعض ودونوها وقد سموها بالعلم الباطن. والحديث باسناد إلى أبى بعقوب اسحق بن حية قال سمعت احمد بن حنبل وقد سئل عن الوساوس والخطرات. فقال. ما تكلم فيها الصحابة ولا التابعون .

قال المصنف: وقد روينا فى أول كتابنا هذا عن ذى النون نحو هذا وروينا عن احمد ابن حنبل أنه سمع كلام الحارث المحاسبى. فقال لصاحب له. لا أرى لك أن تجالسهم. وعن سعيد بن عمرو البردعى،

قال شهدت أبا زرعة وسئل عن الحارث المحاسبى وكتبه فقال للسائل. اياك وهذه الكتب. هذه الكتب كتب بدع وضلالات، عليك بالاثر فانك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب، قيل له. فى هذه الكتب عبرة. قال. : من لم يكن له فى كتاب الله عز وجل عبرة فليس له فى هذه الكتب عبرة بلغكم أن مالك بن أنس، وسفيان الثورى، والاوزاعى، والأئمة المتقدمة، صنفوا هذه الكتب فى الخطرات والوساوس وهذه الأشياء هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم يأتوننا مرة بالحارث المحاسبى ومرة بعبد الرحيم الدبيلى ومرة بحاتم الأصم ومرة بشقيق، ثم قال: ما أسرع الناس إلى البدع .

أخبرنا محمد بن عبد الباقى نا أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمى عن أبى عبد الرحمن السلمى قال: أول من تكلم فى بلدته فى ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية ذو النون المصرى فأنكر عليه ذلك عبد الله بن عبد الحكم وكان رئيس مصر وكان يذهب مذهب مالك وهجرة لذلك علماء مصر لما شاع خبره أنه أحدث علما لم يتكلم فيه السلف حتى رموه بالزندقة. قال السلمى وأخرج أبو سليمان الدارانى من دمشق وقالوا أنه يزعم أنه يرى الملائكة وأنهم يكلمونه، وشهد قوم على احمد بن الحوارى: يفضل الأولياء على الأنبياء فهرب من دمشق إلى مكة، وأنكر أهل بسطام على أبى يزيد البسطامى ما كان يقول حتى أنه ذكر للحسين بن عيسى أنه يقول: لى معراج كما كان للنبى ﷺ معراج فأخرجوه من بسطام، واقام بمكة سنتين ثم رجع إلى جرجان فأقام بها إلى أن مات الحسين بن عيسى ثم رجع إلى بسطام، قال السلمى وحكى رجل عن سهلى ابن عبد الله التسترى أنه يقول: إن الملائكة والجن والشياطين يحضرونه وإنه يتكلم عليهم فأنكر ذلك عليه العوام حتى نسبوه إلى القبائح فخرج إلى البصرة فمات بها، قال السلمى وتكلم الحارث المحاسبى فى شىء من الكلام والصفات فهجرة احمد بن حنبل فاختفى إلى أن مات .

قال المصنف: وقد ذكر أبو بكر الخلال فى كتاب السنة عن أحمد بن حنبل أنه قال: حذروا من الحارث أشد التحذير الحارث أصل البلية يعنى

فى حوادث كلام جهم ذاك جالسة فلان وفلان وأخرجهم إلى رأى جهم ما زال مأوى أصحاب الكلام حارث بمنزلة الأسد المرابط انظر أى يوم يثب على الناس .

فصل

قال المصنف: وقد كان أوائل الصوفية يقرون بأن التعويل على الكتاب والسنة وإنما لبس الشيطان عليهم لقلة علمهم. وبإسناد عن جعفر الخلدى يقول سمعت الجنيد يقول قال أبو سليمان الدارانى قال ربما تقع فى نفسى النكتة من نكت القوم أياماً فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة وبإسناد عن طيفور البسطامى يقول سمعت موسى بن عيسى يقول قال لى أبى قال أبو يزيد لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى وحفظ الحدود .

وبإسناد عن أبى موسى يقول سمعت أبا يزيد البسطامى قال: من ترك قراءة القرآن والتقشف ولزوم الجماعة وحضور الجنائز وعيادة المرضى وادعى بهذا الشأن فهو مبتدع. بإسناد عن عبد الحميد الحبلى يقول سمعت سريا يقول: من ادعى باطن علم ينقض ظاهر حكم فهو غالط وعن الجنيد أنه قال: مذهبنا هذا مقيد بالأصول الكتاب والسنة، وقال أيضاً علمنا منوط بالكتاب والسنة من لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم يتفقه لايقتدى به، وقال أيضاً ما أخذنا التصوف عن القيل والقال لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات لأن التصوف من صفاء المعاملة مع الله سبحانه وتعالى وأصله التفرق عن الدنيا كما قال حارثة: عرفت نفسى فى الدنيا فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى. وعن أبى بكر الشفاف: من ضيع حدود الأمر والنهى فى الظاهر حرم مشاهدة القلب فى الباطن، وقال الحسين النورى لبعض أصحابه. من رأيته يدعى مع الله عز وجل حالة تخرجه عن حد علم الشرع فلا تقربنه، ومن رأيته يدعى حالة لا يدل عليها دليل ولا يشهد لها حفظ ظاهر فاتهمه على دينه، وعن الجريرى قال: أمرنا هذا كله مجموع على فضل واحد هو أن تلزم قلبك المراقبة ويكون العلم على ظاهرك قائماً. وعن أبى جعفر قال:

من لم يزن أقواله وأفعـاله وأحواله بالكتاب والسنة ولـم يتـهم خاطره فلا تعده فى ديوان الرجال

فصل

قال المصنف: وإذ قد ثبت هذا مـن أقوال شيوخهم وقـعت من بعض أشياخهم غلطـات لبعدهم عن العلم فان كان ذلك صحيـحاً عنهم توجه الرد عليهم إذ لا محاباة فى الحق وإن لـم يصح عنهم حذرنا من مثل هذا القول وذلك المذهب من أى شخص صدر. فأما المـشبهون بالقوم وليسوا منهم فأغلاطهم كثيرة. ونحن نـذكر بعض ما بلغنا من أغلاط القوم والله يعلم أننا لم نقصـد ببيان غلط الغالط إلا تنزيه الشريعة والغـيرة عليها من الدخل وما علينا من القائل والفاعل وإنما نؤدى بذلك أمانة العلم وما زال العلمـاء يبين كل واحد منـهم غلط صاحبـه قصداً لبيـان الحق لا لاظهار عيب الغـالط ولا اعتبار بقول جـاهل يقول: كيف يرد عـلى فلان الزاهد المتـبرك به. لأن الانـقياد إنمـا يكون إلي مـا جاءت به الـشريعـة لا إلى الأشخـاص، وقد يكون الرجل من الأولـياء وأهل الجنة وله غلـطات فلا تمنع منزلته بيان الله .

واعلم إن من نظر إلى تـعظيم شخص ولـم ينظر بالدلـيل إلى ما صدر عنه كـان كمن ينظر إل مـا جرى على يد المـسيح صلوات الله علـيه من الأمور الخارقة ولم ينظر إليه فادعى فيه الالهية. ولو نظر إليه وأنه لا يقوم إلا بالطعـام لم يعطه إلا ما يـستحقـه، وقد أخبرنا اسـماعيل بن أحـمد السمرقـندى باسناد إلى يحيى بـن سعيد قال: سـألت شعبة وسفـيان بن سعيد وسفيان بن عيينـة ومالك ابن أنس عن الرجل لا يحفظ أو يتهم فى الحديث. فقالوا جميعا يبيـن أمره: وقد كان الأمام أحمد بن حنبل يمدح الرجل ويبالغ ثم يذكر غلطه في الشيء بعد الشيء وقال نعم الرجل فلان لو لا أن خلة فيه وقال عن سرى السقـطى: الشيخ المعروف بطيب المطعم ثم حكى له عنه أنـه قال أن الله عز وجل لما خلق الحروف سـجدت الباء فقال: نفروا الناس عنه .

سياق ما يروى عن الجماعة منهم من سوء الاعتقاد

ذكر تلبيس إبليس فى السماع وغيره

عن أبى عبد الله الرملى قال تكلم أبو حمزة فى جامع طرسوس فقتلوه فبينما هو ذات يوم يتكلم إذ صاح غراب علس سطح الجامع فزعق أبو حمزة وقال: لبيك لبيك. فنسبوه إلى الزندقة وقالوا حلولى زنديق. وبيع فرسه بالمناداة على باب الجامع هذا فرس الزنديق، وبإسناد إلى أبى بكر الفرغانى أنه قال: كان أبو حمزة إذا سمع شيئاً يقول: لبيك لبيك فأطلقوا عليه أنه حلولى. ثم قال أبو على وإنما جعله داعياً من الحق أيقظه للذكر. وعن أبى على الروزبارى قال أطلق علـى أبى حمزة أنه حلولى وذلك أنه كان إذا سمع صوتاً مثل هبوب الرياح وخرير الماء وصياح الطيور كان يصيح ويقول لبيك لبيك فرموه بالحلول. قال السراج وبلغنى عن أبى حمزة أنه دخل دار الحارث المحاسبى فصاحت الشاه ماع فشهق أبو حمزة شهقه وقال: لبيك يا سيدى فغضب الحارث المحاسبى وعمد إلى سكين وقال إن لم تتب من هذا الذى أنت فيه آذبحك. قال أبو حمزة: إذا أنت لم تحسن تسمع هذا الذى أنا فيه فلم تأكل النخالة بالرماد .

وقال السراج وأنكر جماعة من العلماء على أبى سعيد احمد بن عيسى الخرا ونسبوه إلى الكفر بألفاظ وجدوها فى كتاب صنفه وهو كتاب السر ومنه قوله: عبد طائع ما أذن له فلزم التعظيم لله فقدس الله نفسه قال: وأبو العباس أحمد ابن عطاء نسب إلى الكفر والزندقة قال وكم من مرة قد أخد الجنيد مع علمه وشهد عليه بالكفر والزندقة وكذلك أكثرهم. وقال السراج: ذكر عن أبى بكرة محمد بن موسى الفرغانى الواسطى أنه قال من ذكر افترى ومن صبر اجترى. وإياك أن تلاحظ حبيباً أو كليما أو خليلا وأنت تجد إلى ملاحظة الحق سبيلا. فقيل له: أولا أصلى عليهم قال: صل عليهم بلا وفار ولا تجعل لها فى قلبك مقدار. قال السراج: وبلغنى أن جماعة من الحلوليين زعموا أن الحق عز وجل اصطفى أجساماً حل فيها بمعانى الربوبية وأزال عنها معانى البشرية ومنهم من قال بالنظر

إلى الشواهد المستحسنات ومنهم من قال حال فى المستحسنات. قال وبلغنى عن جماعة من أهل الشام أنهم يدعون الرؤية بالقلوب فى الدنيا كالرؤية بالعيان فى الآخرة قال السراج. وبلغنى أن أبا الحسين النورى شهد عليه غلام الخليل أنه سمعه يقول: أنا أعشق الله عز وجل وهو يعشقنى فقال النورى: سمعت الله يقول يحبهم ويحبونه وليس العشق بأكثر من المحبة: قال القاضى ابو يعلى: وقد ذهبت الحلولية إلا أن الله عز وجل يعشق .

قال المصنف: وهذا جهل من ثلاثة أوجه: أحدها من حيث الاسم فان العشق عند أهل اللغة لا يكون إلا لما ينكح والثانى أن صفات الله عز وجل منقولة فهو يحب ولا يقال يعشق ويحب ولا يقال يعشق كما يقال يعلم ولا يقال يعرف والثالث من أين له أن الله يحبه فهذه دعوى بلا دليل وقد قال النبى: ﷺ «من قال إنى فى الجنة فهو فى النار».

وعن أبى عبد الرحمن السلمى قال حكى عن عمرو المكى أنه قال: كنت أماشى الحسين بن منصور فى أزقة مكة وكنت أقرأ القرآن فسمع قراءتى فقال يمكننى أن أقول مثل هذا ففارقته. وعن محمد بن يحيى الرارى يقول قال أبو بكر بن حمشاود قال: حضر عندنا بالدينور رجل ومعه فملاة». قال سمعت عمرو بن عثمان يلعن الحلاج ويقول. لو قدرت عليه لقتلته بيدى فقلت بأى شىء وجد عليه الشيخ فقال قرأت آية من كتاب الله عز وجل فقال يمكننى أن أقول أو أؤلف مثله وأتكلم به. وبإسناد عن أبى القاسم الرازى فما كان يفارقها لا باليل ولا بالنهار ففتشوا المخلاة فوجدوا فيها كتابا للحلاج عنوانه من الرحمن الرحيم إلى فلان بن فلان فوجه إلى بغداد فأحضر وعرض عليه فقال. هذا خطى وأنا كتبته. فقالوا كتبت تدعى النبوة فصرت تدعى الربوبية. فقال. ما أدعى الربوبية ولكن هذا عين الجمع عندنا هل الكتاب إلا الله تعالى واليد فيه آله. فقيل له: هل معك أحد. فقال. نعم ابن عطاء وأبو محمد الجريرى وأبو بكر الشبلى. وأبو محمد الجريرى يتستر والشبلى يتستر فان كان فابن عطاء فأحضر الجريرى وسئل فقال قائل. هذا كافر يقتل من يقول هذا

وسئل الشبلى فقال من يقول هذا يمنع وسئل ابن عطاء عن مقالة الحلاج فقال بمقالته وكان سبب قتله. وبإسناد عن ابن باكويه قال: اسمعت عيسى بن بردل القزوينى وقد سئل أبو عبد الله بن خفيف عن معنى هذه الأبيات.

سبحان من أظهر ناسوته ... سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا فى خلقه ظاهراً ... فى صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه ... كلحظة الحاجب بالحاجب

فقال الشيخ: على قائله لعنة الله. قال عيسى بن فورك: هذا شعر الحسين ابن منصور. قال: إن كان هذا اعتقاده فهو كافر إلا أنه ربما يكون منقولا عليه. وبإسناد عن على بن المحسن القاضى عن أبى القاسم اسماعيل بن محمد بن زنجى عن أبيه أن بنت السمرى أدخلت على حامد الوزير. فسألها عن الحلاج فقالت. حملنى أبى اليه فقال. قد زوجتك من ابنى سليمان وهو مقيم بنيسابور فمتى جرى شيء تنكرينه من جهته فصومى يومك واصعدى فى آخر النهار إلى السطح وقومى على الرماد واجعلى فطرك عليه وعلى ملح جريش واستقبلينى بوجهك واذكرى لى ما أنكرتيه منه فانى أسمع وأرى. قالت: وكنت ليلة نائمة فى السطح فأحسست به قد غشينى فانتبهت مذعورة لما كان منه. فقال إنما جئتك لأوقظك للصلاة. فلما نزلنا قالت ابنته. اسجدى له. فقلت: أو يسجد أحد لغير الله. فسمع كلامى. فقال. نعم إله فى السماء وإله فى الأرض.

قال المصنف: اتفق علماء العصر على إباحة دم الحلاج. فأول من قال إنه حلال الدم أبو عمرو القاضى ووافقه العلماء. وإنما سكت عنه أبو العباس سريج قال وقال لا أدرى ما يقول. والاجماع دليل معصوم من الخطأ وبإسناد عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «ان الله أجاركم أن تجتمعوا على ضلالة كلكم» وبأساد عن أبى القاسم يوسف ابن يعقوب النعمانى قال سمعت والدى يقول سمعت أبا بكر محمد بن داود الفقيه الأصبهانى يقول: إن كان ما أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ

حقا فما يقول الحلاج باطل وكان شديداً عليه .

قال المصنف . وقد تعصب للـحلاج جماعة من الصوفيـة جهلا منهم وقلة مبالاة بإجماع الفقهاء وبإسناد عـن محمد بن الحسين النيسابورى قال سمعت ابراهيم بن مـحمد النصر ا بادى كان يقول. إن كان بـعد النبيين والصديـقين موحـد فهو الحلاج قـلت. وعلى هذا أكـثر قصاص زمـاننا وصوفـية وقتـا جهلا من الـكل بالشرع وبـعداً عن معـرفة النقـل. وقد جمعت فى أخبار الحـلاج كتاباً بينت فيه حيله ومخاريقـه وما قال العلماء فيه والله المعين على قمع الجهال .

وبإسناد عن أبـى نعيم الحافظ قـال سمعت عـمر البنا البـغدادى بمكة يحكى أنه لـمـا كانت محنة غـلام الخليل ونسبة الـصوفية إلى الزنـدقة أمر الخليفة بالقبض عليهم فأخذ النورى فى جماعة فأدخلوا على الخليفة فأمر بضرب أعـناقهم فتـقدم النورى فى جمـاعة فأدخلوا عـلى الخليفة فـأمر بضرب أعاقهم فتـقدم النورى مبتدراً إلى السياق ليضـرب عنقه. فقال له السياق. ما دعـاك إلى البدار. قال آثرت حياة أصحابـى على حياتى هذه اللحظـة فتوقف السـياق فرفع الأمـر إلى الخليفـة فرد أمرهم إلـى قاضى القضاة اسـماعيل بن اسحـاق فأمر بتخلـيتهم. وبإسناد إلى أبـى العباس أحمد بن عطاء. قال كان يسعى بالصوفـية ببغداد غلام الخليل إلى الخليفة فقال ههـنا قوم زنادقة فأخذ أبـو الحسين النورى، وأبو حمـزة الصوفى، وأبو بكر الدقاق، وجماعة من أقران هؤلاء واستتر الجنيد بن محمد بالفقه على مذهب أبى ثور. فأدخلوا إلى الخليفـة فأمر بضرب أعناقهم فأول من بدر أبو الحسين النورى. فقال له السياق لم بادرت أنت من بين أصحابك ولم ترع. قال. أحـببت أن أوثر أصحابى بالحـياة مقدار هذه السـاعة فرد الخليفة أمرهم إلى القاضى فأطلقوا .

قال المصنف: ومن أسباب هذه القصة قول النورى. أنا أعشق الله والله يعشقنى. فشهد عليه بهذا. ثم تـقدم النورى إلى السياق ليقتل إعانة على نفسـه فهو خطـأ آيضاً. وبإسناد عـن ابن باكويه قـال سمعت أبا عـمرو وتلميذ الرقى قال سـمعت الرقى يقول: كان لنا بيت ضيافة فـجاءنا فقير

عليه خرقتان يـكـى بأبى سليمان فقال. الضيافـة. فقلت لإبنى: إمض به إلى البيت فأقام عندنا تسعة أيام فأكل فى كل ثلاثة أيام آكله. فسمته المقام فقال. الضيافة ثلاثة أيام فقلت لـه: لا تقطع عنا أخبارك فغاب عنا اثنتى عشرة سنة ثم قدم فقلت من أين. فقـال: رأيت شيخاً يقال له أبو شعيب المقفع مبتـلى فأقمت عنده أخدمه سنة فوقع فـى نفسى أن أسأله أى شىء كان أصل بلائه فلما دنوت منه ابتدأنى قبل أن أسأله فقال وماسؤالك عما لايعنيك. فصبرت حتى تم لى ثلاث سنين. فقال فى الثالثة لابد لك فقلت له ان رأيت. فـقال. بينـما أنا أصلى بـالليل إذ لاح لى من المحـراب نور فقلت إخـسأ ياملعون فان ربـى عز وجل غنى عن أن يبرز لـلخلق ثلاث مرات قال ثم سـمعت نداء من المحراب ياأبا شـعيب. فقلت لبـيك فقال تحب أن أقبضك فى وقتك أو نجاريك على مـا مضى لك أو نبتليك ببلاء نرفعك به فى عليـين فاخترت البلاء فسقطت عـيناى ويداى ورجلاى قال فمـكثت أخدمـه تمام اثنتـى عشرة سـنة. فقـال يوماً من الأيـام أدن منى فدنوت منه فسمـعت أعضاءه يخاطب بعضها بعضـاً حتى برزت أعضاؤه كلها بين يديه وهو يسبح ويقدس ثم مات .

قال المـصنف: وهذه الحكايـة توهم أن الرجل رأى الله عز وجل فـلما أنكر عوقب وقد ذكرنا أن قوماً يقولون أن الله عز وجل يرى فى الدنيا. وقد حكى أبو القاسم عبدالله بن أحمد البلخى فى كتاب المقالات قال قد حكى قوم من المـشبهة أنهم يجـيزون رؤية الله تعالى بالأبصـار فى الدنيا وأنهم لاينكرون أن يكون بعض من تلقاهم فى السكك وإن قوماً يجيزون مع ذلك مصـافحته وملازمتـه وملامسته ويدعون أنـهم يزورونه ويزورهم وهم يسـمعـون بالعـراق أصحـاب الباطـن وأصحاب الـوساوس وأصـحاب الخطرات .

قال المصنف: وهذا فوق القبيح نعوذ بالله من الخذلان .

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى الطهارة

قال المصنف: قد ذكرنا تلبـيسه على العباد فى الـطهارة إلا أنه قد زاد فى حق الصوفيه على الحد فقوى وساوسهم فى استعمال الماء الكثير حتى

بلغنى أن ابن عقيل دخـل رباطا فتوضأ فضحكوا لقلة استـعماله الماء وما علموا أن مـن أسبغ الوضوء برطل من المـاء كفاه. وبلغنا عن أبـى حامد الشيرازى أنه قال لفقير: من أين تتوضأ .فقال.من النهر، بى وسوسة فى الطهارة قال: كان عـهدى بالصوفية يسخرون من الشـيطان. والآن يسخر بهم الشيطان، ومنهم من يمشى بالمداس على البوارى وهذا لا بأس به إلا أنه ربما نظر المبـتدى إلى من يقتدى به فـيظن ذلك شريعة وما كـان خيار السلف على هذا، والعـجب ممن يبالغ فىٰ الاحتراز إلى هذا الحد مـتصفاً ظاهره وباطنه محشو بالوسخ والكدر والله الموفق .

ذكر تلبيس إبليس عليهم فى الصلاة

قال المصنف: وقد ذكـرنا تلبيـسه على العـباد فى الصـلاة وهو بذلك يلبس علـى الصوفية ويـزيد، وقد ذكر محـمد بن طاهر المقـدسى ان من سنتهم التى يـنفردون بها وينتسبون اليـها صلاة ركعتين بعـد لبس المرقعة والتوبة واحتج عليه بحديث ثمامة بن أثال أن النبى ﷺ أمره حين أسلم أن يغتسل .

قال المصنف: وما أقبح بالجاهل إذا تعاطى ما ليس من شغله فان ثمامة كان كافراً فأسلم وإذا أسلم الكافر وجب عـليه الغسل فى مذهب جماعة من الفقهاء منهـم أحمد ابن حنبل، وأما صلاة ركعتين فـما أمر بها أحد من العلمـاء لمن أسلم وليس فى حـديث ثمامة ذكر صـلاة فيقاس عـليه، وهل هذا إلا ابتداع فى الـواقع سموه سنة. ثم من أقبح الأشـياء قوله أن الصوفـية ينفردون بسنن، لأنـها إن كانت منسـوبة إلى الشرع فالمـسلمون كلهم فيها سواء والفقهاء أعرف بها فما وجه انفراد الصوفية بها وإن كانت بآرائهم فانما انفردوا بها لأنهم اخترعوها .

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى المساكن

قال المصنف: أما بناء الأربطة فان قوماً من المتـعبدين الماضين اتخذوها للانفراد بالتعبد. وهؤلاء إذا صح قصدهم فهم على الخطأ من ستة أوجه. احدها أنهم ابتـدعوا هذا البناء وإنما بنيان أهل الإسلام المسـاجد: والثانى أنهم جعلوا للمساجد نظيراً يقلل جمعها. والثالث أنهم أفاتوا أنفسهم نقل

الخطا إلى المساجد. والرابع أنهم تشبهوا بالنصارى بانفرادهم بالأديرة. والخامس أنهم تعذبوا وهم شباب وأكثرهم محتاج إلى النكاح. والسادس أنهم جعلوا لأنفسهم علماً ينطق بأنهم زهاد فيوجب ذلك زيارتهم والتبرك بهم وإن كان قصدهم غير صحيح فانهم قد بنوا دكاكين للكوبة ومناخا للبطالة وأعلاماً لإظهار الزهد. وقد رأينا جمهور المتأخرين منهم مستريحين فى الأربطة من كد المعاش متشاغلين بالأكل والشرب والغناء والرقص يطلبون الدنيا من كل ظالم ولا يتورعون من عطاء ماكس وأكثر أربطتهم قد بناها الظلمة ووقفو عليها الأموال الخبيثة. وقد لبس عليهم إبليس أن ما يصل إليكم رزقكم فأسقطوا عن أنفسكم كلفة الورع. فمهمتهم دوران المطبخ والطعام والماء المبرد فأين جوع بشر، وأين ورع سرى، وأين جد الجنيد وهؤلاء أكثر زمانهم ينقضى فى التفكه بالحديث أو زيارة أبناء الدنيا فإذا أفلح أحدهم أدخل رأسه فى زر ما نفقته فغلبت عليه السوداء فيقول حدثنى قلبى عن ربى. ولقد بلغنى أن رجلا قرأ القرآن فى رباط فمنعوه وأن قوماً قرأوا الحديث فى رباط فقالوا لهم ليس هذا موضعه والله الموفق .

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى الخروج عن الأموال والتجرد عنها

كان إبليس يلبس على أوائل الصوفية لصدقهم فى الزهد فيريهم عيب المال ويخوفهم من شره فيتجردون من الأموال ويجلسون على بساط الفقر وكانت ومقاصدهم صالحة وأفعالهم فى ذلك خطأ لقلة العلم. فأما الآن فقد كفى إبليس هذه المؤنة فان أحدهم إذا كان له مال أنفقه تبذيراً وضياعاً والحديث باسناد عن محمد بن الحسين السليمى قال سمعت أبا نصر الطوسى: قال سمعت جماعة من مشايخ الرى يقولون : ورث أبو عبدالله المقرى من أبيه خمسين ألف دينار سوى الضياع والعقار فخرج عن ذلك كله وأنفقه على الفقراء .

وقد روى مثل هذا عن جماعة كثيرة وهذا الفعل لا ألوم صاحبه إذا كان يرجع إلى كفاية قد ادخرها لنفسه أو إن كانت له صناعة يستغنى بها

عن الناس أو كان المال عن شبهة فتصدق به فأما إذا أخرج المال الحلال كله ثم احتاج إلى ما فى أيدى الناس وأفقر عياله فهو إما أن يتعرض لمنن الاخوان أو لصدقاتهم أو أن يأخذ من أرباب الظلم والشبهات فهذا هو الفعل المذموم المنهى عنه. ولست أتعجب من المتزهدين الذين فعلوا هذا مع قلة علمهم وإنما العجب من أقوام لهم عقل وعلم كيف حثوا على هذا وأمروا به مع مصادمته للعقل والشرع وقد ذكر الحارث المحاسبى فى هذا كلاماً طويلاً وشيده أبو حامد الغزالى ونصره والحارث عندى أعذر من أبى حامد لأن أبا حامد كان أفقه غير أن دخوله فى التصوف أوجب عليه نصرة ما دخل فيه.

فمن كلام الحارث المحاسبى فى هذا أنه قال: أيها المفتون متى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه. فقد أزريت بمحمد ﷺ والمرسلين وزعمت أن محمداً ﷺ لم ينصح الأمة إذ نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمعه خير لهم وزعمت أن الله لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمعه خير لهم وما ينفعك الاحتجاج بمال الصحابة. ودابن عوف فى القيامة أن لو لم يؤت من الدنيا إلا قوتاً. قال ولقد بلغنى أنه لما توفى عبد الرحمن ابن عوف قال ناس من أصحاب رسول الله ﷺ إنا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك قال كعب: سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيباً وأنفق طيباً فبلغ ذلك أبا ذر فخرج مغضباً يريد كعباً فمر بلحى بعير فأخذه بيده ثم انطلق يطلب كعبا فقيل لكعب إن أبا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان يستغيث به وأخبره الخبر فأقبل أبو ذر يقتص الأثر فى طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هارباً من أبى ذر فقال له أبو ذر: هيه يا ابن اليهودية تزعم أنه لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف لقد خرج رسول الله ﷺ يوماً فقال الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا ثم قال: يا أبا ذر وأنت تريد الأكثر وأنا أريد الأقل فرسول الله ﷺ يريد هذا وأنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف. كذبت وكذبت من قال بقولك، فلم يرد عليه حرفاً حتى خرج.

قال الحارث: فهذا عبد الرحمن مع فضله يوقف فى عرصة القيامة بسبب مال كسبه من حلال للتعفف ولصنائع المعروف فيمنع من السعى إلى الجنة مع فقراء المهاجرين وصار يحبو فى آثارهم حبواً. وقد كان الصحابة رضى الله عنهم إذا لم يكن عندهم شىء فرحوا وأنت تدخر المال وتجمعه خوفاً من الفقر وذلك من سوء الظن بالله وقلة اليقين بضمانه وكفى به اثماً وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها ولذاتها وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال من أسفَ على دنيا فاتته قرب من النار مسيرة سنة وأنت تأسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله عز وجل. ويحك هل تجد فى دهرك من الحلال كما وجدت الصحابة وأين الحلال فتجمعه. ويحك إنى لك ناصح أرى لك أنك تقنع بالبلغة ولا تجمع المال لأعمال البر فقد سئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لأعمال البر فقال تركه أبر منه. وبلغنا أن بعض خيار التابعين سئل عن رجلين أحدهما طلب الدنيا حلالا فأصابها فوصل بها رحمه وقدم منها لنفسه والآخر جانبها ولم يطلبها ولم يبذلها فأيهما أفضل فقال: بعيد والله ما بينهما الذى جانبها أفضل كما بين مشارق الأرض ومغاربها .

قال المصنف: فهذا كله كلام الحارث المحاسبى ذكره أبو حامد وشيده وقواه بحديث ثعلبة فانه أعطى المال فمنع الزكاة(٣) قال أبو حامد: فمن راقب أحوال الأنبياء والأولياء وأقوالهم لم يشك فى أن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات، إذ أقل ما فيه اشتغالهم باصلاحه عن ذكر الله عز وجل فينبغى للمريد أن يخرج من ماله حتى لا يبقى له إلا قدر ضرورته فما بقى له درهم يلتفت إليه قلبه فهو محجوب عن الله عز وجل.

قال المصنف: وهذا كله بخلاف الشرع والعقل وسوء فهم للمراد بالمال.

فصل

فى رد هذا الكلام أما شرف المال فان الله عز وجل عظم قدره وأمر بحفظه إذ جعله قواماً للآدمى الشريف فهو شريف. فقال تعالى: ﴿ولا

تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما﴾ ونهى عز وجل أن يسلم المال إلى غير رشيد. فقال ﴿فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم﴾ وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن إضاعة المال وقال لسعد: لأن تترك ورثتك أغنياء خير لك من أن تتركهم عالة يتكففون الناس وقال: ما نفعنى مال كمال أبى بكر والحديث باسناد مرفوع عن عمرو بن العاص. قال: بعث إلىّ رسول الله ﷺ فقال: خذ عليك ثيابك وسلاحك ثم ائتنى، فأتيته فقال: إنى أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك من المال رغبة . فقلت يا رسول الله ماأسلمت من أجل المال ولكنى أسلمت رغبة فى الإسلام. فقال يا عمرو نعم المال الصالح للرجل الصالح. والحديث باسناد عن أنس ابن مالك، أن رسول الله ﷺ دعا له بكل خير. وكان فى آخر دعائه أن قال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له. وباسناد عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن عبيد الله كعب بن مالك قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حديث توبته. قال: فقلت يا رسول الله أن من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة إلى الله عز وجل وإلى رسوله ﷺ فقال: أمسك بعض مالك فهو خير لك.

قال المصنف: فهذه الأحاديث مخرجة فى الصحاح وهى على خلاف ما تعتقده المتصوفة من أن إكثار المال حجاب وعقوبة وأن حبسه ينافى التوكل. ولا ينكر أنه يخاف من فتنته وأن خلقاً كثيراً اجتنبوه لخوف ذلك وأن جمعه من وجهة يعز وسلامة القلب من الافتنان به يبعد واشتغال القلب مع وجوده بذكر الآخرة يندر ولهذا خيف فتنته. فأما كسب المال فان من اقتصر على كسب البلغة من حلها فذلك أمر لا بد منه. وأما من قصد جمعه والاستكثار منه من الحلال نظرنا فى مقصوده، فان قصد نفس المفاخرة والمباهاة فبئس المقصود، وإن قصد إعفاف نفسه وعائلته وادخر لحوادث زمانه وزمانهم وقصد التوسعة على الاخوان واغناء الفقراء وفعل المصالح أثيب على قصده وكان جمعه بهذه النية أفضل من كثير من الطاعات. وقد كان نيات خلق كثير من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين فى جمع المال سليمة لحسن مقاصدهم لجمعه فحرصوا عليه وسالوا زيادته

وباسناد عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ أقطع الزبير حضر فرسه بأرض يقال لهـا ثرثر. فأجرى فـرسه حتى قـام، ثم رمى سوطه فقـال: أعطوه حيث بلغ السوط وكان سعد ابن عبادة يدعو فيقول: اللهم وسع على.

قال المصنف: وأبلغ من هذا أن يعقوب عليه الصلاة والسلام لما قال له بنوه ﴿ونزداد كيل بـعير﴾ مال إلى هذا وأرسل ابنه بنيـامين معهم. وأن شعيباً طمع فى زيادة ما يناله فقال ﴿فإن أتممت عشراً فمن عندك﴾ وأن آيوب عليه السلام لما عوفى نثر عليه رجل جراد من ذهب فأخذ يحثو فى ثوبه يستكثر مـنه فقيل له: أما شبعت. قال: يارب مـن يشبع من فضلك وهذا أمر مركوز فى الطباع فاذا قصد به الخير كان خيراً محضا.

وأما كلام المحاسـبى فخطأ يدل على الجهل بالعـلم وقوله: إن الله عز وجل نهـى عباده عـن جمع المال. وأن رسـول الله ﷺ نهى أمتـه عن جمع المال. فهذا مـحال إنما النهى عن سوء القصد بالجـمع أو عن جمعه من غيـر حله. وما ذكـره من حديث كـعب وأبى ذر فمحـال من وضع الجهـال وخفاء صحـته عنه ألحقـه بالقوم. وقد روى بعـض هذا وإن كان طريق لا يثـبت. وبإسناد عن مـالك بن عبد الله الزيـادى عن أبى ذر أنه جاء يستأذن على عـثمان فأذن له وبيده عصاه، فقال عـثمان: يا كعب إن عبد الرحمن توفى وترك مالا فما ترى فيه ؟ فقال: إن كان يصل فيه حق الله تعالى فـلا بأس به، فرفع أبو ذر عـصاه فضرب كـعباً وقال سـمعت رسول الله ﷺ يقول: ما أحب لو أن لى هذا الجبل ذهـباً أنفقه ويتقبل منى. أذر خلفى ست أواقى. أنشدك الله يا عـثمان أسمعت هذا ؟ ثلاث مرات قال نعم .

قال المصنف: وهذا الحديث لا يثبت وابن لهيعـة مطعون فيه قال يحيى لا يحـتج بحديثـه. والصحـيح فى التاريـخ أن أبا ذر توفى سنة خـمس وعشرين وعبـد الرحمن توفى سنة اثنتى وثلاثين، فـقد عاش بعد أبى ذر سـبع سنيـن. ثم لفظ مـا ذكـروه من حديـثهـم يدل على أن حـديثـهم موضـوع. ثم كيف تـقول الصـحابة رضى الله عـنهم. إنا نخـاف على عبدالرحـمن، أو ليس الإجماع منعـقداً على إباحة جـمع المال من حله،

فما وجه الخوف مع الإباحة، أو يأذن الشرع فى شىء ثم يعاقب عليه، هذا قلة فهم وفقه، ثم تعلقه بعبد الرحمن وحده دليل على أنه لم يسير سير الصحابة، فانه قد خلف طلحة ثلاثمائة بهار فى كل بهار ثلاثة قناطير، والبهار الحمل، وكان مال الزبير خمسين ألف ألف ومائتى ألف، وخلف ابن مسعود رضى الله عنه تسعين ألفا، وأكثر الصحابة كسبوا الأموال وخلفوها ولم ينكر أحد منهم على أحد .

وأما قوله: أن عبد الرحمن يحبو حبوا يوم القيامة. فهذا دليل على أنه لا يعرف الحديث، أو كان هذا مناماً وليس هو فى اليقظة أعوذ بالله من أن يحبو عبد الرحمن فى القيامة، أفترى. من يسبق إذا حبا عبد الرحمن بن عوف وهو من العشرة المشهود لهم بالجنة. ومن أهل بدر المغفور لهم ومن أصحاب الشورى. ثم الحديث يرويه عمارة بن ذاذان، وقال البخارى: ربما اضطرب حديثه، وقال أحمد: يروى عن أنس أحاديث مناكير، وقال أبو حاتم الرازى: لا يحتج به، وقال الدار قطنى: ضعيف، أخبرنا ابن الحصين مرفوعاً إلى عمارة عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال: بينما عائشة رضى الله عنها فى بيتها سمعت صوتا فى المدينة. فقالت: ما هذا ؟ فقالوا عير لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل من كل شىء، قال وكانت سبعمائة بعير فارتجت المدينة من الصوت. فقالت عائشة رضى الله عنها. سمعت رسول الله ﷺ يقول: قد رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً. فبلغ ذلك عبد الرحمن ابن عوف فقال: إن استطعت لأدخلنها قائما. فجعلها بأقتابها وأحمالها فى سبيل الله عز وجل .

وقوله: ترك المال الحلال أفضل من جمعه. ليس كذلك بل متى صح القصد فجمعه أفضل بلا خلاف عند العلماء. والحديث الذى ذكره عن رسول الله ﷺ من أسف على دنيا فاتته الخ محال: ما قاله رسول الله ﷺ قط وقوله: هل تجد فى دهرك حلالا. فيقال له: وما الذى أصاب الحلال والنبى ﷺ يقول: الحلال بين والحرام بين أترى يريد بالحلال وجود حبة مذخرجت من المعدن ما تقلبت فى شبهة، هذا يبعد وما

طولبنا به. بل لوباع المسلم يهوديا كان الثمن حلالا بلا شك. هذا مذهب الفقهاء وأعجب لسكوت أبى حامد بل لنصرته ما حكى وكيف يقول أن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات. ولو أدعى الاجماع على خلاف هذا لصح، ولكن تصوفه غير فتواه. وعن المروزى قال سمعت رجلا يقول لأبى عبد الله إنى فى كفاية فقال: الزم السوق تصل به الرحم وتعود المرضى.

وقوله ينبغى للمريد أن يخرج من ماله، قد بينا أنه إن كان حراما أو فيه شبهة أو إن يقنع هو باليسير أو بالكسب جار له أن يخرج منه. وإلا فلا وجه لذلك، وأما ثعلبة فما ضره المال إنما ضره البخل بالواجب .

وأما الانبياء فقد كان لابراهيم عليه الصلاة والسلام زرع ومال ولشعيب ولغيره وكان سعيد بن المسيب رضى الله عنه يقول لا خير فيمن لا يطلب المال يقضى به دينه ويصون به عرضه ويصل به رحمه فان مات تركه ميراثا لمن بعده وخلف ابن المسيب أربعمائة دينار وقد ذكرنا ما خلفت الصحابة. وقد خلف سفيان الثورى رضى الله عنه مائتين وكان يقول: المال فى هذا الزمان سلاح وما زال السلف يمدحون المال ويجمعونه للنوائب وإعانة الفقراء. وإنما تجافاه قوم منهم إيثار ا للتشاغل بالعبادات وجمع الهمم فقنعوا باليسير ولو قال هذا القائل أن التقلل منه أولى قرب الأمر ولكنه زاحم به مرتبة الاثم .

فصل

واعلم أن الفقر مرض فمن ابتلى به فصبر أثيب على صبره، ولهذا يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام لمكان صبرهم على البلاء والمال نعمة والنعمة تحتاج إلى شكر، والغنى وإن تعب وخاطر كالمفتى والمجاهد والفقير كالمعتزل فى زاوية. وقد ذكر أبو عبد الرحمن السلمى فى كتاب سنن الصوفية باب كراهية أن يخلف الفقير شيئا. فذكر حديث الذى مات من أهل الصفة وخلف دينارين. فقال رسول الله رسول الله ﷺ : كيتان.

قال المصنف: وهذا احتياج من لا يفهم الحال فان ذلك الفقير كان

يزاحم الفقراء فى أخـذ الصدقة وحبس ما معه فلذلك قـال: كيتان، ولو كان المكروه نفس ترك المال لما قـال رسول الله ﷺ لسعد. إنك إن تذر ورثتك أغنياء خـير من أن تذرهم عالة يتكففون الـناس ولما كان أحد من الصحابـة يخلف شيئا. وقـد قال عمر بن الخطـاب رضى الله عنه: حث رسول الله ﷺ علـى الصدقة فـجئت بنصـف مالى. فقـال رسول الله ﷺ: وما أبقيت لأهـلك فقلت مثله فلم ينكـر عليه رسول الله ﷺ قال ابن جرير الطبرى وفى هذا الحديث دلـيل على بطلان ما يقوله جهله المتصوفة أن ليس للانسان إدخـار شىء فى يومه لغده، وإن فاعل ذلك قد أساء الظن بربه ولم يتوكل عليه حق توكله قال ابن جرير: وكذلك قوله عليه الصلاة والسـلام اتخذوا الغنم فانها بركة فيـه دلالة على فساد قول من زعم من المتصوفة أنه لا يصح لعبد التوكل على ربه إلا بأن يصبح ولا شىء عنده من عين ولاعرض ويمسـى كذلك الا ترى كيف أدخر رسول الله ﷺ لأزواجه قوت سنة.

فصل

وقد خـرج أقوام من أموالـهم الطيبـة ثم عادوا يتـعرضون لـلأوساخ ويطلبـون وهذا لأن حاجة الإنـسان لا تنقطع، والـعاقل يعد لـلمستـقبل وهؤلاء مثلهم فى إخراج المال عند بـداية تزهدهم مثل من روى فى طريق مكة فبدد الماء الذى معه. والحديث بـاسناد عن جابر بن عبد الله قال قدم أبو حصين السلمـى بذهب من معدنهم فقضى دينا كان علـيه وفضل معه مثل بيـضة الحمامة، فـأتى بها رسول الله ﷺ فقـال: يارسول الله ضع هذه حيث آراك الله أو حيث رأيت، قال فجائه عن يمينه فأعرض عنه ثم جائه عـن يساره فأعـرض عنه ثم جاءه مـن بين يديه فنـكس رسول الله ﷺ رأسه. فـلما أكثـر عليه أخـذها من يديه فـحذفه بـها لو أصابـته لعقـرته، ثم أقبل عليـه رسول الله ﷺ، فقال يـعمد أحدكم إلـى ماله فيتصدق به ثم يقعد فيتكفف الناس، وإنما الصدقة عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول وقد رواه أبو داود فى سننه من حديث محمود بن لبيد عن جابر بن عبد الله، قـال كنا عند رسول الله ﷺ إذ جـاءه رجل بمثل البيـضة من

ذهب فقال، يا رسول الله أصبت هذه من معدن فخذها فهي صدقة ما أملك غيرها فأعرض عنه رسول الله ﷺ ثم أتاه من قبل ركنه الأيمن فقال مثل ذلك فأعرض عنه ثم أتاه من قبل ركنه الأيسر فأعرض عنه رسول الله ﷺ ثم أتاه من خلفه فأخذها رسول الله ﷺ فحذفه بها فلو أصابته لأوجعته أو لعقرته. فقال رسول الله ﷺ: يأتي أحدكم بما يملك فيقول هذه صدقة ثم يقعد يتكفف الناس خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى. وفي رواية أخرى: خذ عنا مالك لاحاجة لنا به وروى أبو داود من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: دخل رجل المسجد فأمر رسول الله ﷺ أن يطرحوا ثياباً فطرحوا. فأمر له منها بثوبين ثم حث على الصدقة. فجاء فطرح أحد الثوبين فصاح به: خذ ثوبك.

قال المصنف: ونقلت من خط أبي الوفاء بن عقيل. قال قال: ابن شاذان دخل جماعة من الصوفية على الشبلي، فأنفذ إلى بعض المياسير يسأله مالا ينفقه عليهم، فرد الرسول وقال يا أبا بكر. أنت تعرف الحق فهلا طلبت منه، فقال للرسول: إرجع اليه وقل له الدنيا سفلة أطلبها من سفلة مثلك واطلب الحق من الحق. فبعث اليه بمائة دينار. قال ابن عقيل: ان كان أنفذ اليه المائة دينار للافتداء من هذا الكلام القبيح وأمثاله. فقد أكل الشبلي الخبيث من الرزق وأطعم أضيافه منه .

فصل

وقد كان لبعضهم بضاعة فأنفقها وقال. ما أريد أن تكون ثقتي إلا بالله وهذا قلة فهم لأنهم يظنون أن التوكل قطع الأسباب وإخراج الأموال.

أخبرنا القزاز قال أخبرنا الخطيب قال أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال أنبأنا جعفر الخلدي في كتابه قال سمعت الجنيد يقول دققت على أبي يعقوب الزيات بابه في جماعة من أصحابنا .فقال: ما كان لكم شغل في الله عز وجل يشغلكم عن المجيء إليّ، فقلت له: إذا كان مجيئنا اليك من شغلنا به فلم نتقطع عنه: فسألته عن مسألة في التوكل فأخرج درهما كان عنده ثم أجابني، فأعطى التوكل حقه ثم قال: استحييت من الله أن أجيبك وعندي شيء .

قال المصنف: لو فهم هؤلاء معنى التوكل وأنه ثقة القلب بالله عز وجل لاإخراج صور المال. ماقال هؤلاء هذا الكلام. ولكن قل فهمهم وقد كان سادات الصحابة والتابعين يتجرون ويجمعون الأموال وماقال مثل هذا أحد منهم. وقد روينا عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه. أنه قال حين أمر بترك الكسب لأجل شغله بالخلافة، فمن أين أطعم عيالى. وهذا القول منكر عند الصوفية يخرجون قائله من التوكل وكذلك ينكرون على من قال هذا الطعام يضرنى. وقد رووا فى ذلك حكاية عن أبى طالب الرازى قال. حضرت مع أصحابنا فى موضع فقدموا اللبن وقال لى كل فقلت لا آكله فانه يضرنى فلما كان أربعين سنة صليت يوما خلف المقام ودعوت الله عز وجل وقلت. اللهم انك تعلم أنى ما أشركت بك طرفة عين. فسمعت هاتفاً يهتف بى ويقول - ولايوم اللبن.

قال المصنف. وهذه الحكاية الله أعلم بصحتها- وأعلم أن من يقول هذا يضرنى. لايريد أن ذلك يفعل بنفسه وإنما يريد أنه سبب الضرر كما قال الخليل صلوات الله وسلامه عليه. «رب إنهن أضللن كثيراًمن الناس». وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال ما نفعنى مال كمال أبى بكر. وقوله - مانفعنى نقابل لقول القائل - ماضرنى. ويصح عنه أنه قال. مازالت آكله خيبر تعادّنى فهذا أو ان قطعت أبهرى. وقد ثبت أنه لارتبة أولى من رتبة النبوة وقد نسب النفع إلى المال والضرر إلى الطعام فالتحاشى عن سلوك طريقه ﷺ تعاط على الشريعة فلا يلتفت إلى هذيان من هذى فى مثل هذا.

فصل

قال المصنف· وقد بينا أنه كان أوائل الصوفية يخرجون من أموالهم زهداً فيها. وذكرنا أنهم قصدوا بذلك الخير إلا أنهم غلطوا فى هذا الفعل. كما ذكرناه من مخالفتهم بذلك الشرع والعقل. فأما متأخروهم فقد مالوا إلى الدنيا وجمع المال من أى وجه كان إيثاراً للراحة وحباً للشهوات. فمنهم من يقدر على الكسب ولايعمل ويجلس فى الرباط أو المسجد ويعتمد على صدقات الناس وقلبه معلق بطرق الباب. ومعلوم ان

الصدقـة لاتحل لغنى ولا لذى مرة سوى ولايـبالون من بعث اليـهم فربما بعث الظالم والماكس فلم يردوه. وقد وضعوا فى ذلك بينهم كلمات منها تسمية ذلك- بالفتوح ومنها ان زرقنا لابد ان يصل الينا. ومنها انه من الله فلا يرد عليه ولانشكر سواه. وهذا كله خلاف الشريعة وجهل بها وعكس ماكان السلف الـصالح عليه. فان النبى ﷺ قـال. الحلال بين والحرام بين وبيهما متـشبهات لايعلمهن كثير من الناس فمن اتـقى الشبهات فقد استـبرأ لديه وعـرضه وقد قاء أبو بـكر الصديق رضى الله عـنه من أكل التبـهة وكان الصالحـون لايقبلون عطاء ظـالم ولاممن فى ماله شـبهة. وكثـير من السلـف لم يقبل صلـة الإخوان عفـافاً وتنزهاً وعـن أبى بكر المروزى قال ذكرتَ لأبى عـبد الله رجلا من المحدثين فـقال رحمة الله أى رجل كان لولا خلة واحدة ثم سكت. ثم قال ليس كل الخلال يكملها الرجل فقلت له أليـس كان صاحب سنة. فقال. لعمرى لقـد كتبت عنه ولكن خلة واحدة كان لايبالى ممن أخذ.

قال المصنف: ولقد بلغـا ان بعض الصوفية دخل عـلى بعض الأمراء الظلمة فوعظه فأعـطاه شيئا فقبله. فقال الأمير كلـنا صيادون وإنما الشباك تحتلف ثم أين هؤلاء من الأنفة من الميل لـلدنيا فان النبى ﷺ قال اليد العليا خير من الـيد السعلى- واليد العليا من المعطية هـكذا فسره العلماء وهو الحقيقة وقـد تأوله بعض القوم فقال العليا هى الآخذة قـال ابن قتيبة ولا آرى هذا إلا تأويل قوم استطابوا السؤال.

فصل

قال المصنف· ولقد كان أوائل الصوفية ينطرون فى حصول الأموال من أى وجه ويـفتشـون عن مطاعـمهم وسـئل احمد بـن حنبل عن الـسرى السقطى فقال الـتيخ المعروف بطيب المطعم وقال السرى صـحبت جماعة إلى الغزو بنا فاكتـرينا داراً فنصبت فيها تنوراً فتـورعوا أن يأكلوا من خبز ذلك التنور فأما من يرى ماقد تجدد من صـوفية زماننا من كونهم لايبالون من آين أخذوا فانه يعجب. ولقد دخلت بعض الأربطة فسألت عن شيخه فقيل لى قـد مضى إلى الأمير فلان يهـنئه بخلعة وقد خلعـت عليه وكان

ذلك الأمير من كبار الظلمه فقلت ويحكم ماكفاكم أن فتحتم الدكان حتى تطوفون علـى رءوسكم بالسلع يقعـد أحدكم عن الكسب مع قـدرته عليه معولا على الصدقات والصلات ثم لايكفيه حتى يأخذ ممن كان ثم لايكفيه حتى يدور على الـظلمة فيستـعطى سنهم ويهنئهم بمـلبوس لايحل وولاية لاعدل فيها والله انكم أضر على الإسلام من كل مضر.

فصل

قال المصنف: وقد صار جماعة من آشياخهم يجمعون المال من الشبهات ثم ينقسـمون فمنهم من يدعى الـزهد مع كثرة المال وحرصـه على الجمع وهذه الدعوى مضادة للـحال ومنهم من يظهر الفقر مع جـمعه المال وأكثر هؤلاء يضيقون عـلى الفقراء بأخذهم الزكاة ولا يجـوز لهم ذلك وقد كان أبو الحسن البـسطامى شيخ رباط ابن المجيـان يلبس الصوف صيفـا وشتاء وتقصده الناس يتبركون به فمات فخلف أربعة آلاف دينار.

قال المصنف: وهذا فوق القـبيح وقد صح عن الـنبى ﷺ أن رجلا من أهل الصفة مات فخلف دينارين فقال ﷺ كيتان.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى لباسهم

قال المصنف: لما سمع أوائل القوم ان النـبى ﷺ كان يرقع ثوبه وأنه قال لعائشة رضى الله عنها لاتخلعى ثوبا حتى ترقعيه وان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان فى ثوبـه رقاع وان اويسا القرنى كان يلتـقط الرقاع من المزابل فيغسلها فى الفرات ثم يخيطها فيلبسها اختاروا المرقعات وقد أبعدوا فى القياس فان رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا يؤثرون البذاذة ويعرضون عن الدنيا زهداً وكان أكـثرهم يفعل هذالأجل الفقر كمـا روينا عن مسلمة بن عبـد الملك انه دخل علـى عمر بن العـزيز وعليـه قميص وسخ فـقال لامرأته فاطمة إغسلى قميص أمير المـؤمنين فقالت والله ماله قميص غيره. فأما إذا لم يكن هذا لفقر وقصد البذاذة فما له من معنى.

فصل

قال المصنف: فأما صوفية زماننا فـانهم يعمدون إلى ثوبين أو ثلاثة كل واحد منهـما على لون فيـجعلوها خرقـا ويلفقونـها فيجمـع ذلك الثوب

وصفين الشهرة والشهوة فان لبس مثل هذه المرقعات أشهى عند خلق كثير من الديباج وبهـا يشتهر صاحبـها انه من الزهاد افتراهم يصـيرون بصورة الرقاع كالسلف كذا قد ظنوا وان إبليس قـد لبس عليهم وقال أنتم صوفية لأن الصـوفية كـانوا يلبسـون المرقعـات وأنتم كذلـك أتراهم ماعلـموا ان التصوف معنى لاصـورة وهؤلاء قد فاتهم التشبيه فـى الصورة والمعنى أما الصورة فـان القدماء كانـوا يرقعون ضرورة ولايقـصدون التحـسن بالمرقع ولايأخذون أثـوابا جدداً مخـتلفة الألـوان فيقطـعون من كل ثوب قـطعة ويلفقونها على أحسن التوقيع ويخيطونها ويسمونها مرقعة وأما عمر رضى الله عنه لمـا قدم بيت المقـدس حين سـأل القسـيسون والـرهبان عن أمـير المسلمين فـعرضوا عليهم أمراء العسـاكر مثل أبى عبيدة وخـالد بن الوليد وغيرهمـا، فقالوا، ليس هذا المصـور عندنا، الكم أميراً ولا، فـقالوا، لنا أمير غير هؤلاء، فقالوا هو أمـير هؤلاء، قالوا، نعم هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فقالوا ارسلوا اليه ننظره فـان كان هو سلمنا اليكم من غير قتـال وان لم يكن هـو فلا، فلو حـاصرتمونا مـاتقدرون عـلينا فـأرسلوا المسلمين إلى عمر رضى الله عنه واعلمـوه بذلك فقدم عليهم وعليه ثوب مرقع سبع عشرة رقـعة بينها رقعة من اديم فلما رأوه الروحـانية والقسوس على هذه الصفة سلموا بيت المقدس اليه من غير قتال، فأين هذا مما يفعله جهال الصوفية فى زماننا فنسأل الله العفو والعافية، وأما المعنى فان أولئك كانوا أصحاب رياضة وزهد.

فصل

قال المـصنف: ومن هؤلاء المذمـومين من يلـبس الصوف تحت الثـياب وليوح بكمه حتى يرى لباسه. وهـذا لص ليلى، ومنهم من يلبس الثياب اللينة علـى جسده ثم يلبس الصـوف فوقها وهذا لص نهـارى مكشوف. وجاء آخرون فأرادوا التشبه بالصوفيـة وصعب عليهم البذاذة وأحبوا التنعم ولم يروا الخروج مـن صورة التصوف لـئلا يتعطل المـعاش فلبسـوا الفوط الرفيعة واعتموا بالرومى الرفيع إلا انه بغـير طرار فالقميص والعمامة على أحدهم بثمن خمسة أثواب من الحرير.

وقد لبس إبليس عليهم انكم صوفية بنفيس النفس. وإنما أرادوا أن يجمعوا بين رسوم التصوف وتنعم أهل الدنيا. ومن علاماتهم مصادقة الأمراء ومنارقة الفقراء كبراً وتعظيما. وقد كان عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه يقول: يابنى إسرائيل: مالكم تأتوننى وعليكم ثياب الرهبان، وقلوبكم قلوب الذئاب الضوارى. إلبسوا لباس الملوك وألينوا قلوبكم بالخشية.

وأخبرنا محمد بن أبى القاسم قال أخبرنا حمد بن احمد الحداد قال أخبرنا أبو نعيم الحافظ ثنا احمد بن جعفر بن معبد ثنا يحيى بن مطرف ثنا أبو ظفر ثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار، قال. ان من الناس ناساً اذا لقوا القراء ضربوا معهم بسهم، واذا لقوا الجبابرة وأبناء الدنيا أخذوا معهم بسهم، فكونوا من قراء الرحمن بارك الله فيكم.

أخبرنا محمدنا حمدنا أبو نعيم ثنا الحسين بن محمد بن العباس الفقيه ثنا احمد بن محمد اللالى ثنا أبو حاتم ثنا هدية ثنا حزم. قال سمعت مالك بن دينار يقول: انكم فى زمان أشهب لايبصر زمانكم إلا البصير. انكم فى زمان كثير تفاحشهم قد انتفخت ألسنتهم فى أفواههم فطلبوا الدنيا بعمل الآخرة فاحذروهم على أنفسكم لايوقعوكم فى شباكهم.

أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقى قالا أخبرنا حمد بن أحمد نا أحمد ابن عبد الله الحافظ ثنا أحمد بن جعفر بن حمدان ثنا عبد الله بن احمد ثنى مهنى الشامى ثنا ضمرة عن سعيد بن شبل قال: نظر مالك بن دينار إلى شاب ملازم للمسجد فجلس إليه. فقال له: هل لك أن أكلم بعض العشارين يجرون عليك شيئا وتكون معهم، قال: ماشئت يا أبا يحيى: قال فأخذ كفاً من تراب فجعله على رأسه.

أخبرنا المحمدان قالا نا حمد نا احمد ثنا قارون بن عبد الكبير الخطابى ثنا هشام بن على السيرافى ثنا قطن بن حماد بن واقد ثنا أبى ثنا مالك بن دينار. قال: كان فتى يتفرى فكان يأتينى. فابتلى: فولى الجسر فبينما هو يصلى إذ مرت سفينة فيها بط. فنادى بعض أعوانه: قرب لنأخذ للعامل بطة: فأشار بيده سبحان الله أى بطتين قال فكان أبى اذا حدث

بهذا الحديث بكى وأضحك الجلساء .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعيد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت محمد بن خفيف يقول قلت لرويم أوصنى فقال هو بذل الروح وإلا فلا تشتغل بترهات الصوفية. أخبرنا بن ناصر نا أبو عبد الله الحميدى نا أبو بكر احمد بن محمد الأردستانى ثنا عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبى يقول بلغنى ان رجلا قال للشبلى: قد ورد جماعة من أصحابك وهم فى الجامع فمضى فرأى عليهم المرقعات والفوط فأنشأ يقول:

أما الخيام فانها كخيامهم وأرى نساء الحى غير نسائها

قال المصنف: رحمه الله قلت واعلم ان هذه البهرجة فى تشبيه هؤلاء بأولئك لاتخفى إلا على كل غبى فى الغاية. فأما أهل الفطنة فيعلمون أنه تنميس بارد والأمر فى ذلك على نحو قول الشاعر:

تشبهت حور الظباء بهم ان سكنت فيك ولامثل سكن

أصامت بناطق ونافر بآنس وذو خلا بذى شجن

مشتبه أعرفه وإنما مغالطا قلت لصحبى دار من

فصل

قال المصنف: وإنما أكره لبس الفوط المرقعات لأربعة أوجه أحدها انه ليس من لباس السلف وانما كان السلف يرقعون ضرورة. والثانى أنه يتضمن إدعاء الفقر وقد أمر الانسان ان يظهر نعمة الله عليه. والثالث انه إظهار للزهد وقد أمرنا بستره. والرابع انه تشبه بهؤلاء المتزحزحين عن الشريعة ومن تشبه بقوم فهو منهم.

وقد أخبرنا ابن الحسين نا بن المذهب نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله ابن احمد ثنى أبى ثنا أبو النصر ثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ثنا حسان بن عطية عن أبى منيب الحرسى عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ من تسبه بقوم فهو منهم وقد أنبأنا أبو زرعة طاهر بن محمد ابن طاهر قال أخبرنى أبى. قال: لما دخلت بغداد فى رحلتى الثانية قصدت الشيخ أبا

محمد عبد الله بن احمد السكـرى لأقرأ عليه أحاديث- وكان من المنكرين على هذه الطائفة - فأخذت فى القراءة فـقال أيها الشيخ انك لو كنت من هؤلاء الجهال الصوفية لعذرتك. أنت رجل من أهل العلم تشتغل بحديث رسول الله ﷺ وتسعى فى طلبه. فـقلت. أيها الشيخ وأى شئ أنكرت علىّ حتى أنظر فان كان له أصل فى الشريعة لزمته، وان لم يكن له أصل فى الشريعة تركته فقال ماهذه الشوارك التى فى مرقعتك فقلت أيها الشيخ هذه أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما تخبر أن رسول الله ﷺ كان له جبة مكفوفة الجيب والكمين والفرجين بالديباج وإنما وقع الانكار لأن هذه الشوارك ليست من جـنس الثوب والديباج ليس من الجبة فاسـتدللنا بذلك على أن لهذا أصلا فى الشرع يجوز مثله.

قال المصنف: قلت لقد أصاب السكرى فـى إنكاره وقل فقه ابن طاهر فى الرد عليه فـان الجبة المكفوفة الجيـب والكمين قد جرت العادة بلـبسها كذلك فلا شهـرةفى لبسها. فأما الـشوارك فتجمع شهرة الـصورة،وشهرة دعوى الزهـد. وقد أخبرتـك انهم يقطعون الـثياب الصـحاح ليجـعلوها شوارك لا عن ضرورة يقصدون الشهرة لحـسن ذلك والشهرة بالزهد ولهذا وقعت الكراهية. وقد كرهها جماعة من مشايخهم كما بينا.

أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامـرى نا أبو سعد بن أبى صادق ثنا أبوعبد الله ابن باكـويه قال سـمعت الحسـين بن أحـمد الفارسـى يقول سمـعت الحسين ابن هند يقول سمعت جعفر الحذاء يقول: لما فقد القوم الفوائد من القلوب اشـتغلوا بالـظواهر وتزيينهـا يعنى بذلك - أصـحاب المصبـغات والفوط- أخـبرنا ابن حبـيب نا ابن أبى صادق ثنـا بن باكويه أخبـرنا أبو يعقوب الخـراط. قال سمعت الثـورى يقول: كانت المرقعـات غطاء على الدر فـصارت جـيفاً عـلى مزابل قـال ابن باكـويه: وأخبـرنى أبوالحـسن الحنظـلى. قال نظر مـحمد بـن محمـد ابن على الكـتانى إلى أصـحاب المرقعات فـقال: إخوانى ان كان لباسكم مـوافقا لسرائركم لقد أحـببتم أن يطلع الناس عليها، وان كانت مخالفة لسرائركم فقد هلكتم ورب الكعبة. أخبـرنا محمد بـن ناصر أنبأنا أبـو بكر بن خلف ثنا مـحمد بن الحـسين

السلمى. قال سمعت نصر بن أبى نصر يقول: قال أبو عبد الله محمد بن عبد الخالق الدينورى لبعض أصحابه. لايعجبنك ماترى من هذه اللبسة الظاهرة عليهم، فما زينوا الظواهر إلا بعد أن خربوا البواطن. وقال ابن عقيل. دخلت يوما الحمام فرأيت على بعض أوتاد السلخ جبة مشوزكة مرقعة بفوط. فقلت للحمامى. أرى سلخ الحية. فمن داخل. فذكر لى بعض من يتصفف للبلاء حوشا للأموال.

فصل

قال المصنف: وفى الصوفية من يرقع المرقعة حتى تصير كثيفة خارجة عن الحد أخبرنا أبو منصور القزاز قال أخبرنا احمد بن على بن ثابت نا القاضى أبو محمد الحسن بن رامين الأسدآبادى نا أبو محمد عبد الله بن محمد الشيرازى نا جعفر الخالدى ثنا بن خباب أبو الحسين صاحب ابن الكرينى قال أوصى لى ابن الكرينى بمرقعته فوزنت فردة كم من أكمامها فاذا فيه أحد عشر وطلا، قال جعفر، وكانت المرقعات تسمى فى ذلك الوقت الكيل.

فصل

وقد قرروا أن هذه المرقعة لاتلبس إلا من يد شيخ. وجعلوا لها إسناداً متصلا كله كذب ومحال وقد ذكر محمد بن طاهر فى كتابه فقال باب السنة فى لبس الخرقة من يد الشيخ فجعل هذا من السنة واحتج بحديث أم خالد ان النبى ﷺ أتى بثياب فيها خميصة سوداء فقال من ترون أكسو هذه فسكت القوم: فقال رسول الله ﷺ ائتونى بأم خالد، قالت فأتى بى فألبسنيها بيده. وقال. أبلى واخلقى.

قال المصنف وإنما ألبسها رسول الله ﷺ لكونها صبية. وكان أبوها خالد بن سعيد ابن العاص، وأمها همينة بنت خلف. قد هاجروا إلى أرض الحبشة فولدت لهما هناك أم خالد واسمها أمة ثم قدموا فأكرمها رسول الله ﷺ لصغر سنها وكما اتفق فلا يصير هذا سنة. وما كان من عادة رسول الله ﷺ إلباس الناس. ولافعل هذا أحد من أصحابه ولاتابعيهم.

تم ليس من السنة عند الصوفية أن يلبس الصغير دون الكبير ولا أن تكون الخرقة سوداء بل مرقعة أو فوطة فهلا جعلوا السنة لبس الخرق السود كما جاء فى حديث أم خالد، وذكر محمد بن طاهر فى كتابه فقال: باب السنة فيما شرط الشيخ على المريد فى لبس المرقعة. واحتج بحديث عبادة، بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فى العسر واليسر، قال المصنف فانظر إلى هذا الفقه الدقيق، وأين اشتراط الشيخ على المريد من اشتراط رسول الله ﷺ الواجب الطاعة على البيعة الاسلامية اللازمة.

فصل

وأما لبسهم المصبغات. فانها ان كانت زرقاء فقد فاتهم فضيلة البياض، وان كانت فوطا فهو ثوب شهرة وشهرته أكثر من شهرة الأزرق وان كانت مرقعة فهى أكثر شهرة. وقد أمر الشرع بالثياب البيض ونهى عن لباس الشهرة. فأما أمره بالثياب البيض فأخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن ابن على التميمى نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله بن احمد بن حنبل ثنى أبى ثنا على ابن عاصم نا عبد الله بن عثمان بن حيثم عن سعيد بن خبير عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال قال رسول الله ﷺ البسوا من ثيابكم البيض فإنها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم، قال عبدالله، وحدثنى أبى ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان ثنى حبيب بن أبى ثابت عن ميمون بن أبى شبيب عن سمرة بن جندب عن النبى ﷺ قال: ألبسوا الثياب البيض فانها أطهر وأطيب. وكفنوا فيها موتاكم، قال الترمذى. هذان حديثان صحيحان، وفى الباب عن ابن عمر، قال، وهذا الذى يستحبه أهل العلم، وقال احمد بن حنبل واسحاق، أحب الثياب الينا أن نكفن فيها البياض، وقد ذكر محمد بن طاهر فى كتابه فقال، باب السنة فى لبسهم المصبغات، واحتج بأن النبى صلوات الله عليه وسلامه، لبس حلة حمراء، وانه دخل يوم الفتح ،وعليه عمامة سوداء.

قال المصنف: قلت: ولا ينكر أن رسول الله ﷺ لبس هذا ولا أن لبسه غير جائز. وقد روى انه كان يعجبه الحبرة. وإنما المسنون الذى يأمر به ويداوم عليه وقد كانوا يلبسون الأسود والأحمر، فأما الفوط والرقع فانه

لبس شهرة.

فصل

وأما النهى عن لباس الشهرة وكراهته. فأخبر أبو منصور ابن خيرون أنبأنا أبو بكر الخطيب نا ابن زرقويه ثنا جعفر بن محمد الخلدى ثنا محمد بن عبد الله أبو جعفر الحضرمى ثنا روح بن عبد المؤمن ثنا وكيع بن محرز الشامى ثنا عثمان بن جهم عن زر بن حبيش عن أبى ذر. عن النبى ﷺ انه قال من لبس ثوب شهرة أعرض الله عنه حتى يضعه. أخبرنا عبد الحق ابن عبد الخالق قال أنبأنا المبارك ابن عبد الجبار نا أبو الفرج الحسين بن على الطناجيرى وأنبأنا هبة الله بن محمد أنبأنا الحسين بن على التميمى قالا أخبرنا أبو حفص بن شاهين ثنا خثيمة بن سليمان بن حيدرة ثنا محمد بن الهيثم ثنا أحمد ابن أبى شعيب الحرانى ثنا مجلد بن يزيد عن أبى نعيم عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة وزيد بن ثابت رضى الله عنهما عن النبى ﷺ. أنه نهى عن الشهرتين فقيل يارسول الله وما الشهرتان ؟ قال: رقة الثياب وغلظها. ولينها وخشونتها وطولها وقصرها ولكن سداد بين ذلك واقتصاد. أخبرنا محمد بن ناصر نا محمد بن على بن ميمون نا عبد الوهاب بن محمد الغندجانى نا أبو بكر بن عبدان نا محمد بن سهل ثنا محمد بن اسماعيل البخارى. قال. قال موسى بن حماد بن سلمة عن ليث عن مهاجر عن ابن عمر قال من لبس ثوبا مشهوراً أذله الله يوم القيامة.

قال المصنف. وقد روى لنا مرفوعاً قال أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد ابن حعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنا حجاج ثنا شريك عن عثمان بن أبى راشد عن مهاجر الشامى عن ابن عمر. قال قال رسول الله ﷺ. من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب المذلة يوم القيامة. أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار وعبد القادر ابن محمد بن يوسف قالا أخبرنا أبو اسحاق البرمكى نا أبو بكر بن نجيب ثنا أبو جعفر ابن ذريح ثنا هناد ثنا أبو معاوية عن ليث عن مهاجربن أبى الحسن عن ابن عمر رضى الله عنه قال: من لبس ثوب شهرة من الثياب ألبسه الله ثوب

ذلة. وعن ليث عن شهر عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال من ركب مشهوراً من الدواب أعرض الله عنه مادام عليه وإن كان كريماً.

قال المصنف: وقد روينا أن ابن عمر رضى الله عنهما رأى على ولده ثوبا قبيحاً دوناً فقال لاتلبس هذا. فان هذا ثوب شهرة. أخبرنا اسماعيل ابن أحمد نا اسماعيل بن مسعدة نا حمزة بن يوسف نا أبو أحمد بن عدى ثنا أحمد بن محمد بن الهيثم الدورى ثنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق قال حدثنا محمد بن مزاحم ثنا بكير بن معروف عن مقاتل بن بريدة عن أبيه بريدة قال شهدت مع رسول الله ﷺ فتح خيبر وكنت فيمن صعد الثلمة فقاتلت حتى رأى مكانى وأتيت وعلىّ ثوب أحمر. فما علمت انى ركبت فى الاسلام ذنبا أعظم منه للشهرة وقال سفيان الثورى. كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجياد التى يشتهر بها ويرفع الناس اليه فيها أبصارهم والثياب الرديئة التى يحتقر فيها ويستبذل، وقال معمر. عاتبت أيوب على طول قميصه. فقال. إن الشهرة فيما مضى كانت فى طوله وهى اليوم فى تشميره.

فصل

قال المصنف: ومن الصوفية من يلبس الصوف ويحتج بأن النبى ﷺ لبس الصوف. وبما روى فى فضيلة لبس الصوف، فأما لبس رسول الله ﷺ الصوف فقد كان يلبسه فى بعض الأوقات لم يكن لبسه شهرة عند العرب. وأما مايروى فى فضل لبسه فمن الموضوعات التى لايثبت منها شئ. ،ولايخلو لابس الصوف من أحد أمرين: اما أن يكون متعوداً لبس الصوف ومايجانسه من غليظ الثياب فلا يكره ذلك له لأنه لا يشهر به. واما أن يكون مترفاً لم يتعوده فلا ينبغى له لبسه من وجهين. أحدهما أنه يحمل بذلك على نفسه مالا تطيق ولايجوز له ذلك والثانى أنه يجمع بلبسه بين الشهرة وإظهار الزهد. وقد أخبرنا حمد بن منصور الهمدانى نا أبو على أحمد بن سعد بن على العجلى نا أبو ثابت هجيربن منصور بن على الصوفى إجازة ثنا أبو محمد جعفر ابن محمد بن الحسن بن اسماعيل الأبهرى ثنا روزبه ثنا محمد بن اسماعيل بن محمد الطائى ثنا بكر بن

سهل الدمياطى ثنا محمد بن عبد الله بن سليمان ثنا داود ثنا عباد ابن العوام عن عباد بن كثير عن أنس قال قال رسول الله ﷺ من لبس الصوف ليعرفه الناس كان حقاً على الله عز وجل أن يكسوه ثوبا من جرب حتى تتساقط عروقه. أنبأنا زاهر ابن طاهر قال أنبأنا أبو عثمان الصابونى وأبو بكر البيهقى قالا أخبرنا أبو عبد الله محمد ابن عبد الله الحاكم ثنا أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن يحيى ثنا العباس بن منصور ثنا سهل بن عمار ثنا نوح بن عبد الرحمن الصيرفى ثنا محمد بن عبيد الهمدانى ثنى عباد ابن منصور عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما. قال قال رسول الله ﷺ ان الأرض لتعج إلى ربها من الذين يلبسون الصوف رياء.

أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن أحمد نا الحسن بن على التميمى ثنا أحمد ابن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنا عبد الصمد ثنا خالد بن شوذب قال شهدت الحسن وأتاه فرقد فأخذ الحسن بكسائه فمده اليه وقال يافر يقديا ابن أم فريقد. ان البر ليس فى هذا الكساء وانما البر ماوقر فى الصدر وصدقه العمل. أنبأنا محمد بن عبد الباقى نا أبو محمد الجوهرى نا أبو عمر بن حياة نا أحمد ابن معروف ثنا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد قال حدثنا عمرو بن عاصم ثنا يزيد بن عوانة ثنى أبو شداد المجاشعى. قال: سمعت الحسن - وذكر عنده الذين يلبسون الصوف - فقال. مالهم تعاقدوا ثلاثا أكنوا الكبر فى قلوبهم، وأظهروا التواضع فى لباسهم. والله لأحدهم أشد عجبا بكسائه من صاحب المطرف بمطرفه. أنبأنا ابن الحسين أنبأنا أبو على التميمى نا أبو حفص بن شاهين ثنا محمد بن سعيد بن يحيى البزورى ثنا عبد الله بن أيوب المخرمى قال حدثنا عبد المجيد يعنى ابن أبى رواد عن ابن طهمان يعنى ابراهيم عن أبى مالك الكوفى عن الحسن أنه جاء ممن يلبس الصوف وعليه جبه صوف وعمامة صوف ورداء صوف فجلس فوضع بصره فى الارض فجعل لا يروغ رأسه وكأن الحسن خال فيه العجب. فقال الحسن ها إن قوماً جعلوا كبرهم فى صدورهم شنعوا والله دينهم بهذا الصوف. ثم قال إن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من زى المنافقين. قالوا يا أبا سعيد وما زى المنافقين؟. قال:

خشوع اللباس بغير خشوع القلب. قال ابن عقيل هذا كلام رجل قد عرف الناس ولم يعره اللباس. ولقد رأيت الواحد من هؤلاء يلبس الجبة الصوف. فاذا قال له القائل. ياأبا فلان. ظهر منه ومن أو باشه الإنكار فعلم أن الصوف قد عمل عند هؤلاء مالايعمله الديباج عند الأوباش. أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن أحمد نا حمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم الحافظ ثنا أبو حامد بن جبلة ثنا محمد بن اسحاق ثنا اسماعيل بن أبى الحارث ثنا هارون بن معروف عن ضمرة قال سمعت رجلا يقول قدم حماد بن أبى سليمان البصرة فجاءه فرقد السنجى وعليه ثوب صوف فقال له حماد ضع عنك نصرانيتك هذه. فلقد رأيتنا ننتظر ابراهيم يعنى النخعى فيخرج علينا وعليه معصفرة. أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا عبدالله بن محمد ثنا ابراهيم بن شريك الأسدى ثنا شهاب بن عباد ثنا حماد عن خالد الحذاء ان أبا قلابة قال. إياكم وأصحاب الأكسية. أخبرنا محمد ابن ناصر وعمر بن طفر قالا نا محمد بن الحسن الباقلاوى نا القاضى أبو العلاء الواسطى ثنا أبو نصر احمد ابن محمد الساركى نا أبوالخير احمد بن حمد البزار ثنا محمد بن اسماعيل البخارى ثنا على بن حجر ثنا صالح ابن عمر الواسطى عن أبى خالد قال. جاء عبد الكريم أبو أمية إلى أبى العالية وعليه ثياب صوف. فقال له أبو العالية. إنما هذه ثياب الرهبان ان كان المسلمون اذا تزاوروا تجملوا. أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا حمد بن أحمد نا أحمد ابن عبد الله الاصبهانى ثنا ابو محمد ابن حبان ثنا احمد بن الحسين الحذاء ثنا احمد بن ابراهيم الدورقى ثنا العيص بن اسحاق: قال سمعت الفضيل يقول. تزينت لهم بالصوف فلم ترهم يرفعون بك رأسا، تزينت لهم بالقرآن فلم ترهم يرفعون بك رأسا، تزينت لهم بشئ بعد شئ كل ذلك إنما هو لحب الدنيا. أنبأنا بن الحصين. قال نا أبو على بن المذهب قال أخبرنا أبو حفص بن شاهين قال ثنا اسماعيل بن على قال ثنا الحسن بن على بن شبيب قال ثنا احمد بن أبى الحوارى قال قال أبو سليمان: يلبس أحدهم عباءة بثلاثة دراهم ونصف. وشهوته فى قلبه بخمسة دراهم. أما يستحى أن يجاوز شهوته لباسه. ولو ستر زهده بثوبين أبيضين من أبصار

الناس كان أسلم له قال احمد بن أبى الحوارى قال لى سليمان ابن أبى سليمان - وكان يعدل بأبيه. أى شئ أرادوا بلباس الصوف. قلت. التواضع. قال: لايتكبر أحدهم الا اذا لبس الصوف نا الحسن بن الحسن بين الحسين العاليى نا ابوا سعيد احمد بن محمد بن رميح ثنا روح أخبرنا المبارك بن احمد الانصارى نا عبد الله بن احمد السمرقندى ثنا أبو بكر الخطيب نا الحسن بن الحسين العالى نا أبو سعيد أحمد بن محمد بن رميح ثنا بن عبدالمجيب ثنا احمد بن عمر بن يونس قال أبصر الثورى رجلا صوفيا فقال له الثورى هذا بدعة. أخبرنا محمد بن عبد الباقى نا حمد بن احمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا عبد المنعم بن عمر ثنا احمد بن محمد بن زياد. قال سمعت أبا داود يقول. قال سفيان الثورى لرجل عليه صوف لباسك هذا بدعة. أنبأنا زاهر بن طاهر. أنبأنا أبو بكر احمد ابن الحسين البيهقى نا أبو عبد الله محمد ابن عبد الله الحاكم قال أخبرنى محمد بن عمر ثنا محمد بن المنذر قال سمعت احمد بن شداد يقول سمعت الحسن بن الربيع يقول سمعت عبد الله بن المبارك يقول لرجل رأى عليه صوفاً مشهوراً- أكره هذا أكره هذا. أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه نى عبد الواحد ابن بكر ثنا على بن أبى عثمان بن زهير ثنا عثمان بن احمد ثنا الحسن بن عمرو. قال سمعت بشر بن الحارس يقول: دخل على الموصلى على المعافى - وعليه جبة صوف - فقال له: ماهذه الشهرة ياأبا الحسن. فقال يا أبا مسعود أخرج أنا وأنت. فانظر أينا أشهر. فقال له المعافى: ليس شهرة البدن كشهرة اللباس. أخبرنا اسماعيل بن أبى بكر المقرى نا طاهر بن احمد نا على بن محمد ابن بشر ان نا عثمان بن احمد الدقاق ثنا الحسن بن عمرو قال سمعت بشر بن الحارث يقول: دخل بديل على أيوب السختيانى وقد مد على فراشه سبنية حمراء تدفع التراب فقال بدليل: ماهذا. فقال أيوب: هذا خير من الصوف الذى عليك. أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق قال أخبرنا ابو عبد الله بن باكويه ثنا علان بن احمد ثنا حبيب ابن الحسن ثنا الفضل بن احمد ثنا محمد بن يسار. قال سمعت بشر بن الحارث - وسئل عن لبس الصوف. فشق عليه وتبين

الكراهـة فى وجهـه ثم قال: لـبس الخز والمعصفـر أحب إلىّ مـن لبس الصوف فى الأمصار. أخـبرنا يحيى بن ثابت بن بندار قـال أخبرنا أبى نا الحسين بن على الطـناجيرى نا احمد ابن منصور البرسـرى ثنا محمد بن مخـلد ثنا احمـد بن منصـور ثنى يزيد السـقا رفيـق محمـد ابن ادريس الانبارى. قـال رأيت فتى علـيه مسوح قـال فقلت له من لـبس هذا من العلماء. من فعل هذا من العلماء، قال قد رآنى بشر بن الحارث فلم ينكر علىّ. قال يزيـد فذهبت إلى بشر. فقـلت له ياأبا نصر رأيت فـلانا عليه جبة مسـوح فأنكرت عليه فقـال: قدرآنى ابو نصر فلم ينـكر علىّ . قال : فقال لـى بشر- لم تستـشرنى ياأبا خـالد. لو قلت له. لقـال لى لبس فلان، ولبس فلان. أخبرنا احمد بن منـصور الهمدانى نا ابو على احمد بن سعد بن على العجلى نا أبو ثابت هـجير بن منصور بن على الصوفى إجازة نا أبو محمد جعفر بن محمـد بن الحسين بن اسماعيل الصوفى ثنا ابن روزبه ثنا عـبدالله ابن أحمد بن نصـر القنطرى ثنا ابراهيم بن مـحمد الإمام ثنا هشام بن خـالد، قال سمعت أبا سليمـان الدارانى يقول لرجل لبس الصوف، إنك قد أظهرت آلة الزاهدين، فماذا أورثك هذا الصوف، فسكت الرجـل، فقال له: يكون ظاهرك قطنـياً وباطنك صوفيـاً. أخبرنا يحيـى بن على المدبر نـا أبو بكر محـمد ابن علـى الخياط نا الحـسن ابن الحسين بن حمكان سمعت أبا محمد الحسن بن عثمان ابن عبد ربه البزار يقول: سـمعت أبا بكر بن الـزيات البغدادى يقـول سمعت ابن سـيرويه يقول: دخل أبـو محمد ابن أخى مـعروف الكرخى على ابـى الحسن ابن بشار وعليه جبة صوف فقال له أبو الحسن: يا أبا محمد صوفت قلبك أو جسمك، صوف قلبك والبس القوهى عـلى القوهى. أخبرنا عبد الوهاب ابن المبارك الحافظ نا جعفر ابن أحمـد بن السواح نا عبد العزيز بن حسن الضراب قال: حدثنا أبى ثنا أحمد بـن مروان ثنا أبو بكر بن أبى الدنيا ثنا أحمـد ابن سعيد قـال: سمعت الـنضر بن شمـيل يقول: قلت لـبعض الصوفـية، تبيع جبـتك الصوف، فقال: إذا بـاع الصياد شبكـته بأى شئ يصطاد.

قال أبو جعفر بن جرير الطبرى: ولقد أخطأ من آثر لباس الشعر والصوف على لباس القطن والكتان، مع وجود السبيل إليه من حله، ومن أكل البقول والعدس واختاره على خبز البر، ومن ترك أكل اللحم خوفا من عارض شهوة النساء.

فصل

قال المصنف: وقد كان السلف يلبسون الثياب المتوسطه لا المرتفعة ولا الدون. ويتخيرون أجودها للجمعة والعيدين ولقاء الإخوان ولم يكن غير الأجود عندهم قبيحاً، وقد أخرج مسلم فى صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه، أنه رأى حلة سيراء تباع عند باب المسجد، فقال لرسول الله ﷺ لو اشتريتها ليوم الجمعة وللوفود إذا قدموا عليك، فقال رسول الله ﷺ إنما يلبس هذه من لاخلاق له فى الآخرة فما أنكر عليه ذكر التجمل بها، وإنما أنكر عليه لكونها حريرا.

قال المصنف رحمه الله: وقد ذكرنا عن أبى العالية أنه قال: كان المسلمون إذا تزاوروا تجملوا. أخبرنا أبو بكر بن عبد الباقى أبنأنا الحسن بن على الجوهرى نا أبو عمر بن حياة نا احمد بن معروف نا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد نا اسماعيل بن ابراهيم الأسدى عن ابن عون عن محمد قال: كان المهاجرون والأنصار يلبسون لباسا مرتفعاً، وقد اشترى تميم الدارى حلة بألف، ولكنه كان يصلى بها. قال ابن سعد وأخبرنا عفان ثنا حماد بن زيد ثنا أيوب عن محمد ابن سيرين أن تميما الدارى اشترى حلة بألف درهم وكان يقوم فيها بالليل إلى صلاته. قال وحدثنا عفان قال حدثنا حماد ابن سلمة عن ثابت، أن تميماً الدارى كانت له حلة قد ابتاعها بألف كان يلبسها الليلة التى ترجى فيها ليلة القدر. وأخبرنا الفضل بن دكين ثنا همام عن قتادة أن ابن سيرين أخبره أن تميما الدارى اشترى رداء بألف فكان يصلى بأصحابه فيه.

قال المصنف رحمه الله: قلت: وقد كان ابن مسعود من أجود الناس ثوبا وأطيبهم ريحا، وكان الحسن البصرى يلبس الثياب الجياد، قال كلثوم بن جوشن خرج الحسن وعليه جبة يمنية ورداء يمنى فنظر إليه فرقد،

فقال : ياأستاذ لاينبغى لمثلك أن يكون هكذا، فقال الحسن: يا ابن أم فرقد أما علمت أن أكثر أصحاب النار أصحاب الأكسية وكان مالك بن أنس يلبس الثياب العدنية الجياد وكان ثوب أحمد بن حنبل يشترى بنحو الدينار وقد كانوا يؤثرون البذاذة إلى حد وربما لبسوا خلقان الثياب فى بيوتهم فإذا خرجوا تجملوا ولبسوا مالا يشتهرون به من الدون ولامن الأعلى. أخبرنا أحمد بن منصور الهمدانى نا أبو على أحمد بن سعد على العجلى ثنا أبو ثابت هجير بن منصور ابن على الصوفى إجازة نا أبو محمد جعفر ابن محمد بن الحسين الصوفى ثنا ابن روزبه ثنا أبو سليمان محمد بن الحسين بن على بن ابراهيم الحرانى ثنا محمد بن الحسن بن قتيبة ثنا محمد بن خلف ثنا عيسى بن حازم، قال: كان لباس إبراهيم بن أدهم كتانا قطنا فروة لم أر عليه ثياب صوف ولاثياب شهرة. أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا حمد ابن احمد نا أبو نعيم أحمد بن عبد الله قال: سمعت محمد بن إبراهيم يقول سمعت محمد بن ريان يقول: رأى على ذو النون خفاً أحمر فقال انزع هذا يابنى فانه شهرة ما لبسه رسول الله ﷺ .إنما لبس النبى ﷺ خفين أسودين ساذجين. أخبرنا محمد ابن ناصر نا محمد ابن على بن ميمون نا عبد الكريم بن محمد المحاملى نا على بن عمر الدارقطنى نا أبو الحسن أحمد بن محمد بن سالم نا أبوسعيد عبد الله بن شبيب المدنى ثنى الزبير عن أبى عرنة الأنصارى عن فليح بن سليمان عن الربيع بن يونس قال قال أبو جعفر المنصور: العرى الفادم من خير الزى الفاضح.

فصل

قال المصنف: واعلم أن اللباس الذى يزرى بصاحبه يتضمن إظهار الزهد، وإظهار الفقر وكأنه لسان شكوى من الله عز وجل ويوجب احتقار اللابس وكل ذلك مكروه ومنهى عنه. أخبرنا محمد بن ناصر نا على بن الحصين ابن أيوب نا أبو على بن شاذان ثنا أبو بكر بن سليمان النجاد ثنا أبو بكر ابن عبد الله ابن محمد القرشى ثنا عبد الله بن عمر القواريرى ثنا هشام بن عبد الملك ثنا شعبة عن ابن اسحاق عن الأحوص عن أبيه.

قال: أتيت رسول الله ﷺ وأنا قشف الهيئة، فقال: هل لك مال، قلت نعم قال من أى المال، قلت: من كل المال قد آتانى الله عز وجل من الأبل والخيل والرقيق والغنم، قال: فإذا آتاك الله عز وجل مالا فلير عليك. أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبدالله بن أحمد ثنى أبى ثنا مسكين بن بكير ثنى الأوزاعى عن حسان بن عطية عن محمد بن المنكدر عن جابر، قال: أتانا رسول الله ﷺ زائرا فى منزلى فرأى رجلا شعثاً، فقال: أما كان يجد هذا مايسكن به رأسه، ورأى رجلا عليه ثياب وسخة، فقال: أما كان يجد هذا مايغسل به ثيابه أخبرنا عبدالوهاب بن المبارك ومحمد بن ناصر قالا نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو محمد الحسن بن على الجوهرى وأبو القاسم على بن المحسن التنوخى قالا نا أبو عمر محمد ابن العباس بن حياة ثنا أبو بكر بن الأنبارى ثنى أبى ثنا أبو عكرمة الضبى ثنا مسعود بن بشر عن أبى عبيدة معمر بن المثنى، قال: مضى على بن أبى طالب إلى الربيع بن زياد يعوده. فقال له: ياأمير المؤمنين أشكو إليك عاصما أخى، قال: ماشأنه، قال: ترك الملاذ ولبس العباءة فغم أهله، وأحزن ولده، فقال: على عاصما، فلما حضر بش فى وجهة وقال: أترى الله أحل لك الدنيا وهو يكره أخذك منها، انت والله أهون على الله من ذلك. فوالله لابتذالك نعم الله بالفعال ! أحب إليه من ابتذالك بالمقال، فقال: يا أمير المؤمنين إنى أراك تؤثر لبس الخشن وأكل الشعير فتنفس الصعداء. ثم قال ويحك يا عاصم، ان الله افترض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بالعوام لئلا يتبيغ بالفقير فقره. قال أبو بكر الأنبارى: المعنى لئلا يزيد ويغلو، يقال - تبيغ به الدم - إذا زاد وجاوز الحد.

فصل

قال المصنف: فان قال قائل تجويد اللباس هوى للنفس. وقد أمرنا بمجاهدتها. وتزين للخلق وقد أمرنا أن تكون أفعالنا لله لا للخلق. فالجواب: انه ليس كل ماتهواه النفس يذم ولاكل التزين للناس يكره. وإنما ينهى عن ذلك إذا كان الشرع قد نهى عنه. أو كان على وجه الرياء

فى باب الـدين فان الإنـسان يجب أن يـرى جميـلا وذلك حظ الـنفس ولايلام فيه ولهذا يسرح شعره، وينظـر فى المرآة، ويسوى عمامته، ويلبس بطانة الثوب الخـشن إلى داخل. وظهارته الحسنـة إلى الخارج. وليس فى شئ من هذا مايكره ولايذم. أخبرنا المبـارك بن على الصيرفى نا على بن محمد بن العلاف نا عبد الملك بن مـحمد بن بشران نا أحمد ابن ابراهيم الكندى نا محمد بن جعفر الخرائطى ثـنا بنان بن سليمان ثنا عبد الرحمن بن هانئ عن العلاء بن كثير عن مكحـول عن عائشة قالت: كأن نفر من أصحـاب رسول الله ﷺ ينتظـرونه على البـاب فخرج يريـدهم، وفى الدار ركوة فيـها ماء. فجعل ينظر فـى الماء ويسوى شعره ولحيـته، فقلت يارسـول الله وأنت تفـعل هذا! قـال نعم. إذا خـرج الرجل إلى إخـوانه فليهئ من نـفسه فان الله جميل يحـب الجمال، أخبرنا محـمد ابن ناصر أنبأنا عبد المحـسن بن محمد بن على ثنا مسعـود بن ناصر بن أبى زيد نا أبو إسحاق إبراهيم بـن محمد بن أحمد نا أبو القاسم عـبد الله بن أحمد الفقيه نا الحسن بن سفيان ثنا عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الله العرزمى عن أبيـه عن أم كلثوم عـن عائشة قـالت: خرج رسول الله ﷺ فـمر بركوة لنا فـيها ماء فنظر إلى ظله فـيها. ثم سوى لحيتـه ورأسه ثم مضى فلما رجع قلت يارسول الله تفعل هذا؟ قال: وأى شئ فعلت؟ نظرت فى ظل الماء فهيأت من لحيتـى ورأسى. إنه لا بأس أن يفعله الرجل المسلم إذا خرج إلى إخوانه أن يهيئ من نفسه.

قال المصنف رحمه الله: فان قيل، فما وجه مارويتم عن سرى السقطى أنه قال: لو احـسست بإنسان يدخل علـى فقلت كذا بلحيـتى- وأمر يده على لحيته كأنه يريد ان يسويها من أجل دخول الداخل عليه - لخشيت أن يعذبنى الله على ذلك بالنار. فالجـواب: ان هذا محمول منه على انه كان يقصد بذلك الرياء فى باب الدين من إظهار التَخَشُّع وغيره. فأما إذا قصد تحسين صـورته لئلا يرى منه مالا يستـحسن فان ذلك غير مـذموم. فمن اعتقـده مذموما فمـا عرف الرياء ولافهم المذمـوم. أخبرنا سعد الخـير بن محمد الأنصارى نا على بن عبد الله بن مـحمد النيسابورى نا أبو الحسين

عبد الغافر ابن محمد الفارسى نا محمد بن عيسى بن عمرويه ثنا ابراهيم ابن محمد بن سفيان ثنا مسلم ابن الحجاج ثنا محمد بن المثنى ثنى يحيى ابن حماد قال. أخبرنا شعبة عن أبان بن تغلب عن فضيل الفقيمى عن ابراهيم النخعى عن علقمة عن ابن مسعود عن النبى ﷺ قال: لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر. فقال رجل: إن أحدنا يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس. انفرد به مسلم ومعناه الكبر كبر فى بطر الحق. وغمط بمعنى ازدرى واحتقر.

فصل

وقال المصنف رحمه الله: وقد كان فى الصوفية من يلبس الثياب المرتفعة. أخبرنا محمد بن ناصر نا ابو طاهر محمد بن احمد بن أبى الصقر نا على بن الحسن بن جحاف، قال ابو عبد الله احمد بن عطاء، كان أبو العباس ابن عطاء يلبس المرتفع من البز كالديبقى، ويسبح بسبح اللؤلؤ ويؤثر ماطال من الثياب.

قال المصنف رحمه الله: قلت وهذا فى الشهرة كالمرقعات وإنما ينبغى أن تكون ثياب أهل الخير وسطاً، فانظر إلى الشيطان كيف يتلاعب بهؤلاء بين طرفى نقيض.

فصل

قال المصنف رحمه الله: وقد كان فى الصوفية من إذا لبس ثوبا خرق بعضه. وربما أفسد الثوب الرفيع القدر. أخبرنا ابو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز نا ابو بكر احمد بن على بن ثابت نا الحسن بن غالب المقرى قال: سمعت عيسى بن على الوزير يقول، كان ابن مجاهد يوما عند أبى، فقيل له الشبلى، فقال، يدخل، فقال ابن مجاهد، سأسكته الساعة بين يديك، وكان من عادة الشبلى إذا لبس شيئا خرق فيه موضعاً، فلما جلس، قال له ابن مجاهد، ياأبا بكر اين فى العلم فساد ماينتفع به فقال له الشبلى اين فى العلم «فطفق مسحا بالسوق والأعناق» قال فسكت ابن مجاهد، فقال له أبى أردت أن تسكته فأسكتك ، ثم

قال له قد أجمع الناس إنك مقرئ الوقت فأين فى القرآن إن الحبيب لا يعذب حبيبه ، قال فسكت إبن تجاهد فقال له أبى: قل ياأبا بكر فقال قوله تعالى ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه، قل فلم يعذبكم بذنوبكم﴾ فقال ابن مجاهد، كأننى ماسمعتهما قط.

قال المصنف رحمه الله: قلت، هذه الحكاية أنا مرتاب بصحتها لأن الحسن ابن غالب كان لايوثق به. أخبرنا القزاز نا أبو بكر الخطيب، قال: ادعى الحسن ابن غالب اشياء تبين لنا فيها كذبه واختلافه، فان كانت صحيحة فقد أبانت عن قلة فهم الشبلى حين احتج بهذه الآية. وقلة فهم ابن مجاهد حين سكت عن جوابه وذلك أن قوله ﴿فطفق مسحا بالسوق والأعناق﴾ لأنه لايجوز أن ينسب إلى نبى معصوم أنه فعل الفساد. والمفسرون قد اختلفوا فى معنى الآية، فمنهم من قال: مسح على اعناقها وسوقها ، وقال : أنت فى سبيل الله ، فهذا إصلاح ، ومنهم من قال : عقرها، وذبح الخيل وأكل لحمها جائز فما فعل شيئا فيه جناح، فأما إفساد ثوب صحيح لالغرض صحيح فانه لايجوز ومن الجائز أن يكون فى شريعة سليمان جواز مافعل ولايكون فى شرعنا. أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ أنبأنا محمد بن أحمد بن أبى الصقر ثنا على بن الحسن ابن جحاف الدمشقى، قال أبو عبد الله أحمد بن عطاء كان مذهب أبى على الروزبارى تخريق أكمامه وتفتيق قميصه، قال فكان يخرق الثوب المثمن فيرتدى بنصفه ويأتزر بنصفه حتى أنه دخل الحمام يوما وعليه ثوب ولم يكن مع أصحابه مايتأزرون به، فقطعه على عددهم فاتزروا به وتقدم إليهم أن يدفعوا الخرق إذا خرجوا للحمامى، قال ابن عطاء: قال لى أبو سعيد الكازرونى: كنت معه فى هذا اليوم وكان الرداء الذى قطعه يقوم بنحو ثلاثين ديناراً.

قال المصنف رحمة الله: ونظير هذ التفريط ماأبنأنا به زاهر بن طاهر قال أبنأنا أبو بكر البيهقى نا أبو عبد الله الحاكم قال سمعت عبد الله بن يوسف يقول سمعت أبا الحسن البوشنجى. يقول: كانت لى قبجة طلبت بمائة درهم فحضرنى ليلة غريبان فقلت للوالدة: عندك شئ لضيفى.

قالت. لا إلا الخبز. فذبحت القبجة وقدمتها اليهما.

قال المصنف رحمه الله: قد كان يمكنه أن يستقرض ثم يبيعها ويعطى فلقد فرط. أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن احمد قال أنبأنا رزق الله بن عبد الوهاب قال أنبأنا أبو عبد الرحمن السلمى. قال: سمعت جدى يقول: دخل أبو الحسين الدراج البغدادى الرى. وكان يحتاج إلى لفاف لرجله فدفع اليه رجل منديلا ديبقيا فشقه نصفين وتلفف به. فقيل له: لو بعته واشتريت منه لفافا وأنفقت الباقى، فقال رحمه الله: أنا لاأخون المذهب.

قال المصنف: وقد كان أحمد الغزالى ببغداد فخرج إلى المحول فوقف على ناعورة تأنّ فرمى طيلسانه عليها فدارت فتقطع الطيلسان. قال المصنف رحمه الله قلت: فانظر إلى هذا الجهل والتفريط والبعد من العلم فإنه قد صح عن رسول الله ﷺ: أنه نهى عن إضاعة المال ولو أن رجلا قطع ديناراً صحيحاً وأنفقه كان عند الفقهاء مفرطاً فكيف بهذا التبذير المحرم. ونظير هذا تمزيقهم الثياب المطروحة عند الوجد على ماسيأتى ذكره إن شاء الله ثم يدعون أن هذه حالة ولاخير فى حالة تنافى الشرع. أفتراهم عبيد نفوسهم أم أمروا أن يعملوا بآرائهم، فان كانوا عرفوا أنهم يخالفون الشرع بفعلهم هذا ثم فعلوه أنه لعباد. وإن كانوا لا يعرفوا فلعمرى أنه لجهل شديد. أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم احمد بن عبد ربه الحافظ. قال سمعت محمد ابن الحسين يقول سمعت عبد الله الرازى يقول: لما تغير الحال على أبى عثمان وقت وفاته. مزق ابنه أبو بكر قميصا كان عليه. ففتح أبو عثمان عينه. وقال يابنى خلاف السنة فى الظاهر ورياء باطن فى القلب.

فصل

قال المصنف: وفى الصوفية من يبالغ فى تقصير ثوبه وذلك شهرة أيضاً. أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب ثنا احمد بن جعفر ثنا عبد الله ابن احمد ثنى أبى ثنا محمد بن أبى عدى عن العلاء عن أبيه. أنه سمع أبا سعيد: سئلى عن الازار فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ازار

المسلـم إلى انصـاف الساقـين. لاجنـاح أولا حرج علـيه ومـابينه وبـين الكعبـين. وماكان أسفل من ذلك فـهو النار. أخبرنا المحمـدان بن ناصر وابن عبد الباقى قـالا نا حمد بن احمد نا أبو نعيم احـمد بن عبد الله ثنا أبو حـامد ابن جـبلة ثنا مـحمد بـن إسحاق ثـنا إبراهيم بـن بن سعـيد الجوهرى. قـال: كتب إلى عبـد الرزاق عن معمـر قال كان فى قـميص أيوب بعض التذييل. فقيل له. فقال الشهرة اليوم فى التشمير. وقد روى إسحاق بن إبراهيم بن هانئ قال دخلت يـوما على أبى عبد الله احمد بن حنبل وعلىّ قمـيص أسفل من الركبة وفوق السـاق. فقال. أى شئ هذا وأنكره. وقال. هذا بالمرة لاينبغى.

فصل

قال المصنف:وقد كان فى الصـوفية من يجعل على رأسـه خرقة مكان العمـامة وهذا أيضا شـهرة لأنه على خلاف لبـاس أهل البلد وكل مـافيه شهرة فهو مكروه. أخبرنا يحيى بن ثابت بن بندار نا أبى الحسين بن على الطناجيرى نا احمـد بن منصور البوسرى ثنا محمد بن مـخلد ثنى محمد بن يوسف قال قال عباس بن عبد الـعظيم العنبرى. قال بشر بن الحارث، إن ابن المبارك دخـل المسجد يوم جـمعة وعليـه قلنسوة،فنظـر الناس ليس عليهم قلانس فأخذها فوضعها فى كمه.

فصل

قال المصنف: وقد كان فـى الصوفية من اسـتكثر من الثيـاب وسوسة فيجعل للـخلاء ثوبا وللصلاة ثوباً. وقد روى هذا عن جـماعة منهم أبو يزيد وهذا لابأس به إلا أنه ينبـغى خشية أو يتخذ سنة.أخبـرنا محمد بن أبى القاسم نا حمد بن احمد نا أبو نعـيم احمد بن عبد الله ثنا أبو حامد احمد بن مـحمد بن عبـد الوهاب ثنا محمـد بن إسحاق النيسـابورى ثنا محمد بـن الصباح ثنا حاتم يعنى ابـن اسماعيل ثنى جعـفر عن أبيه. أن على بن الحسيـن قال. يابنى لو اتخذت ثوبا للغـائط. رأيت الذباب يقع على الـشئ ثم يقع علـى الثوب، ثم أتيـته، فقـال: ما كان لـرسول الله ﷺ ولا لأصحابه الا ثرب فرفضه.

فصل

قال المصنف: وقد كان فيهم من لايكون له سوى ثوب واحد زهداً فى الدنيا، وهذا أحسن إلا أنه إذا أمكن اتخاذ ثوب للجمعة والعيد كان أصلح واحسن. أخبر نا عبد الأول بن عيسى نا عبد الرحمن بن محمد بن المظفر نا عبد الله بن احمد ابن حياة نا إبراهيم بن حريم بن حميد ثنى ابن أبى شيبة ثنا محمد ابن عمر عن عبد الحميد بن جعفر عن محمد بن يحيى بن حبان عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه قال خطبنا رسول الله ﷺ فى يوم جمعة فقال ماعلى أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم جمعة سوى ثوب مهنته، أخبرنا محمد بن عبد الباقى نا محمد الجوهرى نا أبو عمر ابن حياة نا احمد بن معروف الحساب نا الحارث بن أبى أسامة ثنا محمد بن سعد نا محمد بن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن عبد المجيد ابن سهيل عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال محمد بن عمر وحدثنى غير محمد بن عبدالرحمن أيضاً ببعض ذلك قالوا كان لرسول الله ﷺ برد يمنية وازار من نسج عمان فكان يلبسهما فى يوم الجمعة ويوم العيد ثم يطويان.

ذكر تلبيس ابليس على الصوفية فى مطاعمهم ومشاربهم

قال المصنف رحمه الله: قد بالغ إبليس فى تلبيسه على قدماء الصوفية فأمرهم بتقليل المطعم وخشونته ومنعهم شرب الماء البارد. فلما بلغ إلى المتأخرين استراح من التعب واشتغل بالتعجب من كثرة أكلهم ورفاهية عيشهم.

ذكر طرف مما فعله قدماؤهم

قال المصنف رحمه اللّه: كان فى القوم من يبقى الأيام لا يأكل إلا أن تضعف قوته. وفيهم من يتناول كل يوم الشئ اليسير الذى لايقيم البدن فروى لنا عن سهل بن عبد الله أنه كان فى بدايته يشترى بدرهم دبساً وبدرهمين سمناً وبدرهم دقيق الأرز فيخلطه ويجعله ثلاثمائة وستين كرة فيفطر كل ليلة على واحدة. وحكى عنه أبو حامد الطوسى. قال كان

سهل يقتات ورق النبق مدة وأكل دقاق التبن مدة ثلاث سنين واقتات بثلاث دراهم فى ثلاث سنين. أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامرى نا أبوسعد بن أبى صادق نا ابن باكويه ثنى أبو الفرج بن حمزة التكريتى ثنى أبو عبد الله الحصرى قال سمعت أبا جعفر الحداد يقول. أشرف علىّ أبوتراب يوما وأنا على بركة ماء ولى ستة عشر يوما لم آكل شيئا ولم أشرب فيها ماء فقال ماجلوسك ههنا فقلت أنا بين العلم واليقين وأنا انظر من يغلب فأكون معه فقال سيكون لك شأن. أخبرنا أبو بكر ابن حبيب نا ابن أبى صادق ثنا ابن باكويه نا عبد العزيز بن الفضل ثنا على ابن عبدالله العمرى ثنا محمد بن فليح ثنى إبراهيم بن البنا البغدادى قال صحبت ذا النون من اخميم إلى الاسكندرية فلما كان وقت إفطاره أخرجت قرصا وملحا كان معى وقلت هلم فقال لى ملحك مدقوق. قلت نعم. قال لست تفلح فنظرت إلى مزوده فإذا فيه قليل سويق شعير يستف منه. أخبرنا ابن ظفر نا ابن السراج نا عبد العزيز ابن على الازجى نا ابن جهضم ثنا محمد بن عيسى ابن هارون الدقاق ثنا احمد بن أنس ثنا ابن أبى الحوارى. سمعت أبا سليمان يقول الزبد بالعسل اسراف. قال ابن جهضم وحدثنا محمد بن يوسف البصرى قال سمعت أبا سعيد صاحب سهل يقول: بلغ أبا عبد الله الزبيرى وزكريا الساجى وابن أبى أوفى. ان سهل ابن عبد الله يقول. انا حجة الله على الخلق. فاجتمعوا عنده فاقبل عليه الزبيرى فقال له: بلغنا أنك قلت - أنا حجة الله على الخلق - فبماذا، أنبىٌّ انت ؟ أصدّيق انت؟ قال سهل: لم أذهب حيث تظن ولكن إنما قلت هذا لأخذى الحلال. فتعالوا كلكم حتى نصحح الحل. قالو. فأنت، قد صححته. قال نعم، قال وكيف، قال سهل قسمت عقلى ومعرفتى وقوتى على سبعة أجزاء فاتركه حتى يذهب منها ستة أجزاء ويبقى جزء واحد فإذا خفت أن يذهب ذلك الجزء ويتلف معه نفس خفقت أن أكون قد اعنت عليها وقتلتها دفعت إليها من البلغة ما يرد الستة الأجزاء.

أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبى صادق نا ابن باكويه قال أخبرنى أبو عبد الله ابن مفلح قال خبرنى أبى أخبرنى أبو عبد الله بن زيد قال لى: منذ أربعين سنة ما أطعمت نفسى طعاما إلا فى وقت ما أحل الله لها الميتة. أخبرنا ابن ناصر نا أبوالفضل محمد بن على بن احمد السهلكى ثنى

أبوالحسن على بن محمد القوهى ثنا عيسى بن محمد عن أبيه محمد بن عيسى ثنا موسى بن عيسى ثنا عيسى بن آدم ابن أخى أبى يزيد، قال. جاء رجل إلى أبى يزيد قال أريد أن أجلس فى مسجدك الذى أنت فيه، قال لا تطيق ذلك. فقال، ان رأيت ان توسع لى فى ذلك. فأذن له فجلس يوماً لا يطعم فصبر فلما كان فى اليوم الثانى. قال له يا أستاذ: لا بد مما لا بد منه. فقال: يا غلام لا بد من الله. قال، يا أستاذ نريد القوت. قال، يا غلام القوت عندنا إطاعة الله. فقال، يا أستاذ أريد شيئاً يقيم جسدى فى طاعته عز وجل. فقال، يا غلام ان الأجسام لا تقوم إلا بالله عزوجل.

أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقى قالا نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ. قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبدالله بن شاذان يقول سمعت أبا عثمان الآدمى يقول سمعت ابراهيم الخواص يقول. حدثنى أخ لى كان يصحب أبا تراب نظر إلى صوفى مديده إلى قشر البطيخ وكان قد طوى ثلاثة أيام. فقال له تمد يدك إلى قشر البطيخ أنت لا يصلح لك التصوف. إلزم السوق. أخبرنا محمد بن أبى القاسم أنبأنا رزق الله بن عبد الوهاب نا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا القاسم القيروانى يقول سمعت بعض أصحابنا يقول. أقام أبوالحسن النصيبى بالحرم أياماً مع أصحاب لهم سبعة لم يأكلوا فخرج بعض أصحابه ليتطهر فرأى قشر بطيخ فأخذه فأكله. فرآه انسان فاتبعه بشىء وجاء برفق فوضعه بين يدى القوم فقال الشيخ، من جنى منكم هذه الجناية فقال الرجل أنا وجدت قشر بطيخ فأكلته فقال كن مع جنايتك ومع هذا الرفق وخرج من الحرم ومعه أصحابه وتبعه الرجل. فقال. ألم أقل لك كن مع جنايتك، فقال الرجل، أنا تائب إلى الله تعالى مما جرى منى، فقال الشيخ: لا كلام بعد التوبة .

أخبرنا عمر بن ظفرنا ابن السراج نا أبو القاسم الأزجى نا أبو الحسن ابن جهضم ثنا ابراهيم بن محمد الشنوزى قال سمعت بنان بن محمد يقول كنت بمكة مجاوراً أفرأيت بها ابراهيم الخواص وأتى علىّ أيام لم يفتح علىّ بشىء وكان بمكة مزين يحب الفقراء وكان من أخلاقه إذا جاءه الفقير يحتجم اشترى له لحماً فطبخه فأطعمه فقصدته وقلت أريد أن أحتجم فأرسل من يشترى لحماً وأمر باصلاحه وجلست بين يديه فجعلت

نفسـى تقول: ترى يكـون فراغ القدر مع فـراغ الحجامـة. ثم استيـقظت وقلت. يا نفس إنما جئت تحتجميـن لتطمعى عاهدت الله تعالى الا ذقت من طعامه شيئاً. فلما فرغ انصرفت فقال سبحان الله أنت تعرف الشرط. فقلت. ثم عقد: فسكت. وجئـت إلى المسجد الحرام ولم يقدر لى شيء آكله: فلما كان من الغد بقيت إلى آخر الـنهار ولم يتفق أيضاً فلما قمت لصلاة الـعصر سـقطت وغشى علـىّ واجتمع حـولى ناس وحسـبوا أنى مجنون فـقام ابراهيم وفرق النـاس وجلس عندى يحدثنى. ثـم قال تأكل شيئاً. قلت قرب الليل. فقال: أحسنتم يا مبتدئون اثبتوا على هذا تفلحوا ثم قام فلما صلينا العشاء الآخرة إذا هو قد جاءنى ومعه قصعة فيها عدس ورغيفان ودورق ماء فـوضعه بين يدى وقال: كل ذلك فأكلـت الرغيفين والعدس فقال فيك فـضل تأكل شيئاً آخر قلت نعم فمـضى وجاء بقصعة عدس ورغفين فـأكلتهما وقلت قد اكتـفيت فاضطجعت فمـا قمت ليلتى ونمت إلى الصباح ما صليت ولا طفت .

أنبأنا أبو المظفر عبدالمنعم بن عبد الكريم ثنا أبى قال سمعت محمد بن عبـدالله الصوفـى يقول سمـعت منصور بـن عبدالله الأصـفهانـى يقول سمـعت أبا على الروزبارى يقـول: اذا قال الصوفـى بعد خمسـة أيام أنا جائع فألزموه السوق وأمروه بالكسب. أنبأنا عبد المنعم ثنا أبى قال سمعت ابن باكويه يقول سـمعت أبا احمد الصغير يقول: أمـرنى أبو عبد الله بن خفيف أن أقدم اليه كل ليلة عشر حبات زبيب لافطاره فأشفقت عليه ليلة فحملت اليه خـمسة عشر حبة فنظر إلى وقال من أمـرك بهذا وأكل عشر حبات وترك الباقى .

أخبـرنا أبو بكر بن حـبيب نا على بن أبـى صادق نا ابن باكـويه قال سمعت عبد الـله ابن خفيف يقول: كنت فى ابتدائى بقـيت أربعين شهراً أفطر كل ليلة بكف باقلاء فمضيت يوماً فاقتصدت فخرج من عرقى شبه ماء اللحم وغشى على فتحير الفصاد وقال. ما رأيت جسداً لأدم فيه إلا هذا .

فصل

قال المصنف: وقد كان فيـهم قوم لا يأكلون اللحم حتى قـال بعضهم أكل درهم من اللحم يقسى القلب أربعين صـباحاً. وكان فيهم من يمتنع من الطيبات كلها ويحتج بما أخبرنا به على بن عبد الواحد الدينورى نا أبو

الحسن القزوينى نا أبو حفص بن الزيات ثـنا ابن ماجه ثنا أزهر بن جميل ثنا بزيغ عـن هشام عن أبيه عن عـائشة. قالت قـال رسول الله ﷺ : أحرموا أنفسكم طيب الطعام فانمـا قوى الشيطان أن يجرى فى العروق بها وفيهم من كان يمتنع من شرب الماء الـصافى. وفيهم من يمتنع من شرب الماء البارد فيـشرب الحار. ومنهم من كان يجعل مـاءه فى دن مدفون فى الأرض فيصـير حاراً. ومنهـم من يعاقب نفسـه بترك الماء مدة. وأخـبرنا محمد بن ناصر أنبأنا أبو الفضل مـحمد ابن على السهلكى قال: سمعت عبد الواحد بن بكر الوريانى ثنى محـمد بن سعدان ثنى عيسى بن موسى البسطامى قال سمعت أبى يقول قـال سمعت عمى خادم أبى يزيد يقول: ما أكلت شيئاً مما يأكله بنو آدم أربعين سنة. قال: وأسهل ما لاقت نفسى منى أنى سألتهـا أمراً من الأمور فأبت فعزمت أن لا أشـرب الماء سنة فما شربت الماء سنة. وحكى أبو حامد الـغزالى عن أبى يزيد انه قال: دعوت نفسى إلى الـله عز وجل فجمحـت فعزمت عليهـا أن لا أشرب الماء سنة ولا أذوق النوم سنة فوفت لى بذلك .

فصل

قال المصنف: وقد رتب أبـو طالب المكى للقـوم ترتيبات فـى المطاعم فقال: اسـتحب للمـريد ألا يزيد على رغيـفين فى يوم وليـلة قال: ومن الناس من كان يعمـل فى الأقوات فيقلها: وكان بعضـهم يزن قوته بكربة من كرب النخل وهـى تجف كل يوم قليلا فينقص من قـوته بمقدار ذلك، قال، ومنـهم من كان يعـمل فى الأوقات فـيأكل كل يوم ثم يـتدرج إلى يومين وثلاثة، قال، والجـوع ينقص دم الفؤاد فيبيضـه وفى بياضه نوره، ويذيب شحم الفؤاد وفى ذوبانه رقته، وفى رقته مفتاح المكاشفة .

قال المصنف رحمه الله تعالى: وقد صنف لهم أبو عبد الله محمد بن على الترمذى كتاباً سماه رياضة النفوس قال فيه، فينبغى للمبتدى فى هذا الأمر أن يصوم شهرين متتابعين توبة من الله ثم يفطر فيطعم اليسير ويأكل كسرة كسرة، ويقطع الأدام والفواكه واللذة، ومجالسة الإخوان، والنظر فى الكتب، وهذه كلها أفراح للنفس فيمنع النفس لذتها حتى تملىء غما.

قال المصنف: وقد أخرج لهم بعض المتأخرين الأربعينية. يبقى أحدهم أربعين يوماً لا يأكـل الخبز ولكنه يشرب الزيوتات ويأكل الفـواكه الكثيرة

اللذيذة، فهذه نبذة من ذكر أفعالهم فى مطاعمهم يدل مذكورها على مغفلها .

فصل

فى بيان تلبيس إبليس عليهم فى هذه الأفعال وإيضاح الخطأ فيها

قال المصنف رحمه الله، أما ما نقل عن سهل ففعل لا يجوز لأنه حمل على النفس مالا تطيق ثم ان الله عز وجل أكرم الآدميين بالحنطة وجعل قشورها لبهائمهم فلا تصلح مزاحمة البهائم فى أكل التبن وأى غذاء فى التبن ومثل هذه الأشياء أشهر من أن تحتاج إلى رد وقد حكى أبو حامد عن سهل أنه كان يرى أن صلاة الجائع الذى قد أضعفه الجوع قاعداً أفضل من صلاته قائما إذا قواه الأكل.

قال المصنف رحمه الله: وهذا خطأ بل إذا تقوى على القيام كان أكله عباده لأنه يعين على العبادة وإذا تجوع إلى أن يصلى قاعداً فقد تسبب إلى ترك الفرائض فلم يجز له ولو كان التناول ميتة ما جاز هذا فكيف وهو حلال ثم أى قربة فى هذا الجوع المعطل أدوات العبادة، وأما قول الحداد وأنا أنظر أن يغلب العلم أم اليقين فانه جهل محض لأنه ليس بين العلم واليقين تضاد إنما اليقين أعلى مراتب العلم، وأين من العلم واليقين ترك ما تحتاج اليه النفس من المطعم والمشرب وإنما أشار بالعلم إلى ما أمره الشرع، وأشار باليقين إلى قوة الصبر وهذا تخليط قبيح، وهؤلاء قوم شددوا فيما ابتدعوا وكانوا كقريش فى تشددهم حتى سموا بالحمس فجحدوا الأصل وشددوا فى الفرع، وقول الآخر، ملحك مدقوق لست تفلح من أقبح الأشياء وكيف يقال عمن استعمل ما أبيح له لست تفلح وأما سويق الشعير فإنه يورث القولنج وقول الآخر الزبد بالعسل إسراف قول مرذول لأن الإسراف ممنوع منه شرعاً وهذا مأذون فيه وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه كان يأكل القثاء بالرطب ، وكان يحب الحلوى والعسل وأما ما روينا عن سهل أنه قال قسمت قوتى وعقلى سبعة أجزاء ففعل يذم به ولا يمدح عليه إذ لم يأمر الشرع بمثله وهو إلى التحريم أقرب لأنه ظلم للنفس وترك لحقها وكذلك قول الذى قال: ما أكلت إلى وقت أن يباح لى أكل الميتة: فإنه فعل برأيه المرذول، وحمل على النفس مع وجود الحلال. وقول أبى يزيد: القوت عندنا لله. كلام ركيك فإن

البدن قد بُنى على الحاجة إلى الطعام حتى إن أهل النار فى النار يحتاجون إلى الطعام. وأما التقبيح على من أخذ قشر البطيخ بعد الجوع الطويل فلا وجه له والذى طوى ثلاثا لم يسلم من لوم الشرع، وكذلك الذى عاهد أن لا يأكل حين احتجم حتى وقع فى الضعف فإنه فعل مالا يحل له، وقول إبراهيم له أحسنتم يا مبتدئون خطأ أيضاً فإنه كان ينبغى أن يلزمه بالفطر ولو كان فى رمضان إذ من له أيام لم يأكل وقد احتجم وغشى عليه لا يجوز له أن يصوم.

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت ثنى الأزهرى ثنا على ابن عمر ثنا أبو حامد الحضرمى ثنا عبد الرحمن بن يونس السواح ثنا بقية بن الوليد عن عبيدالله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ من أصابه جهد فى رمضان فلم يفطر فمات دخل النار.

قال المصنف رحمه الله: قلت، كل رجاله ثقات وقد أخبرنا به عاليا محمد ابن عبد الباقى نا أبو يعلى محمد بن الحسين نا على بن عمر السكرى ثنا احمد بن محمد الأسدى ثنا عبد الرحمن بن يونس فذكره وقال، من أصابه جهد فى رمضان فلم يفطر دخل النار.

قال المصنف رحمه الله : وأما تقليل ابن خفيف ففعل قبيح لا يستحسن وما يورد هذا الأخبار عنهم إيرادا مستحسناً لها إلا جاهل بأصول الشرع، فأما العالم المتمكن فإنه لا يهوله قوله معظم فكيف بفعل جاهل مبرسم، وأما كونهم لا يأكلون اللحم فهذا مذهب البراهمة الذين لا يرون ذبح الحيوان والله عز وجل أعلم بمصالح الأبدان فأباح اللحم لتقويتها فأكل اللحم يقوى القوة وتركه يضعفها ويسئ الخلق وقد كان رسول الله ﷺ يأكل اللحم ويحب الذراع من الشاة، ودخل يوماً فقدم اليه طعام من طعام البيت فقال، لم أر لكم برمة تمور، وكان الحسن البصرى يشترى كل يوم لحما، وعلى هذا كان السلف الا أن يكون فيهم فقير فيبعد عهده باللحم لأجل الفقر، وأما من منع نفسه الشهوات فان هذا على الإطلاق لا يصلح لأن الله عز وجل لما خلق بنى آدم على الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة وجعل صحته موقوفة على تعادل الإخلاط الدم والبلغم والمرة الصفراء والمرة السوداء فتارة يزيد بعض الاخلاط فتميل الطبيعة إلى ما ينقضه مثل أن تزيد الصفراء فيميل الطبع

إلى الحموضة أو ينقص البلغم فتميل النفس إلى المرطبات فقد ركب فى الطبع الميل إلى ما تميل إليه النفس وتوافقه فاذا مالت النفس إلى ما يصلحها فمنعت فقد قوبلت حكمة البارى سبحانه وتعالى يردها ثم يؤثر ذلك فى البدن فكان هذا الفعل مخالفاً للشرع والعقل، ومعلوم أن البدن مطية الآدمى ومتى لم يرفق بالمطية لم تبلغ، وإنما قلت علوم هؤلاء فتكلموا بآرائهم الفاسدة فان أسندوا فالى حديث ضعيف أو موضوع أو يكون فهمهم منه رديئاً ولقد عجبت لأبى حامد الغزالى الى الفقيه كيف نزل مع القوم من رتبة الفقه إلى مذاهبهم حتى إنه قال لا ينبغى للمريد اذا تاقت نفسه الى الجماع أن يأكل ويجامع فيعطى نفسه شهوتين فتقوى عليه.

قال المصنف رحمه الله: وهذا قبيح فى الغاية فان الإدام شهوة فوق الطعام فينبغى أن لا يأكل إداماً والماء شهوة أخرى. أو ليس فى الصحيح أن رسول الله ﷺ طاف على نسائه بغسل واحد فهلا اقتصر على شهوة واحدة. أو ليس فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ كان يأكل القثاء بالرطب وهاتان شهوتان. أو ما أكل عند أبى الهيثم ابن التيهان خبزاً وشواء وبسراً وشرب ماء بارداً أو ما كان الثورى يأكل اللحم والعنب والفالوذج ثم يقوم فيصلى أو ما تعلف الفرس الشعير والتبن والقت. وتطعم الناقة الخبط والحمض. وهل البدن الا ناقة وإنما نهى بعض القدماء عن الجمع بين إدامين على الدوام لئلا يتخذ ذلك عادة فيحوج إلى كلفة وإنما تجتنب فضول الشهوات لئلا يكون سبباً لكثرة الأكل وجلب النوم. ولئلا تتعود فيقل الصبر عنها فيحتاج الإنسان إلى تضييع العمر فى كسبها وربما تناولها من غير وجهها. . وهذا طريق السلف فى ترك فضول الشهوات. والحديث الذى احتجوا به أحرموا أنفسكم طيب الطعام حديث موضوع عملته يداً بزيغ الراوى وأما اذا اقتصر الانسان على خبز الشعير والملح الجريش فانه ينحرف مزاجه لأن خبز الشعير يابس مجفف والملح يابس قابض يضر الدماغ والبصر، وتقليل المطعم يوجب تنشيف المعدة وضيقها وقد حكى يوسف الهمدانى عن شيخه عبد الله الخوفى أنه كان يأكل خبز البلوط بغير إدام وكان أصحابه يسألونه أن يأكل شيئا من الدهن والدسومات فلا يفعل.

قال المصنف رحمه الله: وهذا يورث القولنج الشديد. واعلم أن المذموم من الأكل إنما هو فرط الشبع وأحسن الآداب فى المطعم أدب الشارع ﷺ. أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو بكر بن حمكان ثنا عبد الله بن احمد ثنى أبى ثنا أبو المغيرة ثنا سليمان بن سليم الكنانى ثنا يحيى بن جابر الطائى. قال. سمعت المقدام بن معدى كرب يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه. حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه. فان كان لابد فثلث طعام وثلث شراب وثلث لنفسه.

قال المصنف رحمه الله: قلت. فقد أمر الشرع بما يقيم النفس حفظاً لها وسعياً فى مصلحتها. ولو سمع أبقراط هذه القسمة فى قوله. ثلث وثلث وثلث. لدهش من هذه الحكمة لأن الطعام والشراب يربوان فى المعدة فيتقارب ملئها فيبقى للنفس من الثلث قريب فهذا أعدل الأمور فان نقص منه قليل لم يضر وإن زاد النقصان أضعف القوة وضيق المجارى على الطعام.

فصل

قال المصنف رحمه الله: واعلم أن الصوفية إنما يأمرون بالتقلل شبانهم ومبتدئيهم ومن أضر الأشياء على الشاب الجوع فإن المشايخ يصبرون عليه والكهول أيضاً فأما الشبان فلا صبر لهم على الجوع . وسبب ذلك أن حرارة الشباب شديدة فلذلك يجود هضمة ويكثر تحلل بدنه فيحتاج إلى كثرة الطعام كما يحتاج السراج الجديد إلى كثرة الزيت. فإذا صابر الشاب الجوع وتثبته فى أول النشوء قمع نشوء نفسه فكان كمن يعرقب أصول الحيطان ثم تمتد يد المعدة لعدم الغذاء إلى أخذ الفضول المجتمعة فى البدن فتغذيه بالاخلاط فيفسد الذهن والجسم وهذا أصل عظيم يحتاج إلى تأمل.

فصل

قال المصنف رحمه الله: وذكر العلماء التقليل الذى يضعف البدن. أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا عبد العزيز ابن على الأزجى نا ابراهيم بن جعفر الساجى نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر نا أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال نا عبد الله بن ابراهيم بن يعقوب الجيلى قال: سمعت أبا عبد الله احمد بن حنبل. قال. له

عقبة بن مكرم. هؤلاء الذين يأكلون قليلا ويقللون من مطعمهم. فقال ما يعجبنى سمعت عبد الرحمن بن مـهدى يقول فعل قوم هذا فقطعهم عن الفرض. قال الخلال. وأخـبرنى أبو بكر أحمد بن محمـد بن عبد الله بن صدقة ثنا اسحق بن داود بن صبيح. قـال قلت لعبد الرحمن بن مهدى. يا أبا سعيد إن ببلدنا قوماً من هؤلاء الصوفية. فقال. لا تقرب هؤلاء فانا قد رأينا من هؤلاء قـوماً أخرجهم الأمر إلى الجنون. وبعضـهم أخرجهم إلى الزندقة. ثـم قال. خرج سفيـان الثورى فى سفر فـشيعته وكـان معه سفرة فـيها فالوذج وكـان فيها حـمل. قال الخلال. وأخبـرنى المروزى قال سمعت أبا عبد الله أحمد بن حـنبل. وقال له رجل: انى منذ خمس عشرة سنة قد ولع بى إبليس. وربما وجدت وسوسة أتفكر فى الله عز وجل فقال لعلك كنت تدمن الصوم. افطر وكل دسما وجالس القصاص.

قال المصنف رحـمه الله: وفى هؤلا القـوم من يتناول المطاعم الـرديئة ويهجر الدسم فيجتمع فى معدته أخلاط فجة فتغتذى المعدة منها مدة لأن المعدة لا بد لها من شىء تهضمه. فـاذا هضمت ما عندها من الطعام ولم تجد شيئاً تناولت الاخلاط فهضمـتها وجعلتها غذاء. وذلك الغذاء الردىء يخرج إلى الوساوس والجنون وسوء الأخـلاق. وهؤلاء المتقللون يتناولون مع التقلل أردأ المأكولات فتكثر أخلاطهم فتشتغل المعدة بهضم الاخلاط. ويتفق لهم تعود التقلل بالتدريج فتضـيق المعدة فيمكنهم الصبر عن الطعام أياماً. ويعينهم على هذا قوة الشباب فيـعتقدون الصبر عن الطعام كرامة. وإنما السبب ما عرفـتك وقد أنبأنا عبد المنعم بن عبـد الكريم قال حدثنى أبى قال كانـت امرأة قد طعنت فى السن فـسئلت عن حالهـا. فقالت: كنت فى حال الشباب أجد من نفسى أحوالا أظنها قوة الحال. قال كبرت زالت عنى. فـعلمت أن ذلك كان قـوة الشباب فتـوهمتهـا أحوالا. قال سمعت أبا علـى الدقاق يقول ما سمع أحد هذه الحكـاية من الشيوخ إلا رق لهذه العجوز وقال أنها كانت منصفة.

وقال المصنف: فان قيـل كيف تمنعون من الـتقلل وقد رويتـم أن عمر رضى الله عنه كان يأكل كل يوم إحدى عـشرة لقمة. وإن ابن الزبير كان يبقى أسبوعا لا يأكل وإن ابراهيم التمـيمى بقى شهرين. قلنا. قد يجرى للانسان من هذا الفن فى بعض الأوقات غير انه لا يدوم عليه. ولا يقصد

الترقى اليه. وقد كان فى السلف من يجوع عوزاً وفيهم من كان الصبر له عادة لا يضر بدنه. وفى العرب من يبقى أياماً لا يزيد على شرب اللبن. ونحن لا نأمر بالشبع إنما ننهى عن جوع يضعف القوة ويؤذى البدن. واذا ضعف البدن قلت العبادة. فان حملت البدن قوة الشباب جاء الشيب فاقذع بالراكب. وقد أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا عبدالقادر بن يوسف نا أبو إسحق البرمكى ثنا أبو يعقوب ابن سعد النسائى ثنا جدى الحسن بن سفيان ثنا حرملة بن يحيى ثنا عبد الله بن وهب ثنا سفيان بن عيينة عن مالك بن أنس عن إسحق بن عبيد الله بن أبى طلحة عن أنس رضى الله عنه. قال: كان يطرح لعمر بن الخطاب رضى الله عنه الصاع من التمر فيأكله حتى حشفه وقد روينا عن ابراهيم بن أدهم: انه اشترى زبداً وعسلا وخبزاً حوارى. فقيل له: هذا كله تأكله فقال: اذا وجدنا أكلنا أكل الرجال وإذا عدمنا صبرنا صبر الرجال .

فصل

قال المصنف رحمه الله: وأما الشرب من الماء الصافى: فقد تخيره رسول الله ﷺ. أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر ثنا فليح ابن سليمان عن سعيد بن الحارث عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ: اتى قوماً من الأنصار يعود مريضاً فاستسقى وجدول قريب منه، فقال ان كان عندكم ماء بات فى شن وإلاكرعنا، اخرجه البخارى، وأخبرنا منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا أبو عمر بن مهدى ثنا الحسين ابن اسماعيل المحاملى ثنا محمد بن عمرو بن أبى مدعور ثنا عبد العزيز بن محمد نا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان يستقى له الماء العذب من بئر السقيا.

قال المصنف: وينبغى أن يعلم أن الماء الكدر يولد الحصا فى الكلى والسدد فى الكبد، وأما الماء البارد فانه اذا كانت برودته معتدلة فانه يشد المعدة، ويقوى الشهوة، ويحسن اللون، ويمنع عفن الدم وصعود البخارات إلى الدماغ ويحفظ الصحة واذا كان الماء حاراً أفسد الهضم وأحدث الترهل وأذبل البدن، وأدى إلى الاستسقاء والدق فان سخن بالشمس خيف منه البرص، وقد كان بعض الزهاد يقول اذا أكلت الطيب وشربت الماء البارد متى تحب الموت وكذلك قال أبو حامد الغزالى إذا أكل

الإنسان ما يستلذه قسا قلبه وكره الموت واذا منع نفسه شهواتها وحرمها لذاتها اشتهت نفسه الافلات من الدنيا بالموت.

قال المصنف رحمه الله: واعجباً كيف يصدر هذا الكلام من فقيه أترى لو تقلبت النفس فى أى فن كان من التعذيب ما أحبت الموت ثم كيف يجوز لنا تعذيبها وقد قال عز وجل: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾ ورضى منا بالافطار فى السفر رفقاً بها وقال: ﴿يريد بكم اليسر ولايريد بكم العسر﴾ أو ليست مطيتنا التى عليها وصولنا .

وكيف لا نأوى لها وهى التى بها قطعنا السهل والحزونا

وأما معاقبة أبى يزيد نفسه بترك الماء سنة فانها حالة مذمومة لا يراها مستحسنة إلا الجهال ووجه ذمها أن للنفس حقاً ومنع الحق مستحقه ظلم، ولا يحل للانسان أن يؤذى نفسه، ولا أن يقعد فى الشمس فى الصيف بقدر ما يتأذى، ولا فى الثلج فى الشتاء. والماء يحفظ الرطوبات الأصلية فى البدن وينفذ الأغذية وقوام النفس بالأغذية فاذا منعها أغذية الآدميين ومنعها الماء فقد أعان عليها وهذا من أفحش الخطأ. وكذلك منعه إياها النوم، قال ابن عقيل، وليس للناس إقامة العقوبات ولا استيفاؤها من أنفسهم، يدل عليه أن إقامة الانسان الحد على نفسه لا يجزى فان فعله أعاده الامام. وهذه النفوس ودائع الله عز وجل حتى ان التصرف فى الأموال لم يطلق لأربابها الا على وجوه مخصوصة .

قال المصنف رحمه الله قلت: وقد روينا فى حديث الهجرة أن النبى ﷺ تزود طعاماً وشراباً. وأن أبا بكر فرش له فى ظل صخرة وحلب له لبنا فى قدح ثم صب ماء على القدح حتى برد أسفله، وكل ذلك من الرفق بالنفس. وأما ما رتبه أبو طالب المكى فحمل على النفس بما يضعفها. وإنما يمدح الجوع اذا كان بمقدار. وذكر المكاشفة من الحديث الفارغ وأما ما صنفه الترمذى فكأن ابتداء شرع برأيه الفاسد. وما وجه صيام شهرين متتابعين عند التوبة وما فائدة قطع الفواكه المباحة واذا لم ينظر فى الكتب فبأى سيرة يقتدى. وأما الأربعينية فحديث فارغ رتبوه على حديث لا أصل له« من أخلص لله أربعين صباحاً لم يحجب الإخلاص أبداً » فما وجه تقديره بأربعين صباحاً ثم لو قدرنا ذلك فالاخلاص عمل القلب فما بال المطعم ثم ما الذى حسن منع الفاكهة،

ومنع الخبز وهل هذا كله إلا جهل. وقد أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم القشيرى قال حدثنا أبى قال حجج الصوفية أظهر من حجج كل أحد وقواعد مذهبهم أقوى من قواعد كل مذهب. لأن الناس اما أصحاب نقل وأثر واما أرباب عقل وفكر وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة والذى للناس غيب فلهم ظهور فهم أهل الوصال والناس أهل الاستدلال فينبغى لمريدهم أن يقطع العلائق وأولها الخروج من المال ثم الخروج من الجاه وأن لا ينام إلا غلبة وأن يقلل غذاءه بالتدريج .

قال المصنف رحمه الله: قلت: من له أدنى فهم يعرف أن هذا الكلام تخليط فإن من خرج عن النقل والعقل فليس بمعدود فى الناس وليس أحد من الخلق إلا وهو مستدل وذكر الوصال حديث فارغ. فنسأل الله عز وجل العصمة من تخليط المريدين والأشياخ والله الموفق .

فصل فى ذكر أحاديث تبين خطأهم فى أفعالهم

أخبرنا يحيى بن على المدبر نا أبو بكر محمد بن على الخياط ثنا الحسن بن الحسين ابن حمكان ثنا عبدان بن يزيد العطار. وأخبرنا محمد بن أبى منصور أنبأنا الحسن بن أحمد الفقيه ثنا محمد بن أحمد الحافظ ثنا أبوعبدالله محمد بن عيسى البرورجردى ثنا عمير بن مرداس قالا حدثنا محمد بن بكير الخضرمى ثنا القاسم بن عبد الله بن عمر ابن حفص بن عاصم العمرى عن عبيد الله بن عمر عن على بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب. قال: جاء عثمان بن مظعون إلى النبى ﷺ فقال يا رسول الله غلبنى حديث النفس فلم أحب أن أحدث شيئاً حتى أذكر لك ذلك فقال رسول الله ﷺ وما تحدثك نفسك يا عثمان. قال. تحدثنى نفسى بأن أختصى. فقال: مهلاً يا عثمان فان خصى أمتى الصيام قال يارسول الله فان نفسى تحدثنى أن أترهب فى الجبال قال مهلا يا عثمان، فان ترهب أمتى الجلوس فى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة قال: يا رسول الله فان نفسى تحدثنى بأن أسيح فى الأرض، قال مهلا ياعثمان، فان سياحة أمتى الغزو فى سبيلى الله والحج والعمرة، قال يارسول الله فان نفسى تحدثنى بأن أخرج من مالى كله قال: مهلا ياعثمان فان صدقتك يوما بيوم وتكف نفسك وعيالك وترحم المسكين واليتيم وتطعمه أفضل من ذلك، قال: يا رسول الله فان نفسى تحدثنى بأن أطلق خولة

أمرأني، قال. مهلا يا عثمان فان هجرة أمتى من هجر ما حرم الله عليه، أو هاجر إليّ فى حياتى، أو زار قبرى بعد موتى، أو مات وله امرأة أو امرأتان أو ثلاث أو أربع قال: يا رسول الله فان نفسى تحدثنى أن لا أغشاها، قال. مهلا يا عثمان فان الرجل المسلم إذا غشى أهله فان لم يكن من وقعته تلك ولد كان له وصيف فى الجنة فان كان من وقعته تلك ولد فان مات قبله كان له فرطاً وشفيعاً يوم القيامة وإن كان بعده كان له نوراً يوم القيامة. قال. يا رسول الله فان نفسى تحدثنى أن لا آكل اللحم، قال: مهلا يا عثمان فانى أحب اللحم وآكله إذا وجدته ولو سألت ربى أن يطعمنى إياه كل يوم لأطعمنى، قال: يا رسول الله فان نفسى تحدثنى أن لا أمس طيباً، قال: مهلا يا عثمان فان جبريل أمرنى بالطيب غبا ويوم الجمعة لامترك له يا عثمان لا ترغب عن سنتى فمن رغب عن سنتى ثم مات قبل أن يتوب صرفت الملائكة وجهه عن حوضى.

قال المصنف رحمه الله: هذا حديث عمير بن مرداس .

أخبرنا محمد بن أبى طاهر الجوهرى نا أبو عمر بن حياة نا أحمد بن معروف نا الحسن بن الفهم ثنا محمد بن سعد نا الفضل بن دكين ثنا إسرائيل ثنا أبو اسحاق عن أبى بردة، قال: دخلت امرأة عثمان بن مظعون على نساء النبى ﷺ فرأينها سيئة الهيئة، فقلن لها: مالك فما فى قريش رجل أغنى من بعلك، قالت: مالنامنه شيء، أما ليله فقائم، وأما نهاره فصائم. فدخلن إلى النبى ﷺ فذكرن ذلك له فلقيه فقال: يا عثمان أمالك بى أسوة، فقال بأبى وأمى أنت وما ذاك؟ قال: تصوم النهار وتقوم الليل .قال: إنى لأفعل. قال: لا تفعل. إن لعينك عليك حقاً، وإن لجسدك عليك حقاً، وإن لأهلك عليك حقاً، فصل ونم وصم وافطر. قال ابن سعد وأخبرنا عارم بن الفضل ثنا حماد بن زيد ثنا معاوية بن عباس الحرمى عن أبى قلابة أن عثمان بن مظعون اتخذ بيتاً فقعد يتعبد فيه، فبلغ ذلك النبى ﷺ فأتاه فأخذ بعضادتى باب البيت الذى هو فيه وقال: يا عثمان: إن الله عز وجل لم يبعثنى بالرهبانية مرتين أو ثلاثة. وإن خير الدين عند الله الحنيفية السمحة.

أخبرنا محمد بن ناصر نا محمد بن على بن ميمون نا عبد الوهاب بن محمد الغندجانى نا أبو بكر بن عبدان نا محمد بن سهل ثنا البخارى قال

قال موسى ابن اسماعيل بن حماد بن زيد بن مسلم ثنا أبو معاوية بن قرة عن كهمس الهلالى قال: أسلمت وأتيت النبى ﷺ فأخبرته بإسلامى. فمكثت حولا ثم أتيته وقد ضمرت ونـحل جسمى فخفض فى البصر ثم صعده ،قلت: أمـا تعرفنى، قال ومن أنت، قلت: أنا كـهمس الهلالى، قال: فما بلغ بك ما أرى، قلت: ما أفطرت بعدك نهاراً، ولا نمت ليلا. قال: ومن امرك أن تـعذب نفسك صم شهـر الصبر ومن كل شـهر يوما ،قلت: زدنى قال: صم شـهر الصبر ومن كل شهر يـومين، قلت: زدنى قال صم شهر الصبر ومن كل شهر ثلاثـة أيام أنبأنا محمد ابن عبد الملك ابن خيرون أنبأنـا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت ثنا أبـو حازم عمر ابن أحمد العبدورى نـا أبو أحمد محمد بن الغطريف ثـنا أبو بكر الذهبى ثنا حميد ابن الربيع ثنا عبدة بن حـميد عن الأعمش عن جرير بن حازم عن أيوب عن أبى قـلابة بلغ به ﷺ أن ناسـا من أصحابـه احتموا الـنساء واللحم اجـتمعوا فذكـرنا ترك النساء واللحم فـأوعد فيه وعيـداً شديداً، وقال: لو كنت تقدمت فيه لفعلت. ثم قال: إنى لم أرسل بالرهبانية، إن خير الدين الحنيفية السمحة

قال المصنف رحمه الله: وقد روينا فى حديث آخر عن النبى ﷺ أنه قال: إن الـله عز وجل يحـب أن يرى آثار نعمـته على عـبده فى مـاكله ومشربه وقال بكر ابن عبد الله: من أعطـى خيراً فرؤى عليه سمى حبيب الله محدثا بنعمة الله عزوجل ومن أعـطى خيراً فلم ير عليه سمى بغيض الله عز وجل معادياً لنعمة الله عز وجل.

فصل

قال المـصنف رحمـه الله: وهذا الذى نهـينا عنه من التقـلل الزائد فى الحد، قد انعكس فى صوفية زماننا فـصارت همتهم فى المأكل كما كانت همة متـقدميهم فى الجـوع. لهم الغداء والعشـاء والحلوى، وكل ذلك أو أكثره حاصل مـن أموال وسخة، وقد تركوا كسب الدنـيا، وأعرضوا عن التعبـد وافترشوا فراش البطـالة فلاهمة لأكثرهم إلا الأكـل واللعب. فان أحســن محـسن منهـم قالوا: طـرح شكراً. وإن أسـاء مسىء. قـالوا: استغفر، ويسمون ما يلزمه إياه واجبـاً. وتسمية ما لم يسمه الشرع واجباً جناية عليه. أخبـرنا عبد الرحمن ابن محمد القـزاز نا أحمد بن على بن

ثابت نا محمد بن أحمد بن عبد الله محمد الحافظ النيسابوري ثنا أبوزكريا يحيى بن محمد العنبري ثنا أحمد بن سلمة ثنا محمد بن عبدوس السراج البغدادي، قال: قام أبو مرحوم القاضي بالبصرة يقص على الناس فأبكى فلما فرغ من قصصه قال من يطعمنا إرزة في الله فقام شاب من المجلس فقال أنا فقال إجلس يرحمك الله فقد عرفنا موضعك ثم قام الثانية ذلك الشاب. فقال: اجلس فقد. فقام الثالثة فقال أبومرحوم لأصحابه: قوموا بنا إليه فقاموا معه فأتوا منزله قال فأتينا بقدر من باقلاء فأكلنا بلا ملح ثم قال أبو مرحوم على بخوان خماسي وخمس مكاكيك أرز، وخمسة أمنان سمن، وعشرة أمنان سكر، وخمسة أمنان صنوبر، وخمسة أمنان فستق، فجيء بها كلها، فقال أبو مرحوم لأصحابه: يا إخواني كيف أصبحت الدنيا قالوا مشرق لونها مبيضة شمسها ، قال :اخرقوا فيها أنهارها قال فأتى بذلك الشمس فأجرى فيها ثم أقبل أبو مرحوم على أصحابه فقال يا إخواني كيف أصبحت الدنيا، قالوا مشرق لونها، مبيضة شمسها، مجراة فيها أنهارها فقال يا إخواني إغرسوا فيها أشجارها قال فأتى بذلك الفستق والصنوبر، فألقى فيها ثم أقبل أبو مرحوم على أصحابه فقال: يا إخواني كيف أصبحت الدنيا، قالوا· مشرق لونها، مبيض شمسها، مجرى فيها أنهارها، وقد غرست فيها أشجارها، وقد تدلت لنا ثمارها، قال: يا إخواني ارموا الدنيا بحجارتها قال: فأتى بذلك السكر فألقى فيها، ثم أقبل أبو مرحوم على أصحابه، فقال: يا إخواني. كيف أصبحت الدنيا. قالوا: مشرق لونها مبيضه شمسها وقد أجريت فيها أنهارها وقد غرست فيها أشجارها، وقد تدلت لنا ثمارها، فقال يا إخواني: مالنا وللدنيا اضربوا فيها براحتها، قال: فجعل الرجل يضرب فيها براحته ويدفعه بالخمس قال أبو الفضل أحمد بن سلمة ذكرته لأبي حاتم الرازي فقال إمله على فأمليته عليه فقال: هذا شأن الصوفيه .

قال المصنف رحمه الله قلت: وقد رأيت منهم من إذا حضر دعوة بالغ في الآكل ثم اختار من الطعام فربما ملأكميه من غير إذن صاحب الدار وذلك حرام بالأجماع ولقد رأيت شيخا منهم قد أخذ شيئاً من الطعام ليحمله معه فوثب صاحب الدار فأخذه منه .

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في السماع والرقص والوجد

قال المصنف رحمه الله: اعلم أن سماع الغناء يجمع شيئين، أحدهما: أنه يلهـي القلب عن التـفكر فى عظمـة الله سبـحانه والقـيام بخدمـته، والثانى: أنه يـميله إلى اللذات العـاجلة التى تدعو إلى استيفائها مـن جميع الشهوات الحسية ومعظمها الـنكاح وليس تمام لذته إلا فى المتجدادت ولا سبيل إلى كثرة المتجددات من الحل فلذلك يحث عـلى الزنا فبين الغناء والزنا تناسب من جهة أن الغناء لذة الروح والزنا أكبـر لذات النفس ولهذا جاء فى الحديث: الغناء رقية الزنا وقد ذكر أبوجعفر الطبرى أن الذى اتخذ الملاهى رجل من ولد قابيل يُقال له ثوبال. اتخذ فى زمان مهـلائيل بن قينان آلات اللهو من المزامير والطبول والعيدان فانهمك ولد قابيـل فى اللهو وتناهى خبرهم إلى من بالجبل من نسل شيث فنزل منهم قوم وفشت الفاحشة وشرب الخمور . ١

قال المصنف رحمه الله: وهذا لأن الالتذاذ بشىء يدعو إلى التذاده بغيره خصوصـا ما يناسبـه ولما يئس إبليس أن يسـمع من المتـعبدين شيئـاً من الأصوات المحرمة كالـعود نظر إلى المعنى الحاصل بالعـود فدرجه فى ضمن الغناء بغـير العود وحسنه لهم وإنما مراده التدريج من شىء إلى شـىء والفقيه من نظر فى الأسباب والنتائج وتأمل المقاصد فان النـظر إلى الأمر د مباح ان أمن ثوران الشهوة فان لم يؤمن لم يجز. وتقبيل الصبية التى لها من العمر ثلاث سنين جائز إذ لا شهوة تـقع هناك فى الأغلب فـان وجد شهوة حـرم ذلك، وكذلك الخلوة بذوات المحارم فان خيف من ذلك حرم فتأمل هذه القاعدة.

فصل

قال المصنف رحمه الله: وقد تكلم الناس فى الغناء فأطالوا فمنهم من حرمه ومنهم من أباحة من غير كراهة ومنهم من كرهه مع الاباحة وفصل الخطاب أن نقول ينبـغى أن ينظر فى ماهية الشىء ثم يطلق علـيه التحريم أو الكراهة أو غير ذلك والـغناء اسم يطلق على أشياء منهـا غناء الحجيج فى الطرقات فان أقوماً من الأعاجم يقـدمون للحج فينشدون فى الطرقات أشعاراً يصفون فـيها الكعبة وزمزم والمقام وربما ضـربوا مع إنشادهم بطبل فسـماع تلك الأشعـار مباح وليس إنشـادهم إياها مما يطرب ويـخرج عن الاعتدال وفى مـعنى هؤلاء الغزاة: فإنهـم ينشدون أشعاراً يحـرضون بها على الغزو . وفى مـعنى هذا إنشاد المبارزين لـلقتال للاشعار تفـاخراً عند النزال وفى معنى هذا أشعار الحداة فى طريق مكة كقول قائلهم :

بشرها دليلها وقـــــالا　　غداً ترين الطلح والجبالا

وهذا يحرك الابـل والآدمي. إلا أن ذلك التحريـك لا يوجب الطرب المخرج عن حد الاعتـدال. وأصل الحداء ما أنبأنا به يحـيى بن الحسن بن البنا نا أبو جعفر ابن المسلمة نا المخـلص نا احمد بن سليمان الطوسى ثنا الزبير بن بـكار ثنى إبراهيم ابن المنذر ثـنا أبو البحترى وهـب عن طلحة المكى عن بعض علمائهم: أن رسول الله ﷺ مال ذات ليلة بطريق مكة إلى حاد مع قوم فسلم عـليهم فقال ان حادينا نام فسمعـنا حاديكم فملت اليكم. فهل تدون انى كان الحداء قالـوا لا والله قال إن أباهم مضر خرج إلى بعض رعاته فـوجد إبله قد تفرقت فأخـذ عصا فضرب بها كف غـلامه فعدا الغلام فى الوادى وهو يصيح يا يداه يا يداه فسـمعت الابل ذلك فعطفت عليه فقال مضر لو اشتق مثل هذا لانتفعت به الابل واجتمعت فاشتقت الحداء.

قال المـصنف رحمه الله: وقد كـان لرسول الله ﷺ حاد يـقال له انجشة يحدو فتعنق الابل. فقـال رسول الله ﷺ يا انجشة رويدك سوقا بالقوارير وفى حديث سلمة بـن الأكوع قال خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر فسـرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر ابـن الأكوع. الا تسمعنا من هنياتك وكان عامر رجلا شاعراً أفتزل يحدو بالقول يقول.

لا هم لو لا أنت ما اهتديـــنا　　ولا تصـدقنا ولا صليـــنا

فالقين ســـــكينة علينـــا　　وثبــت الاقدام إذ لاقينـــا

قال رسول الله ﷺ .مـن هذا السائق: قالوا.عامر بـن الأكوع فقال يرحمه الله.

قال المصنف رحمه الله: وقد روينا عن الشافعى رضى الله عنه أنه قال أما استماع الحداء ونشيد الاعراب فلا بأس به.

قال المصنف رحمه الله· ومن إنشاد العرب قول أهل المدينة عند قدوم رسول الله ﷺ عليهم.

طـــــــلع البدر علينا　　مـــــــن ثنيات الـوداع

وجب الشـــــكر علينا　　مـــا دعا لله داعـــى

ومن هذا الجنس كـانوا ينشدون أشعـارهم بالمدينة. وربما ضربـوا عليه بالدف عند إنشاده. ومنه ما أخبرنا بـه ابن الحصين نا ابن المذهب نا احمد

ابن جعفر ثنا عبدالله بن احمد ثنا أبي ثنا أبو المغيرة ثنا الأوزاعي ثنى الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها. أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى تضربان بدفين ورسول الله ﷺ مسجى عليه بثوبه - فانتهرهما أبو بكر - فكشف رسول الله ﷺ عن وجهه. وقال. دعهن يا أبا بكر فإنها أيام عيد. أخرجاه فى الصحيحين.

قال المصنف رحمه الله: والظاهر من هاتين الجاريتين صغر السن لأن عائشة كانت صغيرة وكان رسول الله ﷺ يسرب اليها الجوارى فيلعبن معها. وقد أخبرنا محمد بن ناصر أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو إسحاق البرمكى أنبأنا عبد العزيز ابن جعفر ثنا أبو بكر الخلال أخبرنا منصور بن الوليد ابن جعفر بن محمد حدثهم: قال. قلت لأبى عبد الله احمد بن حنبل حديث الزهرى عن عروة عن عائشة عن جوار يغنين - أى شيء هذا الغناء. قال. غناء الركب: أتيناكم أتيناكم. قال الخلال وحدثنا احمد بن فرج الحمصى ثنا يحيى بن سعيد ثنا أبو عقيل عن نهبه عن عائشة رضى الله عنها. قالت: كانت عندنا جارية يتيمة من الأنصار فزوجناها رجلا من الأنصار فكنت فيمن أهداها إلى زوجها. فقال رسول الله ﷺ يا عائشة إن الأنصار اناس فيهم غزل: فما قلت: قالت دعونا بالبركة: قال: أفلا قلتم :

أتيناكم أتيناكم ... فحيونا نحييكم
ولولا الذهب الأحمر ... ما حلت بواديكم
ولولا الحبة السمراء ... لم تسمن عذاريكم

أخبرنا أبو الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله بن احمد ثنى أبى ثنا أسود بن عامر نا أبو بكر عن أجلح عن أبى الزبير عن جابر ابن عبد الله رضى الله عنه: قال قال رسول الله ﷺ لعائشة رضى الله عنها: أهديتم الجارية إلى بيتها. قالت نعم. قال: فهلا بعثتم معها من يغنيهم يقول:

أتيناكم أتيناكم ... فحيونا نحييكم

فإن الأنصار قوم فيهم غزل .

قال المصنف رحمه الله: فقد بان بما ذكرنا ما كانوا يغنون به وليس مما

يطرب ولا كانت دفوفهن على ما يعرف اليوم. ومن ذلك أشعار ينشدها المتـذهدون بتطريب وتلحين تزعج القلوب إلى ذكر الآخرة ويسمونها الزهديات كقول بعضهم :

يا غاديا فى غفلة ورائحــا إلى متى تستحسن القبائحــا
وكم الى كم لا تخاف موقفا يستنطق الله به الجوارحــا
يا عجباً منك وأنت مبصــر كيف تجنبت الطريق الواضحا

فهذا مباح أيضاً وإلى مثله أشار احمد بن حنبل فى الاباحة فيما أنبأنا به أبو عبد العزيز كاوس نا المظفر بن الحسن الهمدانى نا أبو بكر بن لالى ثنا الفضل بن الفضل الكندى قال سمعت عبدوس يقول سمعت أبا حامد الخلفانى يقول لأحمد بن حنبل: ياأبا عبد الله هذه القصائد الرقاق التى فى ذكر الجنة والنار أى شئ تقول فيها فقال: مثل أى شئ قلت يقولون:

إذا ماقال لى ربى أما استحييت تعصينى
وتخفى الذنب من خلقى وبالعصيان تأتينى

فقال: أعد علىّ، فأعدت عليه، فقام ودخل بيته ورد الباب - فسمعت نحيبه من داخل البيت وهو يقول:

إذا ماقال لى ربى أما استحييت تعصينى
وتخفى الذنب من خلقى وبالعصيان تأتينى

ومن الأشعار أشعار تنشدها النواح، يثيرون بها الأحزان والبكاء فينهى عنها لما فى ضمنها.

فأما الأشعار التى ينشدها المغنون المتهيئون للغناء ويصفون فيها المستحسنات والخمر وغير ذلك مما يحرك الطباع ويخرجها عن الاعتدال ويثير كامنها من حب اللهو وهو الغناء المعروف فى هذا الزمان مثل قول الشاعر :

ذهبى اللون تحسب من وجنتيه النار تقتدح
خوفونى من فضيحته ليته وافى وأفتضح

وقد أخرجوا لهذه الأغانى ألحانا مختلفة كلها تخرج سامعها عن حيز الاعتدال، وتثير حب الهوى، ولهم شئ يسمونه البسيط يزعج القلوب

عن مهل ثم يأتون بالنشيد بعده فيجعجع القلوب. وقد أضافوا إلى ذلك ضرب القضيب والإقاع به على وفق الإنشاد والدف بالجلاجل، والشبابة النائبة عن الزمر فهذا الغناء المعروف اليوم.

فصل

قال المصنف رحمه الله: وقبل أن نتكلم فى إباحته. أو تحريمه، أو كراهته: نقول. ينبغى للعاقل أن ينصح نفسه وإخوانه. ويحذر تلبيس إبليس فى إجراء هذا الغناء مجرىَ الأقسام المتقدمة التى يطلق عليها اسم الغناء. فلا يحمل الكل محملا واحداً. فيقول قد أباحه فلان وكرهه فلان. فنبدأ بالكلام فى النصيحة للنفس والاخوان فنقول.

معلوم أن طباع الآدميين تتقارب ولاتكاد تتفاوت فاذا ادعى الشاب السليم البدن الصحيح المزاح أن رؤية المستحسنات لاتزعجه ولا تؤثر عنده ولاتضره فى دينه كذبناه لما نعلم من استواء الطباع- فان ثبت صدقه عرفنا أن به مرضاً خرج بـه عن حيز الاعتدال، فان تعلل فقال. إنما أنظر إلى هذه المستحسنات معتبراً فأتعجب من حسن الصنعه فى دعج العينين، ورقة الأنف ونقاء البياض، قلنا له فى أنواع المباحات مايكفى فى العبرة وههنا ميل طبعك يشغلك عن الفكرة ولايدع لبلوغ شهوتك وجود فكرة. فان ميل الطبع شاغل عن ذلك، وكذا من قال ان هذا الغناء المطرب المزعج للطباع المحرك لها إلى العشق وحب الدنيا لايؤثر عندى ولايلفت قلبى الى حب الدنيا الموصوفه فيه - فإنا نكذبه لموضع اشتراك الطباع ثم إن كان قلبه بالخوف من الله عز وجل غائبا عن الهوى لأحضر هذا المسموع الطبع وان كانت قد طالت غيبته فى سفر الخوف، وأقبح القبيح البهرجة، ثم كيف تمر البهرجة على من يعلم السر وأخفى. ثم ان كان الأمر كما زعم هذا المتصوف فينبغى أن لا نبيحه إلا لمن هذه صفته والقوم قد أباحوه على الاطلاق للشاب المبتدى. والصبى الجاهل. حتى قال أبو حامد الغزالى. ان التشبيب بوصف الخدود. والأصداغ، وحسن القد، . والقامة. وسائر أوصاف النساء الصحيح انه لا يحرم.

قال المصنف رحمه الله: فأما من قال انى لا أسمع الغناء للدنيا. وإنما آخذ منه إشارات فهو يخطئ من وجهين. أحدهما أن الطبع يسبق إلى مقصوده قبل أخذ الإشارات فيكون كمن قال انى أنظر إلى هذه المرأة

المستحسنة لاتفكر فى الصنعة- والثانى انه يقل فيه وجود شئ يشار به إلى الخالق وقد جل الخـالق تبارك وتعالى أن يقال فى حقـه انه يعشق. ويقع الهيمان بـه. وإنما نصيبنا من معرفتـه الهيبة والتعظيم فـقط وإذ قد انتهت النصيحة فنذكر ماقيل فى الغناء.

فصل

أما مذهب أحمد رحمه الله: فانه كان الغناء فى زمـانه إنشاد قصائد الزهد إلا أنهـم لما كانوا يلحنـونها اختلـفت الرواية عنه. فروى عـنه ابنه عبدالله انه قال: الغناء ينبت النـفاق فى القلب، لايعجـبنى. وروى عنه اسماعيل بن اسحاق الثقفى: أنه سئـل عن استماع القصائد فقال: أكرهه، هو بدعة، ولايجالسون. وروى عنه أبو الحارث أنه قال: التغبير بدعة، فقيل له: أنه يرقق القلب. فقـال هو بدعة. وروى عنه يعقوب الهاشمى: التـغبير بدعة محدث. وروى عنه يعقوب ابن غياث أكره التغبير وأنه نهى عن استماعه.

قال المصنف: فهذه الروايات كـلها دليل على كراهيـة الغناء، قال أبو بكر الخلال كره أحمـد القصائد لما قيل له إنهم يتمـاجنون ثم روى عنه ما يدل على أنه لا بأس بهـا قال المروزى. سألت أبا عبد الله عـن القصائد. فقال بدعة. فقلت له: إنهم يهجرون. فقال لا يبلغ هذا كله.

قال المصنف: وقد روينا أن أحمد سمع قوالا عند ابنه صالح فلم ينكر عليه. فقال له صالح ياأبت أليس كنت تنكر هذا. فقال. إنما قيل لى انهم يستعملون المنكر فكرهته، فأما هذا فانى لاأكرهه: قال المصنف رحمه الله قلت وقد ذكـر أصحابنا عن أبى بكر الخـلال وصاحبه عبد العـزيز إباحه اغناء. وإنما أشار إلى مـاكان فى زمانهما من القصـائد الزهديات. وعلى هذا يحمل مالم يكرهه احمد. ويدل على ماقلت أن أحمد بن حنبل سئل عن رجل مات وترك ولداً وجارية مغنية. فاحتاج الصبى إلى بيعها. فقال لاتباع على أنها مـغنية فقيل له أنها تساوى ثلاثـين ألف درهم ولعلها إذا بيعت ساذجة تساوى عشرين ديناراً فقال لاتباع إلا على أنها ساذجة.

قـال المصـنف: وإنما قـال هذا لأن الجـارية المغـنية لاتـغنى بـقصـائد الزهديات بل بالأشعـار المطربة المثيرة للطبع إلى العـشق، وهذا دليل على أن الغـناء محـظور إذ لو لم يـكن محـظوراً مـاأجاز تفـويت المال عـلى اليتـيم. وصار هذا كقـول أبى طلحة للـنبى ﷺ. عندى خمـر لأيتام.

فقال أرقها فلو جار استصلاحها لما أمره بتضييع أموال اليتامى. وروى المروزى عن أحمد بن حنبل أنه قال. كسب المخنث خبيث يكسبه بالغناء وهذا لأن المخنث لايغنى بالقصائد الزهدية إنما يغنى بالغزل والنوح. فبان من هذه الجملة أن الروايتين عن أحمد فى الكراهة وعدمها تتعلق بالزهديات الملحنة، فأما الغناء المعروف اليوم فمحظور عنده كيف ولو علم ماأحدث الناس من الزيادات.

﴿فصل﴾ قال المصنف: وأما مذهب مالك بن أنس رحمه الله فأخبرنا محمد ابن ناصر نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو اسحاق البرمكى نا عبد العزيز ابن جعفر ثنا أبو بكر الخلال وأخبر نا عالياً سعيد بن الحسن بن البنا نا أبو نصر محمد ابن محمد الدبيثى نا أبو بكر محمد بن عمر الوراق نا محمد بن السرى ابن عثمان التمار قالا أخبرنا عبد الله بن احمد عن أبيه عن اسحاق بن عيسى الطباع قال: سألت مالك بن أنس عن ما يترخص فيه أهل المدينة من الغناء. فقال: إنما يفعله الفساق. اخبرنا هبه الله بن احمد الحريرى قال: أنبأنا أبو الطيب الطبرى قال: أما مالك بن أنس فانه نهى عن الغناء وعن استماعه. وقال إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها بالعيب وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا إبراهيم بن سعد وحده فانه قد حكى زكريا الساجى أنه كان لايرى به بأساً.

فصل

وأما مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه. أخبرنا هبة الله بن أحمد الحريرى عن أبى الطيب الطبرى. قال كان أبو حنيفة يكره الغناء مع إباحته شرب النبيذ ويجعل سماع الغناء من الذنوب قال: وكذلك مذهب سائر أهل الكوفة: ابراهيم، والشعبى وحماد، وسفيان الثورى. وغيرهم لا اختلاف بينهم فى ذلك. قال ولايعرف بين أهل البصرة خلاف فى كراهة ذلك والمنع منه إلا ما روى عبيد الله بن الحسن العنبرى أنه كان لايرى به بأساً.

فصل

وأما مذهب الشافعى رحمة الله عليه قال حدثنا إسماعيل بن أحمد نا احمد بن احمد الحداد نا أبو نعيم الاصفهانى ثنا محمد بن عبد الرحمن ثنا أحمد بن محمد بن الحارث ثنا محمد بن ابراهيم بن جياد ثنا الحسن

ابن عبد العزيز الحروى قال سمعت محمد بن إدريس الشافعى يقول خلفت بالعرق شيئا أحدثته الزنادقة يسمونه التغبير يشغلون به الناس عن القرآن.

قال المصنف رحـمه الله: وقد ذكر أبـو منصور الأزهرى- المغـيرة قوم يغيرون بذكـر الله بدعاء وتضرع وقد سـموا مايطربون فيه مـن الشعر فى ذكر اللّـه عز وجل تغـييراً كـأنهم إذا شاهدوهـا بالألحان طربوا ورقـصوا فسموا مغيـرة لهذا المعنى. وقال. الزجاج سموا مغيـرين لتزهيدهم الناس في الفانـى من الدنيا وترغيـبهم فى الآخرة. وحـدثنا هبة الله بـن احمد الحريرى عـن أبى الطيب طاهر ابن عـبد الله الطبـرى قال قال الشـافعى الغناء لهو مكروه يشـبه الباطل. ومن استكثر منه فهو سـفيه ترد شهادته. قال: وكان الشافعى يـكره التعبير. قال الطبرى فقد أجـمع علماء الأمصار كراهيـة الغناء والمنع منه وإنما فـارق الجماعة إبـراهيم بن سعد وعـبيد الله العنبرى وقد قال رسول الله ﷺ. عليـكم بالسواد الأعظم فإنه من شذ شذ فى النار. وقال من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية.

قال المصنف قلت: وقد كان رؤساء أصحاب الـشافعى رضى الله عنهم ينكـرون السمـاع. وأما قدمـاؤهم فلا يعـرف بينهـم خلاف وأما أكـابر المتأخرين فعلى الانكار. منهم أبـو الطيب الطبرى وله فى ذم الغناء والمنع كتاب مصنف حـدثنا به عنه أبو القاسم الحريرى ومنـهم القاضى أبو بكر محمد بن سظـفر الشامى أبنأنا عبد الوهاب بن المـبارك الانماطى عنه. قال لا يجرز الغناء ولاسـماعه ولا الضرب بالقضيـب. قال ومن أضاف إلى الشافعى هذ فقد كذب عليه. وقـد نص الشافعى فى كتاب أدب القضاء. على أن الرجل إذا دام على سماع الغناء ردت شهادته وبطلت عدالته.

قال المصنف رحـمه الله قلت: فهذا قول عـلماء الشافعيـة وأهل التدين منهم وإنما رخص فى ذلك من متأخريهم من قلّ علمه وغلبه هواه. وقال النقهاء من أصحابنا لا تقبل شهادته المغنى والرقاص والله الموفق

فصل

فى ذكر الأدلة على كراهية الغناء والنوح والمنع منهما

قال المـصنف. وقد اسـتدل أصـحابنا بالـقرآن والسنـة والمعنى. فـأما الاستدلال من الـقرآن فبثلاث آيات. الآية الأولى قـوله عز وجل ﴿ومن

الناس من يشترى لهو الحديث﴾ أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ويحيى بن على قالا نا أبو محمد الصريفينى نا أبو بكر بن عبدان ثنا عبد الله بن منيع ثنا عبد الله ابن عمر ثنا صفوان بن عيسى قال حميد الخياط أخبرنا عن عمار بن أبى معاوية عن سعيد بن جبير عن أبى الصهباء. قال سالت ابن مسعود عن قول الله عز وجل ﴿ومن الناس من يشترى لهو الحديث﴾ قال هو والله الغناء أخبرنا عبد الله بن على المقرى ومحمد بن ناصر الحافظ قالا نا طراد بن محمد نا ابى بشران نا ابن صفوان ثنا أبو بكر القرشى ثنا زهير بن حرب ثنا جرير عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﴿ومن الناس من يشترى لهو الحديث﴾ قال هو الغناء واشباهه. أخبرنا عبد الله بن محمد الحاكم ويحيى ابن على المدبر قالا نا أبو الحسين بن النقور نا ابن حياة ثنا البغوى ثنا هدبه ثنا حماد بن سلمة بن حميد عن الحسن بن مسلم عن مجاهد ﴿ومن الناس من يشترى لهو الحديث﴾ قال الغناء . أخبرنا ابن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار نا أبواسحاق البرمكى نا احمد بن جعفر بن مسلم نا احمد بن محمد بن عبد الخالق ثنا أبو بكر المروزى ثنا احمد بن حنبل ثنا عبدة ثنا إسماعيل عن سعيد بن يسار. قال سالت عكرمة عن لهو الحديث قال الغناء. وكذلك قال الحسن وسعيد بن جبير وقتادة وإبراهيم النخعى.

الآية الثانية قوله عز وجل ﴿وأنتم سامدون﴾ أخبرنا عبد الله بن على نا طراد بن محمد نا ابن بشران نا ابن صفوان ثنا أبو بكر القرشى ثنا عبيد الله ابن عمر ثنا يحيى بن سعد عن سفيان عن أبيه عن عكرمه عن ابن عباس ﴿وأنتم سامدون﴾ قال: هو الغناء بالحميرية سمد لنا - غنى لنا. وقال مجاهد هو الغناء يقول أهل اليمن: سمد فلان إذا غنى.

الآية الثالثة قوله عز وجل: ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك﴾. أخبرنا موهوب بن احمد نا ثابت بن بندار نا عمر بن إبراهيم الزهرى نا عبد الله بن ابراهيم بن ماسى ثنا الحسين بن الكميت ثنا محمد بن نعيم بن القاسم الجرمى عن سفيان الثورى عن ليث عن مجاهد: ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك﴾. قال هو الغناء والمزامير.

أما السنة. أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر نا عبد الله ابن أحمد ثنى أبى ثنا الوليد بن مسلم ثنا سعيد بن عبد العزيز عن

سليمان بن موسى عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنه. أنه سمع صوت زمارة راع فوضع أصبعيه فى أذنيه وعدل راحلته عن الطريق. وهو يقول يانافع أتسمع فأقول نعم فيمضى حتى قلت لا فوضع يديه وأعاد راحلته إلى الطريق وقال رأيت رسول الله ﷺ سمع زمارة راع فصنع مثل هذا.

قال المصنف رحمه الله: إذا كان هذا فعلهم فى حق صوت لايخرج عن الاعتدال فكيف بغناء أهل الزمان وزمورهم. أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك ابن عبد الجبار نا الحسين بن محمد النصيبى ثنا إسماعيل بن سعيد ابن سويد ثنا أبو بكر بن الانبارى ثنا عبيد بن عبد الواحد بن شريك البزار ثنا ابن ابى مريم ثنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله ابن عمر عن على ابن زيد عن القاسم عن أبى أمامة قال نهى رسول الله ﷺ عن شراء المغنيات وبيعهن وتعليمهن. وقال ثمنهن حرام. وقرأ «ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين».

أخبرنا عبد الله بن على المقرى نا أبو منصور محمد بن محمد المقرى نا أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن بشران نا عمر بن احمد بن عبدالرحمن الجمحى ثنا منصور ابن أبى الأسود عن أبى المهلب عن عبيدالله بن عمر عن على بن زيد عن القاسم عن أبى أمامة. قال نهى رسول الله ﷺ عن بيع المغنيات وعن التجارة فيهن وعن تعليمهن الغناء. وقال ثمنهن حرام. وقال فى هذا أو نحوه. أو وقال شبهه نزلت علىّ «ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله» وقال مامن رجل يرفع عقيرة صوته للغناء الا بعث الله له شيطانين يرتد فانه أعنى هذا من ذا الجانب وهذا من ذا الجانب ولايزالان يضربان بأرجلهما فى صدره حتى يكون هو الذى يسكت، وروت عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ أنه قال: إن الله عز وجل حرم المغنية وبيعها وثمنها وتعليمها والإستماع اليها ثم قرأ ومن الناس من يشترى لهو الحديث. وروى عبدالرحمن ابن عوف عن النبى ﷺ أنه قال: إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين صوت عند نغمة وصوت عند مصيبة.

أخبرنا ظفر بن على نا أبو على الحسن بن احمد المقتدى نا أبو نعيم الحافظ نا حبيب ابن الحسن بن على بن الوليد ثنا محمد بن كليب ثنا

خلف بن خليفة عن إبان المكتب عن محمد بن عبد الرحمن عن عطاء بن أبى رباح عن بن عـمر قال دخلت مع رسول الله ﷺ فـاذا ابنه ابراهيم يجود بنفسه فأخذه رسول الله ﷺ فوضعه فى حجره ففـاضت عيناه فقلت يارسول الله أتبكي وتنهانا عن البكاء فقال لست أنهى عن البكاء إنما نهيت عن صوتين أحـمقين فاجرين صوت عند نغمة لـعب ولهو ومزامير الشيطان وصوت عند مصيبة ضرب وجه وشق جيوب ورنة شيطان.

أخبرنا عبد الله بن على المقرى نا جدى أبو مـنصور محمد بن احمد الخياط نا عبد الملك بن محـمد بن بشران ثنا أبو على احمد بن الفـضل بن خزيمة ثنا محمدابن سويد الطحان ثنا عاصم بـن على ثنا عبد الرحمن بن ثابت عن أبيه عن مكحول عن جبـير ابن نفير عن مالك بن نحام الثـقة عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه. أن النبى ﷺ قال. بعثت بهدم المزمار والطبل.

أخبـرنا ابن الحصـين نا أبو طالب بن عـيلان نا أبو بـكر الشافـعى ثنا عبدالله ابن محمـد ابن ناجية ثنا عباد بن يعقوب ثنا مـوسى بن عمير عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي. قال قال رسول الله ﷺ. بعثت بكسر المزامير أخبرنا أبو الفتح الكروجى نا أبو عامر الأزدى وأبوبكر العروجى قالا نا الجـراحى ثنا المحبوبى ثنا الترمذى ثنـا صالح ابن عبدالله ثنا الفرج بن فضـالة عن يحيى بن سعيد عن محمـد بن عمر بن على بن أبى طالـب عن على بن أبـى طالب رضى الله عـنه قال قـال رسول الله ﷺ إذا فعلت أمتى خـمس عشرة خصلة حل بها البـلاء فذكر منها اذا اتخذت القيان والمعارف قال الترمذى وحـدثنا على بن حجر نا محمد بن يزيد عن المستلم بن سعـيد عن رميـح الجذامى عن أبى هريرة قـال قال رسول الله ﷺ اذا اتخذ الفـئ دولا، والأمانة مغنما، والزكـاة مغرماً، وتعلم لغير الدين، وأطاع الرجل امـرأته وعق أمه، وأدنى صديقه وأقصى أباه وظهرت الأصـوات فى المساجد، وسـاد القبيلـة فاسقهم وكـان زعيم القوم أرذلـهم، وأكرم الرجل مـخافة شره وظـهرت القينـات والمعارف، وشربت الخمور، ولعـن آخر هذه الأمة أولها. فليرتقبـوا عند ذلك ريحًا حمراء وزلزلة وخـسفًا ومسخًا وقـذفًا وآيات تتابع كنظام بـال قطع سلكه فتتابع. وقد روى عن سهل بن سعد عن النبى ﷺ أنه قال. يكون فى أمتـى حسف وقـذف ومسخ. قـيل يا رسول الله مـتى. قال. إذا ظـهرت

المعازف والقينات واستحلت الخمر. أبنأنا أبو الحسن سعد الخير بن محمد الانصارى فى كتاب السنن لابن ماجه قال نـا أبو العباس أحمد بن محمد الأسد ابادى نا أبـو منصور المقومى نا أبـو طلحة القاسم بـن المنذر نا أبو الحسن بن ابراهيم القطان ثنا محمـد بن يزيد بن ماجه ثنا الحسين بن أبى الربيع الجرجانى ثنا عبد الرازق أخبرنى يحيى بن العلاء أنه سمع مكحولا يقول أنه سمع يزيد بن عبد الله يقول أنه سمع صفوان بن أميه قال كنا مع رسول اللهﷺ فجاء عمرو بن قرة فقال يا رسول الله: أن الله عز وجل قد كـتب على الشـفوة فما أرانـى أرزق إلا من دفى بكفى فـأذن لى فى الغناء فـى غير فـاحشة. فقـال له رسول الله ﷺ لاآذن لك ولاكـرامة ولانعمـة عين. كـذبت ياعدو الله لقـد رزقك الله حلالا طيـبا فاخـترت ماحـرم الله عليك من رزقه مكـان ماأحل الله لك من حلالـه. ولو كنت تقدمت اليك لـفعلت بك وفعلت. قم عنى وتـب إلى الله عز وجل. أما انك لو قلت بعـد التقدمة اليك ضـربتك ضربا وجيعـاً. وحلقت رأسك مثلة ونفيتك مـن أهلك. وأحللت سلبك نهبة لفتيان المـدينة. فقام عمرو وبه من الشر والخزى مالا يعلمـه إلا الله عز وجل. فلما ولى قال رسول الله ﷺ « هؤلاء العصاة من مات منهم بغـير توبة حشرة الله عز وجل عريان لايستتر بهدمة كلما قام صرع ».

وأما الآثار فقال ابن مـسعود: الغناء ينبت النفاق فى الـقلب كما ينب الماء البقل وقال. اذا ركب الرجل الدابة ولـم يسم ردفه الشيطان. وقال: تغنه فان لـم يحسن. قال له: تمنه.

ومر ابن عمر رضى الله عنه بقوم محرمين وفيهم رجل يتغنى. قال ألا لا سمع الله لكم. ومر بجارية صغيـرة تغنى فقال: لو ترك الشيطان أحدا لترك هـذه. وسأل رجل القـاسم بن محـمد عن الغنـاء فقال أنهـاك عنه وأكرهه لك. قال: أحرام هو؟ قال: انظر يا ابن أخى إذا ميز الله الحق من الباطل ففى أيهـما يجعل الغناء. وعن الشعبى. قـال: لعن المغنى والمغنى له. أخبـرنا عبد الله بن عـلى المقرى ومحـمد بن ناصر قـالا نا طراد بن محمد نا أبو الحسين بن بشران نا أبو على بن صفوان ثنا أبو بكر القرشى ثنى الحسـين ابن عبد الرحمن ثـنى عبد الله بن الوهاب قال أخـبرنى أبو حفص عمر بن عـبيد الله الأرموى. قال. كتب عمر بن عـبد العزيز الى

مؤدب ولده ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهى التى بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن عز وجل. فانه بلغنى عن الثقات من حملة العلم أن حضور المعارف واستماع الأغانى واللهج بها ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء العشب. ولعمرى لتوقى ذلك بترك حضور تلك المواطن أيسر على ذى الذهن من الثبوت على النفاق فى قلبه. وقال فضيل بن عياض. الغناء رقية الزنا. وقال الضحاك الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب. وقال يزيد بن الوليد يابنى أمية إياكم والغناء فأنه يزيد الشهوة ويهدم المروءة وأنه لينوب عن الخمر ويفعل مايفعل السكر. فان كنتم لابد فاعلين فجنبوه النساء، فان الغناء داعية الزنا.

قال المصنف رحمه الله قلت: وكم قد فتنت الأصوات بالغناء من عابد وزاهد وقد ذكرنا جملة من أخبارهم فى كتابنا المسمى بذم الهوى. أخبرنا محمد بن ناصر نا ثابت ابن بندار نا أبو الحسين محمد بن عبد الواحد بن رزمه أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى ثنى محمد بن يحيى عن معن ابن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه. قال: كان سليمان بن عبد الملك فى بادية له. فسمر ليلة على ظهر سطح ثم تفرق عنه جلساؤه: فدعا بوضوء فجاءت به جارية له فبينما هى تصب عليه إذ استمدها بيده، وأشار اليها فاذا هى ساهية مصغية بسمعها مائلة بجسدها كله إلى صوت غناء تسمعه فى ناحية العسكر. فأمرها فتنحت واستمع هو الصوت. فاذا صوت رجل يغنى فأنصت له حتى فهم مايغنى به من الشعر. ثم دعا جارية من جواريه غيرها فتوضأ فلما أصبح أذن للناس إذناً عاماً. فلما أخذوا مجالسهم أجرى ذكر الغناء ومن كان يسمعه ولين فيه حتى ظن القوم أنه يشتهيه فأفاضوا فى التليين والتحليل والتسهيل. فقال: هل بقى أحد يسمع منه. فقام رجل من القوم فقال. ياأمير المؤمنين عندى رجلان من أهل ايلة حاذقان، قال. وأين منزلك من العسكر فأومى إلى الناحية التى كان الغناء منها. فقال سليمان يبعث اليهما فوجد الرسول أحدهما فاقبل به حتى ادخله على سليمان، فقال له، ما إسمك؟ قال، سمير، فسأله عن الغناء. كيف هو فيه فقال: حاذق محكم. قال ومتى عهدك به. قال. فى ليلتى هذه الماضية. قال. وفى أى نواحى العسكر كنت فذكر له الناحية التى سمع منها الصوت. قال. فما غنيت فذكر الشعر الذى سمعه

سليمـان. فأقبل سليمـان فقال هدر الجمل فـضبعت الناقـة وهب التيس فشـكرت الشاه. وهدل الحـمام فزافـت الحمامـة. وغنى الرجل فـطربت المرأة. ثم أمـر به فخصى. وسـأل عن الغناء أيـن أصله وأكثر مـايكون. قالوا: بـالمدينة وهو فى المخنثين وهم الحذاق به والائـمة فيه فـكتب الى عامله على المدينة وهو أبو بكر بن مـحمد بن عمرو بن حزم: أن أخصى من قبلك من المخنثين المغنين.

قال المصنف رحـمه الله: وأما المعنى فقد بيـنا أن الغناء يخرج الانسان عن الاعـتـدال ويغـير الـعقل. وبـيان هـذا أن الانسـان اذا طرب فـعل مايستـقبحه فى حال صحتـه من غيره من تحريك رأسه، وتصـفيق يديه، ودق الأرض برجليه. إلى غيـر ذلك مما فعله أصحاب العقول الـسخيفة، والغناء يوجب ذلك بل يقارب فعله فعل الخـمـر فى تغطية العقل. فينبغى أن يقع المنع منه. أخـبرنا عمر بن ظفر نا جـعفر بن أحمد نا عـبد العزيز ابن على الأزجى نا ابن جـهضم ثنا يحيى ابن المؤمل ثنا أبـو بكر السفاف ثنا أبو سعيد الخـراز. قال ذكر عند محمد ابن منصور أصـحاب القصائد فقال: هؤلاء الفرارون من الله عز وجل لو ناصحوا الله ورسوله وصدقوه لافادهم فى سرائرهم مايشغلهم عن كثرة التلاقى. أخبرنا محمد بن ناصر نا عبد الرحمن بن أبى الحسين بن يوسف نا محمد بن على العبادى. قال قال أبو عبد الله بن بطة العكبرى. سألنى سـائل عن استماع الغناء فنهيته عن ذلك وأعلمـته أنه مما أنكرته العـلماء واستحسـنه السفهاء وإنما تـفعله طائفة سموا بالصـوفية وسماهم المحققون الجبرية أهـل همم دنيئة وشرائع بديعة يظهرون الزهد وكل أسبابهم ظلـمة. يدعون الشوق والمحبة بإسقاط الخوف والرجـاء. يسمـعونه من الأحـداث والنساء ويطـربون ويصعـقون ويتغاشون ويتـماوتون ويزعمون أن ذلك من شدة حبهـم لربهم وشوقهم اليه تعالى الله عما يقوله الجاهلون علواً كبيراً.

فصل فى ذكر الشبه التى تعلق بها من اجاز سماع الغناء

فمنها حديث عـائشة رضى الله عنها أن الجاريتين كانـتا تضربان عندها بدفين وفى بعض الفاظه دخل علـى أبو بكر وعندى جاريتان من جوارى الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصـار يوم بعاث. فقال أبو بكر: أمزمور الشيطان فى بيت رسول الله ﷺ ؟ فقال رسـول الله: دعهما يا أبا بكر

إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا. وقد سبق ذكر الحديث: ومنها حديث عائشة رضى الله عنها أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار. فقال النبى ﷺ ياعائشة ماكان معهم من اللهو. فإن الأنصار يعجبهم اللهو - وقد سبق ومنها حديث فضالة ابن عبيد عن النبى ﷺ أنه قال: الله أشد اذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته. قال ابن طاهر: وجه الحجة أنه أثبت تحليل استماع الغناء إذ لايجوز أن يقاس على محرم ومنها حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ. أنه قال: ماأذن الله عز وجل لشئ ماأذن لنبى يتغنى بالقرآن ومنها حديث حاطب عن النبى ﷺ أنه قال: فصل مابين الحلال والحرام الضرب بالدف.

والجواب. أما حديثا عائشة رضى الله عنها فقد سبق الكلام عليهما وبينا أنهم كانوا ينشدون الشعر وسمى بذلك غناء لنوع يثبت فى الانشاد وترجيع ومثل ذلك لايخرج الطباع عن الاعتدال وكيف يحتج بذلك الواقع فى الزمان السليم عند قلوب صافية على هذه الأصوات المطربة الواقعة فى زمان كدرعند نفوس قد تملكها الهوى ماهذا الامغالطة للفهم أو ليس قد صح فى الحديث عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت. لو رأى رسول الله ﷺ ماأحدث النساء لمنعهن المساجد، وأنما ينبغى للمفتى أن يزن الأحوال كما ينبغى للطبيب أن يزن الزمان والسن والبلد ثم يصف على مقدار ذلك وأين الغناء بما تقاولت به الانصار يوم بعاث من غناء أمر د مستحسن بألات مستطابة وصناعة تجذب إليها النفس وغزليات يذكر فيها الغزال والغزالة والخال والخد والقد والاعتدال فهل يثبت هناك طبع هيهات بل يتزعج شوقا إلى المستلذ ولايدعى أنه لايجد ذلك إلا كاذب أو خارج عن حد الآدمية ومن ادعى أخذ الاشارة من ذلك إلى الخالق فقد استعمل فى حقه مالايليق به على أن الطبع يسبقه إلى مايجد من الهوى وقد أجاب أبو الطيب الطبرى عن هذا الحديث بجواب آخر. فأخبرنا أبو القاسم الحريرى عنه أنه قال. هذا الحديث حجتنا لأن أبا بكر سمى ذلك مزمور الشيطان ولم ينكر النبى ﷺ على أبى بكر قوله وإنما منعه من التغليظ فى الانكار لحسن رفعته لاسيما فى يوم العيد. وقد كانت عائشة رضى الله عنها صغيرة فى ذلك الوقت ولم ينقل عنها بعد بلوغها وتحصيلها إلا ذم الغناء. وقد كان ابن أخيها القاسم بن محمد يذم الغناء

ويمنع من سماعه وقد أخذ العلم عنها.

قال المصنف رحمه الله: وأما اللهو المذكور فى الحديث الآخر فليس بصريح فى الغناء فيجوز أن يكون إنشاد الشعر أو غيره. وأما التشبيه بالاستماع إلى القينة فلا يمتنع أن يكون المشبه حراماً. فإن الانسان لو قال وجدت للعسل لذة أكثر من لذة الخمر كان كلاما صحيحا وإنما وقع التشبيه بالاصغاء فى الحالتين فيكون أحدهما حلالا أو حراما لايمنع من التشبيه. وقد قال عليه الصلاة والسلام أنكم لترون ربكم كما ترون القمر فشبه أيضا الرؤية بإيضاح الرؤية وإن كان وقع الفرق بأن القمر فى جهة يحيط به نظر الناظر والحق منزه عن ذلك والفقهاء يقولون فى ماء الوضوء لاننشف الأعضاء منه لأنه أثر عبادة فلا يسن مسحه كدم الشهيد. فقد جمعوا بينهما من جهة اتفاقهما فى كونهما عبادة. وان افترقا فى الطهارة والنجاسة. واستدلال ابن طاهربأن القياس لايكون إلا على مباح فقه الصوفية لاعلم الفقهاء. وأما قوله له يتغنى بالقرآن فقد فسره سفيان بن عيينة فقال معناه يستغنى به وفسره الشافعى فقال. معناه يتحزن به ويترنم وقال غيرهما يجعله مكان غناء الركبان إذا ساروا. وأما الضرب بالدف فقد كان جماعة من التابعين يكسرون الدفوف وماكانت هكذا - فكيف لو رأوا هذه - وكان الحسن البصرى يقول ليس الدف من سنة المرسلين فى شئ. وقال أبو عبيد القاسم بن سلام من ذهب به إلى الصوفية فهو خطأ فى التأويل على رسول الله ﷺ. وإنما معناه عندنا إعلان النكاح واضطراب الصوت والذكر فى الناس.

قال المصنف رحمه الله قلت: ولو حمل على الدف حقيقة على أنه قد قال أحمد ابن حنبل أرجو أن لايكون بالدف بأس فى العرس ونحوه وأكره الطبل. أخبرنا عبد الله بن على المقرى نا نصر بن أحمد بن النظر نا أبو محمد عبد الله بن عبيد الله المؤدب ثنا الحسين بن اسماعيل المحاملى ثنا عبيد الله بن جرير بن جبلة ثنا عمر بن مرزوق ثنا زهير عن أبى اسحق عن عامر بن سعد البجلى قال طلبت ثابت ابن سعد وكان بدرياً فوجدته فى عرس له قال واذا جوار يغنين ويضربن بالدفوف فقلت ألا تنهى عن هذا قال لا أن رسول الله ﷺ رخص لنا فى هذا أخبرنا عبد الله بن على نا جدى أبو منصور محمد ابن احمدالخياط نا عبد الملك بن بشران

ثنا أبو على أحمد ابن الفضل بن خزيمة ثنا أحمد بن القاسم الطائى ثنا ابن سهم ثنا عيسى بن يونس عن خالد بن الياس عن ربيعة ابن أبى عبد الرحمن عن القاسم عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ اظهروا النكاح واضربوا عليه بالغربال يعنى الدف.

قال المصنف رحمه الله: وكل مااحتجوا به لايجوز أن يستدل به على جواز هذا الغناء المعروف المؤثر فى الطباع، وقد احتج لهم أقوام مفتونون بحب التصوف بما لا حجة فيه فمنهم أبو نعيم الأصفهانى فانه قال كان البراء بن مالك يميل إلى السماع ويستلذ بالترنم.

قال المصنف رحمه الله: وإنما ذكر أبو نعيم هذا عن البراء لانه روى عنه أنه استلقى يوما فترنم فانظر الى هذا الاحتجاج البارد فان الانسان لا يخلو من أن يترنم فأين الترنم من السماع للغناء المطرب. وقد استدل لهم محمد بن طاهر بأشياء لولا أن يعثر على مثلها جاهل فيغتر لم يصلح ذكرها لانها ليست بشئ فمنها أنه قال فى كتابه باب الاقتراح على القوال والسنة فيه. فجعل الاقتراح على القوال سنة واستدل بما روى عمرو بن الشريد عن أبيه. قال، استنشدنى رسول الله ﷺ من شعر أمية فأخذ يقول هى هى حتى أنشدته مائة قافيه، وقال ابن طاهر باب الدليل على استماع الغزل. قال العجاج سألت أبا هريرة رضى الله عنه طاف الخيالات فهاجا سقما. فقال أبو هريرة رضى الله عنه كان ينشد مثل هذا بين يدى رسول الله ﷺ.

قال المصنف رحمه الله: فانظر إلى احتجاج ابن طاهر ماأعجبه كيف يحتج على جواز الغناء بانشاد الشعر ومامثله الاكمثل من قال. يجوز أن يضرب بالكف على ظهر العود فجاز أن يضرب بأوتاره أو قال. يجوز أن يعصر العنب ويشرب منه فى يومه فجاز أن يشرب منه بعد أيام، وقد نسى أن إنشاد الشعر لايطرب كما يطرب الغناء. وقد أنبأنا أبو زرعة بن محمد بن طاهر عن أبيه ،قال أخبرنا أبو محمد التميمى قال، سألت الشريف أبا على بن أبى موسى الهاشمى عن السماع فقال. ماأدرى ماأقول فيه غير انى حضرت ذات يوم شيخنا أبا الحسن عبد العزيز بن الحارث التميمى سنة سبعين وثلاثمائة فى دعوة عملها لأصحابه حضرها أبو بكر الأبهرى شيخ المالكيين وأبو القاسم الداركى شيخ الشافعيين وأبو الحسن طاهر بن الحسين شيخ أصحاب الحديث وأبو الحسين ابن سمعون

شيخ الوعاظ والزهاد وأبوعبد الله بن مجاهد شيخ المتكلمين وصاحبه أبو بكر بن الباقلانى فى دار شيخنا أبى الحسن التميمى شيخ الحنابلة. فقال: أبو على لو سقط السقف عليهم لم يبق بالعراق من يفتى فى حادثة بسنة. ومعهم أبوعبدالله غلام وكان يقرأ القرآن بصوت حسن فقيل له قل شيئا فقال: وهم يسمعون.

خطت أناملهــا فى بطـــن قرطاس
رســالة بعبيــر لا بأنفــــاس
أن زر فديتك قف لـى غير محتشم
فان حبك لى قد شـاع فـى الناس
فكان قولـى لمـن أدى رسـالتهـا
قف لى لأمشي على العينين والرأس

قال أبو على فبعد مارايت هذا لايمكننى أن أفتى فى هذه المسألة بحظر ولا أباحة.

قال المصنف رحمه الله: وهذه الحكاية ان صدق فيها محمد بن طاهر فان شيخنا ابن ناصر الحافظ كان يقول ليس محمد بن طاهر بثقة حملت هذه الأبيات على انه أنشدها لا أنه غنى بها بقضيب ومخدة اذ لو كان كذلك لذكره ثم فيها كلام مجمل قوله لايمكننى أن أقول فيها بحظر ولا إباحة لأنه ان كان مقلداً لهم فينبغى أن يفتى بالإباحة وان كان ينظر فى الدليل فيلزمه مع حضورهم أن يفتى بالحظر ثم بتقدير صحتها أفلا يكون اتباع المذهب أولى من اتباع أرباب المذاهب. وقد ذكر نا عن أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد رضوان الله عليهم أجمعين مايكفى فى هذا وشيدنا ذلك بالأدلة. وقال ابن طاهر فى كتابه: باب إكرامهم للقوال وإفرادهم الموضع له - واحتج بأن النبى ﷺ رمى بردة كانت عليه إلى كعب بن زهير لما أنشده بانت سعاد. وإنما ذكرت هذا ليعرف قدر فقه هذا الرجل واستنباطه وإلا فالزمان أشرف من أن يضيع بمثل هذا التخليط. وانبأنا أبو زرعة عن أبيه محمد بن طاهر نا أبو سعيد اسماعيل بن محمد الحجاجى ثنا أبومحمد عبد الله بن احمد المقرى ثنا أبى ثنا على ابن أحمد ثنا محمد بن العباس بن بلال قال سمعت سعيد بن محمد قال حدثنى

ابراهيم بن عبد اللهّ وكان الناسّ يتبركون به قال حدثنا المزنى قال مررنا مع الشافعى وابراهيم بن اسماعيلى على دار قوم وجارية تغنيهم .

خليلى مابـال المطــايا كأننـا   نراها على الأعقاب بالقـوم تنكص

فقال الشافعـى. ميلوا بنا نسمع، فلما فرغت قـال الشافعى لابراهيم: أيطربك هذا. قال لا. قال. فما لك حس.

قال المصنف رحمه الله قلت: وهذا محال على الشافعى رضى الله عنه وفى الرواية مجهـولون وابن طاهر لايوثق به وقد كان الشـافعى أجل من هذا كله. ويدل على صحة ماذكرناه مـاأخبرنا به أبو القاسم الحريرى عن أبى الطيب الطبرى. قال: أما سماع الغناء من المرأة التى ليست بمحرم فان أصحاب الشافـعى قالوا. لا يجوز سواء كانت حرة أو مملوكة قال وقال الشافـعى. وصاحب الجـارية اذا جمع الـناس لسمـاعها فـهو سفـيه ترد شهادته. ثم غلظ القول فيه فقال وهو دياثه.

قال المصنف رحـمه الله: وإنما جعل صاحـبها سفيها فـاسقا لأنه دعا الناس إلى الباطل ومن دعا إلى الباطل كان سفيها فاسقا.

قال المصنف رحـمه الله قلت: وقد أخبرنا محمـد بن القاسم البغدادى عن أبى محمد التميمى عن أبى عبد الرحمن السلمى. قال : اشترى سعد بن عبد الله الدمشقى جارية قوالة للفقراء وكانت تقول لهم القصائد.

قال المصنف رحـمه الله قلت: وقد ذكر أبو طالب المكـى فى كتابه قال أدركنا مروان القـاضى وله جوار يسمعن التـلحين قد أعدهن للصـوفية. قال: وكانت لعطاء جاريتان تلحنان وكان اخوانه يسمعون التلحين منهما.

قـال المصنف رحـمه الله قـلت: أما سـعد الـدمشقـى فرجل جـاهل، والحكاية عن عـطاء محال وكذب، وان صـحت الحكاية عن مـروان فهو فاسق والـدليل على ماقـلنا ماذكرنا عـن الشافعى رضـى الله عنه وهؤلاء القوم جهلوا العلم فمالوا إلى الهـوى. وقد أنبأنا زاهر بن طاهر قال: أنبأنا أبو عثمان الصابونـى وأبو بكر البيهقى قالا أنبأنا الحاكم أبو عـبد الله النيسابورى. قال أكثر ما التـقيت أنا وفارس بن عيسى الصوفى فـى دار أبى بكر الأبريسمى للسماع من هزارة رحمها الله فانها كانت من مستورات القوالات.

قال المصنف: قلت. وهذا أقبح شئ من مثل الحـاكم كيف خفى عليه

أنه لايحل له أن يسمع من امرأة ليست بمحرم ثم يذكر هذا فى كتاب تاريخ نيسابور وهو كتاب علم من غير تحاش عن ذكر مثله لقد كفاه هذا قد حافى عدالته.

قال المصنف رحمه الله: فان قيل ماتقول فيما أخبركم به اسماعيل بن احمد السمرقندى نا عمر بن عبد الله نا أبو الحسين بن بشران نا عثمان بن احمد نا حنبل بن اسحاق ثنا هرون بن معروف ثنا جرير عن مغيرة قال كان عون بن عبد الله يقصُ فاذا فرغ أمر جارية له تقص وتطرب. قال المغيرة. فأرسلت اليه أو أردت أن ارسل اليه انك من أهل بيت صدق وأن الله عز وجل لم يبعث نبيه ﷺ بالحمق. وان صنيعك هذا صنيع أحمق. فالجواب أنا لايظن بعون أنه أمر الجارية أن تقص على الرجال بل أحب أن يسمعها منفردا وهى ملكه. فقال له مغيرة الفقيه هذا القول وكره أن تطرب الجارية له فما ظنك بمن يسمعهن الرجال ويرقصهن ويطربهن: وقد ذكر أبو طالب المكى أن عبد الله بن جعفر - كان يسمع الغناء.

قال المصنف رحمه الله: وإنما كان يسمع إنشاد جواريه وقد أردف ابن طاهر الحكاية التى ذكرها عن الشافعى وقد ذكرناها آنفا بحكاية عن احمد بن حنبل رواها من طريق عبد الرحمن السلمى قال حدثنا الحسين بن احمد قال سمعت أبا العباس الفرغانى يقول سمعت صالح بن احمد بن حنبل يقول: كنت أحب السماع وكان أبى احمد يكره ذلك فوعدت ليلة ابن الخبازة فمكث عندى إلى أن علمت أن أبى قد نام وأخذ يغنى فسمعت حس أبى فوق السطح فصعدت فرأيت أبى فوق السطح يسمع وذيله تحت أبطه يتبخطر على السطح كأنه يرقص.

قال المصنف رحمه الله: هذه الحكاية قد بلغتنا من طرق ففى بعض الطرق عن صالح قال. كنت أدعو ابن الخبازة القصائدى وكان يقول ويلحن وكان أبى فى الزقاق يذهب ويجئ ويسمع اليه وكان بيننا وبينه باب وكان يقف من وراء الباب يستمع وقد أخبرنا بها أبو منصور القزاز نا أبو بكر احمد بن على بن ثابت نا احمد بن على بن الحسين النورى ثنا يوسف بن عمر القواس قال سمعت أبا بكر بن مالك القطيعى يحكى أظنه عن عبد الله بن احمد قال كنت أدعو ابن الخبازة القصائدى وكان يقول ويلحن وكان أبى ينهانى عن التغنى فكنت إذا كان ابن الخبازة عندى

أكتمه عن أبى لئلا يسمع فكان ذات ليلة عندى وكان يغنى فعرضت لأبى عندنا حاجة وكنا فى زقاق فجاء فسمعه يغنى فتسمع فوقع فى سمعه شئ من قوله فخرجت لأنظر فإذا بأبى ذاهبا وجائيا فرددت الباب فدخلت فلمان كان من الغد. قال لى: يابنى إذا كان هذا: نعم. .الكلام أو معناه.

قال المصنف رحمه الله: وهذا ابن الخبارة كان ينشد القصائد الزهديات التى فيها ذكر الآخرة. ولذلك استمع اليه احمد، وقول من قال ينزعج فإن الإنسان قد يزعجه الطرب فيميل يميناً وشمالا. وأما رواية ابن طاهر التى فيها فرأيته وذيله تحت أبطه يتبختر على السطح كأنه يرقص فإنما هو من تغييرالرواة وتغييرهم لايظنونه المعنى تصحيحاً لمذهبهم فى الرقص. وقد ذكرنا القدح فى السلمى وفى ابن طاهر الراويين لهذه اللفظات. وقد احتج لهم أبو طالب المكى على جواز السماع بمنامات وقسم السماع إلى أنواع وهو تقسيم صوفى لاأصل له. وقد ذكرنا أن من ادعى أنه يسمع الغناء ولا يؤثر عنده تحريك النفس إلى الهوى فهو كاذب. وقد أخبرنا أبو القاسم الحريرى عن أبى طالب الطبرى قال قال بعضهم. انا لا نسمع الغناء بالطبع الذى يشترك فيه الخاص والعام: قال وهذا تجاهل من عظيم لأمرين. أحدهما أنه يلزمه على هذا أن يستبيح العود والطنبور وسائر الملاهى لأنه يسمعه بالطبع الذى لايشاركه فيه أحد من الناس فإن لم يستبح ذلك فقد نقض قوله وإن استباح فقد فسق. والثانى أن هذا المدعى لايخلو من أن يدعى أنه فارق طبع البشر وصار بمنزلة الملائكة. فإن قال هذا فقد تخرص على طبعه وعلم كل عاقل كذبه إذا رجع إلى نفسه ووجب أن لايكون مجاهداً لنفسه ولامخالفا لهواه ولايكون له ثواب على ترك اللذات والشهوات. وهذا لايقوله عاقل وإن قال أنا على طبع البشر المجبول على الهوى والشهوة: قلنالـه: فكيف تسمع الغناء المطرب بغير طبعك، أو تطرب لسماعه لغير ما غرس فى نفسك.

أخبرنا ابن ناصر نا احمد بن على بن خلف ثنا أبو عبد الرحمن السلمى قال: سمعت أبا القاسم الدمشقى يقول: سئل أبو على الروذبارى عمن سمع الملاهى ويقول هى لى حلال لأنى قد وصلت إلى درجة لاتؤثر فى اختلاف الاحوال فقال نعم. قد وصل لعمرى ولكن الى سقر.

قال المصنف رحمه الله: فإن قيل قد بلغنا عن جماعة أنهم سمعوا من المنشد شيئا فأخذوه على مقصودهم فانتفعوا بـه. قلنا. لاينكر أن يسمع الانسان بيتاً من الشعر أو حكمة فيأخذها إشارة فتزعجه بمعناها لالأن الصوت مطرب كما سمع بعض المريدين صوت مغنية تقول.

كل يوم تتلون غير هذا بك أجمل

فصاح ومات فهذا لم يقصد سماع المرأة ولم يلتفت إلى التلحين. وإنما قتله المعنى ثم ليس سماع كلمة أو بيت لم يقصد سماعه كالاستعداد لسماع الأبيات المذكورة الكثيرة المطربة مع انضمام الضرب بالقضيب والتصفيق إلى غير ذلك ثم إن ذلك السامع لم يقصد السماع. ولو سألنا هل يجوز لى أن أقصد سماع ذلك منعناه

قال المصنف رحمه الله: وقد احتج لهم أبو حامد الطوسى بأشياء نزل فيها عن رتبته عن الفهم مجموعها أنه قال: مايدل على تحريم السماع نص ولا قياس وجواب هذا ماقد أسلفناه وقال: لاوجه لتحريم سماع صوت طيب فاذا كان موزونا فلا يحرم أيضا وإذا لم يحرم الآحاد فلا يحرم المجموع. فان أفراد المباحثات إذا اجتمعت كان المجموع مباحاً قال: ولكن ينظر فيما يفهم من ذلك فان كان فيه شئ محظور حرم نثره ونظمه، وحرم التصويت به.

قال المصنف رحمه الله قلت: وإنى لأتعجب من مثل هذا الكلام فان الوتر بمفرده أو العود وحده من غير وتر لو ضرب لم يحرم ولم يطرب فاذا اجتمعا وضرب بهما على وجه مخصوص حرم وأزعج، وكذلك ماء العنب جائز شربه وإذا حدثت فيه شدة مطربة حرم.

وكذلك هذا المجموع يوجب طربا يخرج عن الاعتدال فيمنع منه لذلك. وقال ابن عقيل: الأصوات على ثلاثة أضرب محرم ومكروه ومباح. فالمحرم الزمر والناى والسرنا والطنبور والمعزفة والرباب وما مثلها، نص الإمام أحمد بن حنبل على تحريم ذلك. ويلحق به الجرافة والجنك لأن هذه تطرب فتخرج عن حد الاعتدال وتفعل فى طباع الغالب من الناس مايفعله المسكر، وسواء استعمل على حزن يهيجه أو سرور. لأن النبى ﷺ نهى عن صوتين أحمقين صوت عند نغمة وصوت عند

مصيبة. والمكروه القضيب لكنه ليس بمطرب فى نفسه وإنما يطرب بما يتبعه وهو تابع للقول. والقول مكروه، ومن أصحابنا من يحرم القضيب كما يحرم الآت اللهو فيكون فيه وجهان كالقول نفسه والمباح الدف وقد ذكرنا عن أحمد أنه قال أرجو أن لايكون بالدف بأس فى العرس ونحوه وأكره الطبل. وقد قال أبو حامد: من أحب الله وعشقه واشتاق إلى لقائه فالسماع فى حقه مؤكد لعشقه.

قال المصنف رحمه الله: قلت وهذا قبيح أن يقال عن الله عز وجل يعشق وقد بينا فيما تقدم خطأ هذا القول ثم أى توكيد لعشقه فى قول المغنى:

ذهبى اللون تحسب من   وجنتيه النار تقتدح

قال المصنف رحمه الله قلت: وسمع ابن عقيل بعض الصوفية يقول: أن مشايخ هذه الطائفة كلما وقفت طباعهم حداها الحادى إلى الله بالأناشيد فقال ابن عقيل: لاكرامة لهذا القائل إنما تحدى القلوب بوعد الله فى القرآن ووعيده وسنة الرسول ﷺ لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا﴾ وما قال: وإذا أنشدت عليه القصائد طربت. فأما تحريك الطباع بالألحان فقاطع عن الله والشعر يتضمن صفة المخلوق والمعشوق مما يتعدد عنه فتنه. ومن سولت له نفسه التقاط العبر من محاسن البشر وحسن الصوت فمفتون، بل ينبغى النظر إلي المحال التى أحالنا عليها الإبل والخيل والرياح ونحو ذلك، فانها منظورات لاتهيج طبعا بل تورث استعظاما للفاعل. وإنما خدعكم الشيطان فصرتم عبيد شهواتكم، ولم تقفوا حتى قلتم هذه الحقيقة. وأنتم زنادقة فى زى عباد، شرهين فى زى زهاد مشبهةج تعتقدون أن الله عز وجل و يعشق ويهام فيه. ويؤلف ويؤنس به، و بئس التوهم لأن الله عز وجل خلق الذوات مشاكلة لأن أصولها مشاكلة فهى تتؤانس وتتألم بأصولها العنصرية وتراكيبها المثلية فى الأشكال الحديثة. فمن ههنا جاء التلاوم والميل وعشق بعضهم بعضا، وعلى قدر التقارب فى الصورة يتأكد الأنس. والواحد منا يأنس بالماء لأن فيه ماء وهو بالنبات آنس لقربه من الحيوانية بالقوة النمائية وهو بالحيوان آنس لمشاركته فى أخص النوع به أو أقربه إليه فأين المشاركة للخالق والمخلوق حتى يحصل الميل إليه والعشق والشوق. وماالذى بين الطين والماء وبين خالق السماء من المناسبة وإنما

هؤلاء يصورون البارى سبحانه وتعالى صورة تثبت فى القلوب، وما ذاك الله عز وجل ذاك ضم شكله الطبع والشيطان وليس لله وصف تميل إليه الطباع ولا تشتاق إليه الأنفس وإنما مباينة الالهيه للمحدث أوجبت فى الأنفس هيبة وحشمة فما يدعيه عشاق الصوفية لله فى محبة الله إنما هو وهم اعترض. وصورة شكلت فى نفوس فحجبت عن عبادة القديم فتجدد بتلك الصورة أنس فاذا غابت بحكم مايقتضيه العقل أقلقهم الشوق اليها فنالهم من الوجد وتحرك الط والهيمان ما ينال الهائم فى العشق فنعوذ بالله من الهواجس الرديئة والعوارض الطبيعية التى يجب بحكم الشرع محوها عن القلوب كما يجب كسر الأصنام.

فصل

قال المصنف رحمه الله: وقد كان جماعة من قدماء الصوفية ينكرون على المبتدى السماع لعلهم بما يثير من قلبه. أخبرنا عمر بن ظفر المقرى نا جعفر بن احمد نا عبد العزيز بن على الأزجى ثنا بن جهضم ثنى أبو عبدالله المقرى ثنا عبدالله ابن صالح قال قال لى جنيد: إذا رأيت المريد يسمع السماع فاعلم أن فيه بقايا من اللعب. أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعيد ابن أبى صادق نا أبو عبد الله بن باكويه قال سمعت احمد بن محمد البردعى يقول سمعت أبا الحسين النورى يقول لبعض أصحابه: إذا رأيت المريد يسمع القصائد ويميل إلى الرفاهية فلا ترج خيره.

قال المصنف رحمه الله:هذا قول مشايخ القوم وإنما ترخص المتأخرون حب اللهو فتعدى شرهم من وجهين. أحدهما سوء ظن العوام بقدمائهم لأنهم يظنون أن الكل كانوا هكذا .والثانى: أنهم جرأوا العوام على اللعب فليس للعامى حجة فى لعبه إلا أن يقول فلان يفعل كذا و يفعل كذا.

فصل

قال المصنف رحمه الله: وقد نشب السماع بقلوب خلق منهم فآثروه على قراءة القرآن ورقت قلوبهم عنده بما لاترق عند القرآن وماذاك إلا لتمكن هوى باطن تمكن منه وغلبة طبع وهم يظنون غير هذا. أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا عبد الكريم بن هوزان وأبنأنا عبد المنعم بن عبد الكريم ثنا أبى وقال سمعت أبا حاتم محمد بن احمد بن

يحيى السجستاني قال سمعت أبا نصر السراج يقول. حكى لى بعض إخواني عن أبى الحسين الدراج قال قصدت يوسف بن الحسين الرازى من بغداد فلما دخلت الرى سألت عن منزله وكل من أساله عنه يقول إيش تفعل بذلك الزنديق فضيقوا صدرى حتى عزمت على الانصراف فبت تلك الليلة في مسجد ثم قلت جئت إلى هذه البلدة فلا أقل من زيارته فلم أزل أسأل عنه حتى دفعت إلى مسجده وهو قاعد فى المحراب بين يديه رجل على يديه مصحف وهو يقرأ فدنوت فسلمت فرد السلام وقال من أين قلت من بغداد قصدت زيارة الشيخ فقال تحسن أن تقول شيئاً فقلت نعم وقلت :

رأيتك تبنى دائماً فى قطيعتي ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبنى

فأطبق المصحف ولم يزل يبكى حتى ابتلت لحيته وثوبه حتى رحمته من كثرة بكائه. ثم قال لى يابنى تلوم أهل الرى على قولهم يوسف بن الحسين زنديق ومن وقت الصلاة هو ذا أقرأ القرآن لم تقطر من عينى قطرة وقد قامت علىّ القيامة بهذا البيت. وأنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم ابن هوازن نا أبى قال سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول. فأخرجت إلى مرو فى حياة الاستاذ أبى سهل الصعلوكى وكان له قبل خروجى أيام الجمع بالغدوات مجلس درس القرآن والختمات فوجدته عند خروجى قد رفع ذلك المجلس وعقد لابن الفرغانى فى ذلك الوقت مجلس القوال يعنى المغنى فتداخلنى من ذلك شئ فكنت أقول قد استبدل مجلس الختمات بمجلس القوال . فقال لى يومًا. أي شئ تقول الناس. فقلت يقولون رفع مجلس القرآن ووضع مجلس القول . فقال من قال لأستاذه لم لم يفلح .

قال المصنف رحمه الله: هذه دعاة الصوفيه يقولون الشيخ يسلم له حاله وما لنا أحد يسلم اليه حاله. فإن الآدمى يرد عن مراداته بالشرع والعقل والبهائم بالسوط .

فصل

وقد اعتقد قوم من الصوفية أن هذا الغناء الذى ذكرنا عن قوم تحريمه وعن آخر كراهته مستحب فى حق قوم . وأنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم

ابن هوازن القشيرى قال حدثنا أبى قال سمعت أبا على الدقاق يقول . السماع حرام على العوام لبقاء نفوسهم، مباح للزهاد لحصول مجاهداتهم، مستحب لأصحابنا لحياة قلوبهم.

قال المصنف: رحمه الله قلت . وهذا غلط من خمسة أوجه . أحدها اناقد ذكرنا عن أبى حامد الغزالى أنه يباح سماعه لكل أحد .وأبوحامد كان أعرف من هذا القائل. والثانى أن طباع النفوس لا تتغير وإنما المجاهدة تكف عملها .فمن ادعى تغير الطباع ادعى المحال. فاذا جاء ما يحرك الطباع . واندفع الذى كان يكفها عنه عادت العادة . والثالث أن العلماء اختلفوا فى تحريمه وإباحته وليس فيهم من نظر فى السامع لعلمهم أن الطباع تتساوى فمن أدعى خروج طبعه عن طباع الآدميين ادعى المحال. والرابع أن الاجماع انعقد على أنه ليس بمستحب وإنما غايته الإباحة فادعاء الاستحباب خروج عن الإجماع. والخامس أنه يلزم من هذا أن يكون سماع العود مباحًا أو مستحباً عند من لا يغير طبعه لأنه إنما حرم لأنه يوثر فى الطباع ويدعوها إلى الهوى فاذا أمن ذلك فينبغى أن يباح وقد ذكرنا هذا عن أبى الطيب الطبرى.

فصل

قال المصنف رحمه الله: . وقد ادعى قوم منهم أن هذا السماع قربة إلى الله عز وجل. قال أبو طالب المكى . حدثنى بعض أشياخنا عن الجنيد أنه قال تنزل الرحمة على هذه الطائفة فى ثلاثة مواطن . عند الأكل لأنهم لا يأكلون إلا عن فاقة . وعند المذاكرة لأنهم يتجاوزون فى مقامات الصديقين وأحوال النبيين وعند السماع لأنهم يسمعون بوجد ويشهدون حقاً.

قال المصنف رحمه الله قلت : وهذا إن صح عن الجنيد وأحسنا به الظن كان محمولا على ما يسمعونه من القصائد الزهدية فانها توجب الرقة والبكاء، فأما أن تنزل الرحمة عند وصف سعدى وليلى ويحمل ذلك على صفات البارى سبحانه وتعالى فلا يجوز اعتقاد هذا ولو صح أخذ الإشارة من ذلك كانت الإشارة مستغرقة فى جنب غلبة الطباع . ويدل على ما حملنا الأمر عليه انه لم يكن ينشد فى زمان الجنيد مثل ما

ينشد اليوم إلا أن بعض المتأخرين قد حمل كلام الجنيد على كل ما يقال . فحدثني أبو جعفر احمد بن أزهر بن عبد الوهاب السباك عن شيخنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ قال كان أبو الوفا الفيروز بادي شيخ رباط الزوزني صديقاً لي ، فكان يقول لي والله إني لأدعو لك وأذكرك وقت وضع المخدة والقول ، قال فكان الشيخ عبد الوهاب يتعجب ويقول: أترون هذا يعتقد أن ذلك وقت إجابة إن هذا لعظيم ، وقال ابن عقيل: قد سمعنا منهم أن الدعاء عند حدو الحادي وعند حضور المخدة مجاب وذلك أنهم يعتقدون انه قربة يتقرب بها إلى الله تعالى، قال وهذا كفر، لأن من اعتقد الحرام أو المكروه قربة كان بهذا الاعتقاد كافراً، قال والناس بين تحريمه وكراهيته. أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن ابن محمد القزاز نا أبوبكر احمد بن علي بن ثابت قال أخبرني علي بن أيوب قال أخبرنا محمد بن عمران بن موسى قال حدثنا محمد بن احمد الكاتب قال حدثنا الحسين بن فهم قال حدثني أبو همام قال حدثني ابراهيم بن أعين قال قال صالح المري، أبطا الصرعى نهضة صريع هوى يدعيه إلى الله قربة، وأثبت الناس قدماً يوم القيامة آخذهم بكتاب الله وسنة نبيه محمدﷺ . أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم القشيري قال حدثنا أبي قال سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت أبا بكر النهاوندي يقول سمعت عليا السائح يقول سمعت أبا الحارث الأولاسي يقول رأيت إبليس في المنام على بعض سطوح أولاس وأنا على سطح وعلى يمينه جماعة وعلى يساره جماعة وعليهم ثياب لطاف، فقال لطائفة منهم قولوا وغنوا، فاستغرقني طيبه حتى هممت أن أطرح نفسي من السطح ثم قال: ارقصوا فرقصوا أطيب ما يكون. ثم قال لي: يا أبا الحارث ما أصبت منكم شيئاً أدخل به عليكم إلا هذا .

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في الوجد

قال المصنف رحمه الله: هذه الطائفة اذا سمعت الغناء تواجدت، وصفقت وصاحت ومزقت الثياب، وقد لبس عليهم إبليس في ذلك وبالغ. وقد احتجوا بما أخبرنا به أبوالفتح محمد بن عبد الباقي قال أنبأنا أبو علي الحسن بن محمد ابن الفضل الكرماني قال أخبرنا أبو الحسن سهل بن علي الخشاب قال أخبرنا أبو نصر عبد الله بن علي السراج

الطوسى. قال وقد قيل له: انه لما نزلت: ﴿وأن جهنم لموعدهم أجمعين﴾: صاح سلمان الفارسى صيحة ووقع على رأسه ثم خرج هارباً ثلاثة أيام. واحتجوا بما أخ. نا به عبد الوهاب بن المبارك الحافظ قال أخبرنا أبو الحسين ابن عبد الجبار قال أخبرنا أبو بكر محمد بن على الخياط قال أخبرنا احمد بن محمد ابن يوسف بن دوست قال: أخبرنا الحسين ابن صفوان قال حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد القرشى قال: أخبرنا على بن الجعد قال حدثنا أبو بكر بن عياش عن عيسى بن سليم عن أبى وائل. قال خرجنا مع عبد الله ومعنا الربيع بن خثيم فمررنا على حداد فقام عبد الله ينظر إلى حديدة فى النار فنظر الربيع اليها فمال ليسقط ثم أن عبد الله مضى حتى أتينا على أتون على شاطىء الفرات فلما راه عبد الله والنار تلتهب فى جوفه قرأ هذه الآية: ﴿ إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً ﴾ إلى قوله: ﴿ ثبوراً كثيراً ﴾ فصعق الربيع واحتملناه إلى أهله ورابطه عبد الله حتى يصلى الظهر فلم يفق ثم رابطه إلى العصر فلم يفق ثم رابطه إلى المغرب فأفاق فرجع عبد الله إلى أهله. قالوا: وقد اشتهر عن خلق كثير من العباد أنهم كانوا اذا سمعوا القرآن فمنهم من يموت، ومنهم من يصعق ويغشى عليه، ومنهم من يصيح، وهذا كثير فى كتب الزهد: والجواب أما ما ذكره عن سلمان فمحال وكذب، ثم ليس له إسناد والآية نزلت بمكة وسلمان إنما أسلم بالمدينة، ولم ينقل عن أحد من الصحابة مثل هذا أصلا. وأما حكاية الربيع بن خثيم فان راويها عيسى بن سليم وفيه معمر. أنبأنا عبد الوهاب ابن المبارك الحافظ قال أخبرنا أبو بكر محمد المظفر الشامى قال أخبرنا أبوالحسن احمد بن محمد العتيقى قال أخبرنا أبو يعقوب يوسف بن احمد الصيدلانى قال أخبرنا أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى العقيلى: قال قال احمد بن حنبل عيسى ابن سليم عن أبى وائل لا أعرفه. قال العقيلى: وحدثنا عبد الله بن احمد قال حدثنى أبى قال حدثنى بن آدم. قال سمعت حمزة الزيات قال لسفيان انهم يروون عن الربيع بن خثيم أنه صعق. قال: ومن يروى هذا إنما كان يرويه ذاك القاص - يعنى عيسى بن سليم - فلقيته فقلت. عمن تروى أنت ذا - منكراً عليه .

قال المصنف رحمه الله قلت: فهذا سفيان الثورى ينكر أن يكون الربيع

ابن خثيم جرى له هذا لأن الرجل كـان على السمت الأول، وما كان فى الصـحابة من يجـرى له مثـل هذا ولا التابـعين. ثم نقـول على تقـدير الصحة. ان الإنسان قـد يخشى عليه من الخوف فيسـكنه الخوف ويسكنه فيبـقى كالميت وعلامة الصـادق أنه لو كان على حائط لـوقع لأنه غائب. فأما من يـدعى الوجد ويتحفظ مـن أن تزل قدمه ثم يتعـدى إلى تخريق الثياب وفعل المنكرات فى الشرع فإنا نعلم قطعاً أن الشيطان يلعب به .

وأخبرنـا أبو منصور القـزاز قال اخبرنا أحـمد بن على بن ثـابت قال أخبرنا محمد بن على بن الفتح قال اخـبرنا محمد بن الحسين النيسابورى قال سـمعت أحمد بـن محمد بـن زكريا يقول سـمعت أحمـد بن عطاء يقول: كان للشبلى يوم الجمعة نظرة ومن بعدها صيحة فصاح يوما صيحة تشوش من حوله من الخلق وكان بجنب حلقته حلقة أبى عمران الأشيب فحرد أبو عمران وأهل حلقته .

قال المصنف رحـمه الله: واعلم وفقك الله أن قلوب الصـحابة كانت أصفى الـقلوب. وما كانـوا يزيدون عند الوجـد على البكاء والخـشوع. فجـرى من بعض غرائبـهم نحو ما أنـكرناه فبالـغ رسول الله ﷺ فى الإنكار عليه. فأخبرهم محمد بـن ناصر الحافظ قال أنبأنا أحمد بن على بن خلف قـال أخبرنا أبو عـبد الله محمدبـن عبد الله الحافظ وأنـبأنا ابن الحصـين قال أنبأنـا أبو على بن المـذهب قال : أخـبرنا أبو حـفص بن شاهيـن قال حدثنا عـثمان بن أحمـد بن عبد اللـه قال حدثنا أحـمد بن محمد بن عبد الحميد الجعفى قال حدثنا عبد المتعال ابن طالب قال حدثنا يوسف بن عطيـة عن ثابت عن أنس قال. وعظنـا رسول الله ﷺ يوماً فإذا رجل قد صعـق. فقال النبى ﷺ من ذا الملبس علينـا ديننا إن كان صادقاً فقد شهـر نفسه وإن كان كاذباً فمحقه الله قـال ابن شاهين وحدثنا عبد الله بن سليـمان بن الأشعث قال حدثنا عبد الله بـن يوسف الجبيرى قال حدثنا روح بن عطاء ابن أبى ميمون عن أبيه عن أنس بن مالك. قال ذكر عنده هؤلاء الذين يصعقون عند القراءة فقال أنس: لقد رأيتنا ووعظنا رسول الله ﷺ ذات يوم حتى سمعنا للقوم حنيناً حين أخذتهم الموعظة وما سقط مبهم أحد .

قال المـصنف رحمـه الله: وهذا حديـث العرباض بن ساريـة. وعظنا

رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب. قال أبو بكر الآجرى ولم يقل صرخنا ولا ضربنا صدورنا كما يفعل كثير من الجهال الذين يتلاعب بهم الشيطان. أخبرنا عبد الله بن على المقرى قال أخبرنا أبو ياسر أحمد بن بندار ابن ابراهيم قال: أخبرنا محمد بن عمر بن بكير النجار قال أخبرنا أحمد بن جعفر ابن حمدان قال أخبرنا ابراهيم بن عبد الله البصرى قال حدثنا أبو عمر حفص ابن عبد الله الضرير قال أخبرنا خالد بن عبد الله الواسطى قال حدثنا حصين ابن عبد الرحمن. قال قلت لأسماء بنت أبى بكر. كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ وآله عند قراءة القرآن، قالت كانوا كما ذكرهم الله أو كما وصفهم عز وجل تدمع عيونهم وتقشعر جلودهم. فقلت لها إن ههنا رجالا إذا قرىء على أحدهم القرآن غشى عليه فقالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن محمد السراج نا الحسن بن على التميمى نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنا الوليد بن شجاع ثنا اسحاق الحلبى ثنا فرات عن عبد الكريم عن عكرمة قال. سألت أسماء بنت أبى بكر هل كان أحد من السلف يغشى عليه من الخوف قالت. لا ولكنهم كانوا يبكون.

أخبرنا بن ناصر نا جعفر بن أحمد نا الحسن بن على التميمى وأخبرنا محمد بن عبد الباقى بن أحمد نا حمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم الحافظ قالا أخبرنا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثنا سريج بن يونس ثنا سعيد ابن عبد الرحمن الجمحى عن أبى حازم قال. مر ابن عمر رضى الله عنه برجل ساقط من العراق. فقال. ماشأنه؟ فقالوا. إذا قرىء عليه القرآن يصيبه هذا. قال. انا لنخشى الله عز وجل وما نسقط.

أخبرنا سعيد بن أحمد بن البنا نا أبو سعد محمد بن على الرستمى نا أبو الحسين ابن بشران ثنا اسماعيل بن محمد الصفار ثنا سعدان بن نصر ثنا سفيان ابن عيينة عن عبد الله بن أبى بردة عن ابن عباس. أنه ذكر الخوارج وما يلقون عند تلاوة القرآن. فقال انهم ليسوا بأشد اجتهاداً من اليهود والنصارى وهم مضلون.

أنبأنا ابن الحصين نا أبو على بن المذهب نا أبو حفص بن شاهين ثنا محمد بن بكر ابن عبد الرازق نا ابراهيم بن فهد عن ابراهيم بن الحجاج

الشامى ثنا شبيب بن مهران عن قتادة. قال قيل لأنس بن مالك ان ناساً إذا قرىء عليهم القرآن يصعقون فقال. ذاك فعل الخوارج .

أخبرنا محمد بن ناصر نا عبد الرحمن بن أبى الحسين بن يوسف نا عمر ابن على بن الفتح نا أحمد بن محمد الكاتب ثنا عبد الله بن المغيرة ثنا أحمد بن سعيد الدمشقى قال بلغ عبد الله بن الزبير ان ابنه عامراً صحب قوماً يتصعقون عند قراءة القرآن. فقال له. يا عامر لأعرفن ما صحبت الذين يصعقون عند القرآن لأوسعك جلداً .

أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن احمد نا حمد بن احمد الحداد نا أبونعيم الحافظ ثنا سليمان بن احمد ثنا محمد بن العباس ثنا الزبير بن بكارثنى عبد الله بن مصعب بن ثابت عن عبد الله بن الزبير قال ثنى أبى عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال. جئت إلى أبى فقال لى. أين كنت فقلت. وجدت أقواماً ما رأيت خيراً منهم. يذكرون الله عز وجل فيرعد أحدهم حتى يخشى عليه من خشية الله عز وجل فقعدت معهم قال. لا تقعد معهم بعدها. فرآنى كأنى لم يأخذ ذلك فىّ فقال . رأيت رسول الله ﷺ يتلو القرآن ورأيت أبا بكر وعمر يتلو ان القرآن ولا يصيبهم هذا أفتراهم أخشع لله من أبى بكر وعمر. فرأيت أن ذلك كذلك فتركتهم .

أخبرنا محمد بن عبد الباقى نا حمد بن احمد نا أبو نعيم الحافظ نا محمد بن احمد فى كتابه ثنا محمد بن أيوب ثنا حفص بن عمر النميرى ثنا حماد بن زيد ثنا عمرو بن مالك قال: بينا نحن عند أبى الجوزاء يحدثنا إذ خر رجل فاضطرب فوثب أبو الجوزاء يسعى قبله فقيل له، يا أبا الجوزاء، انه رجل به الموتة. فقال: إنما كنت أراه من هؤلاء القفارين ولو كان منهم لأمرت به فاخرج من المسجد إنما ذكرهم الله تعالى فقال ﴿تفيض أعينهم من الدمع﴾ أو قال: ﴿ تقشعر جلودهم ﴾ .

أخبرنا أبو محمد بن على المقرى نا احمد بن بندار بن ابراهيم نا محمد بن عمر بن بكير النجار نا احمد بن جعفر بن حمدان ثنا ابراهيم بن عبد الله البصرى ثنا أبو عمر حفص بن عمر الضرير نا حماد بن زيدنى عمر بن مالك البكرى قال قرأ قارىء عند أبى الجوزاء قال فصاح رجل من

أخريات الصفوف أو قال من القوم. فقام اليه أبو الجوزاء فقيل له. يا أبا الجوزاء انه رجل به شيء فقال طبيب انه من هؤلاء النفارين فلو كان منهم لوضعت رجلي على عنقه. وقال أبو عمر أخبرنا جرير بن حازم انه شهد محمد بن سيرين وقيل له أن ههنا رجالا إذا قرىء على أحدهم القرآن غشي عليه. فقال محمد بن سيرين. يقعد أحدهم على جدار ثم يقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره فان وقع فهو صادق قال أبو عمرو. وكان محمد بن سيرين يذهب الى أن هذا تصنع وليس بحق من قلوبهم.

أخبرنا محمد بن عبد الباقى ثنا حمد بن احمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا أبو محمد ابن حبان ثنا محمد بن العباس ثنا زياد عن يحيى عن عمران ابن عبد العزيز قال سمعت محمد بن سيرين وسئل عن من يستمع القرآن فيصعق. فقال ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن من أوله إلى آخره فان سقطوا فهم كما يقولون.

أخبرنا ابن ناصر نا أبو طاهر عبد الرحمن بن أبى الحسين بن يوسف نا محمد بن على العشارى نا محمد بن عبد الله الدقاق نا الحسين بن صفوان ثنا أبو بكر القرشي محمد بن على عن ابراهيم بن الأشعث. قال سمعت أبا عصام الرملي عن رجل عن الحسن انه وعظ يوماً فتنفس رجل في مجلسه. فقال الحسن إن كان لله تعالى فقد شهرت نفسك، وإن كان لغير الله فقد هلكت .

أخبرنا بن ناصر نا جعفر بن احمد نا الحسن بن على نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله ابن احمد ثنى أبى ثنا روح ثنا السرى بن يحيى ثنا عبدالكريم بن رشيد قال. كنت في حلقة الحسن فجعل رجل يبكى وارتفع صوته. فقال الحسن إن الشيطان ليبكى هذا الآن .

أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو غالب عمر بن الحسين الباقلانى نا أبو العلاء الواسطي نا محمد بن الحسين الأزدى ثنا ابراهيم بن رحمون ثنا اسحق بن ابراهيم البغدادى قال سمعت أبا صفوان يقول قال الفضيل بن عياض لابنه وقد سقط يا بنى إن كنت صادقاً لقد فضحت نفسك وإن كنت كاذباً فقد أهلكت نفسك .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه ثنا

محمد بن احمد النجار ثنا المرتعش قال رأيت أبا عثمان سعيد بن عثمان الواعظ وقد تواجد إنسان بين يديه. فقال له. يا بنى إن كنت صادقاً فقد أظهرت كل مالك، وإن كنت كاذباً فقد أشركت بالله .

فصل

قال المصنف رحمه الله: فان قال قائل إنما يفرض الكلام وفى الصادقين لا فى أهل الرياء . فما تقول فيمن أدركه الوجد ولم يقدر على دفعه فالجواب إن أول الوجد إنزعاج فى الباطن فان كف الانسان نفسه كيلا يطلع على حاله يئس الشيطان منه فبعد عنه كما كان أيوب السختيانى إذا تحدث فرق قلبه مسح أنفه وقال ما أشد الزكام. وان أهمل الانسان نفسه ولم يبال بظهور وجده أو أحب اطلاع الناس على نفسه نفخ فيه الشيطان فانزعج على قدر نفخه، كما أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله ثنى أبى ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن يحيى بن الخراز عن ابن أخى زينب عن امرأة عبد الله قالت جاء عبد الله ذات يوم وعندى عجوز ترقينى من الحمرة فأدخلتها تحت السرير. قالت فدخل فجلس إلى جنبى فرأى فى عنقى خيطاً. فقال ما هذا الخيط. قلت خيط رقى لى فيه رقية فأخذه وقطعه ثم قال إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك. سمعت رسول الله ﷺ يقول إن فى الرقى والتمائم والتولة شركا قالت فقلت له لم تقول هذا، وقد كانت عينى تقذف وكنت أختلف إلى فلان اليهودى يرقيها فكان إذا رقاها سكنت قال إنما ذاك من عمل الشيطان كان ينخسها بيده فاذا رقيتها كف عنها إنما كان يكفيك أن تقولى كما قال رسول الله ﷺ أذهب الباس رب الناس اشف أنت الشافى لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً .

قال المصنف رحمه الله: التولة - ضرب من السحر يحبب المرأة الى زوجها. أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن احمد نا الحسن بن عبد الملك بن يوسف نا أبو محمد الخلال ثنا أبو عمر بن حياة ثنا أبو بكر بن أبى داود ثنا هارون ابن زيد عن أبى الزرقاء ثنا أبى قال ثنا سفيان عن عكرمة بن عمار عن شعيب ابن أبى السنى عن أبى عيسى أو عيسى. قال. ذهبت إلى عبد الله بن عمر فقال أبو السوار يا أبا عبد الرحمن ان قوماً عندنا إذا قرىء عليهم القرآن يركض أحدهم من خشية الله. قال كذبت. قال

بلى ورب هذه البنية. قال ويحك إن كنت صـادقاً فان الشيطان ليدخل جوف أحدهم. والله ما هكذا كان أصحاب محمد ﷺ .

فصل

فإن قال قائل. فنفرض أن الكلام فيمن اجتهد فى دفع الوجد فلم يقدر عليه وغلبه الأمر فمن أين يدخل الشيطان فالجواب إنا لا ننكر ضعف بعض الطباع عن الدفع إلا أن علامة الصادق انه لا يقدر على أن يدفع، ولا يدرى ما يجرى عليه فهو من جنس قوله عز وجل: ﴿ **فخر موسى صعقا** ﴾.

وقد أخبرنا محمد بن عبد الباقى نا حمد بن احمد نا احمد بن عبد الله ثنا ابراهيم ابن عبد الله ثنا محمد بن إسحق الثقفى ثنى حاتم بن الليث الجوهرى ثنا خالد بن خداش. قال. قرىء على عبد الله بن وهب كتاب أهوال القيامة. فخر مغشياً عليه فلم يتكلم بكلمة حتى مات بعد ذلك بأيام.

قال المصنف رحمه الله: قلت وقد مات خلق كثير من سماع الموعظة وغشى عليهم قلنا، هذا التواجد الذى يتضمن حركات المتواجدين وقوة صياحهم وتخبطهم فظاهره انه متعمل والشيطان معين عليه .

قال المصنف رحمه اللّه: فان قيل فهل فى حق المخلص نقص بهذه الحالة الطارئة عليه قيل. نعم من جهتين. أحدهما انه لو قوى العلم أمسك. والثانى انه قد خولف به طريق الصحابة والتابعين ويكفى هذا نقصاً .

أخبرنا عبد الله بن على المقرى نا هبة الله بن عبد الرزاق السنى وأخبرنا سعيد بن احمد بن البنا نا أبو سعد محمد بن على الرستمى قالا نا أبوالحسين ابن بشران نا أبو على اسماعيل بن محمد الصفار ثنا سعدان بن نصر ثنا سفيان ابن عيينة قال سمعت خلف بن حوشب يقول. كان خوات يرعد عند الذكر فقال له ابراهيم. إن كنت تملكه فما أبالى أن لا أعتد بك. وإن كنت لا تملكه فقد خالفت من كان قبلك. وفى رواية فقد خالفت من هو خير منك .

قال المصنف رحمه الله: قلت ابراهيم هو النخعى الفقيه، وكان متمسكا

بالسنة شديد الاتباع للأثر. وقد كان خوات من الصالحين البعداء عن التصنع وهذا خطاب ابراهيم له. فكيف بمن لا يخفى حاله فى التصنع .

فصل

فاذا طرب أهل التصوف لسماع الغناء صفقوا. أخبرنا محمد بن عبدالباقى نا رزق الله بن عبد الوهاب التميمى نا أبو عبد الرحمن السلمي. قال سمعت أبا سليمان المغربى يقول سمعت أبا على بن الكاتب يقول كان ابن بنان يتواجد وكان أبو سعيد الخراز يصفق له .

قال المصنف رحمه الله : قلت والتصفيق منكر يطرب ويخرج عن الاعتدال وتتنزه عن مثله العقلاء، ويتشبه فاعله بالمشركين فيما كانوا يفعلونه عند البيت من التصدية. وهى التى ذمهم الله عز وجل بها فقال. ﴿**وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية**﴾ - فالمكاء الصفير - والتصدية - التصفيق. أخبرنا عبد الوهاب الحافظ نا أبو الفضل بن حيرون نا أبو على بن شاذان نا احمد ابن كامل ثنى محمد بن سعد ثنى أبى ثنى عمى عن أبيه عن جده عن بن عباس «**إلا مكاء**» يعنى التصفير «**وتصدية**» يقول التصفيق .

قال المصنف رحمه الله : قلت وفيه أيضاً تشبه بالنساء والعاقل يأنف من أن يخرج عن الوقار إلى أفعال الكفار والنسوة .

فصل

فاذا قوى طربهم رقصوا وقد احتج بعضهم بقوله تعالى لأيوب: ﴿**أركض برجلك**﴾.

قال المصنف رحمه الله: قلت وهذا الاحتجاج بارد لأنه لو كان أمر بضرب الرجل فرحاً كان لهم فيه شبهة وإنما أمر بضرب الرجل لينبع الماء. قال بن عقيل أين الدلالة فى مبتلى أمر عند كشف البلاء بأن يضرب برجله الأرض لينبع الماء إعجازاً من الرقص. ولئن جاز أن يكون تحريك رجل قد أنحلها تحكم الهوام دلالة على جواز الرقص فى الأسلام جاز أن يجعل قوله تعالى لموسى «اضرب بعصاك الحجر» دلالة على ضرب الجماد بالقضبان نعوذ بالله من التلاعب بالشرع، واحتج بعض ناصريهم بأن رسول الله ﷺ قال لعلى: أنت منى وأنا منك - فحجل وقال لجعفر -

أشبهت خلقى وخلقى - فحجل وقال لزيد: أنت أخونا ومولانا - فحجل
ومنهم من احتج بأن الحبشة زفنت والنبى ﷺ ينظر اليهم. فالجواب:
أما الحجل فهو نوع من المشى يفعل عند الفرح فأين هو من الرقص،
وكذلك زفن الحبشة نوع من المشى بتشبيب يفعل عند اللقاء بالحرب.

واحتج لهم أبو عبد الرحمن السلمى على جواز الرقص بما أخبرنا به أبو نصر محمد ابن منصور الهمدانى نا اسماعيل بن احمد بن عبد الملك المؤذن نا أبو صالح احمد بن عبد الملك وأبو سعيد محمد بن عبد العزيز وأبو محمد عبد الحميد بن عبدالرحمن قالوا ثنا أبو عبد الرحمن السلمى ثنا أبو العباس احمد ابن سعيد المعدانى ثنا محمد بن سعيد المروزى ثنا عباس الرقيقى ثنا عبدالله بن عمر الوراق ثنا الحسن بن على بن منصور ثنا أبو عتاب المصرى عن ابراهيم ابن محمد الشافعى أن سعيد بن المسيب مر فى بعض أزقة مكة فسمع الأخصر الحداء يتغنى فى دار العاص بن وائل بهذا:

تضوع مسكا بطن نعمان أن مشت   به زينب فى نسوة عطرات

فلما رأت ركب النميرى أعرضت   وهن من أن يلقينه حذرات

قال فضرب برجله الأرض زماناً وقال هذا مما يلذ سماعه. وكانوا يروون الشعر لسعيد ابن المسيب. قال المصنف قلت: هذا إسناده مقطوع مظلم لا يصح عن ابن المسيب، ولا هذا شعره. كان ابن المسيب أوقر من هذا، وهذه الأبيات مشهورة لمحمد بن عبد الله ابن نمير النميرى الشاعر ولم يكن نمرياً وإنما نسب إلى اسم جده وهو ثقفى وزينب التى يشبب بها هى بنت يوسف أخت الحجاج، وسأله عبد الملك بن مروان عن الركب ما كان، فقال: كانت أحمرة عجافاً حملت عليها قطراناً من الطائف فضحك وأمر الحجاج أن لا يؤذيه.

قال المصنف رحمه الله: ثم لو قدر نا أن ابن المسيب ضرب برجله الأرض فليس فى ذلك حجة على جواز الرقص، فان الانسان قد يضرب الأرض برجله أو يدقها بيده لشىء يسمعه ولا يسمى ذلك رقصاً. فما أقبح هذا التعلق وأين ضرب الأرض بالقدم مرة أو مرتين من رقصهم الذى يخرجون به عن سمت العقلاء، ثم دعونا من الاحتجاج تعالوا نتقاضى إلى العقول أى معنى فى الرقص إلا اللعب الذى يليق بالأطفال،

وما الذى فيه من تحريك القلـوب إلى الآخرة . هذه والله مكبر باردة ولقد حدثنى بعض المشايخ عن الغزالى أنه قـال: الرقص حماقة بين الكتفين لا تزول إلا بالتعب، وقـال أبوالوفاء ابن عقيل. قد نص الـقرآن على النهى عن الرقص. فقال عز وجل: ﴿لا تمـش فى الأرض مرحاً﴾. وذم المختال فقال تعالى «إنه لا يحب كل مخـتال فخور» والرقص أشد المرح والبطر أو لسنا الذين قسنا الـنبيذ على الخمر لا تفاقهمـا فى الاطراب والسكر. فما بالنا لا نقيس القضـيب وتلحين الشعر معه على الطـنبور والمزمار والطبل لاجتماعـهما فى الاطراب، وهل شىء يزرى بالعقـل والوقار ويخرج عن سمـت الحلم والأدب أقبح مـن ذى لحية يـرقص فكيف اذا كـانت شيـبة ترقص وتصفق علـى وقاع الألحان والقضبان خصـوصاً اذا كانت أصوات نسوان ومردان وهل يحسن بمن بين يـديه الموت والسؤال والحشر والصراط ثم هو الى إحدى الدارين صائران يشمس بالـرقص شمس البهائم ويصفق تصفيق النسوة والله لقد رأيت مشايخ فى عصرى ما بان لهم سن فى تبسم فضـلا عن ضحك مع إدمـان مخالطـتى لهم. كالـشيخ أبى القـاسم بن زيدان، وعـبـد الملك ابـن بشران ، وأبـى طاهر بـن العـلاف، والجنيـد والدينورى .

فصل

فاذا تمكن الطرب من الـصوفية فى حال رقصهـم جذب أحدهم بعض الجلوس ليقوم معه. ولا يجوز على مذهـبهم للمجذوب أن يقعد فاذا قام قام البـاقون تبعاً لـه. فاذا كشف أحدهم رأسـه كشف الباقـون رؤوسهم موافقة لـه، ولا يخفى على عاقل أن كشـف الرأس مستقبح وفـيه إسقاط مروءة وترك أدب، وإنما يقع فى المناسك تعبداً لله وذلا له .

فصل

فاذا اشتد طربهم رموا ثيابهم على المغـنى فمنهم من يرمى بها صحاحاً ومنهم من يخرقـها ثم يرمى بها وقد احتج لهم بعض الجـهال فقال هؤلاء فى غيبة فلا يلامون فان موسى عليه السلام لما غلب عليه الغم بعبادة قومه العجل رمى الألـواح فكسرها ولم يدر ما صنع: والجـواب، أن نقول من يصحح عـن موسى بأنه رماها رمى كـاسر والذى ذكر فى القـرآن إلقاءها

فحسب فمن أين لنا أنها تكسرت، ثم لو قيل تكسرت فمن أين لنا انه قصد كسرها ثم لو صححنا ذلك عنه قلنا. كان فى غيبة حتى لو كان بين يديه حينئذ بحر من نار لخاضه ومن يصحح لهؤلاء غيبتهم وهم يعرفون المغنى من غيره ويحذرون من بئر إن كانت عندهم. ثم كيف يقاس أحوال الأنبياء على أحوال هؤلاء السفهاء ولقد رأيت شاباً من الصوفية يمشى فى الأسواق ويصيح والغلمان يمشون خلفه وهو يبربر ويخرج إلى الجمعة فيصيح صيحات وهو يصلى الجمعة فسئلت عن صلاته، فقلت: إن كان وقت صياحه غائباً فقد بطل وضوءه وإن كان حاضراً فهو متصنع وكان هذا الرجل جلداً لا يعمل شيئاً بل يدار له بزنبيل فى كل يوم فيجمع له ما يأكل هو وأصحابه فهذه حالة المتأكلين لا المتوكلين. ثم لو قدرنا أن القوم يصيحون عن غيبة فان تعرضهم لما يغطى على العقول من سماع ما يطرب منهى عنه كالتعرض لكل ما غالبه الأذى وقد سئل ابن عقيل عن تواجدهم وتخريق ثيابهم فقال خطأ وحرام وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال وعن شق الجيوب فقال له قائل. فإنهم لا يعقلون ما يفعلون. قال إن حضروا هذه الأمكنة مع علمهم أن الطرب يغلب عليهم فيزيل عقولهم اثموا بما يدخل عليهم من التخريق وغيره مما يفسد ولا يسقط عنهم خطاب الشرع لأنهم مخاطبون قبل الحضور بتجنب هذه المواضع التى تفضى إلى ذلك كما هم منهيون عن شرب المسكر فإذا سكروا وجرى منهم إفساد الأموال لم يسقط الخطاب لسكرهم كذلك هذا الطرب الذى يسميه أهل التصوف وجداً إن صدقوا فيه فسكر طبع وإن كذبوا فنبيذ ومع الصحو فلا سلامة فيه مع الحالين وتجنب مواضع الريب واجب. واحتج لهم ابن طاهر فى تخريقهم الثياب بحديث عائشة رضى الله عنها قالت. نصبت حجلة لى فيها رقم فمدها النبى ﷺ فشقها.

قال المصنف رحمه الله: فانظر إلى فقه هذا الرجل المسكين كيف يقيس حال من يمزق ثيابه فيفسدها وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال على مد ستر ليحط فانشق لا عن قصد. أو كان عن قصد لأجل الصور التى كانت فيه: وهذا من التشديد فى حق الشارع عن المنهيات كما أمر بكسر الدنان فى الخمور فإن ادعى مخرق ثيابه أنه غائب قلنا الشيطان غيبك لأنك لو كنت مع الحق لحفظك فإن الحق لا يفسد.

وقد أخبرنا محمد بن أبى القاسم نـا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا مـحمد ابن علـى بن حشيش ثـنا عبد الله بن الـصقر ثنا الـصلت بن مسعود ثـنا جعفر بن سليمـان قال سمعت أبا عمران الجـونى يقول وعظ موسى بن عمران عليه السلام يوماً فشق رجل منهم قميصه فأوحى الله عز وجل لموسى قل لصاحب القميص لا يشق قميصه. أيشرح لى عن قلبه .

فصل

وقد تكلم مـشايخ الصوفية فى الخـرق المرمية. فقال محـمد بن طاهر الدليل على أن الخرقة إذا طرحت صارت ملـكا لمن طرحت بسببه حديث جرير جاء قوم مجتابى النمار فحض رسول الله ﷺ على الصدقة فجاء رجل من الأنصار بصرة فتتابع النـاس حتى رأيت كومين من ثياب وطعام قال والدلـيل على أن الجمـاعة إذا قدمـوا عند تفريـق الخرقة أسـهم لهم حديث أبى موسى قدم على رسول الله ﷺ بغنيمة وسلب فأسهم لنا .

قال المصنف رحمـه الله: لقد تلاعب هذا الرجل بالشريعـة واستخرج بسوء فهمه ما يظنه يوافق مذهب المتأخرين من الصوفية. فإنا ما عرفنا هذا فى أوائلهم وبيان فساد استـخراجه أن هذا الذى خرق الثوب ورمى به إن كان حاضراً فما جازله تخريقه وإن كان غائبا فليس له تصرف جائز شرعاً لا هبة ولا تمليكا. وكـذلك يزعمون بأن ثوبه كان كـالشىء الذى يقع من الأنسان ولا يدرى به فـلا يجوز لأحد أن يتملكه وإن كـان رماه فى حال حضوره لا على أحد فلا وجه لتملكه ولو رماه على المغنى لم يتملكه لأن التملك لا يكون إلى بـعقد شرعى والرمى ليس بعقـد: ثم نقدر أنه ملك للمغنـى فما وجه تصرف البـاقين فيه. ثم إذا تـصرفوا فيه خرقـوه خرقاً وذلك لا يجوز لوجهين: أحدهما انه تصرف فيما لا يملكونه : والثانى أنه إضاعه للمال . ثم ما وجه أسهام مـن لم يحضر فأما حديث أبى موسى فقال العلماء منهم الخطابـى يحتمل أن يكون رسول الله ﷺ أجازه عن رضى ممن شـهد الواقـعة أو من الخـمس الذى هو حـقه. وعلى مـذهب الصـوفية تـعطى هذه الخـرقة لمن جـاء. وهذا مذهـب خارج عن إجـماع المسلمين وما أشبه ما وضع هؤلاء بأرائهم الفاسدة إلا بما وضعت الجاهلية من أحكـام البحـيرة والسـائبة والوصـيلة والحام. قـال ابن طاهر أجـمع مشايخنا على أن الخرقة المخرقة وما انبعث من الخرقة الصحاح الموافقة لها

ان ذلك كله يكـون بحكم الجمع يفـعلون فيه مـا يراه المشايخ. واحـتجوا بقول عـمر رضى الله عنه: الغنيـمة لمن شهد الواقـعة. وخالفهم شـيخنا أبواسماعيل الانصارى فجعل الخرقـة على ضربين. ما كان مجروحا قسم على الجميع وماكان سليما دفع إلـى القوال واحتج بحديث سلمة من قتل الرجل ؟ قالوا: سلمـة ابن الأكوع: قال له سلبه أجمع. فـالقتل إنما وجد من جهة القوال فالسلب له .

قال المصنف رحمه الله: أنظروا إخوانـى عصمنا الله وإياكم من تلبيس إبليس إلـى تلاعب هؤلاء الجهـلة بالشريـعة وإجمـاع مشايخـهم الذى لا يساوى إجمـاعهم بعرة فان مشايـخ الفقهاء أجمعـوا على أن الموهوب لمن وهب له سواء كان مخرقاً أو سليما ولا يـجوز لغيره التصرف فيه: ثم إن سلب القتيل كل مـا عليه فما بالهم جعلوه ما رمـى به ثم ينبغى أن يكون الأمر على عكس ما قاله الأنصارى لأن المجروح من الثياب ما كان بسبب الوجد فينبـغى أن يكون المجروح للمغنى دون الصحـيح وكل أقوالهم فى هذا محال وهذيان وقـد حكى لى أبو عبد الله التكريتـى الصوفى عن أبى الفتوح الاسفراينى وكنت أنا قد رأيته وأنا صغير السن وقد حضر فى جمع كثيـر فى رباط وهناك المخاد والـقضبان ودف بجـلاجل فقام يرقـص حتى وقعت عمامته فبقى مكشوف الرأس قال التكريتى إنه رقص يوماً فى خف له ثم ذكـر أن الرقص فى الخف خطـأ عند القوم فـانفرد وخلعـه ثم نزع مطرفا كان عليه فوضعه بين أيهديهم كـفارة لتلك الجناية فاقتسموه خرقا، قال ابن طاهر: والدليـل على أن الذى يطرح الخرقة لا يجوز أن يشـتريها من الجمع حديث عمر لا تعودن فى صدقتك .

قال المصنف: أنظر إلى بعد هذا الرجل عـن فهم معانى الأحاديث فان الخرقة المطروحة باقية على ملك صاحبها فلا يحتاج إلى أن يشتريها .

فصل

وأما تقطـيعهم الثـياب المطروحة خـرقاً وتفريفـها فقد بيـنا أنه إن كان صاحب الثوب رماه إلى المغنى لم يملكه بنفس الرمى حتى يملكه إياه فإذا ملكه إياه فما وجه تـصرف الغير فيه. ولقد شهدت بعض فـقهائهم يخرق الثياب ويقسمـها ويقول هذه الخرق ينتفع بها وليس هـذا بتفريط، فقلت:

وهل التفريط إلا هذا، ورأيت شيخاً آخر منهم يقول خرقت خرقاً فى بلدنا فأصاب رجل منها خريقة فعملها كنفا فباعه بخمسة دنانير فقلت له: إن الشرع لا يجيز هذه الرعونات لمثل هذه النوادر. وأعجب من هذين الرجلين أبو حامد الطوسى فانه قال: يباح لهم تمزيق الثياب إذا خرقت قطعاً مربعة تصلح لترقيع الثياب والسجادات فان الثوب يمزق حتى يخلط منه قميص ولا يكون ذلك تضييعاً ولقد عجبت من هذا الرجل كيف سلبه حب مذهب التصوف عن أصول الفقه ومذهب الشافعى فنظر إلى انتفاع خاص ثم ما معنى قوله مربعة فان المطاولة ينتفع بها أيضاً ثم لو مزق الثوب قرامل لانتفع بها ولو كسر السيف نصفين لانتفع بالنصف غير أن الشرع يتلمح الفوائد العامة ويسمى ما نقص منها للانتفاع إتلافا ولهذا ينهى عن كسر الدرهم الصحيح لأنه يذهب منه قيمة بالإضافة إلى المكسور وليس العجب من تلبيس إبليس على الجهال منهم بل على الفقهاء الذين اختاروا بدع الصوفية على حكم أبى حنيفة والشافعى ومالك وأحمد رضوان الله عليهم أجمعين.

فصل

ولقد أغربوا فيما ابتدعوا. وأقام لهم الأعذار من إلى هواهم مال. ولقد ذكر محمد بن طاهر فى كتابه باب السنة فى أخذ شيء من المستغفر، واحتج بحديث كعب بن مالك فى توبته: يجزئك الثلث ثم قال باب الدليل على أن من وجبت عليه غرامة فلم يؤدها ألزموه أكثر منها. واستدل بحديث معاوية بن جعدة عن النبى ﷺ أنه قال فى الزكاة «من منعها فانا آخذها وشطر ماله».

قال المصنف رحمه الله: قلت فانظر إلى تلاعب هؤلاء وجهل هذا المحتج لهم وتسمية ما يلزم بعضهم بما لا يلزمه غرامة وتسمية ذلك واجباً وليس لنا غرامة ولا وجوب إلا بالشرع ومتى اعتقد الإنسان ما ليس بواجب واجباً كفر. ومن مذهبهم كشف الرؤوس عند الاستغفار وهذه بدعة تسقط المروءة وتنافى الوقار ولولا ورود الشرع بكشفه فى الاحرام ما كان له وجه. وأما حديث كعب بن مالك فإنه قال إن من توبتى ان أنخلع من مالى، فقال له رسول الله ﷺ «يجزئك الثلث الا على سبيل الالزام له. وإنما تبرع بذلك فأخذه منه وأين إلزام الشرع تارك الزكاة مما يزيد عليها

عقوبة من إلزامهم المريد غرامة لا تجب عليه فإذا امتنع ضاعفوها وليس اليهم الإلزام إنما ينفرد بالالزام الشرع وحده. وهذا كله جهل وتلاعب بالشريعة فهؤلاء الخوارج عليها حقا .

ذكر تلبيس إبليس على كثير من الصوفية فى صحبة الأحداث

قال المصنف: إعلم أن أكثر الصوفية المتصوفة قد سدوا على انفسهم باب النظر إلى النساء الأجانب لبعدهم عن مصاحبتهن وامتناعهم عن مخالطتهن واشتغلوا بالتعبد عن النكاح واتفقت صحبة الأحداث لهم على وجه الإرادة وقصد الزهادة فأمالهم إبليس اليهم، واعلم أن المتصوفة فى صحبة الأحداث على سبعة أقسام: القسم الأول أخبث القوم وهم ناس تشبهوا بالصوفية ويقولون بالحلول. أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن أحمد بن سليمان نا أبو على الحسين بن محمد بن الفضل الكرمانى نا سهل بن على الخشاب نا أبو نصر عبد الله بن على السراج قال بلغنى أن جماعة من الحلولية زعموا أن الحق تعالى اصطفى أجساما حل فيها بمعانى الربوبية، ومنهم من قال هو حال فى المستحسنات، وذكر أبو عبد الله بن حامد من أصحابنا. أن طائفة من الصوفية قالوا انهم يرون الله عز وجل فى الدنيا وأجازوا أن يكون فى صفة الآدمى ولم يأبوا كونه حالا فى الصورة الحسنة حتى استشهدوه فى رؤيتهم الغلام الأسود. القسم الثانى: قوم يتشبهون بالصوفية فى ملبسهم، ويقصدون الفسق. القسم الثالث: قوم يستبيحون النظر إلى المستحسن. وقد صنف أبو عبد الرحمن السلمى كتاباً سماه سنن الصوفية فقال فى أواخر الكتاب: باب فى جوامع رخصهم فذكر فيه الرقص والغناء والنظر إلى وجه الحسن. وذكر فيه ما روى عن النبى عليه السلام أنه قال: اطلبوا الخير عند حسان الوجوه، وانه قال: ثلاثة تجلو البصر: النظر إلى الخضرة والنظر إلى الماء والنظر إلى الوجه الحسن .

قال المصنف رحمه الله: وهذان الحديثان لا أصل لهما عن رسول ﷺ أما الحديث الأول فأخبرنا به عبد الأول بن عيسى نا عبد الرحمن بن محمد بن المظفر نا عبد الله ابن احمد بن حمويه نا ابراهيم بن خزيم ثنا عبد بن حميد ثنا يزيد بن هرون ثنا محمد ابن عبد الرحمن بن المخير عن نافع عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال. اطلبوا الخير عند حسان

الوجوه. قال يحيى بن معين محمد بن عبد الرحمن ليس بشيء. قال المصنف قلت وقد روى هذا الحديث من طرق قال العقيلى لا يثبت عن النبى عليه السلام فى هذا شيء، وأما الحديث الآخر فأنبأنا أبو منصور بن حيرون نا احمد بن على بن ثابت نى احمد بن محمد بن يعقوب نا محمد بن نعيم الضبى نا أبو بكر محمد بن احمد ابن هارون نا احمد ابن عمر بن عبيد الريحانى قال سمعت أبا البخترى وهب بن وهب يقول: كنت أدخل على الرشيد وابنه القاسم بين يديه فكنت أدمن النظر اليه فقال: أراك تدمن النظر إلى القاسم تريد أن تجعل انقطاعه اليك. قلت أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن ترمينى بما ليس فىّ. وأما ادمان النظر اليه فان جعفراً الصادق ثنا عن أبيه عن جده على بن الحسين عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ . ثلاث يزدن فى قوة النظر. النظر إلى الخضرة وإلى الماء الجارى وإلى الوجه الحسن .

قال المصنف رحمه الله: هذا حديث موضوع ولا يختلف العلماء فى أبى البخترى انه كذاب وضاع، واحمد بن عمر بن عبيد أحد المجهولين، ثم قد كان ينبغى لأبى عبد الرحمن السلمى إذ ذكر النظر إلى المستحسن أن يقيده بالنظر إلى وجه الزوجة أو المملوكة فأما اطلاقه ففيه سوء ظن. وقال شيخنا محمد بن ناصر الحافظ كان ابن طاهر المقدسى قد صنف كتابا فى جواز النظر إلى المرد.

قال المصنف رحمه الله: قلت والفقهاء يقولون من ثارت شهوته عند النظر إلى الأمرد حرم عليه أن ينظر اليه ومتى ادعى الانسان انه لا تثور شهوته عند النظر إلى الأمرد المستحسن فهو كاذب وإنما أبيح على الاطلاق لئلا يقع الحرج فى كثرة المخالطة بالمنع فاذا وقع الإلحاح فى النظر دل على العمل بمقتضى ثوران الهوى. قال سعيد بن المسيب اذا رأيتم الرجل يلح النظر الى غلام أمرد فاتهموه. القسم الرابع قوم يقولون نحن لا ننظر نظر شهوة وانما ننظر نظر اعتبار فلا يضرنا النظر وهذا محال منهم فإن الطباع تتساوى فمن ادعى تنزه نفسه عن أبناء جنسه فى الطبع ادعى المحال وقد كشفنا هذا فى أول كلامنا فى السماع. أخبرتنا شهدة بنت احمد الأبرى قالت باسناد مرفوع الى محمد بن جعفر الصوفى قال قال أبو حمزة الصوفى حدثنى عبد الله بن الزبير الحنفى قال كنت جالساً مع أبى النضر

الغنوى وكان من المبرزين العابدين فنظر الى غلام جميل فلم تزل عيناه واقعتين عليه حتى دنا منه فقال سألتك بالله السميع وعزه الرفيع وسلطانه المنيع الا وقفت علىّ أروى من النظر اليك فوقف قليلا ثم ذهب ليمضى فقال له سألتك بالحكيم المجيد الكريم المبدى المعيد ألا ما وقفت فوقف ساعة فأقبل يصعد النظر اليه ويصوبه ثم ذهب ليمضى فقال سألتك بالواحد الأحد الجبار الصمد الذى لم يلد ولم يولد إلا وقفت فوقف ساعة فنظر اليه طويلا ثم ذهب ليمضى فقال سألتك باللطيف الخبير السميع البصير وبمن ليس له نظير إلا وقفت فوقف فأقبل ينظر اليه ثم أطرق رأسه الى الأرض ومضى الغلام فرفع رأسه بعد طويل وهو يبكى فقال قد ذكرنى هذا بنظرى اليه وجهاً جل عن التشبيه وتقدس عن التمثيل وتعاظم عن التحديد والله لأجهدن نفسى فى بلوغ رضاه بمجاهدتى جميع أعدائه وموالاتى لأوليائه حتى أصير الى ما أودته من نظرى الى وجهه الكريم وبهائه العظيم. ولوددت أنه قد أرانى وجهه وحبسنى فى النار ما دامت السموات والأرض ثم غشى عليه. وحدثنا محمد بن عبد الله الفزارى قال سمعت خيراً النساج يقول كنت مع محارب بن حسان الصوفى فى مسجد الخيف ونحن محرمون فجلس الينا غلام جميل من أهل المغرب فرأيت محارباً ينظر اليه نظراً أنكرته فقلت له: بعد أن قام انك محرم فى شهر حرام فى بلد حرام فى مشعر حرام وقد رأيتك تنظر الى هذا الغلام نظراً لا ينظره إلا المفتونون. فقال لى تقول هذا: يا شهوانى القلب والطرف ألم تعلم انه قد منعنى من الوقوع فى شرك إبليس ثلاث فقلت وما هى قال سر الإيمان وعفه الاسلام وأعظمها الحياء من الله تعالى أن يطلع علىّ وأنا جاثم على منكر نهانى عنه ثم صعق حتى اجتمع الناس علينا.

قال المصنف رحمه الله: قلت انظروا الى جهل الأحمق الأول ورمزه الى التشبيه وإن تلفظ بالتنزيه والى حماقة هذا الثانى الذى ظن أن المعصية هى الفاحشة فقط وما علم أن نفس النظر بشهوة يحرم. ومحا عن نفسه أثر الطبع بدعواه التى تكذبها شهوة النظر. وقد حدثنى بعض العلماء أن صبياً أمرد حكى له قال قال لى فلان الصوفى وهو يحبنى: يا بنى لله فيك اقبال والتفات. حيث جعل حاجتى اليك. وحكى ان جماعة من الصوفية دخلوا على احمد الغزالى وعنده أمرد وهو خال به وبينهما ورد وهو ينظر

الى الورد تارة. والى الأمـرد تارة فلما جلسوا قـال بعضهم لعلـنا كدرنا. فقال: أى والله فتصايح الجماعة على سبيل التواجد .

وحكى أبو الحسين بن يوسف انه كتـب إليه فى رقعة انك تحب غلامك التركى فقـرأ الرقعة ثم استدعـى الغلام فصعد اليـه النظر فقبله بين عـينيه وقال هذا جواب الرقعة .

قال المـصنف رحـمه الله: قلت انـى لا أعجب مـن فعل هـذا الرجل وإلقائه جلباب الحـياء عن وجهه وإنما أعجب من البهائـم الحاضرين كيف سكتوا عن الانكار علـيه ولكن الشريعة بردت فى قلوب كـثير من الناس. وأخبرنا أبو القاسم الحريرى أنبأنـا أبو الطيب الطبرى قال: بلغنى عن هذه الطائفـة التى تسمع السـماع انها تضـيف اليه النظر الى وجـه الأمرد وربما زينته بالحلى والمصبغات من الثياب والحواشى وتزعم أنها تقصد به الازدياد فى الإيمان بالنظر والاعتبار والاستدلال بالصنعة على الصانع وهذه النهاية فى متابعـة الهوى ومخادعة العـقل ومخالفة العلـم قال الله تعالى ﴿**وفى أنفسكم أفـلا تبصرون**﴾ وقال ﴿ **أفلا ينظرون إلى الإبـل كيف خلقت** ﴾ وقال: ﴿ **أو لم ينظـروا فى ملكوت السموات والأرض** ﴾ فعدلـوا عما أمرهم الله به من الاعتـبار إلى ما نهاهم عنه، وإنما تفعـل هذه الطائفة ما ذكرناه بعد تناول الألوان الطيبة والمآكل الشهـية فاذا استوفت منها نفوسهم طالبتهم بما يتـبعها من السماع والرقص والاستمـتاع بالنظر الى وجوه المرد ولو أنهم تقللوا من الطعام لم يحنوا الى سماع ونظر. قال أبو الطيب وقد أخبر بـعضهم فى شـعره عن أحوال المسـتمعين لـلغناء وما يجـدونه حال السماع فقال :

أتذكر وقتنا وقد اجتمعنـــــا ... على طيب السماع الى الصـباح
ودارت بيننا كأس الأغانـــــى ... فأسكرت النفـــوس بغير راح
فلم نر فيهم إلا نشـــــــاوى ... سروراً والسرور هناك صاحـى
اذا لى أخـو اللذات فـيـــه ... منادى اللهو حى على الفـــلاح
ولـم نملك سوى المهجات شيئاً ... أرقنـــاها لألحاظ مــــلاح

فال فاذا كان السماع تأثيره فى قلوبهم ما ذكره هذا القائل فكيف يجدى السماع نفعاً أو يفيد فائـدة. قال ابن عقيل قول من قال لا أخاف من رؤية

الصور المستحسنة ليس بشيء. فان الشريعة جاءت عامة الخطاب لا تميز الأشخاص. وآيات القرآن تنكر هذه الدعاوى قال الله تعالى: «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم » وقال «أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت» فلم يحل النظر إلا على صور لا ميل للنفس اليها ولا حظ فيها بل عبرة لا يمازجها شهوة. ولا تعتريها لذة فأما صور الشهوات فانها تعبر عن العبرة بالشهوة وكل صورة ليست بعبرة لا ينبغى أن ينظر إليها لأنها قد تكون سبباً للفتنة. ولذلك ما بعث الله امرأة بالرسالة ولا جعلها قاضياً ولا إماماً ولا مؤذناً. كل ذلك لأنها محل فتنة وشهوة وربما قطعت عما قصدته الشريعة بالنظر وكل من قال أنا أجد من الصور المستحسنة عبراً كذبناه وكل من ميز نفسه بطبيعة تخرجه عن طباعنا بالدعوى كذبناه وإنما هذه خدع الشيطان للمدعين. القسم الخاص قوم صحبوا المردان ومنعوا أنفسهم من الفواحش يعتقدون ذلك مجاهدة وما يعلمون أن نفس صحبتهم والنظر إليهم بشهوة معصية وهذه من خلال الصوفية المذمومات وقد كان قدماؤهم على غير هذا وقيل كانوا على هذا بدليل وهو ما أخبرنا أحمد بن على بن ثابت قال أنشدنا أبو على الروزبارى .

أنزه فى روض المحاسن مقلتى　　وأمنع نفسى أن تنال محرماً
وأحمل من ثقل الهوى مالو أنه　　على الجبل الصلد الاصم تهدماً

قال المصنف رحمه الله: وسيأتى حديث يوسف بن الحسين. وقوله: عاهدت ربى أن لا أن أصحب حدثا مائة مرة فقسخها على قوام القدود وغنج العيون. أخبرتنا شهدة الكاتبة باسناد عن أبى المختار الصبى قال: حدثنى أبى قال قلت لأبى الكميت الأندلسى وكان جوالا فى أرض الله حدثنى بأعجب ما رأيت من الصوفية قال صحبت رجلا منهم يقال له مهرجان وكان مجوسيا فأسلم وتصوف فرأيت معه غلاما جميلا لا يفارقه وكان إذا جاء الليل قام فصلى ثم ينام إلى جانبه ثم يقوم فزعا فيصلى ما قدر له ثم يعود فينام إلى جانبه حتى فعل ذلك مراراً فاذا أسفر الصبح أو كاد يسفر أوتر ثم رفع يديه وقال اللهم إنك تعلم أن الليل قد مضى على سليما لم أقترف فيه فاحشة ولا كتبت على الحفظة فيه معصية وأن الذى اضمره بقلبى لو حملته الجبال لتصدعت أو كان بالأرض لتدكدكت ثم

يقول ياليل اشهد بما كان منى فيك فقد منعنى خوف الله عن طلب الحرام والتعرض للآثام، ثم يقول سيدى أنت تجمع بيننا على تقى فلا تفرق بيننا يوم تجمع فيه الأحباب فأقمت معه مدة طويلة أراه يفعل ذلك كل ليلة وأسمع هذا القول منه فلما هممت بالانصراف من عنده قلت سمعتك تقول إذا انقضى الليل كذا وكذا فقال وسمعتنى قلت نعم، قال فوالله يا أخى لأدارى من قلبى ما لو داراه سلطان من رعيته لكان الله حقيقا بالمغفرة له فقلت وما الذى يدعوك إلى صحبة من تخاف على نفسك العنت من قبله وقال أبو محمد بن جعفر بن عبد الله الصوفى قال أبو حمزة الصوفى رأيت ببيت المقدس فتى من الصوفية يصحب غلاما مدة طويلة فمات الفتى وطال حزن الغلام عليه حتى صار جلداً وعظماً من الضنا والكمد فقلت له يوما لقد طال حزنك على صديقك حتى أظن أنك لا تسلو بعده أبداً فقال كيف أسلو عن رجل أجلّ الله عز وجل أن يصيبه معى طرفة عين أبداً وصاننى عن نجاسة الفسوق فى خلول صحبتى له وخلواتى معه فى الليل والنهار .

قال المصنف رحمه الله: هؤلاء قوم رآهم إبليس لا ينجذبون معه إلى الفواحش فحسن لهم بداياتها فتعجلوا لذة النظر والصحبة والمحادثة وعزموا على مقاومة النفس فى ضدها عن الفاحشة فان صدقوا وتم لهم ذلك فقد اشتغل القلب الذى ينبغى أن يكون شغله بالله تعالى لا بغيره وصرف الزمان الذى ينبغى أن يخلو فيه القلب بما ينفع به فى الآخرة بمجاهدة الطبع فى كفه عن الفاحشة وهذا كله جهل وخروج عن آداب الشرع فان الله عز وجل أمر بغض البصر لأنه طريق إلى القلب ليسلم القلب لله تعالى من شائب تخاف منه وما مثل هؤلاء إلا كمثل من أقبل إلى سباع فى غيضة متشاغلة عنه لا تراه فأثارها وحاربها وقاومها فيا بعد سلامته من جراحة إن لم يهلك .

فصل

وفى هؤلاء من قويت مجاهدته مدة ثم ضعفت فدعته نفسه إلى الفاحشة فامتنع حينئذ من صحبة المرد. أخبرتنا شهدة الكاتبة عن عمر بن يوسف الباقلانى قال: قال أبو حمزة قلت لمحمد بن العلاء الدمشقى وكان سيد الصوفية وقد رأيته يماشى غلاما وضيئا مدة ثم فارقه، فقلت له

لم هجـرت ذلك الفتى الذى كـنت اراه معك بعـد أن كنت له مواصـلا وإليه مائلا. فقـال والله لقد فارقته عـن غير قلىّ ولاملل. قلت ولـم فعلت ذلك؟ قال: رأيت قلبي يدعونى إلى أمر إذا خلوت به وقرب منى لم أتيته سقطت من عين الله عز وجل فهجرته لذلك تنزيها للّه تعالى ولنفسى من مصارع الفتن.

فصل

ومنهم مـن تاب وأطال عن إطلاق نظره. أخـبرنا المحمدان بـن ناصر وابن عبـد الباقى باسـناد عن عبيـد اللّه. قال سـمعت أخى أبا عـبد الله محمد بـن محمد يقول: سمعـت خيراً النساج يقول: كنـت مع أمية بن الصامت الصوفـى إذ نظر إلى غلام فقرأ «وهو معكم أيـنما كنتم والله بما تعملون بـصير» ثم قال. وأين الفـرار من سجن الله وقد حصـنه بملائكه غلاظ شداد تبارك الله فـما أعظم ماامتحننى به مـن نظرى إلى هذا الغلام ماشبـهت نظرى اليه إلا بنار وقـعت على قصب فى يوم ريح فـما أبقت ولاتركت ثم قال. استغفر الله من بلاء جنته عيناى على قلبى. لقد خفت الا انجو من معرته ولا أتخلص من أثمه ولو وافيـت القيامة بعمل سبعين صديقا. ثم بـكى حتى كاد يقضى نحبـه فسمعته يقـول فى بكائه ياطرف لأشغلنك بالبكاء عن النظر إلى البلاء.

فصل

ومنهم مـن تلاعب به المرض من شدة المحـبة. أخبـرتنا شهدة الكـاتبة باسناد عن أبى حمـزة الصوفى قال. كان عبد الله بـن موسى من رؤساء الصوفية ووجوههم فنظر إلى غلام حسن فى بعض الأسواق فبلى به وكاد يذهب عقله عليه صبابة وحبـاً وكان يقف كل يوم فى طريقه حتى يراه إذا أقبل وإذا انصرف فطال به البلاء وأقعده عن الحركة الضنا وكان لايقدر أن يمشى خطوة فـأتيته يوماً لأعوده. فقـلت ياأبا محمد ماقـصتك وما هذا الأمر الذى بلغ بك ماأرى، فقال، أمور امتـحننى الله بها فلم أصبر على البلاء فيها ولـم يكن لى بها طاقـة، ورب ذنب يستصغره الانسان هو عند الله أعظم من كبير، وحقيق بمن تـعرض للنظر الحرام أن تطول به الاسقام ثم بكى قلت مايـبكيك؟ قال أخاف أن يطول فى النار شقـائى فانصرفت عنه وأنا راحم له لما رأيت به من سوء الحال، قـال أبو حمزة ونظر محمد بن عـبد الله بن الأشعـث الدمشقـى وكان من خيـار عباد الله إلـى غلام

جميل فغشى عليه، فحمل إى منزلـه واعتاده السقم حتى أقعد من رجليه وكان لايقوم عليهما زمانا طويلا فكـنا نأتيه نعوده ونسأله عن حاله وأمره وكان لايخـبرنا بقصتــه ولاسبب مرضه، وكـان الناس يتحدثـون بحديث نظره فبلـغ ذلك الغلام فأتاه عائداً فـهش اليه وتحرك وضحـك فى وجهه واستبشر برؤيته فمازال يعوده حتـى قام على رجليه وعاد إلى حالته فسأله الغلام يوما أن يسير معه إلى منزلـه فأبى أن يفعل ذلك، فسألنى أن أسأله أن يتحول اليه فـسألته فأبى أن يفعل، فقلت للـشيخ، وماالذى تكره من ذلك، فقال، لست بمعصوم من البلاء ولا آمن من الفتنة، وأخاف أن يقع على من الشيطان محنة فتجرى بينى وبينه معصية فأكون من الخاسرين.

فصل

وفيهم من همت نفـسه إلى الفاحشة فقتل نفســه. حدثنى أبو عبد الله الحسين بن مـحمد الدامغانى قال، كـان ببلاد فارس صوفى كبيـر فابتلى بحدث فلم يملك نفسه ان دعتـه إلى فاحشة فراقب الله عز وجل ثم ندم على هذه الهمة وكان منزله على مـكان عال ووراءمنزله بحر من الماء فلما أخذته الندامة صعد السطح ورمى بنفسه إلى الماء وتلى قوله تعالى «فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم» فغرق فى البحر.

قال المصنف رحـمه اللّه: أنظر إلى ابليس كيـف درج هذا المسكين من رؤية هذا الأمرد وإلى ادمان النظر اليــه إى أن مكن المحبة من قلبه إلى أن حرضه على الفاحشة فلما رأى استعصامه حسن له بالجهل قتل نفسه فقتل نفســه «ولعله هم بالفاحـشة ولم يعزم، والهــمة معفـو عنها لقولـه عليه السلام. عـفى لأمتى عــما حدثت به نـفوسهــا ، ثم إنه ندم على همـته والندم توبة فأراه إبليس أن من تمام الندم قتل نفـسه كما فعل بنو إسرائيل فأولئك أمروا بذلك بقوله تعالى «فاقتـلوا أنفسكم» ونحن نهينا عنه بقوله تعالى «ولا تقتلوا أنفسكم» فلقد أتى بكبيرة عظيمة، وفى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال، من تـردى من جبل فقتل نفسه فـهو يتردى فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً.

فصل

وفيهم من فرق بينه وبين حبيبه فقـتل حبيبه. بلغنى عن بعض الصوفية أنه كان فى رباط عندنا ببغداد ومعه صـبى فى البيت الذى هو فيه فشنعوا

عليه وفرقوا بينهما فدخل الصوفى إلى الصبى ومعه سكين فقتله وجلس عنده يبكى فجاء أهل الرباط فرأوه فسألوه عن الحال فأقر بقتل الصبى فرفعوه إلى صاحب الشرطة فأقرفجاء والد الصبى يبكى فجلس الصوفى يبكى ويقول له بالله عليك الا ما أقدتنى به فقال الآن قد عفوت عنك: فقام الصوفى إلى قبر الصبى فجعل يبكى عليه ثم لم يزل يحج عن الصبى ويهدى له الثوب.

فصل

ومن هؤلاء من قارب الفتنة فوقع فيها ولم تنفعه دعوى الصبر والمجاهدة، والحديث باسناد عن إدريس بن إدريس قال: حضرت بمصر قوما من الصوفية. ولهم غلام أمرد يغنيهم قال: فغلب على رجل منهم أمره فلم يدر مايصنع فقال: ياهذا قل لا إله إلا الله، فقال الغلام لا إله إلا الله فقال أقبل الفم الذى قال لا إله إلا الله. (القسم السادس) قوم لم يقصدوا صحبة المردان وإنما يتوب الصبى ويتزهد ويصحبهم على طريق الإرادة فلبيس إبليس عليهم ويقول لاتمنعوه من الخير ثم يتكرر نظرهم إليه لاعن قصد فيثير فى القلب الفتنة إلى أن ينال الشيطان منهم قدر مايمكنه. وربما وثقوا بدينهم فاستفزهم الشيطان فرماهم إلى اقصى المعاصى كما فعل ببرصيصا.

قال المصنف رحمه الله: وقد ذكرنا قصته فى أول الكتاب وغلطهم من جهة تعرضهم بالفتن وصحبة من لايؤمن الفتنة فى صحبته.

(القسم الرابع): قوم علموا أن صحبة المردان والنظر إليهم لا يجوز غير أنهم لم يصبروا عن ذلك. والحديث بإسناد عن الرازى يقول: قال يوسف ابن الحسين : كل ما رأيتمونى أفعله فافعلوه إلا صحبة الأحداث فإنها أفتن الفتن. ولقد عاهدت ربى أكثر من مائة مرة أن لاأصحب حدثا ففسخها علىّ حسن الخدود وقوام القدود وغنج العيون ومساءلنى الله معهم عن معصية. وأنشد صريع الغوانى فى معنى ذلك شعراً.

إن ورد الخدود والحدق النجـ ـل وما فى الثغور من أقحوان
واعوجاج الأصداع فى ظاهر الخد وما فى الصدور من رمان
تركتنى بين الغوانى صريعاً فلهذا أدعى صريع الغوانى

قال المصنف رحمه الله: قلت هذا الرجل قد فضح نفسه فى شئ ستره الله عليه وأخبرأنه كلما رأى فتنة نقض التوبة فأين عزائم التصوف فى حمل النفس على المشاق ثم ظن بجهله أن المعصية هى الفاحشة فقط ولو كان له علم لعلم أن صحبتهم والنظر اليهم معصية. فانظر إلى الجهل كيف يصنع بأربابه. والحديث بإسناد عن محمد بن عمر أنه قال: حكى لى عن أبى مسلم الخمشوعى أنه نظر إلى غلام جميل فأطال. ثم قال سبحان الله ماأهجم طرفى عن مكروه نفسه وأدمنه على سخط سيده وأغراه بما قد نهى عنه وأبهجه بالأمر الذى قد حزر عنه. لقد نظرت إلى هذا نظراً لااحسب إلا أنه سيفضحنى عند جميع من عرفنى فى عرصات القيامة ولقد تركنى نظرى هذا وأنا استحى من الله تعالى وإن غفر لى ثم صعق. وبإسناد عن أبى بكر محمد بن عيد يقول: سمعت أبا الحسين النورى يقول: رأيت غلاماً جميلا ببغداد فنظرت اليه ثم أردت أن أردد النظر فقلت له تلبسون النعال الصرارة، وتمشون فى الطرقات فقال أحسنت الحشر بالعلم.

فصل

وكل من فاته العلم تخبط فان حصل له وفاته العمل به كان أشد تخبيطاً، ومن استعمل أدب الشرع فى قوله عز وجل «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم» سلم فى البداية بما صعب أمره فى النهاية، وقد ورد الشرع بالنهى عن مجالسة المردان وأوصى العلماء بذلك. والحديث بإسناده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لا تجالسوا أبناء الملوك فإن النفوس تشتاق إليهم ما لا تشتاق إلى الجوارى العواتق.

والحديث بإسناده عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : لاتملأوا أعينكم من أولاد الملوك فإن لهم فتنة أشد من فتنة العذارى. والحديث بإسناد عن الشعبى قال: قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ وفيهم غلام أمرد ظاهر الوضاة فأجلسه النبى ﷺ وراء ظهره وقال: كانت خطيئة داود عليه السلام النظر وعن أبى هريرة قال: نهى رسول الله ﷺ أن يحد الرجل النظر إلى الغلام الأمرد. وقال عمر بن الخطاب: ما أتى على عالم من سبع ضار أخوف عليه من غلام أمرد. وبإسناد عن الحسن بن ذكوان أنه قال: لا يجالسوا

أولاد الأغنياء فإن لهم صوراً كصور النساء وهم أشد فتنة من العذارى.

وبإسناد عـن محمـد بن حميـر عن النجيب السـرى قال: كـان يقال لايبيت الرجل فى بيت مع المرد. وبإسناد عـن عبد العزيز بن أبى السائب عن أبيه قال: لانا أخـوف على عابد من غلام من سبـعين عذراء. وعن أبى على الروزبارى قال: سـمعت جنيدا يقول جاء رجـل إلى احمد بن حنبل ومعه غلام حسن الوجه فقال له من هذا، قال، ابنى. فقال احمد: لاتجئ به معك مرة أخرى فلما قام قال له مـحمد بن عبد الرحمن الحافظ وفى رواية الخطيب فقيل له أيد الله الشيخ أنه رجل مستور وابنه أفضل منه فقال احمد الذى قـصدنا اليه من هذا الباب ليس يمنع منـه سترهما على هذا رأينا أشياخنا وبه أخبرونا عن أسلافهم. وبإسناد عن أبى بكر المروزى قال: جـاء حسن البـزار إلى احمد ابـن حنبل ومعـه غلام حسـن الوجه فتحدث مـعه فلما أراد أن ينصرف قال له أبو عـبد الله يا أبا على لاتمش مع هذا الغـلام فى طريق فقال لـه إنه ابن أختى، قال وإن كـان لا يهلك الناس فيك. وباسناد من شجاع بن مـخلد أنه سمع بشر بن الحارث يقول احذروا هؤلاء الأحـداث. وباسناد عن فتـح الموصلى أنه قال، صـحبت ثلاثين شيخا كانوا يعدون من الأبدال كلهم أوصونى عند فراقى لهم اتقى معاشـرة الأحداث. وباسناد عن الحلـبى أنه يقول نظر سـلام الأسود إلى رجل ينظر إلى حدث فقال له ياهذا ابق على جاهك عند الله فإنك لاتزال ذا جاه مادمت له مـعظما. وباسناد عن أبى منصور عبـد القادر بن طاهر يقـول من صحـب الأحداث وقع فى الاحـداث وعن أبى عـبدالرحـمن السلمى، قـال: قال مظفر القرمـيسينى من صحب الاحـداث على شرط السلامة والنصيـحة اداه ذلك إلى البلاء، فكيف بمن يصحبـهم على غير وجه السلامة.

فصل

وقد كان السلف يبالغون فى الاعراض عن المرد. وقد روينا عن رسول الله ﷺ أنه أجلس الشاب الحسن الوجه وراء ظهره والحديث باسناد عن عطاء بن مسلم قـال كان سفيان لايدع أمرداً يجـالسه. وروى إبراهيم بن هانئ عن يحيى بن مـعين قال ماطمع أمرد بصحبـتى. ولاحمد بن حنبل قال فى طريق. وباسناد عن أبى يعقوب. قال كنا مع أبى نصر بن الحرث

فوقفت عليه جارية مارأينا أحسن منها فقالت: ياشيخ أين مكان باب حرب. فقال لها هذا الباب الذى يقال له باب حرب ثم جاء بعدها غلام ما رأينا أحسن منه: فسأله فقال يا شيخ أين مكان باب حرب فأطرق الشيخ رأسه. فرد عليه الغلام السؤال وغمض عينيه فقلنا للغلام تعال إيش تريد فقال باب حرب. فقلنا له ها هو بين يديك فلما غاب قلنا للشيخ ياأبا نصر جاءتك جارية فأجبتها وكلمتها وجاءك غلام فلم تكلمه. فقال: نعم يروى عن سفيان الثورى أنه قال. مع الجارية شيطان ومع الغلام شيطانان فخشيت على نفسى من شيطانيه وباسناد عن عبد الله بن مبارك يقول. دخل سفيان الثورى الحمام فدخل عليه غلام صبيح فقال اخرجوه اخرجوه. فإنى أرى مع كل امرأة شيطانا ومع كل غلام بضعة عشر شيطاناً. وباسناد عن محمد بن احمد بن أبى القسم. قال دخلنا على محمد بن الحسين صاحب يحيى بن معين وكان يقال انه مارفع رأسه إلى السماء من منذ أربعين سنة وكان معنا غلام حدث فى المجلس بين يديه. فقال له. قم من حذائى فاجلسه من خلفه. وباسناد عن أبى إمامه قال: وكنا عند شيخ يقرى فبقى عنده غلام يقرأ عليه فأردت الانصراف فأخذ بثوبى وقال اصبر حتى يفرغ هذا الغلام، وكره أن يخلو مع هذا الغلام. وباسناد عن أبى الروزبارى قال قال لى أبو العباس أحمد المؤدب ياأبا على من أين أخذ صوفية عصرنا هذا الإنس بالاحداث فقلت له ياسيدى أنت بهم أعرف، وقد تصحبهم السلامة لى كثير من الأمور فقال هيهات قد رأينا من كان أقوى إيمانا منهم إذا رأى الحدث قد أقبل فر كفراره من الزحف وإنما ذلك حسب الأوقات التى تغلب الأحوال على أهلها فتأخذها عن تصرف الطباع ما أكثر الخطر ما أكثر الغلط.

فصل

وصحبة الأحداث أقوى حبائل إبليس التى يصيد بها الصوفية أخبرنا ابن ناصر عن أبى عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا بكر الرازى يقول قال يوسف ابن الحسين نظرت فى آفات الخلق فعرفت من أين أتو ورأيت آفة الصوفية فى صحبة الاحداث ومعاشرة الأضداد وارفاق النسوان. وباسناد عن ابن الفرج الرستمى الصوفى يقول رأيت إبليس فى النوم فقلت له كيف رأيتنا أعرضنا عن الدنيا ولذاتها وأموالها فليس لك الينا

طريق فقال كيف رأيت ماشتملت به قلوبكم بإستماع الغناء ومعاشرة الاحداث. وباسناد عن ابن سعيد الخراز يقول رأيت إبليس فى النوم يمرغنى ناحية فقلت تعال، فقال ايش أعمل بكم، أنتم طرحتم عن نفوسكم ماأخادع به الناس قلت ماهو، قال الدنيا، فلما ولى التفت إلى فقال غير ان فيكم لطيفة، قلت وماهى؟ قال، صحبة الاحداث. قال أبو سعيد وقل من يتخلص منها من الصوفية.

فصل

فى عقوبة النظر إلى المردان، عن أبى عبد الله بن الجلاء قال كنت انظر الى غلام نصوانى حسن الوجه فمر بى أبو عبد الله البلخى. فقال إيش وقوفك فقلت. ياعم أما ترى هذه الصورة كيف تعذب بالنار. فضرب بيده بين كتفى. وقال لتجدن غبها ولو بعد حين. قال فوجدت غبها بعد أربعين سنة أن أنسيت القرآن. وباسناد عن أبى الأديان وقال كنت مع أستاذى وأبى بكر الدقاق فمر حدث فنظرت اليه فرآنى أستاذى وأنا أنظر اليه فقال يابنى لتجدن غبه ولو بعد حين. فبقيت عشرين سنة وأنا أراعى فما أجد ذلك الغب فنمت ذات ليلة وأنا مفكر فيه فأصبحت وقد أنسيت القرآن كله. وعن أبى بكر الكتانى قال رأيت بعض أصحابنا فى المنام فقلت مافعل الله بك قال عرض على سيئاتى وقال فعلت كذا وكذا فقلت نعم. ثم قال وفعلت كذا وكذا فاستحييت أن أقره فقلت انى استحى أن أقر فقال انى غفرت لك بما أقررت فكيف بما استحييت فقلت له ماكان ذلك الذنب فقال مربى غلام حسن الوجه فنظرت اليه. وقد روى نحو هذه الحكاية عن أبى عبد الله الزراد انه رؤى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لى كل ذنب أقررت به فى الدنيا إلا واحد فاستحييت أن أقر به فوقفنى فى العرق حتى سقط لحم وجهى .فقيل له ماالذنب فقال نظرت الى شخص جميل. وقد بلغنا عن أبى يعقوب الطبرى أنه قال كان معى شاب حسن الوجه يخدمنى فجاءنى انسان من بغداد صوفى فكان كثير الالتفات الى ذلك الشاب فكنت أجد عليه لذلك فنمت ليلة من الليالى فرأيت رب العزة فى المنام فقال يا أبا يعقوب لم لم تنهه وأشار الى البغدادى عن النظر الى الأحداث فوعزتى انى لا أشغل بالأحداث الا من باعدته عن قربى. قال أبو يعقوب فانتبهت وأنا اضطرب فحكيت الرؤيا

للبغدادى فصاح صيحة ومات فغسلناه ودفناه، واشتغل عليه قلبى فرأيته بعد شهر فى النوم فقلت له ما فعل الله بك قال وبخنى حتى خفت أن لاأنجو ثم عفا عنى قلت. إنما مددت النفس يسيرا فى هذا الباب لأنه مما تعم به البلوى عند الأكثرين فمن أراد الزيادة فيه وفيما يتعلق باطلاق البصر وجميع أسباب الهوى فلينظر فى كتابنا المسمى بذم الهوى. ففيه غاية المراد من جميع ذلك.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى ادعاء التوكل وقطع الأسباب وترك الاحتراز فى الأموال

أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقى باسناد عن احمد بن أبى الحوارى قال سمعت أبا سليمان الدارانى يقول لو توكلنا على الله تعالى مابنينا الحيطان ولاجعلنا لباب الدار غلقا مخافة اللصوص. وباسناد عن ذى النون المصرى انه قال سافرت سنين وماصح لى التوكل إلا وقتا واحداً ركبت البحر فكسر المركب فتعلقت بخشبة من خشب المركب فقالت لى نفسى ان حكم الله عليك بالغرق فما تنفعك هذه الخشبة فخليت الخشبة فطفت على الماء فوقعت على الساحل.

أخبرنا محمد قال سألت أبا يعقوب الزيات عن مسألة فى التوكل فأخرج درهما كان عنده ثم أجابنى. فأعطى التوكل حقه ثم قال استحييت أن أجيبك وعندى شئ وذكر أبو نصر السراج فى كتاب اللمع قال جاء رجل الى عبد الله بن الجلاء فسأله عن مسألة فى التوكل وعنده جماعته فلم يجبه ودخل البيت فأخرج اليهم صرة فيها أربعة دوانق فقال اشتروا بهذه شيئا. ثم أجاب الرجل عن سؤاله فقيل له فى ذلك فقال. استحييت من الله تعالى أن أتكلم فى التوكل وعندى أربعة دوانق. وقال سهل بن عبد الله من طعن فى الاكتساب فقد طعن على السنة ومن طعن على التوكل فقد طعن على الايمان.

قال المصنف قلت: قلة العلم أوجبت هذا التخليط، ولو عرفوا ماهية التوكل لعلموا انه ليس بينه وبين الأسباب تضاد. وذلك أن التوكل اعتماد القلب على الوكيل وحده وذلك لايناقض حركة البدن فى التعلق بالأسباب ولا ادخار المال. فقد قال تعالى «ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما» أى قواما لأبدانكم وقال ﷺ. نعم المال

الصالح مع الرجل الصالح، وقال ﷺ إنك أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس. واعلم أن الذى أمر بالتوكل أمر بأخذ الحذر، فقال «خذوا حذركم» وقال «وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة» وقال «أن أسر بعبادى ليلا» وقد ظاهر رسول الله ﷺ بين درعين وشاور طبيبين واختفى فى الغار. وقال من يحرسنى الليلة. وأمر بغلق الباب. وفى الصحيحين من حديث جابر أن النبى ﷺ قال اغلق بابك. وقد أخبرنا أن التوكل لا ينافى الاحتراز.

أخبرنا إسماعيل بن احمد السمرقندى نا عبدالله بن يحيى الموصلى ونصربن احمد قالا أخبرنا أبو الحسين بن بشران ثنا الحسين بن صفوان ثنا أبو بكر القرشى ثنى أبو جعفر الصيرفى فى ثنا يحيى بن سعيد ثنا المغيرة ابن أبى قرة السدوسى قال سمعت أنس ابن مالك رضى الله عنه يقول جاء رجل إلى النبى ﷺ وترك ناقته بباب المسجد فسأله رسول الله ﷺ عنها فقال أطلقتها وتوكلت على الله قال اعقلها وتوكل.

أخبرنا ابن ناصر نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا عبد العزيز بن على الازجى نا إبراهيم ابن محمد بن جعفر نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر ثنا أبو بكر الخلال أخبرنى حرب بن اسماعيل الكرمانى ثنى عبد الرحمن ابن محمد بن سلام ثنا الحسين بن زياد المروزى قال سمعت سفيان بن عيينة يقول تفسير التوكل أن يرضى بما يفعل به. وقال ابن عقيل يظن أقوام ان الاحتياط والاحتراز ينافى التوكل. وإن التوكل هو إهمال العواقب وإطراح التحفظ وذلك عند العلماء هو العجز والتفريط الذى يقتضى من العقلاء التوبيخ والتهجين ولم يأمر الله بالتوكل الا بعد التحرز واستفراغ الوسع فى التحفظ. فقال تعالى: ﴿ **وشاورهم فى الأمر**﴾، ﴿**فإذا عزمت فتوكل على الله** ﴾ فلو كان التعليق بالاحتياط قادحا فى التوكل لما خص الله به نبيه حين قال له : ﴿**وشاورهم فى الأمر** ﴾ وهل المشاورة الا استفادة الرأى الذى منه يؤخذ التحفظ والتحرز من العدو ولم يقنع فى الاحتياط بأن يكله الى رأيهم واجتهادهم حتى نص عليه وجعله عملا فى نفس الصلاة وهى أخص العبادات. فقال: ﴿ **فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم** ﴾ وبين علة ذلك بقوله تعالى: ﴿ **ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة** ﴾ومن علم

أن الاحتياط هكذا لايقال أن التوكل عليه ترك ماعلم. لكن التوكل التفويض فيما لاوسع فيه ولاطاقة. قال عليه الصلاة والسلام «اعقلها وتوكل». ولو كان التوكل ترك التحرز لخص به خير الخلق ﷺ فى خواص الأحوال وهى حالة الصلاة. وقد ذهب الشافعى رحمه الله إلى وجوب حمل السلاح حينئذ لقوله: ﴿وليأخذوا أسلحتهم﴾ فالتوكل لايمنع من الاحتياط والاحتراز فإن موسى عليه السلام لما قيل له: ﴿إن الملاء يأتمرون بك ليقتلوك﴾. خرج. ونبينا ﷺ خرج من مكة لخوفه من المتآمرين عليه ووقاه أبو بكر رضى الله عنه بسد أثقاب الغار وأعطى القوى التحرز حقه ثم توكلوا وقال عز وجل فى باب الاحتياط ﴿لاتقصص رؤياك على إخوتك﴾ وقال ﴿لاتدخلوا من باب واحد﴾ وقال: فامشوا فى مناكبها﴾ وهذا لأن الحركة للذب عن النفس إستعمال لنعمة الله تعالى وكما أن الله تعالى يريد إظهار نعمة المبدأة يريد إظهار وداعته فلا وجه لتعطيل ماأودع اعتمادا على ماجاد به. لكن يجب استعمال ماعندك ثم أطلب ماعنده وقد جعل الله تعالى للطير والبهائم دروع وأسلحة تدفع عنها الشرور كالمخلب والظفر والناب وخلق للادمى عقلا يقوده إلى حمل الأسلحة ويهديه إلى التحصين بالابنية والدروع ولقد عطل نعمة الله تعالى بترك الاحترار فقد عطل حكمته كمن يترك الأغذيه والأدوية ثم يموت جوعا أو مرضاً. ولا أبله ممن يدعى العقل والعلم ويستسلم للبلاء إنما ينبغى أن تكون أعضاء المتوكل فى الكسب وقد ساكن مفوض إلى الحق منع أو أعطى. لأنه لايرى إلا أن الحق سبحانه وتعالى لايتصرف إلا بحكمة ومصلحة. فمنعه عطاء فى المعنى. وكم زاد للعجزة عجوزهم وسولت لهم أنفسهم أن التفريط توكل فصاروا غرورهم بمثابة من اعتقد التهور شجاعة والخور حزما. ومتى وضعت أسباب فأهملت كان ذلك جهلا بحكمة الواضع. مثل وضع الطعام سهلا للشبع والماء للرى والدواء للمرض. فإذا ترك الانسان ذلك إهواناً بالسببا ثم دعا وسأل فربما قيل له قد جعلنا لعافيتك سببا فإذا لم تتناوله كله إهوانا لعطائنا فربما لم نعافك بغير سبب لإهوانك للسبب وماهذا إلا بمثابة من بين قراحه وماء الساقية رفسه بمسحاة فأخذ يصلى صلاة الاستسقاء طلبا للمطر فإنه لايستحسن منه ذلك شرعا ولا عقلاً.

قال المصنف رحمه الله: فان قال قائل كيف أحترز مع القدر قيل له وكيف لاتحترز مع الأوامر من المقدر فالذى قدر هو الذى أمر. وقد قال تعالى (وخذوا حذركم) أنبأنا إسماعيل بن احمد نا عاصم بن الحسين نا ابن بشران ثنا أبو صفوان نا أبو بكر القرشي ثنى شريح بن يونس نا على ابن ثابت عن خطاب بن القاسم عن أبى عثمان قال: كان عيسى عليه السلام يصلى على رأس جبل فأتاه إبليس فقال أنت الذى تزعم أن كل شئ بقضاء وقدر. قال نعم قال فألق نفسك من الجبل وقل قدر علىّ فقال. يالعين الله يختبر العباد وليس للعباد أن يختبروا الله تعالى.

فصل

وفى معنى ماذكرنا من تلبيسه عليهم فى ترك الأسباب انه قد لبس على خلق كثير منهم بأن التوكل ينافى الكسب. أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم احمد بن عبد الله قال سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول: سمعت محمد بن المنذر يقول سمعت سهل بن عبد الله التسترى يقول :من فى طعن التوكل فقد طعن فى الإيمان ومن طعن على الكسب فقد طعن على السنة.

أخبرنا محمد بن ناصر نا احمد بن على بن خلف نا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول : سأل رجل أبا عبدالله بن سالم وأنا اسمع أنحن مستعبدون بالكسب أم بالتوكل فقال التوكل حال رسول الله ﷺ والكسب سنة رسول الله ﷺ وإنما سن الكسب لمن ضعف عن التوكل وسقط عن درجة الكمال التى هى فقال التوكل حاله فمن أطاق التوكل فالكسب غير مباح له بحال إلا كسب معاونة لاكسب اعتماد عليه ومن ضعف عن حال التوكل التى هى حال رسول الله ﷺ أبيح له طلب المعاش فى الكسب لئلا يسقط عن درجة سنته حين سقط عن درجة حاله.

أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم نا أبى قال سمعت محمد بن الحسين قال سمعت أبا القاسم الرازى يقول سمعت يوسف بن الحسين قال: اذا رأيت المريد يشتغل بالرخص والكسب فليس يجئ منه شئ.

قال المصنف رحمه الله: قلت هذا كلام قوم مافهموا معنى التوكل

وظنوا انه ترك الكسب وتعطيل الجوارح عن العمل وقد بينا أن التوكل فعل القلب فلا ينافى حركة الجوارح ولو كان كل كاسب ليس بمتوكل لكان الأنبياء غير متوكلين فقد كان آدم عليه السلام حراثاً ونوح وزكريا نجارين وادريس خياطا وابراهيم ولوط زراعين وصالح تاجراً وكان سليمان يعمل الخوص وداود يصنع الدرع ويأكل من ثمنه وكان موسى وشعيب ومحمد رعاة صلوات الله عليهم أجمعين وقال نبينا ﷺ كنت أرعى غنما لأهل مكة بالقراريط.

فلما أغناه الله عز وجل بما فرض لـه من الفئ لم يحتج الى الكسب. وقد كان أبو بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة رضوان الله تعالى عليهم بزازين وكذلك محمد بن سيرين وميمون بن مهران بزازين، وكان الزبير بن العوام وعمرو بن العاص وعامر بن كريز خزازين. وكذلك أبو حنيفة. وكان سعد بن أبى وقاص يبرى النبل وكان عثمان بن طلحة خياطا. ومازال التابعون ومن بعدهم يكتسبون ويأمرون بالكسب.

أخبرنا محمد بن أبى طاهرنا أبو محمد الجوهرى نا ابن حياة نا أبو الحسن ابن معروف نا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد نا مسلم بن ابراهيم نا هشام الدستوائى قال حدثنا عطاء بن السائب قال: لما استخلف أبو بكر رضى الله عنه اصبح غاديا إلى السوق وعلى رقبته أثواب يتجر بها فلقيه عمر وأبو عبيدة فقالا. أين تريد: فقال السوق قالا تصنع ماذا. وقد وليت أمور المسلمين قال. فمن أين أطعم عيالى. قال ابن سعد وأخبرنا احمد بن عبد الله بن يونس ثنا أبو بكر بن عياش عن عمرو بن ميمون عن أبيه قال. لما استخلف أبو بكر جعلوا له ألفين. فقال زيدونى فان لى عيالا وقد شغلتمونى عن التجارة فزادوه خمسمائة.

قال المصنف رحمه الله: قلت لو قال رجل للصوفية من أين أطعم عيالى لقالوا قد أشركت، ولو سئلوا عمن يخرج الى التجارة لقالوا ليس بمتوكل ولا موقن وكل هذا لجهلهم بمعنى التوكل واليقين، ولو كان أحد يغلق عليه الباب ويتوكل لقرب أمر دعواهم لكنهم بين أمرين أما الغالب من الناس فمنهم من يسعى الى الدنيا مستجديا ومنهم من يبعث غلامه فيدور بالزنبيل فيجمع له. . وإما الجلوس فى الرباط فى هيئة المساكين وقد علم أن الرباط لايخلو من فتوح كما لاتخلو الدكان من أن يقصد للبيع والشراء.

أخبرنا عبـد الوهاب الحافظ نا أبو الحسين بن عبـد الجبار نا أبو طالب العشارى نا محمد بن عبد الرحـمن المخلص نا عبيد الله بن عبد الرحمن السكرى ثنا أبو بكر ابن عبيد قال حـدثت عن الهيثم بن خارجة ثنا سهل بن هشام عن إبراهيم بن أدهم قال. كان سـعيد بن المسيب يقول من لزم المسجد وترك الحرفة وقبل مايأتيه فقد ألحف فى السؤال .

أخبرنا المحمـدان بن ناصر وابن عبد الباقى قالا: نا حـمد بن أحمد نا أبو نعـيم الحافظ قـال سمعت مـحمد بـن الحسين يـقول سمـعت جدى إسماعيل بن نجيدى يقول: كـان أبو تراب يقول لأصحابه من لبس منكم مرقعة فقد سأل ومن قعد فى خانقاه أو مسجد فقد سأل.

قال المصنف رحـمه الله: قلت وقد كـان السلف\ينهون عن الـتعرض لهذه الأشيـاء ويأمرون بالكسب. أخـبرنا عبد الوهاب بـن المبارك نا أبو الحسيـن ابن عبد الجبـار نا محمـد ابن على بن الفتـح نا محمد بـن عبد الرحمن المخلص نا عبيد الله ابن عبد الرحمن السكرى نا أبو بكر بن عبيد القرشى نا عبيـد بن الجعد نا المسعودى عن خوات التيـمى قال: قال عمر بن الخطاب رضـى الله عنه. يامعـشر الفقراء أرفـعوا رؤسكم فـقد وضح الطريق فاستبقوا الخيرات ولا تكونوا عيالا على المسلمين.

أخبرنا ابن ناصـر نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبـو القاسم التنوخى وأبو محـمد الجوهرى وأبو الخيـر القزوينى قـالوا نا أبو عمر بن حـياة نا محمد بن خلف ثنا أبو جعفر اليمانى نا أبو الحسن المداينى عن محمد بن عاصم قال: بلغنى أن عمـر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا رأى غلاماً فأعجبه سأل عنه هل له حرفة فإن قيل لا قال سقط من عيى.

أخبرنا إسـماعيل بن أحمد نا عـمر بن عبد الله النقال نا أبـو الحسين بن بشران نا عثمان ابن احمد الدقاق نا حنبل ثنى أبو عبد الله نا معاذ بن هشام ثنى أبى عـن قتادة عن سـعيد بـن المسيب قـال: كان أصحـاب رسول الله ﷺ يتجرون فى تجر الشام منهم طلحة ابن عبيد الله وسعيد بن زيد.

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك نا جعـفر بن أحمد السراج نا عبد العزيز ابن الحسن ابن إسماعيل الضراب نـا أبى نا احمد بن مروان المالكى نا أبو القاسم بن الختلى: سألت أحمد بن حنبل وقلت: ماتقول فى رجل جلس

في بيته أو فى مسجده وقال لا أعمل شيئا حتى يأتينى رزقى فقال احمد هذا رجل جهل العلم أما سمعت قول رسول الله ﷺ. جعل الله رزقى تحت ظل رمحى، وحديث الآخر فى ذكر الطير تغدو خماصاً فذكر انها تغدو فى طلب الرزق. قال تعالى ﴿وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله﴾ وقال: ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم﴾ وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتجرون فى البر والبحر ويعملون فى نخيلهم ولنا القدوة بهم. وقد ذكرنا فيما مضى عن احمد أن رجلا قال له. أريد الحج على التوكل فقال له فأخرج فى غيرالقافلة. قال لا. قال فعلى جراب الناس توكلت.

أخبرنا ابن ناصرنا أبو الحسين بن عبد الجبار نا عبد العزيز بن على الأزجى نا ابراهيم ابن محمد بن جعفر الناجى نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر نا أبو بكر احمد ابن محمد الخلال نا أبو بكر المروزى قال: قلت لأبى عبد الله هؤلاء المتوكلة يقولون نقعد وأرزاقنا على الله عز وجل. فقال هذا قول ردئ. أليس قد قال الله تعالى: ﴿إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع﴾ ثم قال إذا قال لا أعمل وجىء اليه بشئ قد عمل واكتسب لأى شئ يقبله من غيره. قال الخلال: وأخبرنا عبد الله بن أحمد قال: سألت أبى عن قوم يقولون نتوكل على الله ولا نكتسب فقال. ينبغى للناس كلهم يتوكلون على الله. ولكن يعودون على أنفسهم بالكسب. هذا قول انسان أحمق.

قال الخلال: وأخبرنى محمد بن على قال ثنا صالح انه سأل أباه يعنى احمد ابن حنبل عن التوكل فقال التوكل حسن ولكن ينبغى أن يكتسب ويعمل حتى يغنى نفسه وعياله ولايترك العمل. قال وسئل أبى وأنا شاهد عن قوم لايعملون ويقولون نحن المتوكلون فقال هؤلاء مبتدعون. قال الخلال وأخبرنا المروزى انه قال لأبى عبد الله أن ابن عيينة كان يقول هم مبتدعة. فقال أبو عبد الله هؤلاء قوم سوء يريدون تعطيل الدنيا. وقال الخلال وأخبرنا المروزى قال سألت أبا عبد الله عن رجل جلس فى بيته وقال اجلس واصبر واقعد فى البيت ولا أطلع على ذلك أحداً فقال. لو خرج فاحترف كان أحب إلى فاذا جلس خفت أن يخرجه جلوسه الى غير هذا قلت الى أى شئ يخرجه قال الى أن يكون يتوقع أن يرسل اليه

قال الخلال وحدثنا أبو بكر المروزى قال سمعت رجلا يقول لأبى عبد الله احمد بن حنبل انسى فى كفاية قال إلزم السوق تصل به الرحم وتعود به على عيالك. وقال لرجل آخر إعمل وتصدق بالفضل على قرابتك. وقال احمد بن حنبل قد أمرتهم يعنى أولاده أن يختلفوا الى السوق وأن يتعرضوا للتجارة .

قال الخلال وأخبرنى محمد بن الحسين أن الفضل بن محمد بن زياد حدثهم قال سمعت أبا عبد الله يأمر بالسوق ويقول. ماأحسن الاستغناء عن الناس. وقال الخلال وأخبرنى يعقوب بن يوسف المطوعى قال. سمعت أبا بكر بن جناد. يقول : الجصاصى قال سمعت احمد بن حنبل يقول أحب الدراهم إلىَّ درهم من تجارة وأكرهها عندى الذى من صلة الإخوان.

قال المصنف رحمه الله: قلت وكان ابراهيم بن أدهم يحصد وسلمان الخواص يلقط وحذيفة المرعشى يضرب اللبن ، وقال ابن عقيل التسبب لايقدح فى التوكل لأن تعاطى رتبة ترقى على رتبة الأنبياء نقص فى الدين. ولما قيل لموسى عليه السلام: ﴿ **إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك** ﴾ خرج ولما جاع واحتاج إلى عفة نفسه أجر نفسه ثمان سنين. وقال تعالى ﴿ فامشوا فى مناكبها ﴾ وهذا لأن الحركة استعمال بنعمة الله وهى القوى فاستعمل ماعندك ثم أطلب ماعنده. وقد يطلب الانسان من ربه وينسى ماله عنده من الذخائر فإذا تأخر عنه مايطلبه بسخط. فترى بعضهم يملك عقاراً وأثاثاً فاذا ضاق به القوت واجتمع عليه دين فقيل له. لو بعت عقارك. قال كيف أفرط فى عقارى وأسقط جاهى عند الناس وإنما يفعل هذه الحماقات العادات وإنما قعد أقوام عن الكسب استثقالا له فكانوا بين أمرين قبيحين. إما تضييع العيال فتركوا الفرائض أو التزين باسم انه متوكل فيحن عليهم المكتسبون فضيقوا على عيالهم لأجلهم وأعطوهم. وهذه الرذيلة لم تدخل قط إلا على دنئ النفس الرذيلة وإلا فالرجل كل الرجل من لم يضيع جوهره الذى أودعه الله إيثاراً للكسل أو لإسم يتزين به بين الجهال فان الله تعالى قد يحرم الانسان المال ويرزقه جوهراً يتسبب به إلى تحصيل الدنيا بقبول الناس عليه.

فصل

وقد تشبث القاعدون عن التكسب بتعللات قبيحة. منها أنهم قالوا لابد من أن يصل الينا رزقنا وهذا فى غاية القبح فان الانسان لو ترك

الطاعة وقال لا أقدر بطاعتي أن أغير ماقضى الله على فان كنت من أهل الجنة فانا إلى الجنة أو من أهل النار فانا من أهل النار. قلنا له هذا يرد الأوامر كلها ولو صح لأحد ذلك لم يخرج آدم من الجنة لأنه كان يقول مافعلت إلا ماقضى على. ومعلوم اننا مطالبون بالأمر لا بالقدر. ومنها انهم يقولون أين الحلال حتى نطلب وهذا قول جاهل لأن الحلال لاينقطع أبداً لقوله ﷺ «الحلال بين والحرام بين». ومعلوم أن الحلال ماأذن الشرع فى تناوله وإنما قولهم لهذا احتجاج للكسل. ومنها أنهم قالوا إذا كسبنا أعنا الظلمة والعصاه مثل ما أخبرنا به عمر بن ظفر نا جعفر بن احمد نا عبد العزيز بن على نا ابن جهضم نا على بن محمد السيروانى قال سمعت ابراهيم الخواص يقول طلبت الحلال فى كل شئ حتى طلبته فى صيد السمك فأخذت قصبة وجعلت فيها شعراً وجلست على الماء فألقيت الشص فخرجت سمكه فطرحتها على الأرض وألقيت الثانية فخرجت لى سمكة فانا أطرحها ثالثة اذا من ورائى لطمة لاأدرى من يد من هى ولارأيت أحداً وسمعت قائلا يقول أنت لم تصب رزقاً فى شئ إلا أن تعمد الى من يذكرنا فتقتله قال فقطعت الشعر وكسرت القصبة وانصرفت. أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم القشيرى ثنا أبى قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا عثمان بن الآدمى قال سمعت ابراهيم الخواص يقول طلبت فقصدت الخ ماتقدم.

قال المصنف رحمه الله: قلت وهذه القصة ان صحت فان فى الروايتين بعض من يتهم فان اللاطم إبليس وهو الذى هتف به لان الله تعالى أباح الصيد فلا يعاقب على ما أباحه وكيف يقال له تعمد الى من يذكر نا فتقتله وهو الذى أباح له قتله وكسب الحلال ممدوح ولو تركنا الصيد وذبح الأنعام لأنها تذكر الله تعالى لم يكن لنا ما يقيم قوى الأبدان لأنه لا يُقيمها الا اللحم فالتحرى من أخذ السمك وذبح الحيوان مذهب البراهمة فانظر الى الجهل مايصنع والى إبليس كيف يفعل. أخبرنا أبو منصور القزاز نا احمد بن على بن ثابت نا عبد العزيز بن على الأزجى ثنا على بن عبد الله الهمدانى ثنا محمد بن جعفر ثنا احمد بن عبد الله بن عبد الملك قال سمعت شيخاً يكنى أبا تراب يقول قيل لفتح الموصلى أنت صياد بالشبكة ولم تصد شيئا الا وتطعمه لعيالك فلم تصدو تبيع ذلك

الناس فقال أخاف أن أصطاد مطيعاً لله تعالى فى جوف الماء فأطعمه عاصياً لله على وجه الأرض.

قال المصنف رحمه الله: قلت إن صحت هذه الحكاية عن فتح الموصلى فهو من التعلل البارد المخالف للشرع والعقل لأن الله تعالى أباح الكسب وندب اليه فاذا قال قائل ربما خبزت خبزاً فأكله عاص كان حديثاً فارغا لأنه لا يجوز لنا إذًا أن نبيع الخبز لليهود والنصارى.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى ترك التداوى

قال المصنف رحمه الله : لايختلف العلماء أن التداوى مباح وإنما رأى بعضهم أن العزيمة تركه. وقد ذكرنا كلام الناس فى هذا وبينا بما اخترناه فى كتابنا لقط المنافع فى الطب. والمقصود ههنا انا نقول اذا ثبت أن التداوى مباح بالإجماع مندوب اليه عند بعض العلماء فلا يلتفت الى قول قوم قد رأوا أن التداوى خارج من التوكل لأن الإجماع على انه لايخرج من التوكل صح عن رسول الله ﷺ انه تداوى وأمر بالتداوى، ولم يخرج بذلك من التوكل ولاأخرج من أمره أن يتداوى من التوكل.

وفى الصحيح من حديث عثمان ابن عفان رضى الله عنه أن النبى ﷺ رخص اذا اشتكى المحرم عينه أن يضمدها بالصبر. قال ابن جريرالطبرى وفى هذا الحديث دليل على فساد مايقوله ذوو الغباوة من أهل التصوف والعباد من أن التوكل لايصح لأحد عالج علة به فى جسدة بدواء إذا ذاك عندهم طلب العافية من غير من بيده العافية والضر والنفع. وفى إطلاق النبى ﷺ للمحرم علاج عينه بالصبر لدفع المكروه أدل دليل على أن معنى التوكل غير ماقاله الذين ذكرنا قولهم ، وان ذلك غير مخرج فاعله من الرضا بقضاء الله كما أن من عرض له كلب الجوع لايخرجه فزعه إلى الغذاء من التوكل والرضا بالقضاء لأن الله تعالى لم ينزل داء إلا أنزل له دواء إلا الموت. وجعل أسبابا لدفع الادواء كما جعل الأكل سببا لدفع الجوع. وقد كان قادرا أن يحيى خلقه بغير هذا ولكنه خلقهم ذوى حاجة فلا يندفع عنهم أذى الجوع إلا بما جعل سبباً لدفعه عنهم فكذا الداء العارض والله الهادى.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية
فى ترك الجمعة والجماعة بالوحدة والعزلة

قال المصنف. كان الخيار السلف يؤثرون الوحدة والعزلة عن الناس اشتغالا بالعلم والتعبد إلا أن عزلة القوم لم تقطعهم عن جمعة ولا جماعة ولا عيادة مريض ولاشهود جنازة ولاقيام بحق. وإنما هى عزلة عن الشر وأهله ومخالطة البطالين وقد لبس إبليس على جماعة من المتصوفة فمنهم من أعتزل فى جبل كالرهبان يبيت وحده ويصبح وحده ففاتته الجمعة وصلاة الجماعة ومخالطة أهل العلم. وعمومهم اعتزل فى الأربطة ففاتهم السعى إلى المساجد وتوطنوا على فراش الراحة وتركوا الكسب وقد قال أبو حامد الغزالى فى كتاب الأحياء مقصود الرياضة تفريغ القلب وليس ذلك إلا بخلوة فى مكان مظلم وقال فان لم يكن مكان مظلم فيلف رأسه فى جبته أو يتدثر بكساء ، أو أزار . ففى مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال حضرة الربوبية .

قال المصنف رحمه الله: قلت أنظر إلى هذه الترتيبات والعجب كيف تصدر من فقيه عالم ومن أين له أن الذى يسمعه نداء الحق وأن الذى يشاهده جلال الربوبية ومايؤمنه أن يكون مايجده من الوساوس والخيالات الفاسدة وهذا الظاهر ممن يستعمل التقلل فى المطعم فإنه يغلب عليه الماليخوليا. وقد يسلم الإنسان فى مثل هذه الحالة من الوساوس إلا أنه إذا تغشى بثوبه وغمض عينيه تخايل هذه الأشياء لأن فى الدماغ ثلاث قوى: قوة يكون بها التخيل وقوة يكون بها الفكرة وقوة يكون بها الذكر وموضع التخيل البطنان المقدمان من بطون الدماغ وموضع التفكر البطن الأوسط من بطون الدماغ وموضع الحفظ الموضع المؤخر فإن أطرق الإنسان وغمض عينيه جال الفكر والتخيل فيرى خيالات فيظنها ما ذكر من حضرة جلال الربوبية إلى غير ذلك نعوذ بالله من هذه الوساوس والخيالات الفاسدة .

أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا رزق الله بن عبد الوهاب نا أبوعبدالرحمن السلمى قال سمعت أبا بكر البجلى يقول سمعت أبا عثمان ابن الآدمى قال كان أبو عبيد التسترى إذا كان أول يوم من شهر رمضان يدخل البيت ويقول لامرأته طينى باب البيت والق إلى كل ليلة من الكوة

رغيفاً فإذا كان يوم العيد دخلت فوجدت ثلاثين رغيفاً فى الزاوية ولاأكل ولاشرب ولايتهيأ لصلاة ويبقى على طهر واحد إلى آخر الشهر .

قال المصنف رحمه اللّه: هذه الحكاية عندى بعيدة عن الصحة من وجهين أحدها بقاء الآدمى شهراً لا يحدث بنوم ولا بول ولا غائط ولا ريح: والثانى ترك المسلم صلاة الجمعة والجماعة وهى واجبة لا يحل تركها فإن صحت هذه الحكاية فما أبقى إبليس لهذا فى التلبيس بقية. قال أنبأنا زاهر بن طاهر نا احمد بن الحسين البيهقى ثنا الحاكم أبوعبد الله النيسابورى وسمعت أبا الحسن البوشنجى الصوفى غير مرة يغاتب فى ترك الجمعة والجماعة والتخلف عنها فيقول: ان كانت البركة فى الجماعة فإن السلامة فى العزلة .

فصل

وقد جاء النهى عن الانفراد الموجب للبعد عن العلم والجهاد للعدو. أخبرنا ابن الحصين نا أبو على بن المذهب نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن احمد قال حدثنى أبى ثنا أبو المغيرة ثنا معان بن رفاعة ثنى على بن يزيد عن القاسم عن أبى امامة قال خرجنا مع رسول الله ﷺ فى سرية من سراياه قال فمر رجل بغار فيه شىء من ماء قال فحدث نفسه بأن يقيم فى ذلك الغاو فيقوته ما كان فيه وفيه شىء من ماء ويصيب ما حوله من البقل ويتخلى عن الدنيا ثم قال: لو أنى أتيت نبى الله ﷺ فذكرت ذلك له فإن أذن لى فعلت والا لم أفعل فأتاه فقال يا نبى الله انى مررت بغار فيه ما يقوتنى من الماء والبقل فحدثتنى نفسى بأن أقيم فيه وأتخلى من الدنيا. قال فقال نبى الله ﷺ « انى لم أبعث باليهوديه ولا بالنصرانية ولكنى بعثت بالحنيفية السمحة والذى نفس محمد بيده لغدوة أو روحة فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ولمقام أحدكم فى الصف خير من صلاته ستين سنة».

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية
فى التخشع ومطأطأة الرأس وإقامة الناموس

قال المصنف رحمه اللّه: إذا سكن الخوف القلب أوجب خشوع الظاهر ولا يملك صاحبه دفعه فتراه مطرقاً متأدبا متذللا وقد كانوا يجتهدون فى

ستر ما يظهر منهم من ذلك. وكان محمد بن سيرين يضحك بالنهار ويبكي بالليل. ولسنا نأمر العالم بالانبساط بين العوام فإن ذلك يؤذيهم. فقد روى عن على رضى الله عنه إذا ذكرتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بضحك فتمجه القلوب ومثل هذا لا يسمى رياء لأن قلوب العوام تضيق عن التأويل للعلم اذا تفسح فى المباح فينبغى أن يتلقاهم بالصمت والأدب وإنما المذموم تكلف التخشع والتباكى ومطأطأة الرأس ليرى الإنسان بعين الزهد والتهيؤ للمصافحة وتقبيل اليد وربما قيل له ادع لنا فيتهيأ للدعاء كأنه يستنزل الإجابة وقد ذكرنا عن إبراهيم النخعى أنه قيل له ادع لنا فكره ذلك واشتد عليه. وقد كان فى الخائفين من حمله الخوف على شدة الذل والحياء فلم يرفع رأسه إلى السماء وليس هذا بفضيلة لأنه لا خشوع فوق خشوع رسول الله ﷺ. وفى صحيح مسلم من حديث أبى موسى قال كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء. وفى هذا الحديث دليل على استحباب النظر إلى السماء لأجل الاعتبار بآياتها وقد قال الله تعالى: **﴿ أو لم يروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها ﴾** وقال: **﴿قل انظروا ماذا فى السموات والأرض ﴾** وفى هذا رد على المتصوفين فإن أحدهم يبقى سنين لا ينظر إلى السماء. وقد ضم هؤلاء الى ابتداعهم الرمز إلى التشبيه ولو علموا أن اطراقهم كرفعهم فى باب الحياء من الله تعالى لم يفعلوا ذلك غير أن ما شغل إبليس إلا التلاعب بالجهلة. فأما العلماء فهو بعيد عنهم شديد الخوف منهم لأنهم يعرفون جميع أمره ويحترزون من فنون مكره.

أخبرنا محمد بن ناصر وعمر بن ظفر قالا أخبرنا محمد بن الحسن الباقلانى نا القاضى أبو العلاء الواسطى نا أبو نصر احمد بن محمد نا أبو الخير احمد بن محمد البزاز ثنا البخارى ثنا إسحاق ثنا محمد بن المفضل ثنا الوليد بن جميع عن أبى سلمة ابن عبد الرحمن قال: لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ منحرفين ولا متماوتين وكانوا يتناشدون الشعر فى مجالسهم ويذكرون أمر جاهليتهم فإذا أريد احد منهم على شىء من أمر دينه دارت حماليق عينيه كأنه مجنون. أخبرنا عبد الوهاب الحافظ ثنا جعفر بن احمد نا عبد العزيز الحسن بن إسماعيل الضراب نا أبى ثنا احمد بن مروان ثنا إبراهيم الحربى ثنا محمد بن الحارث عن المداينى عن

محمد بن عبد الله القرشي عن أبيه قال: نظر عمر ابن الخطاب رضى الله عنه إلى شاب قد نكس رأسه فقال له. يا هذا ارفع رأسك فإن الخشوع لا يزيد على ما فى القلب فمن أظهر للناس خشوعا فوق ما فى قلبه فإنما أظهر نفاقا على نفاق.

أخبرنا عبد الوهاب نا المبارك بن عبد الجبار نا على بن احمد الملطى ثنا احمد بن محمد بن يوسف ثنا ابن صفوان نا أبو بكر القرشى ثنى يعقوب بن إسماعيل قال: قال عبد الله أخبرنا المعتمر عن كهمس بن الحسين أن رجلا تنفس عند عمر بن الخطاب كأنه يتحازن فلكزه عمر أو قال لكمه.

أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن احمد نا الحسن بن على التميمى نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن احمد ثنى أبى ثنا اسود بن عامر نا أبو بكر عن عاصم بن كليب الجرمى: قال لقى أبى عبد الرحمن بن الأسود وهو يمشى وكان إذا مشى يمشى جنب الحائط متخشعا هكذا. وأمال أبوبكر عنقه شيئا فقال أبى مالك أذا مشيت مشيت إلى جنب الحائط: أما والله ان عمر إذا مشى لشديد الوطء على الأرض جهورى الصوت.

أخبرنا محمد بن أبى طاهر نا ابو محمد الجوهرى نا ابن حياة نا أبوالحسن ابن معروف ثنا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد يرفعه إلى سليمان بن أبى خيثمة عن أبيه قال قالت الشفا بنت عبد الله ورأت فتيانا يقصرون فى المشى ويتكلمون رويدا فقالت ما هذا قالوا نساك. قالت. كان والله عمر إذا تكلم أسمع وإذ مشى أسرع وإذا ضرب أوجع وهو الناسك حقا.

قال المصنف رحمه الله: قلت وقد كان السلف يسترون أحوالهم ويتصنعون بترك التصنع. وقد ذكرنا عن أيوب السختيانى أنه كان فى ثوبه بعض الطول ليستر حاله. وكان سفيان الثورى يقول لا أعتد بما ظهر من عملى وقال لصاحب له ورآه يصلى ما أجراك تصلى والناس يرونك. قال حدثنا محمد بن ناصر ثنا عبد القادر بن يوسف نا ابن المذهب نا القطيعى ثنا عبد الله بن احمد ثنا أبو عبد الله يعنى السلمى ثنا بقية عن محمد ابن زياد قال: مر أبو أمامة برجل ساجد فقال يا لها من سجدة لو كانت فى بيتك.

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت نا الجوهرى ثنا محمد بن العباس ثنا محمد بن القاسم الأنبارى ثنا الحارث بن محمد ثنا يحيى بن

أيوب ثنا شعيب بن حرب ثنا الحسين بن عمار. قال: رجل في مجلس الحسين بن عمارة: آه. قال: فجعل يتبصره ويقول من هذا حتى ظننا أنه لو عرفه أمر له. أخبرنا إسماعيل بن أحمد المقرئ نا أحمد بن أحمد الحداد ثنا أبو نعيم الحافظ نا أبو عبد الله محمد بن جعفر ثنا عبد الله بن محمد بن يعقوب ثنا أبو حاتم ثنا حرملة قال سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول:

ودع الذين إذا أتوك تنسكوا ... وإذا خلوا فهم ذئاب حقاف

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أحمد بن علي بن ثابت نا أبو عبد الله الحسين بن محمد أخو الخلال نا جعفر بن محمد الواسطي نا الحسين بن عبد الله الإبزاري قال سمعت إبراهيم بن سعيد يقول: كنت واقفاً على رأس المأمون فقال لي: يا إبراهيم. قلت: لبيك. قال: عشرة من أعمال البر لا يصح والله منها شيء. قلت: ما هي يا أمير المؤمنين؟ فقال: بكاء ابن إبراهيم على المنبر، وخشوع عبد الرحمن بن إسحاق، وتقشف ابن سماعة، وصلاة خيثويه بالليل، وصلاة عياش بالضحى، وصيام ابن السندي الاثنين والخميس، وحديث أبي رجاء، وقصص الحاجب، وصدقة حفصويه وكتاب الشامي ليعلى بن قريش.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في ترك النكاح

قال المصنف: النكاح مع خوف العنت واجب ومن غير خوف العنت سنة مؤكدة عند الجمهور من الفقهاء. ومذهب أبي حنيفة وأحمد بن حنبل أنه حينئذ أفضل من جميع النوافل لأنه سبب في وجود الولد قال ﷺ: «تناكحوا تناسلوا». وقال رسول الله ﷺ: «النكاح من سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني». أخبرنا محمد بن أبي طاهر نا الجوهري نا أبو عمر بن حياة نا أحمد بن معروف ثنا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد نا سليمان بن داود الطيالسي نا إبراهيم بن سعد عن الزهري عن سعيد ابن المسيب عن سعد بن أبي وقاص قال: لقد رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له في ذلك لاختصينا. قال ابن سعد وأخبرنا عفان نا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك «أن نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ سألوا أزواج النبي عليه السلام عن عمله في السر فأخبروهم فقال بعضهم لا آكل اللحم وقال بعضهم لا أتزوج

النساء وقال بعضهم لا أنام الليل على فراش. وقال بعضهم أصوم ولا أفطر فحمد الله النبى ﷺ وأثنى عليه ثم قال: ما بال أقوم قالوا كذا وكذا لكنى أصلى وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى». قال ابن سعد وأخبرنا سعيد بن منصور نا أبو عوانة عن عطاء ابن السايب عن سعيد بن عبيد قال: قال ابن عباس رضى الله عنه: «إن خير هذه الأمة كان أكثرها نساء». قال ابن سعد وأخبرنا احمد ابن عبد الله بن قيس ثنا ميذل عن أبى رجاء الجزرى عن عثمان بن خالد بن محمد بن مسلم قال قال شداد بن أوس زوجونى فإن رسول الله ﷺ أوصانى أن لا ألقى الله عزباً. وأخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر ثنا عبدالله بن احمد ثنى أبى ثنا عبد الرزاق نا محمد بن راشد عن مكحول عن رجل عن أبى ذر قال. دخل على رسول الله ﷺ رجل يقال له عكاف بن بشر التميمى الهلالى فقال له النبى ﷺ «يا عكاف هل لك من زوجة قال لا قال ولا جارية قال لا قال وأنت موسر بخير قال وأنا موسر قال أنت اذاً من إخوان الشياطين لو كنت من النصارى لكنت من رهبانهم إن سنتنا النكاح شراركم عزابكم وأرذال موتاكم عزابكم أبا لشياطين تمر سوم ما للشياطين من سلاح أبلغ فى الصالحين من ترك النساء».أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر نا عبد الله بن احمد بن حنبل ثنى أبى ثنى أيوب بن النجار عن طيب بن محمد عن عطاء بن أبى رباح عن أبى هريرة قال: «لعن رسول الله ﷺ مخنثى الرجال الذين يتشبهون بالنساء والمترجلات من النساء المتشبهات بالرجال والمتبتلين من الرجال الذين يقولون لا نتزوج والمتبتلات من النساء الاتى يقلن ذلك» أخبرنا محمد بن ناصر نا عبد القادر بن محمد قال نا أبو بكر الخياط نا أبو الفتح بن أبى الفوارس نا احمد بن جعفر الجيلى ثنا احمد بن محمد ابن عبد الخالق ثنا أبو بكر المروزى قال سمعت أبا عبد الله احمد بن حنبل يقول: ليس العزوبة من أمر الإسلام فى شىء النبى عليه الصلاة والسلام تزوج أربع عشرة امرأة ومات عن تسع ثم قال لو كان بشر بن الحارث تزوج كان قد تم أمره كله. لو ترك الناس النكاح لم يغزوا ولم يحجوا ولم يكن كذا ولم يكن كذا وقد كان النبى ﷺ يصبح وما عندهم شىء وكان يختار النكاح ويحث عليه

وينهى عن التبتل فمن رغب عن فعل النبى عليه الصلاة والسلام فهو على غير الحق. ويعقوب عليه السلام فى حزنه قد تزوج وولد له. والنبى عليه الصلاة والسلام قال حبب إلىّ النساء. قلت فإن إبراهيم ابن آدم يحكى عنه بأنه قال لروعة صاحب عيال فما قدرت أن أتم الحديث حتى صاح بى وقال وقعنا فى بنيات الطريق أنظر عافاك الله ما كان عليه نبينا محمد ﷺ وأصحابه ثم قال: لبكاء الصبى بين يدى أبيه يطلب منه خبزاً أفضل من كذا وكذا انى يلحق المتعبد المتعزب المتزوج .

فصل

وقد لبس إبليس على كثير من الصوفية فمنعهم من النكاح فقد ماؤهم تركوا ذلك تشاغلا بالتعبد ورأوا النكاح شاغلا عن طاعة اللّه عز وجل وهؤلاء وإن كانت بهم حاجة إليه النكاح أو بهم نوع تشوق اليه فقد خاطروا بأبدانهم وأديانهم وان لم يكن بهم حاجة اليه فأتتهم الفضيلة. وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله .عن رسول الله ﷺ أنه قال «وفى بضع أحدكم صدقة قالوا يأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر قالوا نعم قال وكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر» ثم قال «أفتحتسبون الشر ولا تحتسبون الخير» ومنهم من قال النكاح يوجب النفقة والكسب صعب وهذه حجة للترفه عن تعب الكسب وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ انه قال «دينار أنفقته فى سبيل الله ودينار أنفقته فى رقبة ودينار أنفقته فى الصدقة ودينار أنفقته على عيالك أفضلها الدينار الذى أنفقته على عيالك». ومنهم من قال النكاح يوجب الميل الى الدنيا فروينا عن أبى سليمان الدارانى انه قال: اذا طلب الرجل الحديث أو سافر فى طلب المعاش أو تزوج فقد ركن الى الدنيا .

قال المصنف رحمه الله: قلت وهذا كله مخالف للشرع وكيف لا يطلب الحديث والملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم. وكيف لا يطلب المعاش وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأن أموت من سعى على رجلى أطلب كفاف وجهى أحب إلىّ من أن أموت غازياً فى سبيل اللّه. وكيف لا يتزوج وصاحب الشرع يقول «تناكحوا تناسلوا » فما أرى هذه الأوضاع الا على خلاف الشرع . فأما جماعة من متأخرى الصوفية فانهم

تركوا النكاح ليقال زاهد والعوام تعظم الصوفى اذا لم تكن له زوجة فيقولون ما عرف امرأة قط فهذه رهبانية تخالف شرعنا. قال أبو حامد ينبغى أن لا يشغل المريد نفسه بالتزويج فانه يشغله عن السلوك ويأنس بالزوجة ومن أنس بغير الله شغل عن الله تعالى.

قال المصنف رحمه الله: وانى لأعجب من كلامه أتراه ما علم أن من قصد عفاف نفسه ووجود ولد أو عفاف زوجته فانه لم يخرج عن جادة السلوك أو يرى الأنس الطبيعى بالزوجة ينافى أنس القلوب بطاعة الله تعالى والله تعالى قد منّ على الخلق بقوله: ﴿ **وجعل لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة**﴾. وفى الحديث الصحيح عن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال له «هلا تزوجت بكراً تلاعبها وتلاعبك». وما كان بالذى ليدله على ما يقطع أنسه بالله تعالى. أترى رسول الله ﷺ لما كان ينبسط إلى نسائه ويسابق عائشة رضى الله عنها أكان خارجا عن الأنس بالله. هذه كلها جهالات بالعلم.

فصل

واعلم انه اذا دام ترك النكاح على شبان الصوفية أخرجهم إلى ثلاثة أنواع: النوع الأول المرض بحبس الماء فان المرء اذا طال احتقانه تصاعد الى الدماغ منه منيه. قال أبو بكر محمد بن زكريا الرازى. أعرف قوماً كانوا كثيرى المنى فلما منعوا أنفسهم من الجماع لضرب من التفلسف بردت أبدانهم وعسرت حركاتهم ووقعت عليهم الكآبة بلا سبب وعرضت لهم أعراض الماليخوليا وقلت شهواتهم وهضمهم قال. ورأيت رجلا ترك الجماع ففقد شهوة الطعام وصار ان أكل القليل لم يستمره وتقاياه فلما عاد إلى عادته من الجماع سكنت عنه هذه الأعراض سريعاً. النوع الثانى الفرار إلى المتروك فان منهم خلقاً كثيراً صابروا على ترك الجماع فاجتمع الماء فأقلقوا جعواً فلا مسوا النساء ولا بسوا من الدنيا أضعاف ما فروا منه فكانوا كمن أطال الجوع ثم أكل ما ترك فى زمن الصبر. النوع الثالث الانحراف إلى صحبة الصبيان فان قوماً منهم أيسوا أنفسهم من النكاح فأقلقهم ما اجتمع عندهم فصاروا يرتاحون إلى صحبة المرد.

فصل

وقد لبس على قوم منهم تزوجوا وقالوا انا لا ننكح شهوة فان أرادوا

أن الأغلب في طلب النكاح إرادة السنة جار وان زعموا انه لا شهوة لهم في نفس النكاح فمحال ظاهر .

فصل

وقد حمل الجهل أقواماً فجبوا أنفسهم وزعموا انهم فعلوا ذلك حياء من الله تعالى وهذه غاية الحماقة لأن الله تعالى شرف الذكر على الأنثى بهذه الآلة وخلقها لتكون سبباً للتناسل والذى يجب نفسه يقول بلسان الحال الصواب ضد هذا ثم قطعهم الآلة لا تزيل شهوة النكاح من النفس فما حصل لهم مقصودهم .

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى ترك طلب الأولاد

أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقى قالا نا حمد بن احمد نا أبو نعيم احمد ابن عبد الله ثنا إسحاق بن احمد ثنا ابراهيم بن يوسف ثنا احمد بن أبى الحوارى قال. سمعت أبا سليمان الدار انى يقول الذى يريد الولد أحمق لا للدنيا ولا للآخرة ان أراد أن يأكل أو ينام أو يجامع نغص عليه وان أراد أن يتعبد شغله .

قال المصنف رحمه الله: قلت: وهذا غلط عظيم وبيانه انه لما كان مراد الله تعالى من إيجاد الدنيا إتصال دوامها الى أن ينقضى أجلها وكان الآدمى غير ممتد البقاء فيها الا الى أمد يسير أخلف الله تعالى منه مثله فحثه على سببه فى ذلك تارة من حيث الطبع بايقاد نار الشهوة وتارة من باب الشرع بقوله تعالى: ﴿**وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم**﴾ وقول الرسول ﷺ «تنكاحوا تناسلوا فانى أباهى بكم الأمم يوم القيامة ولو بالسقط» وقد طلب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الأولاد. فقال تعالى حكاية عنهم ﴿ **رب هب لى من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء** ﴾، ﴿ **رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى** ﴾ إلى غير ذلك من الآيات. وتسبب الصالحون الى وجودهم ورب جماع حدث منه ولد مثل الشافعى واحمد بن حنبل فكان خيراً من عبادة ألف سنة. وقد جاءت الأخبار باثابة المباضعة والانفاق على الأولاد والعيال ومن يموت له ولد ومن يخلف ولداً بعده فمن أعرض عن طلب الأولاد والتزوج فقد خالف المسنون والأفضل وحرم أجراً جسيما ومن فعل ذلك فانما يطلب

الراحة. أخبرنا عمر بن ظفر أنا جعفر بن أحمد بن السراج نا أبو القاسم الأزجي ثنا ابن جهضم ثنا الخلدي قال سمعت الجنيد يقول: الأولاد عقوبة شهوة الحلال فما ظنكم بعقوبة شهوة الحرام.

قال المصنف رحمه الله: وهذا غلط فإن تسمية المباح عقوبة لا يحسن لأنه لا يباح شيء ثم يكون ما يتجدد منه عقوبة ولا يندب إلى شيء إلا وحاصله مثوبة.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في الأسفار والسياحة

قد لبس إبليس على خلق كثير منهم فأخرجهم إلى السياحة لا إلى مكان معروف ولا إلى طلب علم وأكثرهم يخرج على الوحدة ولا يستصحب زاداً ويدعي بذلك الفعل التوكل فكم تفوته من فضيلة وفريضة وهو يرى أنه في ذلك على طاعة وأنه يقرب بذلك من الولاية وهو من العصاة المخالفين لسنة رسول الله ﷺ. وأما السياحة والخروج لا إلى مكان مقصود فقد نهى رسول الله ﷺ عن السعي في الأرض في غير أرب وحاجة. أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك ابن عبد الجبار نا إبراهيم ابن عمر البرمكي نا ابن حياة نا عبيد الله ابن عبد الرحمن السكري قال: سمعت أبا محمد ابن قتيبة يقول: حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن عمرو عن أبي إسحاق عن سفيان عن ابن جريج عن مسلم عن طاوس أن رسول الله ﷺ قال: «لا زمام ولا خزام ولا رهبانية ولا تبتل ولا سياحة في الإسلام». قال ابن قتيبة الزمام في الأنف والخزام حلقة من شعر يجعل في أحد جانبي المنخرين إنما أراد ﷺ ما كان عباد بني إسرائيل يفعلونه من خزم التراقي وزم الأنوف والتبتل ترك النكاح والسياحة مفارقة الأمصار والذهاب في الأرض. وروى أبو داود في سننه من حديث أبي أمامة أن رجلاً قال يا رسول الله إئذن لي في السياحة فقال النبي ﷺ: «إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله».

قال المصنف رحمه الله: وقد ذكرنا فيما تقدم من حديث ابن مظعون أنه قال يا رسول الله إن نفسي تحدثني بأن أسيح في الأرض. فقال النبي ﷺ له «مهلا يا عثمان فإن سياحة أمتي الغزو في سبيل الله والحج والعمرة». وقد روى إسحاق بن إبراهيم بن هانئ عن أحمد بن حنبل أنه

سئل عن الرجل يسيح يتعبد أحب اليك أو المقيم فى الأمصار قال. ما السياحة من الأسلام فى شىء ولا من فعل النبيين ولا الصالحين .

فصل

وأما الخروج على الوحدة فقد نهى الوسول الله ﷺ أن يسافر الرجل وحده. فأخبرنا عبد الرحمن بن محمد نا احمد بن على بن ثابت نا محمد بن الطيب الصباغ نا احمد بن سليمان النجاد ثنا يحيى بن جعفر ابن أبى طالب ثنا على بن عاصم ثنا عبد الرحمن بن يزيد ثنا عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ قال «الراكب شيطان والاثنان شيطانان والثلاثة ركب». أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله بن احمد ثنى أبى ثنا أيوب بن النجار عن طيب بن محمد عن عطاء بن أبى رباح عن أبى هريرة قال«لعن رسول الله ﷺ راكب الفلاة وحده».

فصل

وقد يمشون بالليل أيضاً على الوحدة. وقد نهى النبى ﷺ عن ذلك. وأخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنا محمد بن عبيد ثنا عاصم عن أبيه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال النبى ﷺ . لو يعلم الناس ما فى الوحدة ما سار أحد وحده بليل أبداً. قال عبد الله وحدثنى أبى ثنا محمد بن أبى عدى ثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم عن عطاء بن يسار عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال. قال رسول الله ﷺ «أقلو الخروج إذا هدأت الرجل فإن الله تعالى يبث فى خلقه ما شاء».

قال المصنف رحمه الله: وفيهم من جعل دأبة السفر والسفر لا يراد لنفسه قال النبى ﷺ «السفر قطعة من العذاب فإذا قضى أحدكم نهمته من سفره فليعجل إلى أهله ، فمن جعل دأبه السفر فقد جمع بين تضييع العمر وتعذيب النفس وكلاهما مقصود فاسد. أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم ثنا أبى قال سمعت محمد بن أبى الطيب العكى يقول سمعت أبا الحسن المصرى يقول سمعت أبا حمزة الخراسانى يقول كنت قد بقيت محرماً فى عباء أسافر كل سنة الف فرسخ تطلع الشمس علىّ وتغرب كلما أحللت أحرمت .

ذكر تلبيسه عليهم فى دخول الفلاة بغير زاد

قال المصنف رحمه الله: قد لبس على خلق كثير منهم فأوهمهم أن التوكل ترك الزاد وقد بينا فساد هذا فيما تقدم إلا أنه قد شاع هذا فى جهلة القوم ، وجاء حمقى القصاص يحكون ذلك عنهم على سبيل المدح لهم به فيتضمن ذلك تحريض الناس على مثل ذلك وبأفعال الثك ومدح هؤلاء لهؤلاء فسدت الأحوال وخفيت على العوام طرق الصواب. والاخبار عنهم بذلك كثيرة وأنا أذكر منها نبذة. أنبأنا محمد بن عبد الملك نا أبو بكر نا رضوان بن محمد الدينورى ثنا طاهر بن عبد الله ثنا الفضل ابن الفضل الكندى ثنى أبوبكر محمد بن عبد الواحد بن جعفر الواسطى ثنا محمد بن السفاح عن على بن سهل المصرى قال إخبرنى فتح الموصلى قال خرجت حاجاً فلما توسطت البادية إذا أنا بغلام صغير فقلت ياعجبا بادية بيداء وأرض قفراء، وغلام صغير فأسرعت فلحقته فسلمت عليه ثم قلت يا بنى إنك غلام صغير لم تجر عليك الأحكام قال يا عم قد مات من كان أصغر سناً منى فقلت وسع خطاك فإن الطريق بعيد حتى تلحق المنزل. فقال يا عم علىّ المشى وعلى الله البلاغ، أما قرأت قوله تعالى. «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » فقلت له مالى لا أرى معك لا زاداً ولا راحلة. فقال يا عم. زادى يقينى وراحلتى رجائى. قلت: سألتك عن الخبز والماء قال يا عم أخبرنى لو أن أخاً من إخوانك أو صديقا من أصدقائك دعاك إلى منزله أكنت تستحسن أن تحمل معك طعاماً فتأكله فى منزله. فقلت أزودك فقال اليك عنى يا بطال هو يطعمنا ويسقينا قال فتح. فما رأيت صغيراً أشد توكلا منه ولا رأيت كبيراً أشد زهداً منه .

قال المصنف رحمه الله: بمثل هذه الحكاية تفسد الأمور ويظن أن هذا هو الصواب ويقول الكبير إذ كان الصغير قد فعل هذا فانا أحق بفعله منه. وليس العجب من الصبى بل من الذى لقيه كيف لم يعرفه إن هذا الذى يفعله منكر وأن الذى استدعاك أمرك بالتزود ومن ماله يتزود ولكن مضى على هذا كبار القوم فكيف الصغار. أخبرنا أبومنصور القزاز نا أبو بكر احمد ابن على الحافظ نا أبو نعيم الاصفهانى قال سمعت محمد بن الحسن بن على اليعيظى يقول حضرت أبا عبد الله الجلاء وقيل له عن هؤلاء الذين يدخلون البادية بلا زاد ولا عدة يزعمون أنهم متوكلون

فيموتون فى البرارى. فقال هذا فعل رجال الحق فإن ماتوا فالدية على القاتل أخبرنا ابن ناصر أنبأنا أحمد بن علـى بن خلف نا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا الحسين الفارسى يقول سمعت أحمد بن على يقول. قال رجل لأبى عبد الله بن الجلاء. ما تقول فى الرجل يدخل البادية بلا زاد. قال هذا من فعل رجال الله ، قال فإن مات قال :الدية على القاتل .

قال المصنف رحمه الله: قلت هـذه فتوى جاهل بحكم الشرع إذا لا خلاف بين فقهاء الإسلام انه لا يجوز دخول البادية بغير زاد وإن من فعل ذلك فمات بالجوع فانه عاص لله تعالى مستحق لدخول النار. وكذلك إذا تعرض بما غالبه العطب فإن الله جعل النفوس وديعة عندنا فقال: ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ وقد تكلمنا فيما تقدم فى وجوب الاحتراز من المؤذى. ولو لم يكن المسافر بغير زاد إلا أنه خالف أمر الله فى قوله «وتزودوا». أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نـا ابن باكويه قال: سمعت أبا احمد الكبير يقول سمعت أبا عبد الله بن خفيف قال خرجت من شيراز فى السفرة الثالثة فتهت فى البادية وحدى وأصابنى من الجوع والعطش ما أسقط من أسنانى ثمانية وانتثر شعرى كله .

قال المصنف رحمه الله: قلت هذا قد حكى عن نفسه مظاهره طلب المدح على ما فعل والذم لاحق به: أخبرنا أبو منصور القزاز نا أحمد بن على بن ثابت نا عبد الكريم ابن هو ازن قال: سمعت ابا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن عبد الله الواعظ. وأخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا أبو عبد الله بن باكويه واللفظ له ثنا أبو الفضل يوسف بن على البلخى ثنا محمد بن عبد الله أبو حمزة الصوفى. قال: انى لاستحى من الله أن أدخل البادية وأنا شبعان وقد اعتقدت التوكل لئلا يكون شبعى زاداً تزودته. قال المصنف رحمه الله. قلت وقد سبق الكلام على مثل هذا وإن هؤلاء القوم ظنوا أن التوكل ترك الأسباب. ولو كان هكذا لكان رسول الله ﷺ حين تزود لما خرج إلى الغار قد خرج من التوكل. وكذلك موسى لما طلب الخضر تزود حوتا. وأهل الكهف حين خرجوا فاستصحبوا دراهم واستخفوا ما معهم وإنما خفى على هؤلاء معنى التوكل لجهلهم وقد اعتذر لهم أبو حامد.

فقال لا يـجوز دخول المفارة بغـير زاد إلا بشرطين أحدهـما أن يكون الإنسان قـد راض نفسه حيث يـمكنه الصبر علـى الطعام اسبوعـا ونحوه والثانى أن يمـكنه التقوت بالحشـيش ولا تخلوا البادية مـن أن يلقاه آدمى بعد أسبوع أو ينتهى إلى حلة أو حشيش يرجى به وقته.

قال المصنف رحمه الله: قلت أقبح ما فى هذا القول انه صدر من فقيه فإنه قد لا يلقى أحـدا وقد يضل وقد يمرض فلا يصلح لـه الحشيش وقد يلقى من لا يـطعمه ويتعـرض بمن لا يضيفه وتفـوته الجماعة قطـعاً وقد يموت ولا يلبه أحـد. ثم قد ذكرنا ما جاء فى الوحـدة ثم ما المخرج إلى هذه المحن إن كـان يعتـمد فـيها علـى عادة أو لقـاء شخص والاجـتزاء بحشيش وأى فضـيلة فى هذه الحال حتى يخاطر فيهـا بالنفس. وأين أمر الإنسان أن يتقوت بحشيش ومـن فعل هذا من السلف وكأن هؤلاء القوم يجزمون على اللـه سبحانه هل يرزقهم فى الباديـة ومن طلب الطعام فى البرية فقد طلب ما لم تجر به الـعادة الا ترى، أن قوم موسى عليه السلام لما سألوا من بقلها وقثائها وفولـها وعدسها وبصلها أوحى الله إلى موسى ﴿ ان اهبطوا مـصرا ﴾ وذلك لأن الذى طلبـوه فى المصار فهـؤلاء القوم على غاية الخطأ فى مخالفة الشرع والعقل والعمل بموافقات النفس.

أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك بن عـبد الجبار نا عبد العزيز بن على الازجى نا إبراهيم بن محمد بن جعفـر الساجى نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر ثنا أبو بكر احمد ابن محمد الخلال نا الحسن بن احمد الكرمانى ثنا أبو بكـر ثنا شبـابة ثنا ورقـاء عن عـمرو ابن دينـار عن عكرمـه عن ابن عباس. قال كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيحجـون فيأتون إلى مكة فيسألون الـناس فأنزل الله عز وجل **﴿وتزودوا فإن خير الـزاد التقوى ﴾**. أخبرنا أبو المـعمر الانصارى نا يحيـى بن عبد الوهاب ابن منده نا أبو طاهر مـحمد بن احمد بن عبد الرحـيم نا محمد بن حسان ثنا أبو بكر احمد ابـن هارون المردنجى ثنا عبد الله بن الأزهر ثنا أسباط ثنا محمد بن موسى الجرجانى قال سألت محمد بن كثير الصنعانى عن الزهـاد الذين لا يتزودون ولا يـنتعلون ولا يـلبسـون الخفاف. فـقال سألتنى عن أولاد الشياطين ولم تسألنى عن الزهاد. فقلت له. فأى شىء الزهد: قال التمسك بالسنة والتشبيه بأصحاب النبى ﷺ. أخبرنا محمد

بن ناصر نا أبوالحسين بن عبد الجبار نا عبد العزيز بن على الأزجى نا ابراهيم ابن محمد الساجى نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر نا أبو بكر أحمد ابن محمد الخلال نا احمد بن الحسين بن حسان. أن أبا عبد الله احمد بن حنبل سئل عن الرجل يريد المفازة بغير زاد فأنكره إنكاراً شديدا وقال أف أف لا لا ومد بها صوته إلا بزاد ورفقاء قافلة. قال الخلال : وقال أبو بكر المروزى وجاء رجل إلى أبى عبد الله فقال رجل يريد سفراً ايما أحب اليك يحمل معه زاداً أو يتوكل. فقال له أبوعبد الله. يحمل معه زاداً ويتوكل حتى لا يتشرف للناس قال الخلال : وأخبرنى إبرهيم بن الخليل أن احمد بن نصر حدثهم أن رجلا سأل أبا عبد الله أيخرج الرجل إلى مكة متوكلا لا يحمل معه شيئاً قال لا يعجبنى فمن أين يأكل قال فيتوكل فيعطيه الناس قال فاذا لم يعطوه اليس يتشرف لهم حتى يعطوه لا يعجبنى هذا. لم يبلغنى أن أحدا من أصحاب النبىﷺ والتابعين فعل هذا. قال الخلال. وأخبرنا محمد بن على السمسار أن محمد بن موسى بن مسيس حدثهم أن أبا عبد الله سأله رجل فقال أحج بلا زاد فقال لا. اعمل واحترف وأخرج النبى ﷺ زود اصحابه فقال : فهؤلاء الذين يعرفون ويحجون بلا زادهم على الخطأ قال نعم هم على الخطأ قال الخلال وأخبرنى محمد بن احمد بن جامع الرازى قال سمعت الحسين الرازى قال شهدت احمد بن حنبل وجاءه رجل من أهل خرسان فقال له يا أبا عبد الله معى درهم أحج بهذا الدرهم. فقال له أحمد اذهب إلى باب الكرخ فاشتر بهذا الدرهم حبا واحمل على رأسك حتى يصير عندك ثلثمائة درهم فحج. قال يا أبا عبد الله أما ترى مكاسب الناس قال احمد لا تنظر إلى هذا فإنه من رغب فى هذا يريد أن يفسد على الناس معايشهم قال يا أبا عبد الله أنا متوكل قال فتدخل البادية وحدك أو مع الناس قال لا مع الناس قال كذبت إذن لست بمتوكل فادخل وحدك والا فأنت متوكل على جراب الناس.

سياق ما جرى للصوفية فى أسفارهم وسياحاتهم من الأفعال المخالفة للشرع

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر أحمد بن على ابن ثابت نا محمد بن عبد الباقى نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم

الحافظ ثنا أحمد ابن محمد بن مقسم ثنى أبو بدر الخياط الصوفى قال سمعت أبا حمزة يقول :

سافرت سفرة على التوكل فبينما أنا أسير ذات ليلة والنوم فى عينى إذ وقعت فى بئر فرأيتنى قد حصلت فيها فلم أقدر على الخروج لبعد مرتقاها فجلست فيها فبينما أنا جالس إذ وقف على رأس البئر رجلان فقال أحدهما لصاحبه لجوز ونترك هذه البئر فى طريق المسلمين السابلة والمارة، فقال الآخر : فما نصنع قال : فبدرت نفسى أن أناديهما فنوديت تتوكل علينا وتشكو بلاءنا إلى سوانا. فسكت فمضيا ثم رجعا ومعهما شىء فجعلاه على رأسها غطوها به. فقالت لى نفسى أمنت طمها ولكن حصلت فيها مسجوناً. فمكثت يومى وليلتى فلما كان الغد نادانى شىء يهتف بى ولا أراه تمسك بى شديداً فمددت يدى فوقعت على شىء خشن فتمسكت به فعلاها وطرحنى فوق الأرض فاذا هو سبع فلما رأيته لحق نفسى من ذلك ما يلحق من مثله فهتف بى هاتف وهو يقول : يا أبا حمزة استنقذناك من البلاء بالبلاء وكفيناك ما تخاف بما تخاف. أخبرنا محمد بن ناصر نا محمد بن أبى نصر الحميدى نا أبو بكر محمد ابن أحمد الأردستانى ثنا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت محمد بن حسن المحرمى سمعت ابن المالكى يقول : قال أبو حمزة الخراسانى حججت سنة من السنين فبينا أنا أمشى فى الطريق وقعت فى بئر فنازعتنى نفسى إن استغيث فقلت لا والله لا استغيث فما أتممت هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان فقال أحدهما للآخر تعال نسد رأس هذا البئر فى هذا الطريق فأتوا بقصب وباريه فهممت فقلت إلى من هو أقرب إليك فمنها وسكت حتى طموا رأس البئر فإذا بشئ قد جاء فكشف عن رأس البئر ودلى رجليه وكان يقول فى همهمة له تعلق بى فتعلقت به فأخرجنى فنظرت فإذا هوسبع فهتف بى هاتف وهو يقول يا أبا حمزة أليس ذا حسن لجيناك من التلف بالتلف .

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أحمد بن على بن ثابت نا أبو القاسم رضوان بن محمد ابن الحسن الدينورى قال سمعت أحمد بن محمد بن عبد الله النيسابورى يقول : سمعت أبا عبد الله محمد بن نعيم يحكى عن أبى حمزة الصوفى الدمشقى أنه لما خرج من البئر أنشد يقول :

نهانى حيائى منك أن أكشف الهوى   فأغنيتنى بالقرب منك عن الكشف
تراءيت لى بالغيب حتى كأننـــى   تبشرنى بالغيب إنك فى الكـــف
أراك وبى من هيبتى لك وحشـــة   وتؤنسنى بالعطف منك وباللطـف
وتحيى محباً أنت فى الحب حتفــه   وذا عجب كون الحياة مع الحتـف

قال المصنف رحمه الله: قلت اختلفوا فى أبى حمزة هذا الواقع فى البئر فقال أبو عبد الرحمن السلمى: هو أبو حمزة الخراسانى وكان من أقران الجنيد. وقد ذكرنا فى رواية أخرى أنه دمشقى. وقال أبو نعيم الحافظ : هو أبو حمزة البغدادى واسمه محمد بن إبراهيم وذكره الخطيب فى تاريخه وذكر له هذه الحكاية، وأيهم كان فهو مخطىء فى فعله مخالف للشرع بسكوته معين بصمته على نفسه وقد كان يجب عليه أن يصيح ويمنع من طم البئر كما يجب عليه أن يدفع عن نفسه من يقصد قتله. وقوله لا أستغيث كقول القائل : لا آكل الطعام ولا أشرب الماء وهذا جهل من فاعله ومخالفة الحكمة فى وضع الدنيا فان الله تعالى وضع الأشياء على حكمة فوضع للآدمى يداً يدافع بها ولساناً ينطق به وعقلا يهديه إلى دفع المضار واجتلاب المصالح. وجعل الأغذية والأدوية لمصلحة الآدميين فمن أعرض عن استعمال ما خلق له وأرشد إليه فقد رفض أمر الشرع وعطل حكمة الصانع. فإن قال جاهل فكيف احترز مع أمر القدر قلنا وكيف لا يحترز مع أمر المقدر وقد قال الله تعالى: ﴿خذوا حذركم﴾ وقد اختفى النبى ﷺ فى الغار وقال لسراقة «اخف عنا واستأجر دليلا إلى المدينة». ولم يقل اخرج على التوكل وما زال ببدنه مع الأسباب وبقلبه مع المسبب. وقد أحكمنا هذا الأصل فيما تقدم. وقول أبى حمزة فنوديت من باطنى هذا من حديث النفس الجاهلة التى قد استقر عندها بالجهل أن التوكل ترك التمسك بالاسباب لأن الشرع لا يطلب من الانسان ما نهاه عنه وهلا نافره باطنه فى مديده وتعليقه بذلك المتدلى اليه وتمسكه به فإن ذلك أيضاً نقض لما ادعاه من ترك الأسباب الذى يسميه التوكل لأنه أى فرق بين قوله أنا فى البئر وبين تمسكه بما تدلى عليه لا بل هذا آكد لأن الفعل آكد من القول فهلا سكت حتى يحمل بلا سبب. فإن قال : هذا بعثه الله لى. قلنا : والذى جاز على البئر من بعثه واللسان المستغيث من خلقه فإنه لو استغاث كان مستعملا

للاسباب التى خلقهـا الله تعالى لينتفع بها للدفع عنه فلم يستمعها وإنما بسكوته عطل الاسباب التى خلقها الله تعالى له ودفع الحكمة فصح لومه على ترك السبب. وأما تخليصه بالأسد فإن صح هذا فقد يتفق مثله ثم لا ينكر أن الله تعالى يلطف بعبده وإنما ينكر فعله المخالف للشرع .

أخبرنـا أبو منصور القـزازنا أبو بكر احمـد بن على بن ثابت ثنـا عبد العزيـز ابن أبى الحسن قال سـمعت على بن عـبد الله بن جهـضم المكى يقول. ثنا الخـلدى قال : قال الجنيد قـال لى محمد السمـين : كنت فى طريق الكوفة بـقرب الصحراء التى بين قـباء والصخرة التى تفريـقنا منها والطريق منقطع فرأيت على الطريق جملا قد سقط ومات وعليه سبعة أو ثمانية من السبـاع تتناهش لحمه يحمل بعضها علـى بعض فلما أن رأيتهم كأن نفسـى اضطربت وكانوا على قارعـة الطريق. فقالت لى نـفسى تميل يميناً أو شمالا فأبيت عليها الا أن آخذ عـلى قارعة الطريق فحملتها على أن مشيت حتى وقفت عليهم بالقرب منهم كأحدهم ثم رجعت إلى نفسى لأنظر كيف فإذا هى الروع معى قائم فأبيت أن أبرح وهذه صفتى فقعدت بينهم ثم نظرت بعد قعودى فـإذا الروع معى فأبيت أن أبرح وهذه صفتى فوضعـت جنبى فنمت مضطـجعاً فتغـاشانى النوم فنمت وأنـا على تلك الهـيئة والسـباع فى المـكان الذى كانوا عـليه فـمضى بى وقت وأنـا نائم فاستيقظت فإذا السباع قد تفرقت ولم يبق منها شىء واذا الذى كنت أجده قد زال فقمت وأنا على تلك الهيئة فانصرفت .

قال المصنف رحمه الله: قلت فهذا الرجل قد خالف الشرع فى تعرضه للسباع ولا يحل لأحد أن يتعرض لسـبع أو لحية بل يجب عليه أن يفر مما يؤذيه أو يهلكه. وفى الصحيـحين أن النبى ﷺ قال: «إذا وقع الطاعون وأنتم بأرض فلا تقدموا عليـه». وقال ﷺ :«فرّ من المجذوم فرارك من الأسد». ومر ﷺ بحائط مائل فأسـرع. وهذا الرجل قد أراد من طبعه أن لا ينزعج. وهذا شـىء ما سلم منه مـوسى عليه السـلام فإنه لما رأى الحية خاف وولى مـدبراً. فإن صح ما ذكره وهو بعيد الـصحة لأن طباع الآدميين تتساوى. فـمن قال لا أخاف السبع بطبعى كذبنـاه كما لو قال أنا لا أشتهى النظر إلى المستحسن. وكأنه قهـر نفسه حتى نام بينهم استسلاماً للهلاك لظنـه أن هذا هو التوكل. وهذا خطأ لأنه لو كـان هذا هو التوكل

ما نهى عن مقاربة ما يخاف شره. ولعل السباع اشتغلت عنه وشبعت من الجمل والسبع إذا شبع لا يفترس. ولقد كان أبو تراب النخشبى من كبار القوم فلقيته السباع البرية فنهشته فمات. ثم لا ينكر أن يكون الله تعالى لطف به ونجاه بحسن ظنه فيه غير أنا نبين خطأ فعله للعامى الذى إذا سمع هذه الحكاية ظن أنها عزيمة عظيمة ويقين قوى وربما فضل حالته على حالة موسى عليه السلام إذ هرب من الحية. وعلى حالة نبينا ﷺ إذ مر بجدار مائل فهرول. وعلى لبسه ﷺ الدرع فى غزواته كلها وقت الحرب حتى قال ﷺ فى غزوة الخندق «ليس لنبى أن يلبس لامة حربه ثم ينزعها من غير قتال». وعلى حالة أبى بكر رضى الله عنه إذ سد خروق الغار اتقاء ذى الحيات: وهيهات أن تعلو مرتبة هذا المخالف للشرع على على مرتبة النبيين والصديقين بما يخايل له ظنه الفاسد من أن هذا الفعل هو التوكل.

وقد أخبرنا عنه أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا إسماعيل بن احمد الجبرى ثنا محمد بن الحسين السلمى قال سمعت محمد بن الحسين البغدادى يقول سمعت محمد ابن عبد الله الفرغانى قال سمعت مؤملا المغابسى يقول. كنت أصحب محمد بن السمين فسافرت معه ما بين تكريت والموصل فبينا نحن فى برية نسير إذ زأر السبع من قريب منا فجزعت وتغيرت وظهر ذلك على وجهى وهممت أن أبادر فأفر فضبطنى وقال يا مؤمل التوكل ههنا ليس فى المسجد الجامع .

قال المصنف رحمه الله : قلت لا أشك فى أن التوكل يظهر أثره فى المتوكل عند الشدائد. ولكن ليس من شروطه الاستسلام للسبع فإنه لا يجوز .

أخبرنا عمر بن ظفر نا ابن السراج نا عبد العزيز بن على الأزجى نا ابن جهضم ثنا إبراهيم بن احمد بن على العطار. قال له الخواص : حدثنى بعض المشايخ أنه قيل لعلى الرازى. مالنا لا نراك مع أبى طالب الجرجانى. قال : خرجنا فى سياحة فنمنا فى موضع فيه سباع فلما نظر إلىّ رآنى لم أنم طردنى. وقال: لاتصحبنى بعد هذا اليوم.

قال المصنف رحمه الله: لقد تعدى هذا الرجل إذ أراد من صاحبه أن يغير ما طبع عليه وليس ذلك فى قدرته ولا فى وسعه. ولا يطالبه بمثله الشرع وما قدر على هذه الحالة موسى عليه السلام حين هرب من الحية فهذا كله مبناه على الجهل .

أخبرنا ابـن ظفر نا ابن السراج نا الأرجـى ثنا بن جهضم. قـال سمعت الخلدى يقـول: سمعت إبراهـيم الخواص يقول. سـمعت حسناً أخـا سنان يقول : كنت أسلك طريق مكة فتدخل فى رجلى الشوكة فيمنعنى ما أعتقده من التوكل أن أخرجها من رجلى فأدلك رجلى على الأرض وامشى .

أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن احـمد أنبأنا أبو على الحسن بن محمد ابن الفضل الكرمانى نا سهل بن على الحساب نا عبد الله بن على السراج قال سمعت احـمد ابن على الوجدى يقول : حج الدينـورى اثنتى عشرة حجة حافـياً مكشوف الرأس وكان إذا دخل فى رجله شـوك يمسح رجله فى الأرض ويمشى ولا يتطاطى إلى الأرض من صحة توكله .

قال المصنف رحمه الله: قلت انظروا إلـى ما يصنع الجهل بأهله وليس من طاعة الله تعالى أن يـقطع الإنسان تلك البادية حافيـاً لأنه يؤذى نفسه غاية الأذى. ولا مـكشوف الرأس وأى قربـة تحصل بهـذا ولو لا وجوب كشف الرأس فى مدة الإحـرام لم يكن لكشفه معنـى. فمن ذا الذى أمره الا يخرج الشوك من رجله وأى طاعة تقـع بهذا ولو أن رجله انتفخت بما يبقـى فيهـا من الشوك وهلك كـان قد أعان علـى نفسه وهـل ذلك الرجل بالأرض الا دفع بعض شر الشوك فهلا دفـع الباقى بالإخراج. وأين التوكل من هذه الأفعال المخالفة للعقل والشرع لأنهـما يقضيان بجلب المنافع للنفس ودفع المضار عنها. ولذلك أجاز الشرع لمن أدركه ضرر فى إحرامه أن يخرق حرمة الإحرام ويلبس ويغطى رأسه ويفدى. ولـقد سمعت أبا عبيد يقول : انى لأتبين عقل الرجل بأن يدع الشمس ويمشى فى الظل .

أخبرنـا أبو منصور القـزاز نا أبو بكر الخطيب ثـنا عبد العـزيز بن أبى الحسن القرميسـينى قال سمعت على بن عبد الله بن جـهضم قال سمعت أبا بكر الرقى يقول حدثنى أبو بكـر الدقاق قال: خرجت فى وسط السنة الى مكة وأنا حدث السن فى وسطى نصـف جل وعلى كتفى نصف جل فرمدت عينى فى الطريق وكنت أمـسح دموعى بالجل فأقرح الجل الموضع فكان يخـرج الدم مع الدموع فمـن شدة الإرادة وقوة سرورى بحـالى لم أفرق بين الدموع والدم وذهبت عينى فـى تلك الحجة وكانت الشمس اذا أثرت فى بدنـى قبلت يدى ووضـعتهـا على عيـنى سروراً منى بـالبلاء.
أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا احـمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم الحافظ

قال سمعت أبا الفضل احمد بن أبى عـمران يقول سمعت محمد بن داود الرقى يقول سمـعت أبا بكر الدقاق يقول: كان سـبب ذهاب بصرى أنى خرجت في وسط السنة أريد مكـة وفى وسطى نصف جل وعلى وسطى نصف جل فـرمدت أحدى عـينى فمـسحت الدمـوع بالجل فقـرح المكان وكانت الدموع والدم تسيلان من عينى. أخـبرنا محمد بن أبى القاسم أنا أبو محمد التـميمى أنا عبد الرحمن السلمى قـال سمعت أبا بكر الرازى يقول قلت لأبى بكـر الدقاق. وكان بفرد عين ماسبـب ذهاب عينك قال كنت أدخـل البادية علـى التوكل فـجعلـت على نفسـى أن لا آكل لأهل المنازل شيئا تورعا فسالت إحدى عينى على خدى من الجوع.

قال المصنف رحمة الله: اذا سمع مـبتدئ حالة هذا الرجل ظن ان هذه مجاهدات وقـد جمعت هذه السـفرة التى افتخـر فيها فنونا مـن المعاصى والمخالفات منهـا خروجه في تنصيف السنة على الوحـدة، ومشيه بلا زاد ولا راحلة، ولبـاسه الجل، ومسح عيـنيه به وظنه أن ذلك يـقربه الى الله تعالى وإنما يتقرب الى الله تعالى بما أمر به وشرعه لا بما نهى وكف عنه، فلو أن إنسانا قال أريد أن أضرب نفسى بـعصا لأنها عصت أتقرب بذلك الى الله كان عـاصيا. وسرور هذا الرجل بـهذا خطأ قبيح لأنـه إنما يفرح بالبلاء اذا كان بـغير تسبب منه لنفـسه فلو أن إنسانا كسر رجـل نفسه ثم فرح بهذه المصيـبة كان نهاية فى الحماقة ثم تـركه السؤال وقت الاضطرار وحملـه على النفس فـى شدة المجاعة حـتى سالت عـينه ثم يسـمى هذا تورعا حماقات زهاد أكـبرها الجهل والبعد عن العلم. وقد أخـبرنا محمد بن أبى القاسم نا حمد بن احمد نا أبو نعـيم الحافظ ثنا سليمان بن احمد ثنا محمـد بن العباس بن أيوب الأصفـهانى ثنا عبد الرحـمن بن يوسف الرقى ثنا مطرف ابن مازن عن سفيـان الثورى. قال: من جاع فلم يسأل حتى مات دخل النار.

قال المصنف رحمه الله: فانظر الى كـلام الفقهاء ماأحسنه. ووجهه ان الله تعالى قد جعل لـلجائع مكنة التسبب فاذا عدم الأسـباب الظاهرة فله قدرة السؤال التى هى كـسب مثله فى تلك الحال فاذا تركـه فقد فرط فى حق نفسه التى هى وديعة عنده فاسـتحق العقاب. وقد روى لنا فى ذهاب عين هذا الرجل ماهو أظـرف مما ذكرنا فأخبرنا محمد بـن عبد الباقى بن

أحمد ثنا حمد بن احمد الحداد ثنا أبو نعيم قال سمعت أبا أحمد القلانسى يقول قال أبو على الروزبارى يحكى عن أبى بكر الدقاق قال: استضفت حياً من العرب فرأيت جارية حسناء فنظرت اليها فقلعت عينى التى نظرت بها اليها. وقلت مثلك من نظر لله .

قال المصنف رحمه الله قلت : فانظروا الى جهل هذا المسكين بالشريعة والبعد عنها لأنه ان كان نظر اليها عن غير تعمد فلا إثم عليه وان تعمد فقد أتى صغيرة قد كان يكفيه منها الندم فضم اليها كبيرة وهى قلع عينه ولم يتب عنها لأنه اعتقد قلعها قربة الى الله سبحانه ومن اعتقد المحظور قربة فقد انتهى خطؤه الى الغاية ولعله سمع تلك الحكاية عن بعض بنى اسرائيل انه نظر الى امرأة فقلع عينه وتلك مع بعد صحتها ربما جازت فى شريعتهم. فأما شريعتنا فقد حرمت هذا، وكأن هؤلاء القوم ابتكروا شريعة سموها بالتصوف وتركوا شريعة نبيهم محمد ﷺ نعوذ بالله من تلبيس إبليس. وقد روى عن بعض عابدات الصوفية مثل هذا. أخبرنا أبوبكر بن حبيب العامرى نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال أخبرنى أبو الحسن على بن احمد البصرى غلام شعوانة قال أخبرتنى شعوانة انه كان فى جيرانها امرأة صالحة فخرج ذات يوم الى السوق فرآها بعض الناس فافتتن بها وتبعها الى باب دارها. فقالت له المرأة أى شئ تريد منى قال فتنت بك فقالت: ماالذى استحسنت منى قال عيناك. فدخلت الى دارها فقلعت عينيها وخرجت الى خلف الباب ورمت بها اليه وقالت له خذهما فلا بارك الله فيك.

قال المصنف رحمه الله: فانظروا اخوانى كيف يتلاعب إبليس بالجهلة فان ذلك الرجل أتى صغيرة بالنظر وأتت هى بكبيرة ثم ظنت انها فعلت طاعة وكان ينبغى أنها لا تكلم رجلا أجنبياً. وقد وجد من القوم ضد هذا كما يروى عن ذى النون المصرى وغيره انه قال لقيت امرأة فى البرية فقلت لها وقالت لى وهذا لايحل له. وقد أنكرت عليه امرأة متيقظة.

فأخبرنا عبد الملك بن عبد الله الطروحى نا محمد بن على بن عمر نا أبو الفضل محمد بن محمد العامى نا أبو سعيد محمد بن احمد بن يوسف ثنى سكر ثنى محمد بن يعقوب العرجى قال سمعت ذى النون يقول : رأيت امرأة بنحو أرض البجة فناديتها فقالت وما للرجال أن

يكلموا النساء لولا نقص عقلك لرميتك بشئ. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد نا احمد بن على بن ثابت ثنا عبد العزيز الأزجى ثنا على ابن عبدالله الهمدانى ثنى على بن اسماعيل الطلائنى محمد بن الهيثم قال قال لى أبو جعفر الحداد. دخلت البادية بعض السنين على التوكل فبقيت سبعة عشر يوماً لا آكل فيها شيئا وضعفت عن المشى فبقيت أياما أخر لم أذق فيها شيئا فسقطت على وجهى وغشى علىّ وغلب علىّ من القمل شئ مارأيت مثله ولا سمعت به فبينا أنا كذلك اذ مر بى ركب فرأونى على تلك الحالة فنزل أحدهم عن راحلته فحلق رأسى ولحيتى وشق ثوبى وتركنى فى الرمضاء وسار فمر بى ركب فحملونى الى حيهم وأنا مغلوب فطرحونى ناحية فجاءتنى امرأة فجلست على رأسى وصبت اللبن فى حلقى ففتحت عينى قليلا وقلت لهم أقرب المواضع منكم أين قالوا : جبل الشراة فحملونى الى الشراة.

قال المصنف رحمه الله: قلت لو يحكى أن رجلا من المجانين انحل من السلسلة فأخذ سكينا وجعل يشرح لحم نفسه ويقول أنا مارأيت مثل هذا الجنون لصدق على هذا: وإلا فانظروا الى حال هذا المسكين وبما فعل بنفسه ثم يعتقد أن هذا قربة نسأل الله العافية. أخبرنا احمد بن ناصر نا احمد بن على بن خلف نا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا بكر الدارى يقول سمعت أبا الحسين الريحانى يقول سمعت إبراهيم الخواصى يقول: رأيت شيخاً من أهل المعرفة عرج بعد سبعة عشر يوما على سبب فى البرية فنهاه شيخ كان معه فأبى أن يقبل فسقط ولم يرتفع عن حدود الأسباب. قلت هذا قد أراد أن يصبر عن القوت أكثر من هذا وليس الصبر الى هذا الحد وان أطيق بفضيلة. أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا رزق الله بن عبد الوهاب نا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين. قال سمعت جدى اسماعيل بن نجيد يقول : دخل ابراهيم الهروى مع شبة البرية. فقال ياشبة اطرح مامعك من العلائق قال فطرحتها كلها وأبقيت ديناراً فخطا خطوات ثم قال: اطرح كل مامعك لاتشغل سرى قال : فأخرجت الدينار ودفعته اليه فطرحه ثم خطا خطوات وقال اطرح مامعك. قلت ليس معى شئ. قال بعدُ سرى مشتغل ثم ذكرت أن معى دستجة شسوع فقلت ليس معى إلا هذه. قال فأخذها فطرحها ثم قال

امشى فمشينا فما احتجت الى شبع فى البادية إلا وجدته مطروحا بين يدى فقال لى كذا من عامل الله بالصدق .

قال المصنف رحمه الله : قلت كل هذه الأفعال خطأ ورمى المال حرام والعجب ممن يرمى مايملكه ويأخذ ما لايدرى من أين هو وهل يحل له أخذه أم لا .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال : سمعت نصر ابن أبى نصر العطار يقول سمعت على بن محمد المصرى قال سمعت أبا سعيد الخراز يقول : دخلت البادية مرة بغير زاد فاصابتنى فاقة فرأيت المرحلة من بعد فسررت بوصولى ثم فكرت فى نفسى أنى شكيت وأنى توكلت على غيره فآليت أن لا أدخل المرحلة إلا أن حملت اليها فخفرت لنفسى فى الرمل حفرة وواريت جسدى فيها إلى صدرى فسمعت صوتا فى نصف الليل عاليا ياأهل المرحلة إن لله ولياً حبس نفسه فى هذا الرمل فالحقوه فجاء جماعة فاخرجونى وحملونى إلى المرحلة .

قال المصنف رحمه الله: قلت لقد تنطع هذا الرجل على طبعه فأراد منه مالم يوضع عليه لأن طبع ابن آدم أن يهش إلى مايحب ولا لوم على العطشان إذا هش إلى الماء ولا على الجائع إذا هش إلى الطعام فكذلك كل من هش إلى محبوب له وقد كان النبى ﷺ : إذا قدم من سفر فلاحت له المدينة أسرع السير حبا للوطن. ولما خرج من مكة تلفت اليها شوقا. وكان بلال يقول لعن الله عتبة وشيبة إذا أخرجونا من مكة ويقول.

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بواد وحولى إذخر وجليل

فنعوذ بالله من الاقبال على العمل بغير مقتضى العلم والعقل. ثم حبسه نفسه عن صلاة الجماعة قبيح. وأى شئ فى هذا من التقرب إلى الله سبحانه إنما هو محض جهل. أبنأنا ابن ناصر نا جعفر بن احمد السراج نا عبد العزيز ابن على بن أحمد ثنا أبو الحسن على بن جهضم ثنا بكر بن محمد. قال كنت عند أبى الخير النيسابورى فبسطنى بمحادثته لى بذكر باديته إلى ان سألته عن سبب قطع يده. فقال يد جنت فقطعت. ثم اجتمعت به مع جماعة فسألوه عن ذلك. فقال: سافرت حتى بلغت اسندرية فأقمت بها اثنتى عشرة سنة وكنت قد بنيت بها كوخا فكنت أجئ اليه من ليل إلى ليل وأفطر على ما ينفضه المرابطون وإذا حم الكلاب على قمامة السفر وآكل من البردى فى الشتاء فنوديت فى سرى ياأبا الخير تزعم

انك لاتشارك الخلق فى أقواتهم وتشير إلى التوكل وأنت فى وسط القوم جالس فقلت : إلهى وسيدى وعزتك لامددت يدى إلى شئ مما تنبته الارض حتى تكون الموصل إلى رزقى من حيث لا أكون فيه فأقمت اثنى عشر يوماً أصلى الفرض وأتنفل ثم عجزت عن النافلة فأقمت اثنى عشر يوماً أصلى الفرض والسنة ثم عجزت عن السنة فأقمت اثنى عشر يوماً أصلى الفرض لاغير ثم عجزت عن القيام فأقمت اثنى عشر يوماً أصلى جالسا لاغير ثم عجزت عن الجلوس فرأيت ان طرحت نفسي ذهب فرضى فلجأت إلى الله بسرى وقلت إلهى وسيدى افترضت علىّ فرضا تسألنى عنه وقسمت لى رزقاً وضمنته لى فتفضل علىّ برزقى ولاتؤاخذنى بما عقدته معك فوعزتك لا جتهدن ان لا حللت عقداً عقدته معك فإذا بين يدى قرصان بينهما شئ فكنت أجده على الدوام من الليل إلى الليل ثم طولبت بالمسير إلى الثغر فسرت حتى دخلت الفرما فوجدت فى الجامع قاصا يذكر قصة زكريا والمنشار وان الله تعالى أوحى اليه نشر فقال إن صعدت إلى منك انه لأمحونك من ديوان النبوة فصبر حتى قطع شطرين. فقلت لقد كان زكريا صباراً إلهى وسيدى لئن ابتليتنى لاصبرن. وسرت حتى دخلت انطاكية فرآنى بعض إخوانى وعلم أنى أريد الثغر فدفع إلى سيفا وترسا وحربة فدخلت الثغر وكنت حينئذ أحتشم من الله تعالى أن أتوارى وراء السور خيفة من العدو فجعلت مقامى فى غابة أكون فيها بالنهار وأخرج بالليل إلى شاطئ البحر فأغرز الحربة على الساحل وأسند الترس اليها محراباً وأتقلد سيفى وأصلى إلى الغداة فإذا صليت الصبح غدوت إلى الغابة فكنت فيها نهارى اجمع فبدوت فى بعض الأيام فعثرت بشجرة فاستحسنت ثمرها ونسيت عقدى مع الله وقسمى به إنى لا أمد يدى إلى شئ مما تنبت الأرض فمددت يدى فأخذت بعض الثمرة فبينما أنا امضغها ذكرتُ العقد فرميت بها من فى وجلست ويدى على رأسى فدار بى فرسان وقالوا لى قم فأخرجونى إلى الساحل فإذا أمير وحوله خيل ورجالة وبين يديه جماعة سودان كانوا يقطعون الطريق وقد أخذهم وافترقت الخيل فى طلب من هرب منهم فوجدونى أسود معى سيف وترس وحربة فلما قدمت إلى الأمير قال ايش أنت قلت عبد من عبيد الله فقال للسودان تعرفونه قالوا لا، قال: بلى هو

رئيسكم وإنما تفدونه بأنفسكم لأقطعن أيديكم وأرجلكم فقدموهم ولم يزل يقدم رجلا رجلا ويقطع يده ورجله حتى انتهى إلى فقال تقدم مد يدك فمددتها فقطعت ثم قال مد رجلك فمددتها ورفعت رأسى الى السماء وقلت إلهى وسيدى يدى جنت ورجلى ايش عملت فإذا بفارس قد وقف على الحلقة ورمى بنفسه إلى الأرض وصاح ايش تعملون تريدون أن تنطبق الخضراء على الغبراء . هذا رجل صالح يعرف بأبى الخير فرمى الأمير نفسه وأخذ يدى المقطوعة من الأرض وقبلها وتعلق بى يقبل صدرى ويبكى ويقول سألتك بالله أن تجعلنى فى حل. فقلت قد جعلتك فى حل من أول ماقطعتها هذه يد قد جنت فقطعت.

قال المصنف رحمه اللّه: فانظروا رحمكم الله إلى عدم العلم كيف صنع بهذا الرجل وقد كان من أهل الخير ولو كان عنده علم لعلم أن مافعله حرام عليه وليس لإبليس عون على العباد الزهاد أكثر من الجهل. أخبرنا أبو بكر ابن حبيب نا أبو سعيد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت الحسين بن احمد الفارسى قال سمعت محمد بن داود الدينورى يقول سمعت ابن حديق يقول دخلنا المصيصة مع حاتم الأصم فعقد أنه لايأكل فيها شيئا الا حتى يفتح فمه ويوضع فى فيه والا ماياكل فقال لأصحابه. تفرقوا وجلس فأقام تسعة أيام لايأكل فيها شيئا فلما كان فى اليوم العاشر جاء اليه إنسان فوضع بين يديه شيئا يؤكل فقال كل فلم يجبه فقال له ثلاثا فلم يجبه فقال هذا مجنون فأصلح لقمة وأشار بها إلى فمه فلم يفتح فمه ولم يتكلم فأخرج مفتاحاً كان معه فقال كل وفتح فمه بالمفتاح ودس اللقمة فى فمه فأكل ثم قال له إن أحببت أن ينفعك الله به فأطعم أولئك وأشار إلى أصحابه. أنبأنا محمد بن أبى طاهرنا على بن المحسن التنوخى عن أبيه ثنى محمد بن هلال بن عبد الله ثنى القاضى احمد بن سيار. قال حدثنى رجل من الصوفية قال صحبت شيخا من الصوفية أنا وجماعة فى سفر فجرى حديث التوكل والأرزاق وضعف اليقين فيها وقوته فقال الشيخ وحلف على إيمانا عظيمة لا ذقت مأكولا أو يبعث لى بجام فالوذج حار لا آكله إلا بعد أن يحلف عليّ . قال وكنا نمشى فى الصحراء فقالت له الجماعة الا أنك غير جاهد ومشى ومشينا فانتهينا إلى قرية وقد مضى يوم وليلتان لم يطعم فيها شئ ففارقته الجماعة

غيرى فطرح نفسه فى مسجد القرية مستسلما للموت ضعيفا. فأقمت عليه فلما كان فى ليلة اليوم الرابع وقد انطصف الليل وكاد الشيخ يتلف. إذا بباب المسجد قد فتح ،إذا بجارية سوداء معها طبق مغطى. فلما رأتنا قالت أنتم غرباء أو من أهل القرية فقلت غرباء فكشفت الطبق وإذا بجام فالوذج يفور لحرارته فقدمت لنا الطبق وقالت كلوا فقلت له كل فقال لا أفعل فرفعت الجارية يدها فصفعته صفعة عظيمة وقالت والله لئن لم تأكل لأصفعنك هكذا إلى أن تأكل، فقال كل معى فأكلنا حتى فرغ الجام وهمت الجارية بالانصراف فقلت للجارية ماخبرك وخبر هذا الجام ؟ فقالت أنا جارية لرئيس هذه القرية، وهو رجل حاد، طلب منا منذ ساعة فالوذخ فقمنا نصلحه له فطال الأمر عليه فاستعجلنا فقلنا نعم ! فعاد فاستعجل فقلنا نعم، فحلف بالطلاق لا أكله هو ولا أحد ممن هو داره ولا أحد من أهل القرية ولا يأكله إلا رجل غريب، فخرجنا نطلب فى المساجد رجلا غريبا فلم نجد إلى أن انتهينا إليكم ولو لم يأكل هذا الشيخ لقتلته ضربا إلى أن يأكل لئلا تطلق سيدتى من زوجها، قال : فقال الشيخ : كيف تراه إذا أراد أن يرزق.

قال المصنف رحمه الله: ربما سمع هذا جاهل فاعتقده كرامة ومافعله الرجل من أقبح القبيح فانه يجرب على الله ويتألى عليه ويحمل على نفسه من الجوع مالا يجوز له وهذا لايجوز له ولا ينكر أن يكون لطف به إلا أنه فعل ضد الصواب وربما كان إنفاذ ذلك رديئا لأنه يعتقد أنه قد أكرم وإن ذلك منزلة. وكذلك حكاية حاتم التى قبلها فانها إن صحت دلت على جهل بالعلم وفعل لما لايجوز لأنه ظن أن التوكل إنما هو ترك التسبب فلو عمل بمقتضى واقعته لم يمضغ الطعام ولم يبلعه فانه تسبب وهل هذا إلا من تلاعب إبليس بالجهال لقلة علمهم بالشرع ثم أى قربة فى هذا الفعل البارد وما أظن غالبه إلا من الماليخوليا. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أحمد ابن على ابن المحسن قال حدثنى أبو إسحاق ابراهيم بن احمد الطبرى قال: قال لى جعفر الخلدى: وقفت بعرفة ستا وخمسين وقفة منها إحدى وعشرون على المذهب. فقلت لأبى إسحق: وأى شئ أراد بقوله – على المذهب – فقال يصعد إلى قنطرة الناشرية فينفض كمية حتى يعلم أنه ليس معه زاد ولا ماء ويلبى ويسير.

قال المصنف رحمه الله: وهذا مخالف للشرع فان الله تعالى يقول: ﴿وتزودوا﴾. ورسول الله ﷺ قد تزود، ولا يمكن أن يقال إن هذا الآدمى لايحتاج إلى شئ فى مدة أشهر فان احتاج ولم يتزود فعطب اثم وإن سأل الناس أو تعرض لهم لم يف ذلك بدعوى التوكل وإن ادعى أنه يكرم ويرزق بلا سبب فنظره إلى أنه مستحق لذلك محنة ولو تبع أمر الشرع وحمل الزاد كان أصلح له على كل حال. وأنبأنا أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر قال: أخبرنى أبى عن بعض الصوفية، أنه قدم عليه من مكة جماعة من المتصوفة فقال لهم من صحبتم فقالوا حاج اليمن فقال أوه التصوف قد صار إلى هذا أو التوكل قد ذهب. انتم ماجئتم على الطريقة والتصوف وإنما جئتم من مائدة اليمن إلى مائدة الحرم، ثم قال: وحق الأحباب والفتيان لقد كنا أربعة نفر مصطحبين فى هذا الطريق نخرج إلى زيارة قبر النبى ﷺ على التجريد ونتعاهد بيننا أن لا نلتفت إلى مخلوق ولا نستند إلى معلوم. فجئنا إلى النبى ﷺ ومكثنا ثلاثة ايام لم يفتح لنا بشئ فخرجنا حتى بلغنا الجحفة ونزلنا وبحذائنا نفر من الأعراب فبعثوا إلينا بسويق فأخذ بعضنا ينظر إلى بعض ويقول: لو كنا من أهل هذا الشأن لم يفتح لنا بشئ حتى ندخل الحرم فشربناه على الماء وكان طعامنا حتى دخلنا مكة.

قلت: اسمعوا إخوانى إلى توكل هؤلاء كيف منعهم من التزود المأمور به فأحوجهم إلى أخذ صدقات الناس. ثم ظنهم أن مافعلوه مرتبة جهل بمعرفة المراتب. ومن عجب مابلغنى عنهم فى اسفارهم ماأخبرنا به محمد بن أبى القاسم البغدادى نا أبو محمد التميمى عن أبى عبد الرحمن السلمى قال: بلغنى أن أبا شعيب المقفع وكان قد حج سبعين حجة راجلا أحرم فى كل حجة بعمرة وحجة من عند صخرة بيت المقدس ودخل بادية تبوك على التوكل فلما كان فى حجته الأخيرة رأى كلبا فى البادية يلهث عطشا، فقال: من يشترى حجة بشربة ماء، قال: فدفع إليه إنسان شربة ماء فسقى الكلب ثم قال هذا خير لى من حجى لأن النبى ﷺ قال: «فى كل ذات كبد حراء اجر». اخبرنا عبد الأول بن عيسى نا ابن أبى الكوفانى ثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن مورى الحبوسانى نا ابو نصر عبد الله بن على الطوسى المعروف بابن السراج قال: سمعت

الوجهى يقول سمعت أبا على الروزبـارى يقول : كان فى البادية جماعة ومعنا أبو الحسين العطوفى فربما كانت تـلحقنا القافلة ويظلم علينا الطريق وكان أبو الحسين يصعد تلا فيصـيح صياح الذئب حتى تسمع كلاب الحى فينبحون فيـمر على بيوتهم ويحمل إلينا من عنـدهم معونة، قلت: وإنما ذكرت مثل هذه الأشياء ليتنزه العاقل فى مبلغ علم هؤلاء وفهمهم للتوكل وغيره ويرى مخالفتهم لأوامر الشـرع وليت شعرى كيف يصنع من يخرج منهم ولا شئ معه بالوضوء والصـلاة وإن تخرق ثوبه ولا إبرة معه فكيف يفعل. وقـد كان بعض مشايخـهم يأمر المسافـر بأخذ العدة قبل الـسفر. فأخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى قـال: سمعت أبا عبد الرحمن السلمـى يقول سمعت أبا العباس البغـدادى يقول: سمعت الفرغانى يقـول : كان إبراهيم الخواص مجرداً فى التوكـل يدقق فيه وكان لايفارقه إبره وخـيوط وركوة ومقراض فقيل له ياأبـا إسحاق لم تجمع هذا وأنت تمنع من كل شـئ ، فقال: مثل هذا لاينقض التوكل لأن لله تعالى علينا فرائض والفقير لا يكون عليه إلا ثوب واحد فربما يتـخرق ثوبه وان لم يكن معه إبرة وخيـوط تبدو عورته فتفسد عليه صلواته وإن لم يكن مـعه ركوة تفسد عليه طهارته وإذا رأيت الفقير بلا ركوة ولا أبرة ولا خيوط فاتهمه فى صلاته.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية إذا قدموا من السفر

قال المصـنف رحمه الله: قـلت من مذهب الـقوم أن المسافـر إذا قدم فدخل الرباط وفيه جـماعة لم يسلم عليهم حتى يدخل المـيضة فإذا توضأ جاء وصلـى ركعتـين ثم سلم على الـشيخ ثم سلـم على الجمـاعة وهذا ماابتدعه متـأخرهم على خلاف الشريعة لأن فقهاء الإسـلام أجمعوا على أن من دخل على قوم سن له أن يسلم عليهم سواء كان على طهارة أو لم يكن إلا أن يكونوا أخذوا هذا من مذهب الأطفـال فإنه إذا قيل للطفل لم لا تسلم علينا قال ماغسلت وجهى بعد أو لعل الأطفال علموه من هؤلاء المبدعين. أخبرنا ابن الحصيـن نا ابو على بن المذهب نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن احمد ثنى أبى ثنا عبـد الرزاق ثنا معمر عن همام بن منبه ثنا أبو هريرة رضى الله عـنه قال: قال رسول الله ﷺ «ليسلم الـصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير» أخرجاه فى الصحيحين

ومن مذهب القوم تغـميز القادم من السفر مساء . أنـبأنا ابو زرعة طاهر بن محمد عن أبيه. قال باب السنة فى تغميزهم القادم من السفر أول ليلة لتعبه واحتج بـحديث عمـر رضى الله عنه دخلـت على النبى ﷺ وغـلام له حبشى يغمز ظهره فقلت ماشأنك يارسول الله قال إن الناقة قد اقتحمتنى.

قال المصنف رحمـه الله: أنظروا إخوانى إلى فقه هذا المحـتج فانه كان ينبغـى أن يقول باب السنة فـى تغميز مـن رمت به ناقته، وتـكون السنة تغميز الظهر لا القدم ومن أين له أنـه كان فى سفر وانه غمز أول ليلة ثم يجعل تغـميز النبى ﷺ كمـا اتفق لأجل ألم ظهره سنة لـقد كان ترك استخـراج هذا الفقه الدقيق أحـسن من ذكره، ومن مذهبهـم عمل دعوة للقادم. قـال ابن طاهر : باب اتخـاذهم العتيـرة للقادم واحتج بـحديث عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ سافر سفراً فنذرت جارية من قريش إن الله تعالى رده أن تـضرب فى بيت عائـشة رضى الله عنها بـدف فلما رجع فقال النبى ﷺ إن كنت نذرت فاضربى.

قال المصنف رحمه الله: قد بينا أن الدف مباح ولما نذرت هذه المرأة مباحاً أمرها أن تفى فكيف يحتج بهذا على الغناء والرقص عند قدوم المسافر .

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية اذا مات لهم ميت

له فى ذلك تلبيسان الأول. أنهم يقولون لايبكى على هالك ومن بكى على هالك خـرج عن طريق أهل المعـارف قال ابن عقيـل. وهذه دعوى تزيد على الشـرع فهى حديث خرافـة وتخرج عن العادات والطـباع فهى انحراف عن المزاج المعتـدل فينبغى أن يطالب لها بالـعلاج بالأدوية المعدلة للمزاج فان الله تـعالى أخبر عن نبى كـريم فقال: ﴿**وابيضت عـيناه من الحزن فهـو كظيم**﴾ وقال: ﴿ **يا أسفى عـلى يوسف** ﴾ . وبكى رسول الله ﷺ عند مـوت ولده وقـال « إن العيـن لتدمـع»·وقال «واكـرباه»· وقالت فـاطمة رضى الله عـنها واكرب أبـتاه فلم ينـكر وسمع عـمر بن الخطاب رضى الله عنه متمما يندب أخاه ويقول :

وكنا كندمانى جزيمـة حقبـة   من الدهر حتى قيل لن يتصـدعا

فقال عـمر بن الخطاب رضى الله عنه ليـتنى كنت أقول الشـعر فأندب أخى زيداً فقال متمم لو مات أخى كمـا مات أخوك مارثيته، وكان مالك

مات على الكفر وزيد قتل شهيدا فقال عمر: ماعرانى أحد فى أخى كمثل تعزيتك، ثم لا تزال الإبل الغليظة الأكباد تحن الى مآلفها من الأعطان والأشخاص وترغوا للفصلان وحمام الطير ترجع. وكل مأخوذ من البلاء فلا بد أن يتضرع ومن لم تحركه المسار والمطربات وتزعجه المخزيات فهو الى الجماد به أقرب. وقد أبان النبى عليه الصلاة والسلام عن العيب فى الخروج عن سمت الطبع فقال للذى قال: لم أقبل أحداً من ولدى - وكان له عشرة من الولد - فقال « أو أملك لك ان نزع الله الرحمة من قلبك » وجعل يلتفت الى مكة لما خرج فالمطالب لما يخرج عن الشرائع وينبو عن الطباع جاهل يطالب بجهل. وقد قنع الشرع منا أن لانلطم خداً ولا نشق جيباً فاما دمعة سائلة وقلب حزين فلا عيب فى ذلك .

التلبيس الثانى : انهم يعملون عند موت الميت دعوة ويسمونها عرسا ويغنون فيها ويرقصون ويلعبون ويقولون نفرح للميت إذ وصل الى ربه، والتلبيس فى هذا عليهم من ثلاثة أوجه أحدها ان المسنون أن يتخذ لأهل الميت طعام لاشتغالهم بالمصيبة عن اعداد الطعام لأنفسهم وليس من السنة أن يتخذه أهل الميت ويطعمونه إلى غيرهم والأصل فى أتخاذ الطعام لأجل الميت. ما أخبرنا به أبو الفتح الكروخى نا أبو عامر الأزدى وأبو بكر العورجى قال أخبرنا الجراحى ثنا المحبوبى ثنا الترمذى ثنا احمد بن منيع وعلى بن حجر قالا حدثنا سفيان بن عيينة عن جعفر بن خالد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال: لما جاء نعى جعفر فقال النبى ﷺ «اصنعوا لآل جعفر طعاما فانه قد جاءهم مايشغلهم» قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح. والثانى انهم يفرحون للميت ويقولون وصل الى ربه ولا وجه للفرح لأنا لانتيقن انه غفر له ومايؤمنا أن نفرح له وهو فى المعذبين. وقد قال عمر بن زر لما مات ابنه لقد شغلنى الحزن لك عن الحزن عليك. أخبرنا عبد الأول نا ابن المظفر نا ابن عين ثنا الفربرى ثنا البخارى ثنا أبو اليمان نا شعيب عن الزهرى ثنى خارجة بن زيد الانصارى عن أم العلاء قالت: لما مات عثمان بن مظعون دخل علينا رسول الله ﷺ فقلت رحمة الله عليك أبا السايب فشهادتى عليك لقد أكرمك الله فقال النبى ﷺ «وما يدريك ان الله أكرمه»· والثالث أنهم يرقصون ويلعبون فى تلك الدعوة فيخرجون بهذا عن الطباع السليمة التى

يؤثر عندها الفراق. ثم ان كان ميتهم قد غفر له فما الرقص واللعب بشكرهم وان كان معذبا فأين أثر الحزن.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى ترك التشاغل بالعلم

قال المصنف رحمه الله: اعلم أن أول تلبيس إبليس على الناس صدهم عن العلم لأن العلم نور فاذا أطفأ مصابيحهم خبطهم فى الظلم كيف شاء. وقد دخل على الصوفية فى هذا الفن من أبواب. أحدها انه منع جمهورهم من العلم أصلا وأراهم انه يحتاج الى تعب وكلف فحسن عندهم الراحة فلبسوا المراقع وجلسوا على بساط البطالة. أخبرنا اسماعيل بن احمد السمرقندى نا حمد بن احمد الحداد نا أبو نعيم الأصفهانى ثنا أبو حامد بن حيان ثنا أبو الحسن البغدادى ثنا ابن صاعد قال سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول: أسس التصوف على الكسل. وبيان ماقاله الشافعى ان مقصود النفس اما الولايات وأما استجلاب الدنيا بالعلوم يطول ويتعب البدن وهل يحصل المقصود أو لايحصل. والصوفية قد تعجلوا الولايات فانهم يرون بعين الزهد. واستجلاب الدنيا فإنها اليهم سريعة.

أخبرنا عبد الحق نا المبارك بن عبد الجبار نا أبو الفرج الطناجيرى ثنا أبو حفص بن شاهين قال. ومن الصوفية من ذم العلماء ورأى ان الاشتغال بالعلم بطالة وقالوا ان علومنا بلا واسطة وانما رأوا بعد الطريق فى طلب العلم فقصروا الثياب ورقعوا الجباب وحملوا الركاء وأظهروا الزهد.

والثانى انه قنع قوم منهم باليسير منه ففاتهم الفضل الكثير فى كثرته فاقتنعوا بأطراف الأحاديث وأوهمهم أن علو الاسناد والجلوس للحديث كله رياسة ودنيا وان للنفس فى ذلك لذة. وكشف هذا التلبيس انه ما من مقام عال الا وله فضيلة وفيه مخاطرة فان الامارة والقضاء والفتوى كله مخاطرة وللنفس فيه لذة ولكن فضيلة عظيمة كالشوك فى جوار الورد فينبغى أن تطلب الفضائل ويتقى مافى ضمنها من الآفات. فأما ما فى الطبع من حب الرياسة فانه إنما وضع لتجتلب هذه الفضيلة كما وضع حب النكاح ليحصل الولد وبالعلم يتقوم قصد العالم كما قال يزيد بن هرون. طلبنا العلم لغير الله فأبى الا أن يكون لله. ومعناه انه دلنا على الاخلاص ومن طالب نفسه بقطع مافى طبعه لم يمكنه. والثالث انه أوهم قوما منهم ان المقصود العمل وما فهموا أن التشاغل بالعلم من أوفى

الأعمال ثم ان العالم وان قصر سير عمله فانه على الجادة والعابد بغير علم على غير الطريق. والرابع انه أرى خلقا كثيراً منهم أن العالم ما اكتسب من البواطن حتى ان أحدهم يتخايل له وسوسة فيقول حدثنى قلبى عن ربى. وكان الشبلى يقول:

اذا طالبونى بعلم الورق برزت عليهم بعلم الخرق

وقد سموا علم الشريعة علم الظاهر وسموا هواجس النفوس العلم الباطن واحتجوا له بما أخبرنا عبد الحق بن عبد الخالق نا الحسين بن على الطناجيرى نا أبو حفص بن شاهين ثنا على بن محمد بن جعفر بن احمد بن عنبسة العسكرى ثنى دارم بن قبيصة بن بهشل الصنعانى قال سمعت يحيى بن الحسين بن زيد بن على قال سمعت يحيى بن عبد الله بن حسين عن يحيى بن زيد بن على عن أبيه عن جده عن الحسن بن على عن على ابن أبى طالب كرم الله وجهه عن النبى ﷺ انه قال «علم الباطن سر من سر الله عز وجل وحكم من أحكام الله تعالى يقذفه الله عز وجل فى قلوب من يشاء من أوليائه».

قال المصنف رحمه الله قلت: وهذا حديث لا أصل له عن النبى ﷺ. وفى إسناده مجاهيل لايعرفون. أنبأنا محمد بن ناصر نا أبو الفضل محمد بن على السهلكى نا أبو على عبد الله بن ابراهيم النيسابورى ثنا أبو الحسن على ابن عبد الله بن جهضم ثنا أبو الفتح احمد بن الحسن ثنا على بن جعفر عن أبى موسى قال: كان فى ناحية أبى يزيد رجل فقيه عالم تلك الناحية فقصد أبا يزيد وقال له قد حكى لى عنك عجايب. فقال أبو يزيد. ومالم تسمع من عجايبى أكثر. فقال له علمك هذا يا أبا يزيد عن من ومن عن من ومن أين ومن من. فقال أبو يزيد علمى من عطاء الله تعالى. ومن حيث قال ﷺ «من عمل بما يعلم ورثه الله علم مالم يعلم». ومن حيث قال ﷺ «العلم علمان علم ظاهر وهو حجة الله تعالى على خلقه، وعلم باطن وهو العلم النافع». وعلمك ياشيخ نقل من لسان عن لسان التعليم وعلمى من الله إلهام من عنده. فقال له الشيخ علمى عن الثقات عن رسول الله ﷺ عن جبريل عن ربه عز وجل. فقال له أبو يزيد. يا شيخ كان للنبى ﷺ علم عن الله لم يطلع عليه جبريل ولا ميكائيل قال نعم: ولكن أريد أن يصح لى علمك الذى تقول

هو من عند الله، قال :نعم أبينه لك قدر مايستقر فى قلبك معرفته. ثم قال: ياشيخ علمت أن الله تعالى كلم موسى تكليما وكلم محمداً ﷺ ورآه كفاحاً. وان حلم الأنبياء وحى. قال نعم قال أما علمت أن كلام الصديقين والأولياء بالهام منه وفوائده من من قلوبهم حتى أنطقهم بالحكمة ونفع بهم الأمة : ومما يؤكد ماقلت ماألهم الله تعالى أم موسى أن تلقى موسى في التابوت فألقته وألهم الخضر فى السفينة والغلام والحائط قوله موسى (وما فعلته عن أمرى) وكما قال أبو بكر لعائشة رضى الله عنهما: إن ابنة خارجة حاملة ببنت: وألهم عمر رضى الله عنه فنادى ياسارية الجبل. أنبأنا ابن ناصر أنبأنا أبو الفضل السهلكى قال سمعت أبا عبد الله الشيرازى يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت ابراهيم سبتية يقول حضرت مجلس أبى يزيد والناس يقولون فلان لقى فلاناً وأخذ من علمه وكتب منه الكثير وفلان لقى فلاناً. فقال أبو يزيد. مساكين أخذوا علمهم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذى لا يموت.

قال المصنف رحمه الله: هذا الفقه فى الحكاية الأولى من قلة العلم أذ لو كان عالما لعلم أن الالهام للشئ لا ينافى العلم ولا يتسع به عنه ولا ينكر ان الله عز وجل يلهم الإنسان الشئ كما قال النبى ﷺ «إن فى الأمم محدثين وان يكن فى أمتى فعمر». والمراد بالتحديث إلهام الخير إلا أن الملهم لو ألهم مايخالف العلم لم يجز له أن يعمل عليه : وأما الخضر فقد قيل انه نبى ولاينكر للانبياء الإطلاع بالوحى على العواقب وليس الإلهام من العلم فى شئ إنما هو ثمرة العلم والتقوى فيوفق صاحبهما للخير ويلهم الرشد: فأما أن يترك العلم ويقول أنه يعتمد على الإلهام والخواطر فليس هذا بشئ إذ لولا العلم النقلى ماعرفنا مايقع فى النفس أمن الإلهام للخير أو الوسوسة من الشيطان. واعلم أن العلم الإلهامى الملقى فى القلوب لا يكفى عن العلم المنقول كما أن العلوم العقلية لاتكفى عن العلوم الشرعية فإن العقلية كالأغذية والشرعية كالأدوية ولا ينوب هذا عن هذا. وأما قوله أخذوا علمهم ميتا عن ميت. أصلح ماينسب اليه هذا القائل أنه مايدرى مافى ضمن هذا القول والا فهذا طعن على الشريعة أنبأنا ابن حصين نا ابن المذهب نا أبو حفص بن شاهين، قال: من الصوفية من رأى الاشتغال بالعلم بطالة وقالوا نحن علومنا بلا

واسطة. قال وما كان المتقدمون فى التصوف إلا رؤساً فى القرآن والفقه والحديث والتفسير ولكن هؤلاء أحبوا البطالة. وقال أبو حامد الطوسى اعلم أن ميل أهل التصوف إلى الالهية دون التعليمية ولذلك لم يتعلموا ولم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ماصنفه المصنفون. بل قالوا: الطريق تقديم المجاهدات بمحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال على الله تعالى بكنه الهمة وذلك بأن يقطع الانسان همه عن الأهل والمال والولد والعلم ويخلو نفسه فى زاوية ويقتصر على الفرائض والرواتب ولا يقرن همه بقراءة قرآن ولا بالتأمل فى نفسه ولا يكتب حديثا ولا غيره ولايزال يقول الله الله إلى أن ينتهى إلى حال يترك تحريك اللسان ثم يمحى عن القلب صورة اللفظ .

قال المصنف رحمه الله: قلت عزيز علىّ أن يصدر هذا الكلام من فقيه فإنه لايخفى قبحه فإنه على الحقيقة طى لبساط الشريعة التى حثت على تلاوة القرآن وطلب العلم. وعلى هذا المذهب فقد رأيت الفضلاء من علماء الأمصار فإنهم ماسلكوا هذه الطريق وإنما تشاغلوا بالعلم أولا. وعلى ماقد رتب أبو حامد تخلو النفس بوساوسها وخيالاتها ولايكون عندها من العلم مايطرد ذلك فيلعب بها إبليس أى ملعب فيريها الوسوسة محادثة. ومناجاة ولا ننكر أنه إذا طهر القلب انصبت عليه أنوار الهدى فينظر بنور الله إلا أنه ينبغى أن يكون تطهيره بمقتضى العلم لابما ينافيه فإن الجوع الشديد والسهر وتضييع الزمان فى التخيلات أمور ينهى الشرع عنها فلا يستفاد من صاحب الشرع شئ ينسب الى مانهى عنه كما لا يستباح الرخص فى سفر قد نهى عنه. ثم لاتنافى بين العلم والرياضة بل العلم يعلم كيفية الرياضة ويعين على تصحيحها. وإنما تلاعب الشيطان بأقوام أبعدوا العلم وأقبلوا على الرياضة بما ينهى عنه العلم والعلم بعيد عنهم فتارة يفعلون الفعل المنهى عنه. وتارة يؤثرون ماغيره أولى منه وإنما كان يفتى فى هذه الحوادث العلم وقد عزلوه فنعوذ بالله من الخذلان. أنبأنا ابن ناصر عن أبى على بن البنا قال : كان عندنا بسوق السلاح رجل كان يقول القرآن حجاب، والرسول حجاب ليس الا عبد ورب فافتتن جماعة به فأهملوا العبادات واختفى مخافة القتل. أنبأنا محمد ابن عبد الملك نا احمد ابن على بن ثابت نا أبو الحسن محمد بن عبيد الله بن محمد الجبائى

ثنا احمد بن سليمان النجاد ثنا محمد بن عبد الله بن سليمان ثنا هشام بن يونس ثنا المحاربى عن بكر بن حنش عن ضرار بن عمرو قال إن قوما تركوا العلم ومجالسة أهل العلم واتخذوا محاريب فصلوا وصاموا حتى يبس جلد أحدهم على عظمه وخالفوا السنة فهلكوا فوالله الذى لا إله غيره ماعمل عامل قط على جهل إلا كان مايفسد أكثر مما يصلح .

فصل

وقد فرق كثير من الصوفية بين الشريعة والحقيقة. وهذا جهل من قائله لأن الشريعة كلها حقائق. فإن كانوا يريدون بذلك الرخصة والعزيمة فكلاهما شريعة. وقد أنكر عليهم جماعة من قدمائهم فى إعراضهم عن ظواهر الشرع. وعن أبى الحسن غلام-شعوانه بالبصرة يقول سمعت أبا الحسن بن سالم يقول جاء رجل إلى سهل بن عبدالله وبيده محبرة وكتاب فقال لسهل جئت أن أكتب شيئا ينفعنى الله به. فقال اكتب، ان استطعت أن تلقى الله وبيدك المحبرة والكتاب فافعل: قال ياأبا محمد أفدنى فائدة. فقال : الدنيا كلها جهل إلا ماكان علما، والعلم كله حجة إلا ماكان عملا، والعمل كله موقوف إلا ماكان منه على الكتاب والسنة. وتقوم السنة على التقوى وعن سهل بن عبدالله أنه قال احفظوا السواد على البياض فما أحد ترك الظاهر الا تزندق وعن سهل ابن عبد الله انه قال مامن طريق إلى الله أفضل من العلم فإن عدلت عن طريق العلم خطوة تهت فى الظلام أربعين صباحاً. وعن أبى بكر الدقاق قال. سمعت أبا سعيد الخراز يقول. كل باطن يخالف ظاهراً فهو باطل. وعن أبى بكر الدقاق انه قال. كنت ماراً فى تيه بنى إسرائيل فخطر ببالى أن علم الحقيقة مباين للشريعة فهتف بى هاتف من تحت شجرة كل حقيقة لا تتبعها الشريعة فهى كفر.

قال المصنف رحمه الله: وقد نبه الإمام أبو حامد الغزالى فى كتاب الأحياء فقال. من قال ان الحقيقة تخالف الشريعة أو الباطن يخالف الظاهر فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الايمان. وقال ابن عقيل جعلت الصوفية الشريعة إسما وقالوا المراد منها الحقيقة قال وهذا قبيح لأن الشريعة وضعها الحق لمصالح الخلق وتعبداتهم فما الحقيقة بعد هذا سوى شئ واقع فى النفس من القاء الشياطين وكل من رام الحقيقة فى غير الشريعة فمغرور مخدوع .

ذكر تلبيس ابليس على جماعة من القوم
فى دفنهم كتب العلم وإلقائها فى الماء

قال المصنف رحمه الله: قد كان جماعة منهم تشاغلوا بكتابة العلم ثم لبس عليهم إبليس وقال ما المقصود إلا العمل ودفنوا كتبهم. فقد روى أن احمد ابن أبى الحوارى رمى كتبه فى البحر، وقال: نعم الدليل كنت والاشتغال بالدليل بعد الوصول محال. ولقد طلب احمد بن أبى الحوارى الحديث ثلاثين سنة فلما بلغ منه الغاية حمل كتبه إلى البحر فغرقها. وقال: ياعلم لم أفعل بك هذا تهاونا ولا استخفافا بحقك ولكنى كنت أطلبك لأهتدى بك إلى ربى فلما اهتديت بك استغنيت عنك. أخبرنا أبوبكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت أبا الحسن غلام شعوانة بالبصرة يقول سمعت أبا الحسن بن سالم عن أبى عبدالله محمد بن عبد الله الحافظ قال احمد ابن محمد بن إسماعيل. أبوالحسين بن الخلال كان حسن الفهم له صبر على الحديث وانه كان يتصوف ويرمى بالحديث مدة ثم يرجع ويكتب. ولقد أخبرت انه رمى بجملة من سماعاته القديمة فى دجلة. فأول ماسمع على أبى العباس الأصم وطبقته وكتب الكثير. أنبأنا زاهر بن طاهر نا احمد بن الحسين البيهقى قال. سمعت أبا عمرو بن أبى جعفر يقول سمعت أبا طاهر الجنايدى يقول. لقد كان موسى بن هرون يقرأ علينا فإذا فرغ من الجزء رمى بأصله فى دجلة ويقول قد أديته.

أخبرنا محمد بن ناصر نا احمد بن على بن خلف نا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا نصر الطوسى يقول. سمعت جماعة من مشايخ الرى يقولون - ورث أبوعبد الله المقرى عن أبيه خمسين الف دينار سوى الضياع والعقار فخرج عن جميع ذلك وأنفقها على الفقراء قال : فسألت أبا عبد الله عن ذلك فقال. أحرمت وأنا غلام حدث وخرجت إلى مكة على الوحدة حين لم يبق لى شئ أرجع اليه. وكان اجتهادى أن أزهد فى الكتب وماجمعت من العلم والحديث أشد علىّ من الخروج إلى مكة والتقطع فى الأسفار والخروج عن ملكى. أخبرنا أبو منصور القزاز نا احمد بن على بن ثابت نا إسماعيل الحيرى ثنا محمد ابن الحسين السلمى قال سمعت أبا العباس بن الحسين البغدادى يقول سمعت الشبلى يقول. أعرف من لم

يدخل فى هذا الشأن حتى أنفق جميع ملكه وغرق فى هذه الدجلة سبعين قمطرا مكتوباً بخطه وحفظ وقرأ بكذا وكذا رواية يعنى بذلك نفسه .

قال المصنف رحمه الله:: قد سبق القول بأن العلم نور وان إبليس يحسن للانسان إطفاء النور ليتمكن منه فى الظلمة ولا ظلمة كظلمة الجهل. ولما خاف إبليس أن يعاود هؤلاء مطالعة الكتب فربما استدلوا بذلك على مكايدة حسن لهم دفن الكتب وإتلافها وهذا فعل قبيح محظور وجهل بالمقصود بالكتب وبيان هذا أن أصل العلوم القرآن والسنة فلما علم الشرع أن حفظهما يصعب أمر بكتابة المصحف وكتابة الحديث فأما القرآن فان رسول الله ﷺ كان إذا نزلت عليه آية دعى بالكاتب فأثبتها وكانوا يكتبونها فى العسب والحجارة وعظام الكتف ثم جمع القرآن بعده في المصحف أبو بكر صونا عليه ثم نسخ من ذلك عثمان بن عفان رضى الله عنه وبقية الصحابة وكل ذلك لحفظ القرآن لئلا يشذ منه شئ. وأما السنة. فإن النبى ﷺ قصر الناس فى بداية الإسلام على القرآن وقال لاتكتبوا عني سوى القرآن فلما كثرت الأحاديث ورأى قلة ضبطهم أذن لهم في الكتابة. فروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه شكى إلى رسول الله ﷺ قلة الحفظ فقال. ابسط رداءك فبسط رداءه وحدثه النبى عليه الصلاة والسلام وقال ضمه اليك. فقال أبو هريرة فلم أنس بعد ذلك شيئا بما حدثنيه رسول الله ﷺ وفى رواية أنه قال استعن على حفظك بيمينك يعنى بالكتابة. وروى عنه ﷺ عبد الله بن عمرو انه قال «قيدوا العلم فقلت يا رسول الله وما تقييده. قال الكتابة» وروى عنه أيضاً رافع ابن خديج قال قلنا يارسول الله إنا نسمع منك أشياء أفنكتبها. قال: اكتبوا ولاحرج.

قال المصنف رحمه الله : واعلم أن الصحابة ضبطت ألفاظ رسول الله ﷺ وحركاته وأفعاله واجتمعت الشريعة من رواية هذا ورواية هذا. وقد قال رسول الله ﷺ بلغوا عنى: وقال نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها فأداها كما سمعها وتأدية الحديث كما يسمع لا يكاد يحصل إلا من الكتابة لأن الحفظ خوان. وقد كان احمد ابن حنبل رضى الله عنه يحدث بالحديث فيقال له : إمله علينا. فيقول لابل من الكتاب. وقد قال على ابن المدينى. أمرنى سيدى احمد بن حنبل أن لا أحدث إلا من الكتاب فاذا كانت الصحابة قد روت السنة وتلقتها التابعون وسافر

المحدثون وقطعوا شرق الأرض وغربها لتحصيل كلمة من ههنا وكلمة من هنا وصححوا ماصح وزيفوا مالم يصح وجرحوا الرواة وعدلوا وهذبوا السنن وصنفوا ثم من يغسل ذلك فيضيع التعب ولا يعرف حكم الله فى حادثة فما عوندت الشريعة بمثل هذا. فهل لشريعة من الشرائع قبلنا إسناد الى نبيهم وإنما هذه خصيصة لهذه الأمة. وقد روينا عن الإمام احمد بن حنبل مع كونه طاف الشرق والغرب فى طلب الحديث انه قال لابنه ماكتبت عن فلان؟ فذكر له أن النبى عليه الصلاة والسلام «كان يخرج يوم العيد من طريق ويرجع من أخرى». فقال الامام احمد ابن حنبل إنا للّه سنة من سنن رسول الله ﷺ لم تبلغنى وهذا قوله مع اكثاره وجمعه فكيف بمن لم يكتب واذا كتب غسل أفترى اذا غسلت الكتب ودفنت على م يعتمد فى الفتاوى والحوادث على فلان الزاهد أو فلان الصوفى أو على الخواطر فيما يقع لها نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى.

فصل

قال المصنف رحمه الله: ولا تخلو هذه الكتب التى دفنوها أن يكون فيها حق أو باطل أو قد اختلط الحق بالباطل. فان كان فيها باطل فلا لوم على من دفنها وان كان قد اختلط الحق بالباطل ولم يمكن تمييزه كان عذراً فى إتلافها فان أقواماً كتبوا عن ثقات وعن كذابين واختلط الأمر عليهم فدفنوا كتبهم. وعلى هذا يحمل مايروى عن دفن الكتب عن سفيان الثورى وان كان فيها الحق والشرع فلا يحل إتلافها بوجه لكونها ضابطة العلم وأموالا وليسأل من يقصد إتلافها عن مقصوده فان قال تشغلنى عن العبادة. قيل له جوابك من ثلاثة أوجه : أحدها انك لو فهمت لعلمت أن التشاغل بالعلم أوفى العبادات. والثانى أن اليقظة التى وقعت لك لاتدوم فكأنى بك وقد ندمت على مافعلت بعد الفوات. واعلم أن القلوب لاتبقى على صفائها بل تصدأ فتحتاج إلى جلاء وجلاؤها النظر فى كتب العلم. وقد كان يوسف بن أسباط دفن كتبه ثم لم يصبر على التحديث فحدث من حفظه فخلط، والثالث أننا نقدر تمام يقظتك ودوامها والغنى عن هذه الكتب فهلا وهبتها لمبتدئ من الطلاب ممن لم يصل الى مقامك أو وقفتها على المنتفعين بها أو بعتها وتصدقت بثمنها أما إتلافها فلا يحل بحال. وقد روى المروزى عن أحمد بن حنبل

انه سئل عن رجل أوصى أن تدفن كتبه فقال ما يعجبنى أن يدفن العلم. وانبأنا محمد بن عبد الملك ويحيى بن على قال أنبأنا احمد بن علىّ بن ثابت نا عبيد الله ابن عبد العزيز البرادعى نا محمد بن عبد الله السحير ثنا أبو بكر محمد بن حمد بن النحاس قال: سمعت المروزى يقول: سمعت احمد بن حنبل يقول لا أعرف لدفن الكتب معنى.

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى إنكارهم من تشاغل بالعلم

قال المصنف رحمه الله: لما انقسم هؤلاء بين متكاسل عن طلب العلم وبين ظان أن العلم هو مايقع فى النفوس من ثمرات التعبد وسموا ذلك العلم: العلم الباطن نهواً عن التشاغل بالعلم الظاهر.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر احمد بن على نا على بن أبى على البصرى ثنا أبو اسحاق ابراهيم بن احمد بن محمد الطبرى قال سمعت جعفرا الخلدى يقول: لو تركنى الصوفية لجئتكم باسناد الدنيا لقد مضيت الى عباس الدورى وأنا حدث فكتبت عنه مجلساً واحداً وخرجت من عنده فلقينى بعض من كنت أصحبه من الصوفية فقال: إيش هذا معك. فأريته إياه فقال: ويحك تدع علم الخرق وتأخذ علم الورق. ثم خرق الأوراق فدخل كلامه فى قلبى فلم أعد الى عباس.

قال المصنف رحمه الله: وبلغنى عن أبى سعيد الكندى قال كنت أنزل رباط الصوفية وأطلب الحديث فى خفية بحيث لايعلمون فسقطت الدواة يوما من كمى فقال لى بعض الصوفية استر عورتك.

أخبرنا محمد بن ناصر أبو القاسم هبة الله بن عبد الله الواسطى نا أبو بكر الخطيب نا أبو الفتح بن أبى الفوارس نا الحسين بن احمد الصفار قال: كان بيدى محبرة فقال لى الشبلى غيب سوادك عنى يكفينى سواد قلبى.

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت عبد الله العزال المذكر قال سمعت على بن مهدى يقول: وقفت ببغداد على حلقة الشبلى فنظر إلىّ ومعى محبرة فأنشأ يقول:

تسربلت للحرب ثوب الغرق ... وجبت البلاد لوجد القلق
ففيك هتكت قناع الغوى ... وعنك نطقت لدى من نطق

اذا خاطبونى بعلـم الــــورق   برزت عليهم بعلـم الخـــرق

قال المصنف رحمه الله: قلت من أكبـر المعاندة لله عز وجل الصد عن سبيل الله وأوضح سـبيل الله العلم لأنه دليل علـى الله وبيان لأحكام الله وشرعـه وإيضاح لما يحـبه ويكرهه فـالمنع منه معـاداة لله ولشرعـه ولكن الناهين عـن ذلك ماتفطنوا لمـا فعلوا. أخبـرنا ابن حبيب قـال نا ابن أبى صادق نا ابن باكـويه قال سمعت أبا عـبد الله بن خفيف يقول: اشـتغلوا بتعلم العلم ولايغرنكم كلام الصوفيـة فانى كنت أخبئ محبرتى فى جيب مرقعتى والكاغد فى حزة سراويلى وكنت أذهب خفية الى أهل العلم فاذا علموا بى خاصمونى. وقالوا لاتفلـح ثم احتاجوا إلىّ بعد ذلك. وقد كان الامام احمد ابن حنـبل يرى المحابر بأيدى طلبة العلم فـيقول: هذه سرج الاسلام. وكان هو يحمل المحبرة على كـبر سنه فقال له رجل الى متى يا أبا عبد الله فقـال: المحبرة الى المقبرة وقال فى قوله علـيه الصلاة والسلام «لا تزال طائفـة من أمتى منـصورين لا يضرهم مـن خذلهم حتـى تقوم الساعـة »· فقال احـمد: ان لم يكونـوا أصحاب الحديـث فلا أدرى من هم. وقال أيضاً ان لم يكن أصحاب الحديث الابدال فمن يكون. وقيل له ان رجلا قال فى أصحـاب الحديث انهم كانوا قوم سوء فـقال احمد: هو زنديق وقد قال الامـام الشافعى رحمه الله: اذا رأيت رجـلا من أصحاب الحديث فكأنى رأيت رجلا من أصـحاب رسول الله ﷺ. وقال يوسف بن أسباط بطلبة الحديث يدفع الله البلاء عن أهل الأرض.

أخبرنا أبو منصـور القزاز نا أبو بكر الخطيب ثنا عبد الـعزيز بن على ثنا ابن جهضم ثنا محمد بن جعفر ثـنا احمد بن محمد بن مسروق قال: رأيت كأن القـيامة قـد قامت والخلـق مجتمـعون إذ نادى منـاد. الصلاة جامـعة فاصطف الناس صفوفـا فأتانى مالك فتأملته فاذا بين عينـيه مكتوب جبريل أمين الـله. فقلت أيـن النبى ﷺ فقـال مشغـول بنصب الموائـد لاخوانه الصوفية. فقلت وأنا من الصوفية فقيل نعم. ولكن شغلك كثرة الحديث.

قال المصنف رحمه الله: معاذ الله أن ينكر جـبريل التشاغل بالعلم وفى إسناد هذه الحكاية ابن جهضم وكان كذاباً ولعلها عمله. وأما ابن مسروق فأخبرنـى القزاز نا أبو بكر الخطيب حـدثنى على بن محمد بـن نصر قال سمعـت حمزة بن يوسف قـال سمعت الدارقـطنى يقول أبو العـباس بن

مسروق ليس بالقوى يأتى بالمعضلات .

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى كلامهم فى العلم

قال المصنف رحمه الله: اعلم أن هؤلاء القوم لما تركوا العلم وانفردوا بالرياضيات على مقتضى آرائهم لم يصبروا عن الكلام فى العلوم فتكلموا بواقعاتهم فوقعت الأغاليط القبيحة منهم فتارة يتكلمون فى تفسير القرآن وتارة فى الحديث وتارة فى الفقه وغير ذلك ويسوقون العلوم الى مقتضى علمهم الذى انفردوا به والله سبحانه لا يخلى الزمان من أقوام قوام بشرعه يردون على المتخرصين ويبينون غلط الغالطين.

ذكر نبذة من كلامهم فى القرآن

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر احمد بن على ابن ثابت نا أبو القاسم عبد الواحد بن عثمان البجلى قال سمعت جعفر ابن محمد الخلدى قال حضرت شيخنا الجنيد وقد سأله كيسان عن قوله عز وجل ﴿**سنقرئك فلا تنسى**﴾ فقال الجنيد لا تنس العمل به، وسأله عن قوله تعالى ﴿**ودرسوا ما فيه**﴾ فقال له الجنيد تركوا العمل به، فقال لا يفضض الله فاك قلت: أما قوله - لا تنس العمل به - فتفسير لا وجه له والغلط فيه ظاهر. لأنه فسره على أنه نهى وليس كذلك إنما هو خبر لا نهى وتقديره - فما تنس - إذ لو كان نهياً كان مجزوماً فتفسيره على خلاف إجماع العلماء وكذلك قوله ﴿ **ودرسوا ما فيه** ﴾ إنما هو من الدرس الذى هو التلاوة من قوله عز وجل ﴿ **وبما كنتم تدرسون** ﴾. لا من دروس الشيء الذى هو اهلاكه. أخبرنا محمد ابن عبد الباقى نا حمد ابن احمد ثنا أبو نعيم الحافظ قال سمعت احمد بن محمد ابن مقسم يقول حضرت أبا بكر الشبلى. وسئل عن قوله عز وجل. ﴿ **إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب** ﴾. فقال: لمن كان الله قلبه. وأخبرنا عمر بن ظفر نا جعفر ابن احمد نا عبد العزيز بن على نا ابن جهضم ثنا محمد بن جرير قال سمعت أبا العباس بن عطاء وقد سئل عن قوله: ﴿ **فنجيناك من الغم** ﴾. قال نجيناك من الغم بقومك وفتناك بنا عن من سوانا .

قال المصنف رحمه الله: وهذه جرأة عظيمة على كتاب الله عز وجل ونسبة الكليم إلى الافتتان بمحبة الله سبحانه. وجعل محبته تفتن غاية فى

القباحة. أخبرنا أبو منصور القزاز نا احمد بن علي الحافظ نا أبو حازم عمر ابن إبراهيم العبدري قال سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الرازى يقول سمعت أبا العباس بن عطاء يقول فى قوله عز وجل: ﴿**وأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم**﴾ فقال الروح النظر إلى وجه الله عز وجل. والريحان الاستماع لكلامه. وجنة نعيم: هو أن لا يحجب فيها عن الله عز وجل. قلت: هذا كلام بالواقع على خلاف أقوال المفسرين وقد جمع أبوعبد الرحمن السلمى فى تفسير القرآن من كلامهم الذى أكثره هذيان لا يحل نحو مجلدين سماها حقائق التفسير فقال فى فاتحة الكتاب عنهم أنهم قالوا إنما سميت فاتحة الكتاب لأنها أوائل ما فاتحناك به من خطابنا فإن تأدبت بذلك والا حرمت لطائف ما بعد.

قال المصنف رحمه الله: وهذا قبيح لأنه لا يختلف المفسرون أن الفاتحة ليست من أول ما نزل: وقال فى قول الإنسان (آمين) أى قاصدون نحوك.

قال المصنف رحمه الله: وهذا قبيح لأنه ليس من أم لأنه لو كان كذلك لكانت الميم مشددة. وقال فى قوله: ﴿ **وان يأتوكم أساري** ﴾ قال قال أبوعثمان: غرقى فى الذنوب. وقال الواسطى: غرقى فى رؤية أفعالهم. وقال الجنيد أسارى فى أسباب الدنيا تفدوهم إلى قطع العلائق. قلت. وإنما الآية على وجه الإنكار ومعناها إذا أسرتموهم فديتموهم وإذا حاربتموهم قبلتوهم وهؤلاء قد فسروها على ما يوجب المدح. وقال محمد بن على. ﴿ **يحب التوابين** ﴾ من توبتهم وقال النورى: ﴿ **يقبض ويبسط** ﴾. أى يقبضك باياه ويبسطك لاياه. وقال فى قوله: ﴿ **ومن دخله كان آمنا** ﴾ أى من هواجس نفسه ووساوس الشيطان. وهذا غاية فى القبح لأن لفظ الآية لفظ الخبر ومعناه الأمرو تقديرها من دخل الحرم فأمنوه. وهؤلاء قد فسروها على الخبر ثم لا يصح لهم لأنه كم من داخل إلى الحرم ما أمن من الهواجس ولا الوساوس وذكر فى قوله ﴿**ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه**﴾: قال أبو تراب هى الدعاوى الفاسدة ﴿**والجار ذى القربى**﴾. قال سهل هو القلب ﴿ **والجار الجنب** ﴾ النفس ﴿ **وابن السبيل**﴾ الجوارح. وقال فى قوله: ﴿ **وهمّ بها** ﴾. قال أبو بكر الوراق الهمان لها ويوسف ما هم بها. قلت: هذا خلاف لصريح القرآن وقوله

. ﴿ ما هذا بشراً ﴾. قال محمد بن على ما هذا بأهل أن يدعى إلى المباشرة. وقال الزنجانى الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات أفئدتهم والمطر بكاؤهم. وقال فى قوله ﴿ ولله المكر جميعا ﴾ قال الحسين لا مكر أبين فيه من مكر الحق بعباده حيث أوهمهم ان لهم سبيلا اليه بحال. أو للحدث اقتران مع القدم .

قال المصنف رحمه الله: ومن تأمل معنى هذا علم أنه كفر محض لأنه يشير إلى أنه كالهزء واللعب. ولكن الحسين هذا هو الحلاج وهذا يليق بذاك. وقال فى قوله ﴿ لعمرك ﴾ أى بعمارتك سرك بمشاهدتنا. قلت. وجميع الكتاب من هذا الجنس ولقد هممت أن أثبت منه هاهنا كثيراً فرأيت أن الزمان يضيع فى كتابة شىء بين الكفر والخطأ والهذيان. وهو من جنس ما حكينا عن الباطنية، فمن أراد أن يعرف جنس ما فى الكتاب فهذا أنموذجه. ومن أراد الزيادة فلينظر فى ذلك الكتاب. وذكر أبو نصر السراج فى كتاب اللمع قال: للصوفية استنباط منها قوله: ﴿ادعو الى الله على بصيرة﴾ قال الواسطى: معناه لا أرى نفسى. وقال الشبلى: لو اطلعت على الكل مما سوانا لوليت منهم فراراً إلينا. قلت: هذا لا يحل لأن الله تعالى إنما أراد أهل الكهف. وهذا السراج يسمى هذه الأقوال فى كتابه مستنبطات. وقد ذكر أبو حامد الطوسى فى كتاب ذم المال فى قوله عز وجل: ﴿ واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام ﴾ قال: إنما عنى الذهب والفضة إذ رتبة النبوة أجل من أن يخشى عليها أن تعبد الآلهة والأصنام، وإنما عنى بعبادته حبه والاعتزاز به .

قال المصنف رحمه الله: وهذا شىء لم يقله أحد من المفسرين ، وقد قال شعيب ﴿وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا ﴾ومعلوم أن ميل الأنبياء إلى الشرك أمر ممتنع لأجل العصمة لا أنه مستحيل، ثم قد ذكر مع نفسه من يتصور فى حقه الإشراك والكفر فجار أن يدخل نفسه معهم، فقال «واجنبنى وبنى» ومعلوم أن العرب أولاده وقد عبد أكثرهم الأصنام. أخبرنا عبد الحق بن عبد الخالق نا المبارك بن عبد الجبار نا الحسين ابن على الطناجيرى نا أبو حفص بن شاهين قال: وقد تكلمت طائفة من الصوفية فى نفس القرآن بما لا يجوز فقالت فى قوله: ﴿إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب﴾

فقال هـم لآيات لى، فأضافوا إلى الله تـعالى ما جعلـه لأولى الألباب » وهذا تبديل للقرآن وقالوا: ﴿ولسليمان الريح﴾ قالوا: ولى سليمان .

وأخبـرنا ابن ناصر نا أحـمد بن على بن خلـف ثنا أبو عبد الـرحمن السلـمى قال: قـال أبو حـمزة الخـراسانى: قـد يقطـع بأقوام فـى الجنة فيقال: ﴿كلوا والشربوا هـنيئاً بما أسلفتم فـى الأيام الخالية﴾ فشغلهم عنه بالأكل والشرب ولا مكر فوق هذا ولا حسرة أعظم منه .

قال المصنف رحمـه الله: أنظروا وفقكم الله إلى هذه الحماقـة وتسمية المعنم به مكراً، وإضافة المكر بهذا إلى الله سبحانه وتعالى. وعلى مقتضى قول هذا أن الأنبياء لا يأكلون ولا يشربون بـل يكونون مشغولين بالله عز وجل. فما أجرأ هذا القائل على مثل هذه الالفاظ القباح. وهل يجوز أن يوصف الله عز وجـل بالمكر على ما نعـقله من معنى المكر. وإنمـا معنى مكره وخداعه أنـه مجازى الماكرين والخادعين. وإنـى لأتعجب من هؤلاء وقد كانوا يتورعون من اللقمة والكلمة كيف انبسطوا فى تفسير القرآن إلى ما هذه حـده. وقد أخبـرنا على بن عـبيد الله وأحمـد بن الحسن وعـبد الرحمن ابن محمـد قالوا: حدثنا عبد الصمد بن المأمـون نا على بن عمر الحربى ثنا أحمد بـن الحسن بن عبد الجبار الصوفى ثنا بـشر بن الوليد ثنا سهـيل أخو حـزم ثنا أبـو عمران الجـونى عن جنـدب قال: قـال رسول الله ﷺ: « من قال فـى القرآن برأيه فـقد أخطأ »٠ أخـبرنا هبـة الله بن محمد نا الحسن بن على نا أبو بكر بن حمدان ثنا عبد الله ابن أحمد ثنى أبى ثنا وكـيع عن الثورى عن عـبد الأعلى عن سعـيد بن جبـير عن ابن عباس رضى الله عنهما. قـال: قال رسول الله ﷺ «من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»٠ .

قال المصنف رحمه الله: وقد رويت لنا حكاية عـن بعضهم فيما يتعلق بالمكر إنى لأقشعر من ذكرها لكنى أنبه بذكرها على قبح ما يتخايله هؤلاء الجهلة. أخبرنـا أبو بكر ابن حبيب نا أبو سعد بن أبـى صادق نا أبو عبد الله ابن باكويه قـال: أخبرنا أبو عبـد الله ابن خفيف قال سمـعت رويما يقول: اجتمـع ليلة بالشام جماعة مـن المشايخ فقالوا ما شهـدنا مثل هذه الليلة وطيـبها فتعالوا نـتذاكر مسألة لئـلا تذهب ليلتنا فقالـوا: نتكلم فى المحبة فانهـا عمدة القوم فتكلم كل واحد من حـيث هو. وكان فى القوم

عمرو ابن عثمـان المكى فوقع عليه البول ولم يكن من عـادته فقام وخرج إلى صحن الدار فإذا ليلـة مقمرة فوجد قطعة رق مكتـوب فأخذه وحمله اليهم وقال: يا قوم اسكنوا فان هـذا جوابكم. أنظروا ما فى هذه الرسالة فاذا فيها مكـتوب مكار مكار وكلكم تدعون حبه وأحرم الـبعض وافترقوا فما جمعهم إلا الموسم .

قال المصنف رحمه الله: قلت هذه بعيـدة الصحة وابن خفيف لا يوثق به وإن صحت فان شيطاناً ألقى ذلك الرق، وإن كانوا قد ظنوا أنها رسالة من اللّه بظنونهم الفاسدة. وقد بينا أن معنى المكر منه المجازاة على المكر. فأما أن يقال عنه مكار ففوق الجهل وفوق الحماقة .

وقد أخـبرنا ابـن ظفر نـا ابن السراج نـا الأزجى ثنا ابن جـهضـم ثنا الخلدى قال سمعت رويما يقول: إن الله غيب أشياء فى أشياء غيب مكره فى علمـه. وغيب خـداعه فى لطفـه وغيب عقـوباته فى باب كـراماته. قلت: وهذا تخليط من ذلك الجنس وجرأة. أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو الفضل السهلكى قال سمعت محمد بن إبراهيم يقول سمعت خالى يقول قال الحسـن بن علويه. خرج أبو يزيـد لزيارة أخ له فلما وصـل إلى نهر جيـحون التقى لـه حافتا النـهر. فقال سـيدى. ايش هذا المكـر الخفى. وعزتك ما عبدتك لهذا ثم رجع ولم يعبر قال السهلكى. وسمعت محمد بن احمد المذكـر يذكران أبا يزيد قال من عرف الله عز وجـل صار للجنة بوابا وصارت الجنة عليه وبالا .

قلت: وهذه جرأة عظيمة فى إضافـة المكر إلى الله عز وجل وجعل الجنة التى هى نهاية المطالب وبالا وإذا كانت وبالا لعارفين فكيف تكون لغيرهم. وكل هذا منبـعه من قلة العلم وسوء الفـهم. أخبرنا ابن حـبيب نا ابن أبى صادق نا ابن باكـويه ثنا أبو الفرج الوريانى ثـنا احمد بن الحسن بن مـحمد ثنى محمد بن جعفر الوراق ثنا احمد بـن العباس المهلبى قال سمعت طيفور وهو أبو يزيد يقـول العارفون فى زيارة الله تعـالى فى الآخرة على طبـقتين طبقـة تزوره متى شاءت وانى شـاءت وطبقة تزوره مـرة واحدة ثم لا تزوره بعدهـا أبداً فقيل لـه كيف ذلك قال. إذا رآه العـارفون أول مرة جـعل لهم سوقاً مـا فيه شراء ولا بيع إلا الصـور من الرجال والنساء فـمن دخل منهم السوق لم يرجع الـى زيارة الله أبداً قال وقال أبو يزيد. فى الدنـيا يخدعك

بالسوق وفى الآخرة يخدعك بالسوق فأنت أبداً عبد السوق.

قال المصنف رحمه الله: تسمية ثواب الجنة خديعة وسبباً للانقطاع عن الله عز وجل قبيح وإنما يجعل لهم السوق ثواباً لا خديعة فإذا أذن لهم فى أخذ ما فى السوق ثم عوقبوا بمنع الزيارة فقد صارت المثوبة عقوبة. ومن أين له أن من اختار شيئاً من ذلك السوق لم يعد إلى زيارة الله تبارك وتعالى ولا يراه أبداً نعوذ بالله من هذا التخليط والتحكم فى العلم والاخبار عن هذه المغيبات التى لا يعلمها إلا نبى فمن أين له علمها وكيف يكون كما قال أبو هريرة راوى الحديث لسعيد بن المسيب: جمعنى الله وإياك فى سوق الجنة أفتراه طلب ترك العقوبة بالبعد عن الله عز وجل لكن بعد هؤلاء عن العلم واقتناعهم بواقعاتهم الفاسدة أوجب هذا التخليط وليعلم أن الخواطر والواقعات إنما هى ثمرات علمه فمن كان عالماً كانت خواطره صحيحة لأنها ثمرات علمه ومن كان جاهلا فثمرات الجهل كلها حظه. ورأيت بخط ابن عقيل: جار أبو يزيد على مقابر اليهود فقال ما هؤلاء حتى تعذبهم كف عظام جرت عليهم القضايا أعف عنهم .

قال المصنف رحمه الله: وهذا قلة علم وهو أن قوله - كف عظام- احتقار للآدمى فإن المؤمن إذا مات كان كف عظام: وقوله - جرت عليهم القضايا - فكذلك جرى على فرعون، وقوله، أعف عنهم، جهل بالشريعة لأن الله عز وجل أخبر أنه لا يغفر أن يشرك به لمن مات كافراً فلو قبلت شفاعته فى كافر لقبل سؤال إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه فى أبيه، ومحمد ﷺ فى أمه فنعوذ بالله من قلة العلم .

أنبأنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى نا أبو بكر احمد بن أبى نصر الكوفانى ثنا أبومحمد الحسن بن محمد بن قورى الحوبيانى نا أبو نصر عبد الله بن على الطوسى المعروف بالسراج قال كان ابن سالم يقول عبر أبو يزيد على مقبرة اليهود. فقال: معذورين. ومر بقبر المسلمين. فقال مغرورين. قال المصنف رحمه الله. وفسره السراج فقال كأنه لما نظر إلى ما سبق لهم من الشقاوة. من غير فعل كان موجوداً فى الازل وان الله عز وجل جعل نصيبهم السخط فذلك عذر .

قال المصنف رحمه الله: وتفسير السراج قبيح لأنه يوجب أن لا يعاقب فرعون ولا غيره .

ومن كلامهم فى الحـديث وغيره. أخبرنا أبو منصـور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا الأزهرى نا احمد بن إبراهيم بـن الحسن ثنا عبد الله بن احمد ابن حنبل قـال جاء أبو تراب النخشـبى الى أبى فجعل أبى يـقول: فلان ضعيف وفلان ثقة فقال أبو تراب. يا شـيخ لا تغتب العلماء فالتفت أبى إليه وقال له. ويحك هذه نصيحة ليسـت هذه غيبة. أنبأنا يحيى بن على المدبر نا أحمد بن على ابن ثابت نا رضوان بن محمد بن الحسن الدينورى قال سمـعت احمد بن محـمد بن عبد الله النـيسابورى يقول سـمعت أبا الحسن على بن محمد البخارى يقول سـمعت محمد بن الفضل العباسى يقول. كنا عـند عبد الرحمن بن أبـى حاتم وهو يقرأ علينا كـتاب الجرح والتعديل فقال اظهر أحوال أهل العلم من كان منهم ثقة أو غير ثقة. فقال له يوسف بن الحسيـن. استحييت إليك يا أبا محـمد كم من هؤلاء القوم قد حطوا رواحـلهم فى الجنة منذ مائـة سنة أو مائتى سنة وأنـت تذكرهم وتغتابـهم على أديم الأرض. فبكى عبـد الرحمن وقال يا أبا يـعقوب لو سمعت هذه الـكلمة قبل تصنيـفى هذا الكتاب لم أصنفه. قـلت عفا الله عن ابن أبى حاتم فانه لو كـان فقيهاً لرد عليه كمـا رد الإمام أحمد على أبى تراب. ولولا الجرح والتعديل من أين كان يعرف الصحيح من الباطل ثم كون القوم فـى الجنة لا يمنع أن نذكرهم بما فـيهم وتسمية ذلك غـيبة حديث سـوء. ثم من لا يدرى الجرح والتعـديل كيف هو يزكـى كلامه. وينبغى ليوسف أن يشتغل بالعجائب التى تحكى عن مثل هذا .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سـعد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعـت عبد الله ابن يزيد الاردبـيلى يقول سمـعت أبا العبـاس بن عطاء يقـول من عرف الله أمـسك عن رفع حـوائجـه إليه لما عـلم أنه العـالم بأحواله. قلت هذا سد لباب السؤال والدعاء وهو جهل بالعلم .

أخبرنا محمد بن عبد الملك بن خـيرون نا أحمد بن الحسن الشاهد قال قرىء على محمد بن الحسن الاهـوازى وأنا أسمع أبا بكر الديف الصوفى وقال سمعت الشبلى وقد سـأله شاب يا أبا بكر لم تقول الله ولا تقول لا إله إلا الله، فقال الشبلى . استحى أن أوجه إثباتاً بعد نفى. فقال الشاب أريد حجة أقـوى من هذه. فقال اخشى أنى أؤخذ فى كـلمة الوجود ولا أصل إلى كلمة الاقرار .

قال المصنف رحمه الله: أنظروا إلى هذا العلم الدقيق فإن رسول الله ﷺ كان يأمر بقول لا إله إلا الله ويحث عليها. وفى الصحيحين عنه أنه كان يقول فى كل دبر صلاة لا إله إلا الله وحده لا شريك له وكان يقول إذا قام لصلاة الليل لا إله إلا أنت وذكر الثواب العظيم لمن يقول لا إله إلا الله فانظروا إلى هذا التعاطى على الشريعة واختيار ما لم يختره رسول الله ﷺ .

أخبرنا محمد بن عبد الباقى ثنا أبو على الحسن بن محمد بن الفضل نا سهل ابن على الحساب نا عبد الله بن على السراج قال بلغنى أن أبا الحسن النورى شهدوا عليه أنه سمع أذان المؤذن فقال طعنه سم الموت وسمع نباح كلب فقال لبيك وسعديك فقيل له فى ذلك فقال. ان الرجل المؤذن أغار عليه أن يذكر الله وهو غافل ويأخذ عليه الأجرة ولولاها ما أذن فلذلك قلت طعنه سم الموت والكلب يذكر الله عز وجل بلا رياء فانه قد قال **﴿وان من شىء إلا يسبح بحمده﴾**.

قال المصنف رحمه الله: انظروا اخوانى عصمنا الله وإياكم من الزلل إلى هذا الفقه الدقيق والاستنباط الطريف .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه ثنا أبو يعقوب الخراط نا النورى أنه رأى رجل قابضا على لحية نفسه إلى الخليفة فطلبت وأخذت فلما دخلت عليه قال بلغنى أنه نبح كلب فقلت لبيك ونادى المؤذن فقلت طعنه قال نعم قال الله عز وجل **﴿ وإن من شىء إلا يسبح بحمده ﴾** فقلت لبيك لأنه ذكر الله. فأما المؤذن فانه يذكر الله وهو متلوث بالمعاصى غافل عن الله تعالى قال وقولك للرجل. نح يدك عن لحية الله. قلت نعم. أليس العبد لله ولحيته لله وكل ما فى الدنيا والآخرة له. قلت عدم العلم أوقع هؤلاء فى هذا التخبيط وما الذى أحوجه إلى أن يوهم أن صفة الملك صفة الذات .

أخبرنا ابن حبيب قال ابن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت احمد ابن محمد ابن عبد العزيز قال سمعت الشبلى يقول: وقد سئل عن المعرفة. فقال. ويحك ما عرف الله من قال الله. والله لو عرفوه ما قالوه. قال ابن باكويه وسمعت أبا القاسم أحمد بن يوسف البرادانى يقول سمعت الشبلى يقول يوماً لرجل يسأله. ما اسمك ؟ قال آدم. قال

ويلك. أتدرى ما صنع آدم ؟ باع ربه بلقمه. ثم كان يقول سبحان من عذرنى بالسوداء قال ابن باكويه وسمعت بكران بن احمد الجيلى يقول. كان للشبلى جليس فأعلمه أنه يريد التوبة فقال. بع مالك، واقض دينك، وطلق امرأتك. ففعل. فقال: أيتم أولادك بأن تؤيسهم من التعلق بك فقال قد فعلت فجاء بكسر قد جمعها. فقال اطرحها بين يدى الفقراء وكل معهم .

أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم نا أبى. قال: سمعت بعض الفقراء يقول سمعت أبا الحسن الحرفانى يقول لا إله إلا الله من داخل القلب محمد رسول الله من القرط

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق ثنا ابن باكويه قال أخبرنا احمد ابن محمد الحلفاى قال. رأى الشبلى فى الحمام غلاماً شاباً بلا مئزر. فقال له يا غلام ألا تغطى عورتك. فقال له: اسكت يا بطال: ان كنت على الحق فلا تشهد إلا الحق، وإن كنت على الباطل فلا تشهد إلا الباطل. لأن الحق مشتغل بالحق، والباطل مشتغل بالباطل .

أنبأنا أبو بكر محمد بن أبى طاهر نا على بن المحسن التنوخى عن أبيه ثنى أبو القاسم عبد الرحيم بن جعفر السيرا فى الفقيه. قال حضرت بشيراز عند قاضيها أبى سعيد بشر ابن الحسن الداودى – وقد ارتفع اليه صوفى وصوفية – قال وأمر الصوفية هناك مفرط جداً حتى يقال ان عددهم الوف فاستعدت الصوفية على زوجها إلى القاضى فلما حضرا قالت له: أيها القاضى، ان هذا زوجى ويريد أن يطلقنى وليس له ذلك فان رأيت أن تمنعه. قال. فأخذ القاضى أبو سعيد يتعجب – وحنق على مذاهب الصوفية – ثم قال لها. وكيف ليس له ذلك قالت: لأنه تزوج بى ومعناه قائم بى والآن هو يذكران معناه قد انقضى منى وأنا معناى قائم فيه ما أنقضى فيجب عليه أن يصير حتى ينقضى معناى منه كما انقضى منعاه منى فقال لى أبو سعيد: كيف ترى هذا الفقه: ثم أصلح بينهما وخرجا من غير طلاق. وقد ذكر أبو حامد الطوسى فى كتاب الأحياء ان بعضهم قال: للربوبية سرلو أظهر بطلت النبوة وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم. وللعلماء بالله سر لو أظهروه لبطلت الأحكام .

قلت: فانظروا إخوانى إلى هذا التخليط القبيح والادعاء على الشريعة

أن ظاهرها يخالف باطنها قال أبو حامد: ضاع لبعض الصوفية ولد صغير فقيل له: لو سألت الله أن يرده عليك فقال: اعتراضى عليه فيما يقضى أشد على من ذهاب ولدى .

قلت: لقد طال تعجبى من أبى حامد كيف يحكى هذه الأشياء فى معرض الاستحسان والرضى عن قائلها وهو يدرى أن الدعاء والسؤال ليس باعتراض وقال أحمد الغزالى: دخل يهودى الى أبى سعيد بن أبى الخير الصوفى. فقال له أريد أن أسلم على يديك فقال: لا ترد فاجتمع الناس وقالوا: يا شيخ تمنعه من الاسلام فقال له: تريد بلابد قال: نعم. قال له برئت من نفسك ومالك قال: نعم قال: هذا الاسلام عندى احملوه الآن الى الشيخ أبى حامد يعلم لا لا المنافقين. يعنى لا إله إلا الله قلت: وهذا الكلام أظهر عيبًا من أن يعاب فانه فى غاية القبح. ومما يقارب هذه الحكاية فى دفع من أراد الاسلام. ما أخبرنا به أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت أخبرنى محمد بن احمد بن يعقوب نا محمد بن نعيم الضبى قال سمعت أبا على الحسين بن محمد بن احمد الماسرخسى يحكى عن جده وغيره من أهل بيته قال كا ن الحسن والحسين ابنا عيسى بن ماسرخس أخوين يركبان فيتحير الناس من حسنهما وزيهما فاتفقا على أن يسلما فقصدا حفص بن عبد الرحمن ليسلما على يده فقال لهما حفص أنتما من أجل النصارى وعبدالله بن المبارك خارج فى هذه السنة الحج واذا أسلمتما على يده كان ذلك أعظم عند المسلمين فانه شيخ أهل المشرق والمغرب فانصرفا فمرض الحسين ومات على نصرانيته قبل قدوم ابن المبارك فلما قدم أسلم الحسن قلت: وهذه المحنة إنما جلبها الجهل فليعرف قدر العلم لأنه لو كان عنده حظ من علم لقال أسلما الآن ولا يجوز تأخير ذلك لحظة وأعجب من هذا أبو سعيد الذى قال لليهودى ما قال لأنه يريد الإسلام. وذكر أبو نصر السراج فى كتاب اللمع لمع المتصوفة قال: كان سهل بن عبد الله اذا مرض أحد من أصحاب يقول له: إذا أردت أن تشتكى فقل أوه فهو اسم من أسماء الله تعالى يستريح اليه المؤمن ولا تقل أفرج فانه اسم من أسماء الشيطان. فهذه نبذة من كلام القوم وفقههم ببهت على علمهم وسوء فهمهم وكثرة خطئهم. وقد سمعت أبا عبد الله حسين بن على المقرى يقول سمعت أبا محمد عبد الله

ابن عطاء الهروى يقول سـمعت عبد الرحمن ابن محمـد بن المظفر يقول سمعـت أبا عبد الرحمن بـن الحسين يقول سـمعت عبد الله بن الحسين السلامى يقـول سمعت على بن محـمد المصرى يقول سـمعت أيوب ابن سليمان يقول سمعت محمد بن مـحمد بن ادريس الشافعى يقول سمعت أبى يقـول. صحبـت الصوفيـة عشرة سـنين ما اسـتفدت منـه إلا هذين الحرفين: الوقت سيف، وأفضل العصمة أن لا تقدر .

ذكر تلبيس إبليس فى الشطح والدعاوى

قال المصنـف رحمه الله: اعلم أن العلـم يورث الخوف واحتقـار النفس وطول الصـمت واذا اعتـبرت علـماء السلف رأيـت الخوف غالـباً عليـهم والدعاوى بعيدة عنهم كما قال أبوبـكر: ليتنى كنت شعرة فى صدر مؤمن. وقال عمر عند مـوته الويل لعمر ان لم يغفر له وقال ابن مـسعود: ليتنى اذا مت لا أبعث وقالت عائشـة رضى الله عنها: ليتنى كنت نسيـاً منسياً. وقال سفيان الثورى لحماد بن سلمة عند الموت ترجو أن يغفر لمثلى.

قال المصنـف رحمه الله: وإنما صدر مـثل هذا عن هؤلاء السـادة لقوة علمهم بالله وقوة العلم به تورث الخوف والخشية. قال الله عز وجل ﴿**إنما يخشى الله من عبـاده العلماء**﴾ وقال ﷺ أنا أعرفكـم بالله وأشدكم له خشـية ولما بعـد عن العلم أقـوام من الصـوفية لاحظـوا أعمالهـم واتفق لبعضهم من اللطف ما يشبه الكرامات فانبسطوا بالدعاوى .

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا أبـو الفضل محمد بن على السهلكى قال: سمعت أبا عـبد الله محمد بن عبد الله الشيـرازى يقول ثنا أبو بكر عمـر بن يمن ثنـا أبو عمـر الرهاوى ثنا احـمد بن مـحمد الجـزرى قال سمعت أبا موسى الدئيلى يقول سـمعت أبا يزيد البسطامى يقول: وددت ان قد قامت القيامة حتى أنصب خـيمتى على جهنم فسأله رجل ولم ذاك يا أبا يـزيد فقـال: انى أعلم أن جـهنم اذا رأتنى تـخمد فـأكون رحـمة للخلق. أخبرنا أبو بكر بن حبيـب العامرى نا أبو سعد بن أبى صادق ثنا ابن باكويه نى ابراهيم بن محمد نى حـسن بن علوية نى طيفور بن عيسى نى أبو موسى الـشبلى قال: سمعـت أبا يزيد يقول: إذا كان يوم القـيامة وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل الـنار النار فاسأله أن يدخلنى النـار فقيل له لم: قال حتى تعلم الخلائق أن بره ولطفه فى النار مع أوليائه .

قال المصنف رحمه الله: هذا الكلام من أقبح الأقوال لأنه يتضمن تحقير ما عظم الله عز وجل أمره من النار فانه عز وجل بالغ فى وصفها فقال: ﴿ واتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة ﴾ وقال: ﴿ إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً﴾ الى غير ذلك من الأيات. وقد أخبرنا عبد الأول نا ابن المظفر نا ابن أعين ثنا الفربرى ثنا البخارى ثنا اسماعيل ثنا مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال: «قال رسول الله ﷺ ان ناركم هذه ما يوقد بن آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم. قالوا له الصحابة والله ان كانت لكافية يا رسول الله. قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها أخرجاه فى الصحيحين وفى أفراد مسلم من حديث ابن مسعود عن النبى ﷺ انه قال: يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها». أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن احمد نا أبو على التميمى نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن احمد ثنى أبى ثنا بهز بن أسد ثنا جعفر بن سليمان ثنا على بن زيد عن مطرف عن كعب قال قال عمر ابن الخطاب: يا كعب خوفنا فقال يا أمير المؤمنين اعمل عمل رجل لو وافيت القيامة بعمل سبعين نبياً لازدرأت عملك مما ترى فأطرق عمر رضى الله عنه ملياً ثم أفاق قال: زدنا يا كعب قلت: يا أمير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها. فأطرق عمر ملياً ثم أفاق فقال: زدنا يا كعب قلت: يا أمير المؤمنين ان جهنم لتزفر يوم القيامة زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبى مصطفى إلاخر جاثياً على ركبتيه ويقول رب نفسى نفسى لا أسألك اليوم غير نفسى. أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن احمد نا حمد ابن احمد الحداد ثنا أبو نعيم الحافظ ثنا أبى ثنا احمد بن محمد بن الحسن البغدادى ثنا ابراهيم بن عبد الله الجنيد ثنا عبد الله ابن محمد بن عائشة ثنا سالم الخواص عن فرات ابن السائب عن زاذان قال: سمعت كعب الأحبار يقول: اذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والأخرين فى صعيد واحد ونزلت الملائكة وصارت صفوفاً فيقول يا جبرائيل ائتنى بجهنم فيأتى بها جبريل فتقاد بسبعين ألف زمام حتى اذا كانت من الخلائق على قدر مائة عام زفرت زفرة طارت لها أفئدة الخلائق ثم زفرت ثانية فلا يبقى ملك

مقرب ولا نبى مرسل إلا جثى على ركبتيه ثم تزفر الثالثة فتبلغ القلوب الحناجر وتذهل العقول فيفزع كل امرىء الى عمله حتى أن ابراهيم الخليل يقول بخلتى لا أسألك الا نفسى. ويقول موسى بمناجاتى لا أسألك الا نفسى. وان عيسى ليقول بما أكرمتنى لا أسألك الا نفسى لا أسألك مريم التى ولدتنى. قلت وقد روينا أن النبى ﷺ قال يا جبرائيل مالى أرى ميكائيل لا يضحك فقال: ما ضحك ميكائيل مذ خلقت النار وما جفت لى عين مذ خلقت جهنم مخافة أن أعصى الله فيجعلنى فيها وبكى عبد الله بن رواحة يوماً فقالت: امرأته مالك تبكى قال أنبئت انى وارد ولم أنبأ أنى صادر .

قال المصنف رحمه الله: فاذا كانت هذه حالة الملائكة والأنبياء والصحابة وهم المطهرون من الأدناس وهذا انزعاجهم لأجل النار فكيف هانت عند هذا المدعى ثم انه يقطع لنفسه بما لا يدرى به من الولاية والنجاة وهل قطع بالنجاة الا لقوم مخصوصين من الصحابة. وقد قال ﷺ «من قال انى فى الجنة فهو فى النار». وهذا محمد بن واسع يقول عند موته يا أخوتاه أتدرون أين يذهب بى يذهب بى والله الذى لا إله إلا هو الى النار أو يعفو عنى. قلت وهذا ان صح عن هذا المدعى فهذا غاية من تلبيس إبليس . وقد كان ابن عقيل يقول: قد حكى عن أبى يزيد انه قال. وما النار والله لئن رأيتها لأطفأنها بطرف مرقعتى أو نحو هذا قال. ومن قال هذا كائن من كان فهو زنديق يجب قتله فان الاهوان للشيء ثمرة الجحد لأن من يؤمن بالجن يقشعر فى الظلمة ومن لا يؤمن لا ينزعج وربما قال يا جن خذونى. ومثل هذا القائل ينبغى أن يقرب الى وجهه شمعة فاذا انزعج قيل له هذه جذوة من نار. أنبأنا محمد بن ناصر نا أبو الفضل السهلكى قال سمعت أبا عبد الله الشيرازى يقول ثنا أبو اسحاق ابراهيم بن محمد قال سمعت الحسن بن علوية يقول: سمعت طيفور الصغير يقول سمعت عمى خادم أبى يزيد يقول. سمعت أبا يزيد يقول سبحانى سبحانى ما أعظم شانى. ثم قال: حسى من نفسى حسبى: قلت هذا إن صح عنه فربما يكون الراوى لم يفهم لأنه يحتمل أن يكون قد ذكر تمجيد الحق نفسه فقال فيه «سبحانى» حكاية عن الله لا عن نفسه. وقد تأوله له الجنيد بشىء إن لم يرجع إلى ما قلته

قليس بشيء فأنبأنا ابن ناصر نا السهلكي نا محمد بن القاسم الفارسي سمعت الحسن بن علي المذكر سمعت جعفر الخلدى يقول: قيل للجنيد إن أبا يزيد يقول سبحاني سبحاني أنا ربى الأعلى : فقال الجنيد. إن الرجل مستهلك فى شهود الجلال فنطق بما استهلكه، أذهله الحق عن رؤيته إياه فلم يشهد إلا الحق فنعته. قلت وهذا من الخرافات. أنبأت الحسن عن محمد ابن الفضل الكرماني ناسهل بن علي الخشاب، وأنبأت أبو الوقت عبد الأول نا احمد ابن أبى نصر الكوفاني نا الحسن بن محمد بن فوزى نا عبد الله ابن علي السراج قال سمعت احمد بن سالم البصري بالبصرة يقول فى مجلسه يوماً فرعون لم يقل ما قال أبو يزيد لأن فرعون قال ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ والرب يسمى به المخلوق يقال رب الدر. وقال أبو يزيد سبحاني سبحاني لا يجوز إلا لله. فقلت قد صح عندك هذا عن أبى يزيد فقال قد قال ذلك. فقلت يحتمل أن يكون لهذا الكلام مقدمات يحكى بأن الله يقول سبحاني لأنا لو سمعنا رجلا يقول «لا إله إلا أنا» علمنا انه يقرأ. وقد سألت جماعة من أهل بسطام من بيت أبى يزيد عن هذا فقالوا لا تعرف هذا. أنبأنا ابن ناصر نا أبو الفضل السهلكي قال سمعت أبا عبد الله الشيرازى يقول سمعت عامر بن احمد قال سمعت الكتاني يقول حدثنى أبو موسى الدئيلي قال سمعت أبا يزيد يقول. كنت أطوف حول البيت أطلبه فلما وصلت اليه رأيت البيت يطوف حولى. قال الشيرازى. وحدثنا إبراهيم بن محمد قال سمعت الحسن بن علويه يقول سمعت طيفور الصغير يقول سمعت أبا يزيد يقول حججت أول حجة فرأيت البيت: وحججت الثانية فرأيت صاحب البيت ولم أر البيت. وحججت الثالثة فلم أر البيت ولا صاحب البيت. قال الشيرازى وسمعت محمد بن دادويه يقول سمعت عبد الله بن سهل يقول سمعت أبا موسى الدئيلي يقول سمعت أبا يزيد «وسئل عن اللوح المحفوظ» . قال : أنا اللوح المحفوظ. قال الشيرازى وسمعت المظفر بن عيسى المراغي. يقول سمعت سيرين يقول سمعت أبا موسى الدئيلي. يقول قلت لأبى يزيد بلغنى أن ثلاثة قلوبهم على قلب جبريل قال أنا أولئك الثلاثة فقلت كيف. قال قلبى واحد. وهمى واحد. وروحى واحد. قلت وبلغنى أن واحداً قلبه على قلب إسرافيل. قال وأنا ذلك الواحد ومثلى مثل بحر

مصطلم لا أول له ولا آخر: قال السهلكى وقرأ رجل عند أبى يزيد ﴿إن بطش ربك لشديد﴾ فقال أبو يزيد وحياته إن بطشى أشد من بطشه. وقيل لأبى يزيد بلغنا إنك من السبعة. قال: أناكل السبعة. وقيل له. إن الخلق كلها تحت لواء سيدنا محمد ﷺ فقال. والله إن لوائى أعظم من لواء محمد. لوائى من نور تحته الجن والإنس كلهم مع النبيين، وقال أبو يزيد. سبحانى سبحانى ما أعظم سلطانى ليس مثلى فى السماء يوجد ولا مثلى صفة فى الأرض تعرف أنا هو وهو أنا وهو هو. أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقى قالا نا حمد ابن احمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا احمد ابن أبى عمران ثنا منصور بن عبد الله. قال سمعت أبى يقول قيل لأبى يزيد إنك من الابدال السبعة الذين هم أوتاد الأرض، فقال: أناكل السبعة. أنبأنا ابن ناصر نا أبو الفضل السهلكى قال سمعت أبا الحسين محمد بن القاسم الفارسى قال سمعت أبا نصر بن محمد بن إسماعيل البخارى يقول سمعت أبا الحسين على بن محمد الجرجانى يقول سمعت الحسن بن على بن سلام يقول دخل أبو يزيد مدينة فتبعه منها خلق كثير فالتفت اليهم فقال «إنى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدونى» فقالوا: جن أبو يزيد فتركوه، قال: الفارسى وسمعت أبا بكر احمد، ابن مجمد النيسابورى قال: سمعت ابا بكر احمد بن إسرائيل قال سمعت خالى على ابن الحسين يقول سمعت الحسن بن على بن حياة يقول سمعت عمى وهو أبو عمران موسى بن عيسى بن أخى أبى يزيد قال سمعت أبى يقول قال أبو يزيد: رفع بى مرة حتى قمت بين يديه فقال لى. يا أبا يزيد إن خلقى يحبون أن يروك قلت يا عزيزى وأنا أحب أن يرونى. فقال يا أبا يزيد إنى أريد أريكهم. فقلت يا عزيزى إن كانوا يحبون أن يرونى وأنت تريد ذلك وأنا لا أقدر على مخالفتك. قربنى بوحدانيتك، وألبسنى ربانيتك، وارفعنى إلى أحديتك. حتى إذا رآنى خلقك. قالوا رأيناك فيكون أنت ذاك ولا أكون أنا هناك ففعل بى ذلك وأقامنى وزينى ورفعنى. ثم قال اخرج إلى خلقى فخطوت من عنده خطوة إلى الخلق خارجاً فلما كان من الخطوة الثانية غشى علىّ فنادى ردوا حبيبى فإنه لا يصبر عنى ساعة. أنبأنا ابن ناصر نا السهلكى. قال سمعت محمد بن إبراهيم الواعظ. يقول سمعت محمد بن محمد الفقيه

يقول سمعت احمد بن محمد الصوفى يقول سمعت أبا موسى يقول حكى عن أبى يزيد أنه قال أراد موسى عليه الصلاة والسلام أن يرى الله تعالى. وأنا ما أردت أن أرى الله تعالى هو أراد أن يرانى. أخبرنا أبو بكر ابن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق الحيرى ثنا أبو عبد الله ابن باكويه ثنا أبو الطيب بن الفرغانى قال سمعت الجنيد بن محمد يقول. دخل علىّ أمس رجل من أهل بسطام فذكر أنه سمع ابا يزيد البسطامى يقول: اللهم ان كان فى سباق علمك أنك تعذب أحداً من خلقك بالنار فعظم خلقى حتى لا تسع معى غيرى.

قال المصنف رحمه الله: أما ما تقدم من دعاويه فما يخفى قبحها. وأما هذا القول فخطأ من ثلاثة أوجه. أحدها أنه قال ان كان فى سابق علمك وقد علمنا قطعاً انه لا بد من تعذيب خلق بالنار وقد سمى الله عز وجل منهم خلقاً. كفرعون وأبى لهب فكيف يجوز أن يقال بعد القطع واليقين إن كان والثانى قوله تعظم خلقى فلو قال لا دفع عن المؤمنين ولكنه قال حتى لا تسع غيرى فاشفق على الكفار أيضاً وهذا تعاط على رحمة الله عز وجل. والثالث أن يكون جاهلا بقدر هذه النار أو واثقاً من نفسه بالصبر وكلا الأمرين معدوم عنده قلت: ثم قال والله لقد تكلمت أمس مع الخضر فى هذه المسألة وكانت الملائكة يستحسنون قولى. والله عز وجل يسمع كلامى فلم يعب علىّ ولو عاب علىّ لاخرسنى. قلت لولا أن هذا الرجل قد نسب إلى التغير لكان ينبغى أن يرد عليه. وأين الخضرومن أين له أن الملائكة تستحسن قوله. وكم من قول معيب لم يعاجل صاحبه بالعقوبة وقد بلغنى عن ميمون عبده قال بلغنى عن سمنون المحب أنه كان يسمى نفسه الكذاب بسبب أبياته التى قال فيها.

وليس لى فى شواك حظ فكيفما ما شئت فامتحنى

فابتلى بحبس البول فلم يقر له قرار فكان بعد ذلك يطوف على المكاتب وبيده قارورة يقطر منها بوله ويقول للصبيان ادعوا لعمكم الكذاب.

قال المصنف رحمه الله: إنه ليقشعر جلدى من هذه أتراه على ما يتقاوى وإنما هذه ثمرة الجهل بالله سبحانه وتعالى ولو عرفه لم يسأله إلا العافية. وقد قال من عرف الله كلّ لسانه. أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال: سمعت محمد بن داود الجورجانى

يقول سمعت أبا العباس بن عطاء يقول: كنت أرد هذه الكرامات حتى حدثنى الثقة عن أبى الحسين النورى وسألته فقال كذا كان. قال: كنا فى سميرية فى دجلة فقالوا لأبى الحسين أخرج لنا من دجله سمكة فيها ثلاثة أرطال وثلاث أواقىّ فحرك شفتيه. فاذا سمكة فيها ثلاث أرطال وثلاث أواقىّ ظهرت من الماء حتى وقعت فى السميريه. فقيل لأبى الحسين: سألناك بالله إلا أخبرتنا بماذا دعوت فقال: قلت وعزتك لئن لم تخرج من الماء حوتاً فيها ثلاث أرطال وثلاث أراقى لأغرقن نفسى فى دجلة.

أخبرنا أبو منصور القزار نا أبو بكر ابن ثابت قال أخبرنى عبد الصمد ابن محمد الخطيب ثنا الحسن بن الحسين الهمدانى قال سمعت جعفراً الخلدى سمعت الجنيد يقول سمعت النورى يقول : كنت بالرقة فجاءنى المريدون الذين كانوا بها. وقالوا نخرج ونصطاد السمك. فقالوا لى يا أبا الحسين هات من عبادتك واجتهادك وما أنت عليه من الاجتهاد سمكة يكون فيها ثلاثة أرطال لا تزيد ولا تنقص. فقلت لمولاى إن لم تخرج إلى الساعة سمكة فيها ما قد ذكروا لأرمين بنفسى فى الفرات. فأخرجت سمكة فوزنتها فإذا فيها ثلاثة أرطال لا زيادة ولا نقصان. قال الجنيد: فقلت له يا أبا الحسين لو لم تخرج كنت ترمى بنفسك قال نعم.

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه نا أبو يعقوب الخراط. قال قال لى أبو الحسين النورى كان فى نفسى من هذه الكرامات شيء وأخذت من الصبيان قصبة وقمت بين زورقين وقلت وعزتك لئن لم تخرج لى سمكة فيها ثلاثة أرطال لا تزيد ولا تنقص لاآكل شيئاً. قال فبلغ ذلك الجنيد فقال: كان حكمه أن تخرج له أفعى تلدغه.
أخبرنا ابن حبيب نا بن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت الحسين بن احمد الفارسى يقول سمعت الرقى يقول سمعت على بن محمد بن أبان قال سمعت أبا سعيد الخراز يقول: أكبر ذنبى إليه معرفتى إياه .

قال المصنف رحمه الله: هذا ان حمل على معنى انى لما عرفته لم أعمل بمقتضى معرفته فعظم ذنبى كما يعظم جرم من علم وعصى وإلا فهو قبيح. أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبى صادق نا ابن باكويه ثنى احمد الحلفاى قال سمعت الشبلى يقول : أحبك الخلق لنعمائك وأنا أحبك لبلائك.

أخبرنا محمد بن أبى القاسم أنبأنا الحسن بن محمد ابن الفضل الكرمانى نا سهل بن على الخشاب. وأخبرنا أبو الوقت نا احمد بن أبى نصر نا الحسن بن محمد بن فورى قالا نا عبد الله ابن على السراج قال سمعت أبا عبد الله احمد بن محمد الهمدانى يقول. دخلت على الشبلى فلما قمت لأخرج كان يقول لى ولمن معى الى أن خرجنا من الدار مروا أنا معكم حيث ماكنتم وأنتم فى رعايتى وكلاءتى. نا محمد بن ناصر نا أبو عبد الله الحميدى نا أبو بكر محمد بن احمد الاردستانى نا أبوعبدالرحمن السلمى قال سمعت منصور بن عبد الله يقول. دخل قوم على الشبلى فى مرض موته الذى مات فيه. فقالوا كيف تجدك يا أبا بكر فأنشأ يقول:

ان سلطان حبه قال لا أقبل الرشا

فسلوه فديته ما لقتلى تحرشا

قال ابن عقيل وقد حكى عن الشبلى أنه قال أن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ . والله لارضى محمد ﷺ وفى النار من أمته أحد. ثم قال: إنَّ محمداً يشفع فى أمته وأشفع بعده فى النار حتى لايبقى فيها أحد قال ابن عقيل والدعوى الأولى على النبى ﷺ كاذبة فإن النبى ﷺ يرضى بعذاب الفجار. كيف وقد لعن فى الخمر عشرة. فدعوى أنه لايرضى بتعذيب الله عز وجل للفجار دعوى باطلة وإقدام على جهل بحكم الشرع . ودعواه بأنه من أهل الشفاعة فى الكل وأنه يزيد على محمد ﷺ كفر لأن الإنسان متى قطع لنفسه بأنه من اهل الجنة كان من أهل النار فكيف وهو يشهد لنفسه بأنه على مقام يزيد على مقام النبوة بل يزيد على مقام المحمود وهو الشفاعة العظمى. قال ابن عقيل والذى يمكننى فى حق أهل البدع لسانى وقلبى ولو اتسعت قدرتى فى السيف لرويت الثرى من دماء خلق.

أخبرتنا شهدة بنت أحمد قالت أخبرنا جعفر بن احمد ثنا أبو طاهر محمد ابن على العلاف سمعت أبا الحسين بن سمعون سمعت أبا عبد الله العلقى صاحب أبا العباس ابن عطاء سمعت أبا العباس بن عطاء يقول. قرأت القرآن فما رأيت الله عز وجل ذكر عبداً فأثنى عليه حتى ابتلاه. فسألت الله تعالى أن يبتلينى فما مضت الأيام والليالى حتى خرج من دارى نيف وعشرون ميتاً مارجع منهم أحد. قال وذهب ماله، وذهب

عقله، وذهب ولـده وأهله. فمكث بحكم الـغلبة سبع سنيـن أو نحوها. وكان أول شئ قاله بعد صحوه من غلبته

حقا أقول لقد كلفتني شططـا   حملي هواك وصبري ان ذا عجب

قلت: قلة علـم هذا الرجل أثمر ان سأل البلاء . وفـى سؤال البلاء معنـى التقاوى وذاك من أقـبح القبـيح. و- الشطط- الجـور ولايجوز أن ينسب إلى الله تعالى. وأحسن ماحمل عليه حاله أن يكون قال هذا البيت فى زمان التغير، أخبرنا محمـد بن ناصر أنبأنا احمد بن على بن خلف نا محمد بن الحـسين السلمى سمعت أبا الحسن علـى بن ابراهيم الحصرى. يقول، دعونى وبلائى ألستم أولاد آدم الذى خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وأمره بأمره فخالفه. إذا كان أول الدن دردى كيـف يكون آخره. قـال وقال الحـصرى كنت زمـاناً إذا قرأت الـقرآن لا أستعيذ من الشيطان وأقول الشيطان حتى يحضر كلام الحق .

قال المصنف رحمه الله: قلت أما القـول الأول بأنه يتسلط على الأنبياء جرأة قبيحة وسوء أدب. وأما الثانـى فمخالف لما أمر الله عز وجل به فإنه قال «فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله» أخبرنا أبو بكر بن ابى طاهر نا عباد ابن إبراهيم النسفى ثـنا محمد بن الحسين السلمى قـال وجدت فى كتاب أبى بخطه سمعت أبا العباس أحمد بن محمد الدينورى يقول. قد نقضوا اركان التصـوف وهدموا سبيلهـا وغيروا معانـيها بأسامى أحدثـوها سموا الطبع زيادة، وسوء الأدب إخلاصا، والخـروج عن الحق شطحا، والتلذذ بالمذموم طيبـة وسوء الخلق صولة، والبخل جلادة، واتبـاع الهوى ابتلاء، والرجوع الى الـدنيا وصولا والسؤال عـملا. وبذأ اللسان ملامـة وما هذا طريق القوم. وقال ابن عقيل عبرت الصوفية عن الحرام بعبارات غيروا لها الأسمـاء مع حصـول المعنى فـقالوا فـى الاجتمـاع على الطـيبة والـغناء والخنكرة، أوقات. وقالوا فى المردان شب وفى المعشوقة أخت. وفى المحبة مريدة وفى الـرقص والطرب وجد، وفى منـاخ اللهعود والبـطالة رباط. وهذا التغيير للأسماء لايباح.

بيان جملة مروية على الصوفية من الأفعال المنكرة

قلت: قد سبق ذكر أفعال كثيرة لهم كلها منكرة وأنما نذكر ههنا من

امهات الأفعـــال وعجائبها. أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن احمد أنبأنا أبو على الحسـن بن محمد بـن الفضل الكرمـانى نا أبو الحسن سـهل بن على الخشاب نا أبو نصر عبد الله بن عـلى السراج. قال ذكر عن أبى الكريتى - وكان أستاذ الجنيد - انـه أصابته جنابة. وكان عليه مرقعـة تخينة. فجاء إلى شاطئ الدجلة والبـرد شديد فحرنت نفسه عن الدخـول فى الماء لشدة البرد فطرح نفسه فى الماء مع المرقعـة ولم يزل يغوص ثم خرج. وقال : عقدت أن لا أنزعها عن بدنى حتى تجف علىّ فلم تجف عليه شهراً.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أحمد بن على بن ثابت ثنا عبد العزيز ابن على ثنـا على بن عبد الله الهمدانى ثنا الخلـدى ثنى جنيد قال سمعت أبا جعفر ابن الكريتى يقول أصبت ليلة جنابة فاحتجت أن أغتسل وكانت ليلة باردة فوجـدت فى نفسى تأخراً وتقصيراً وحـدثتنى نفسى لو تركت حتى تصـبح ويسخن لك الماء . أو تدخل حمامـاً. والا اعبأ على نفسك. فقلت واعجبا أنا أعامل الله تعالى فى طول عمرى. يجب له على حق لاأجـد المسارعة الـيه. وأجد الوقـوف والتبـاطؤ والتأخـر. آليت لا أغتسل الا فى نهر. وآليت لا أغتسلت الا فى نهر. وآليت لا أغتسلت الا فى مرقعتى هذه. وآليت لا أعصرنها وآلـيت لا جففنها فى شمس أو كما قال. قلت قـد سبق فى ذكر المرقـعات وصف هذه المرقعة لابـن الكريتى وأنه وزن أحد كميهـا فكان فيه أحد عشر رطلا وإنما ذكر هـذا للناس ليبين أنى فعلت الحسن الجميل. وحكوه عنه ليبين فضله وذلك جهل محض لأن هذا الرجل عـصى الله سبحـانه وتعالى بما فـعل. وإنما يعجب هذا الـفعل العوام الحمقى لا الـعلماء. ولا يجوز لأحد أن يعاقب نفسـه فقد جمع هذا المسكين لنفسه فنونا من التعذيـب: إلقاؤها فى الماء البارد، وكونه فى مرقعة لا يمكنه الحركة فيها كما يريد. ولعله قد يقى من مغابنه مالم يصل اليه الماء لكثافة هذه المرقعـة، وبقاءها عليه مبتلة شهراً وذلـك يمنعه لذة النوم. وكل هذا الفعل خطأ واثم وربما كان ذلك سبباً لمرضه أو قتله.

أخبرنا المحمدان بـن ناصر وابن عبد الباقى قال أخبرنـا حمد بن احمد ابن عبد الله الأصبهانى، قال: كانت أم على زوجة احمد بن حضرويه قد أحلت زوجـها احمـد من صداقهـا على أن يزوربهـا أبا يزيد البـسطامى فحملها اليه فدخلت عليه وقعدت بـين يديه مسفرة عن وجهها. فلما قال

لهـا أحمـد: رأيت مـنك عجـبـا. أسفـرت عن وجـهك بين يـدى أبى يزيد: قالت لأنى لما نـظرت اليه فقدت حظوظ نفسى. وكـلما نظرت اليك رجعت إلىّ حظوظ نفسى. فلما أراد احمد الخروج من عند أبى يزيد قال له أوصنى. قال تعلم الفتوة من زوجتك. أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعـد بن أبى صـادق نا بن باكـويه سمـعت أبا بكر الـفارى «وفار قـرية بطرسوس» سمعت أبا بكر السباك سمعت يوسف ابن الحسين يقول: كان بين احمد بن أبـى الحوارى وبين أبى سليمان عقد أن لا يـخالفه فى شئ يؤمره به فجاءه يـوماً وهو يتكلم فى المجلس فقال ان التـنور قد سجر ناه فما تأمرنا فمـا أجابه فأعاد مرة أو مرتين فقال له فى الـثالثة اذهب واقعد فيـه ففـعل ذلك. فـقال أبو سلـيمـان ألحقوه فـإن بينى وبـينه عـقداً أن لايخالفـنى فى شئ آمره به فقـام وقاموا معـه فجاؤا إلى التنـور فوجدوه قاعداً فى وسطه فأخذ بيده وأقامه فما أصابه خدش.

قال المصنـف رحمه الله: هذه الحكاية بعـيدة الصحة ولو صـحت كان دخوله النار معصية. وفى الصحيحين من حديث على رضى الله عنه قال بعث رسـول الله ﷺ سرية واستعـمل عليهـا رجلا من الأنصار فـلما خرجوا وجد عليهم فى شئ فـقال لهم أليس قد أمركم رسول الله ﷺ أن تطيعونى قالوا بلى قال فاجمعوا حطباً فجمعوا ثم دعا بنار فأضرمها ثم قال عزمت عليكم لتدخلنها قال فهم القوم ان يدخلوا فقال لهم شاب إنما فررتم إلى رسول الله ﷺ من النار فلا عجـلوا حتى تلقوا النبى ﷺ فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوها فرجـعوا إلى النبى ﷺ فاخبروه فقال لهم رسول الله ﷺ «لو دخلتـموها ماخرجتم منهـا أبداً إنما الطاعة فى المعروف». أخبرنا عبدالرحمن بن محمد القزاز نا احمد ابن على بن ثابت نا أبو نعيم الحافظ أخبرنى الحسن بن جـعفر ابن على أخبرنى عبد الله بن ابراهيم الجزرى قال: قـال أبو الخير الديلمى كنت جالساً عنـد خير النساج فأتته امرأة وقالت له اعطينى المنديل الذى دفعته اليك قال نعم فدفعه اليها قالت كم الأجـرة قال درهمان قالت مـامعى الساعة شـئ وأنا قد ترددت اليك مراراً فلم أراك وأنا آتيك به غداً إن شاء الله تـعالى فقال لها خير ان أتييـنى بهما ولم تجـدنى فارمى بهـما فى دجلة فـإنى إذا جئت أخذتهـما فقالت المرأة كيف تأخذ من دجلة فقال لهـا خير هذا التفتيش فضول منك

افعلى ماأمرتك. قالت ان شاء الله فمرت المرأة قال أبو الحسين فجئت من الغد وكان خير غـائبا واذا المرأة قد جاءت ومعها خرقة فـيها درهمان فلم تجده فرمت بالخرقة فى دجلة واذا بسرطان قد تعلقت بالخرقة وغاصة وبعد ساعة جاء خير وفتح باب حانـوته وجلس على الشط يتوضأ وإذا بسرطان قد خرجـت من الماء تسعى نحـوه والخرقة على ظـهرها فلما قـربت من الشيخ أخـذها. فقلت له رأيت كـذا وكذا فقال أحب أن لا تـبوح به فى حياتى فأجبته إلى ذلك.

قال المصنف رحمه الله: صحة مثل هذا تبعد، ولو صح لم يخرج هذا الفعل مـن مخالفة الـشرع لأن الشرع قد أمـر بحفظ المال وهذا إضـاعة. وفى الصحـيح أن النبى ﷺ «نهى عـن إضاعة المال». ولا تلتـفت إلى قول من يزعم أن هذا كـرامة لأن الله عز وجل لا يكرم مخالفـا لشرعه. أخبرنا أبومنصور القزاز نا أبو بكر بـن ثابت نا أبو نعيم الحافظ سمعت أبا الفرج الوريانى سمعت على بن عبد الرحيم يقول : دخلت على النورى ذات يوم فرأيت رجليـه منتفختين فسـألته عن أمره. فقال طالبـتنى نفسى بأكل التمر فجعلت أدافعها فتأبى علىّ فخرجت فاشتريت. فلما ان أكلت قلت لها قومـى فصلى فأبت علىّ فقلت للّـه على ان قعدت إلى الأرض أربعين يوماً إلا فى التشهد فما قعدت قلت من سمع هذا من الجهال يقول ماأحـسن هذه المجاهـدة ولايدرى أن هذا الفعـل لايحل لأنه حمـل على النفس مالا يجوز ومنعها حقها من الراحة وقد حكى أبوحامد الغزالى فى كتاب الأحـياء قال كان بعض الشـيوخ فى بداية إرادته يكسل عـن القيام فالزم نفسه القيام على رأسه طول الليل لتسمح نفسه بالقيام عن طوع قال وعالج بعضهم حب المال بأن باع جميع ماله ورماه فى البحرإذا خاف من تفرقته على الـناس رعونة الجود ورياء البذل: قال وكان بعضـهم يستأجر من يشتـمه على ملأ مـن الناس لعود نفـسه الحلم قال وكـان آخر يركب البحر فى الشتاء عند اضطراب الموج ليصير شجاعاً.

قال المصـنف رحمه الله: أعـجب من جمـيع هؤلاء عندى أبو حـامد كيف حـكى هذه الأشياء ولـم ينكرها. وكيف يـنكرها وقد أتى بـها فى معرض التعلـيم وقال قبل أن يورد هذه الحكايات: ينبغـى للشيخ أن ينظر إلى حالة المبتدئ فـان رإى معه مالا فاضلا عن قدر حاجـته أخذه وصرفه

فى الخير وفرغ قلبه منه حتى لايلتفت اليه. وان رأى الكبرياء قد غلب عليه أمره أن يخرج إلى السوق للكد ويكلفه السؤال والمواظبة على ذلك. وان رأى الغالب عليه البطالة استخدمه فى بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة وملازمة المطبخ ومواضع الدخان، وان رأى شره الطعام غالبا عليه ألزمه الصوم. وان رآه عزبا ولم تنكسر شهوته بالصوم أمره إن يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم رأساً.

قلت: وأني لأتعجب من أبى حامد كيف يأمر بهذه الأشياء التى تخالف الشريعة وكيف يحل القيام على الرأس طول الليل فينعكس الدم إلى وجهه ويورثه ذلك مرضا شديداً وكيف يحل رمى المال فى البحر. وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال. وهل يحل سب مسلم بلا سبب. وهل يجوز للمسلم أن يستأجر على ذلك وكيف يجوز ركوب البحر زمان اضطرابه وذلك زمان قد سقط فيه الخطاب بأداء الحج. وكيف يحل السؤال لمن يقدر أن يكتسب .فما أرخص ماباع أبو حامد الغزالى الفقه بالتصوف.

أنبأنا ابن ناصر نا أبو الفضل السهلكى نا أبو على عبد الله بن ابراهيم النيسابورى ثنا أبو الحسن على بن جهضم ثنا أبو صالح الدامغانى عن الحسن ابن على الدامغانى. قال: كان رجل من أهل بسطام لا ينقطع عن مجلس أبى يزيد لايفارقه. فقال له ذات يوم. ياأستاذ. أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر وأقوم الليل وقد تركت الشهوات ولست أجد فى قلبى من هذا الذى تذكره شيئا البتة. فقال له أبو يزيد لو صمت ثلاثمائة سنة وقمت ثلاثمائة سنة وأنت على ما آراك لاتجد من هذا العلم زرة. قال ولم يا أستاذ. قال: لأنك محجوب بنفسك فقال له: أفلهذا دواء حتى ينكشف هذا الحجاب قال: نعم ولكنك لم تقبل قال: بلى أقبل واعمل ماتقول. قال أبو يزيد أذهب الساعة إلى الحجام واحلق رأسك ولحيتك وانزع عنك هذا اللباس وابرز بعباءة وعلق فى عنقك مخلاة وأملأها جوزاً واجمع حولك صبياناً وقل بأعلا صوتك ياصبيان. من يصفعنى صفعة أعطيه جوزة وادخل إلى سوقك الذى تعظم فيه. فقال ياأبا يزيد سبحان الله تقول لى مثل هذا ويحسن أن أفعل هذا. فقال أبو يزيد قولك سبحان الله شرك. قال وكيف قال لأنك عظمت نفسك فسبحتها. فقال ياأبا يزيد هذا ليس أقدر عليه ولا أفعله ولكن دلنى على غيره حتى أفعله. فقال أبو

يزيد ابتدر هذا قبل كل شئ حتى تسقط جاهك وتذل نفسك ثم بعد ذلك أعرفك مايصلح لك قال: لا أطيق هذا. قال :انك لاتقبل.

قال المصنف رحمه الله: قلت ليس فى شرعنا بحمد الله من هذا شئ بل فيه تحريم ذلك والمنع منه وقد قال نبينا عليه الصلاة والسلام «ليس للمؤمن أن يذل نفسه». ولقد فاتت الجمعة حذيفة فرأى الناس راجعين فاستتر لئلا يرى بعين النقص فى قصة الصلاة. وهل طالب الشرع أحداً بمحو أثر النفس وقد قال ﷺ «من أتى شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله». كل هذا للإبقاء على جاه النفس. ولو أمر بهلول الصبيان أن يصفعوه لكان قبيحا فنعوذ بالله من هذه العقول الناقصة التى تطالب المبتدئ بما لايرضاه الشرع فينفر.

وقد حكى أبو حامد الغزالى فى كتاب الأحياء عن يحيى بن معاذ انه قال قلت لأبى يزيد هل سألت الله تعالى المعرفة يقال عزت عليه أن يعرفها سواه. فقلت هذا إقرار بالجهل فإن كان يشير إلى معرفة الله تعالى فى الجملة وأنه موجود وموصوف بصفات وهذا لايسمع أحداً من المسلمين جهله وان تخايل له أن معرفته هى اطلاع على حقيقة ذاته وكنهها فهذا جهل به.

وحكى أبو حامد: أن ابا تراب النخشبى قال لمريد له. لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من رؤية الله سبعين مرة، قلت. وهذا فوق الجنون بدرجات .

وحكى أبو حامد الغزالى عن ابن الكرينى انه قال نزلت فى محلة فعرفت فيها بالصلاح فنشب فى قلبى فدخلت الحمام وعينت على ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتى وخرجت فجعلت أمشى قليلا فلحقونى فنزعوا مرقعتى وأخذوا الثياب وصفعونى فصرت بعد ذلك أعرف بلص الحمام فسكنت نفسى. قال أبو حامد. فهكذا كانوا يرضون أنفسهم حتى يخلصهم الله من النظر إلى الخلق ثم من النظر إلى النفس وأرباب الأحوال ربما عالجوا أنفسهم بما لا يفتى به الفقيه مهما رأوا صلاح قلوبهم ثم يتداركون مافرط منهم من صورة التقصير كما فعل هذا فى الحمام. قلت سبحان من أخرج أبا حامد من دائرة الفقه بتصنيفه كتاب

الاحياء فليته لم يحك فيه مثل هذا الذى لا يحل: والعجب منه أنه يحكيه ويستحسنه ويسمى أصحابه أرباب أحوال وأى حالة أقبح وأشد من حال من يخالف الشرع ويرى المصلحة فى النهى عنه وكيف يجوز أن يطلب صلاح القلوب بفعل المعاصى وقد عدم فى الشريعة مايصلح به قلبه حتى يستعمل مالا يحل فيها وهذا من جنس ماتفعله الامراء الجهلة من قطع من لايجب قطعه وقتل من لايجوز قتله ويسمونه سياسة ومضمون ذلك الشريعة ماتفى بالسياسة. وكيف يحل للمسلم أن يعرض نفسه لأن يقال عنه سارق وهل يجوز أن يقصد وهن دينه ومحو ذلك عند شهداء الله فى الأرض ولو أن رجلا وقف مع امرأته فى طريق يكلمها ويلمسها ليقول عنه من لايعلم هذا فاسق لكان عاصيا بذلك، ثم كيف يجوز التصرف فى مال الغير بغير إذنه. ثم فى نص مذهب احمد والشافعى أن من سرق من الحمام ثياباً عليها حافظ وجب قطع يده ثم من أرباب الأحوال حتى يعملوا بواقعاتهم كلا والله إن لنا شريعة لو رام أبو بكر الصديق أن يخرج عنها إلى العمل برأيه لم يقبل منه. فعجبى من هذا الفقيه المستلب عن الفقه بالتصوف أكثر من تعجبى من هذا المستلب الثياب.

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا بن باكويه قال: سمعت محمد بن احمد النجارى يقول. كان على بن بابويه من الصوفية فاشترى يوما من الأيام قطعة لحم فأحب أن يحمله إلى البيت فاستحيا من أهل السوق فعلق اللحم فى عنقه وحمله إلى بيته.

قلت: واعجبا من قوم طالبوا أنفسهم بمحو أثر الطبع وذلك أمر لايمكن ولا هو مراد الشرع. وقد ركز فى الطباع إن الإنسان لايحب أن يرى إلا متجملا فى ثيابه وأنه يستحى من العرى وكشف الرأس والشرع لاينكر عليه هذا. ومافعله هذا الرجل من الإهانة لنفسه بين الناس أمر قبيح فى الشرع والفعل فهو إسقاط مروءة لارياضة كما لو حمل نعليه على رأسه .

وقد جاء فى الحديث «الأكل فى السوق دناءة». فان الله قد أكرم الآدمى وجعل لكثير من الناس من يخدمه. فليس من الدين إذلال الرجل نفسه بين الناس. وقد تسمى قوم من الصوفية بالملامتية فاقتحموا الذنوب فقالوا مقصودنا أن نسقط من أعين الناس فنسلم من آفات الجاه والمرائين. وهؤلاء مثلهم كمثل رجل زنى بامرأة فأحبلها. فقيل له: لم تعزل. فقال

بلغنى أن العزل مكروه فقيل له ومابلغك أن الزنا حرام. وهؤلاء الجهلة قد أسقطوا جاههم عند الله سبحانه ونسوا أن المسلمين شهداء الله فى الأرض. أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبى صادق نا بن باكويه قال سمعت أبا احمد الصغير سمعت أبا عبد الله بن خفيف سمعت أبا الحسن المدينى. يقول خرجت مرة من بغداد إلى نهر الناشرية وكان فى إحدى قرى ذلك النهر رجل يميل إلى أصحابنا فبينا أنا أمشى على شاطئ النهر رأيت مرقعة مطروحة ونعلا وخريقة فجمعتهما وقلت هذه لفقير. ومشيت قليلا فسمعت همهمة وتخبيطا فى الماء. فنظرت فإذا بأبى الحسن النورى قد القى نفسه فى الماء والطين وهو يتخبط ويعمل بنفسه كل بلاء، فلما رأيته علمت أن الثياب له فنزلت اليه فنظر إلىّ، وقال ياابا الحسن أما ترى مايعمل بى. قد أماتنى موتات وقال لى مالك منا الا الذكر الذى لسائر الناس. وأخذ يبكى ويقول ترى مايفعل بى. فما زلت أرفق به حتى غسلته من الطين وألبسته المرقعة وحملته إلى دار ذلك الرجل. فأقمنا عنده إلى العصر ثم خرجنا إلى المسجد فلما كان وقت المغرب رأيت الناس يهربون ويغلقون الأبواب ويصعدون السطوح فسألناهم فقالوا: السباع تدخل القرية بالليل. وكان حوالى القرية أجمة عظيمة وقد قطع منها القصب وبقيت أصوله كالسكاكين. فلما سمع النورى هذا الحديث قام فرمى بنفسه فى الأجمة على أصول القصب المقطوع ويصيح ويقول. اين أنت ياسبع. فما شككنا أن الأسد قد افترسه أو قد هلك فى أصول القصب. فلما كان قريب الصبح. جاء فطرح نفسه وقد هلكت رجلاه فأخذنا بالمنقاش ماقدرنا عليه فبقى أربعين يوما لايمشى على رجليه. فسألته أى شئ كان ذلك الحال. قال: لما ذكروا السبع وجدت فى نفسى فزعا فقلت لأطرحنك إلى ما تفزعين منه.

قلت: لا يخفى على عاقل تخبيط هذا الرجل قبل أن يقع فى الماء والطين. وكيف يجوز للانسان أن يلقى نفسه فى ماء وطين وهل هذا إلا فعل المجانين وأين الهيبة والتعظيم من قوله: ترى مايفعل بى وما وجه هذا الانبساط وينبغى أن تجف الألسن فى أفواهها هيبة. ثم مالذى يريده غير الذكر ولقد خرج عن الشريعة بخروجه إلى السبع ومشيه على القصب المقطوع. وهل يجوز فى الشرع أن يلقى الإنسان نفسه إلى سبع.

أترى إراد منها أن يغير ماطبعت عليه من خوف السباع ليس هذا في طوقها ولا طلبه الشرع منها. ولقد سمع هذا الرجل بعض أصحابه يقول مثل هذا القول فأجابه بأجود جواب.

أخبرنا محمد بن عبد الله بن حبيب نا على بن أبى صادق نا ابن باكويه نا يعقوب الحواط نا ابو احمد المغازى قال: رأيت النورى وقد جعل نفسه إلى أسفل ورجليه إلى فوق وهو يقول : من الخلق أو حشتنى، ومن النفس والمال والدنيا افقرتنى. ويقول مامعك إلا علم وذكر قال فقلت له إن رضيت وإلا فانطح برأسك الحائط. أخبرنا محمد بن أبى القاسم أنبأنا الحسن بن محمد بن الفضل الكرمانى نا سهل بن على الخشاب نا عبد الله بن على السراج قال سمعت أبا عمرو بن علوان يقول حمل أبوالحسين النورى ثلاثمائة دينار ثمن عقار بيع له: وجلس على قنطرة وجعل يرمى واحداً وحداً منها إلى الماء ويقول. جئتى- تريدى أن تخدعينى منك بمثل هذا. قال السراج. فقال بعض الناس لو نفقها فى سبيل الله كان خيراً له فقلت. إن كانت تلك الدنانير تشغله عن الله طرفة عين كان الواجب أن يرميها فى الماء دفعة واحدة حتى يكون أسرع لخلاصة من فتنتها كما قال الله عز وجل: ﴿ فطفق مسحاً بالسوق والأعناق﴾. قلت : لقد أبان هؤلاء القوم عن جهل بالشرع وعدم عقل. وقد بينا فيما تقدم أن الشرع أمر بحفظ المال وأن لايسلم إلا الى رشيد، وجعله قواماً للآدمى، والعقل يشهد بأنه إنما خلق للمصالح : فاذا رمى به الانسان فقد أفسد ماهو سبب صلاحه وجهل حكمة الواضع، واعتذار السراج له أقبح من فعله. لأنه ان كان خاف فتنته فينبغى أن يرميه الى فقير ويتخلص، ومن جهل هؤلاء حملهم تفسير القرآن على رأيهم الفاسد لأنه يحتج بمسح السوق والأعناق، ويظن بذلك جواز الفساد والفساد لا يجوز فى شريعة، وإنما مسح بيده عليها وقال أنت فى سبيل الله وقد سبق بيان هذا، وقال أبونصر السراج فى كتاب اللمع قال أبو جعفر الدراج، خرج أستاذى يوماً يتطهر فأخذت كتفه ففتشته فوجدت فيه شيئاً من الفضة مقدار أربعة دراهم وكان ليلا وبات لم يأكل شيئاً. فلما رجع قلت له، فى كتفك كذا وكذا درهما ونحن جياع، فقال أخذته ؟ رده، ثم قال لى بعد ذلك: خذه واشتر به شيئاً، فقلت له، بحق معبودك ما أمر هذه القطع

فقال: لم يرزقنى الله من الدنيا شيئاً غيرها فأردت أن أوصى أن تدفن معى فاذا كان يوم القيامة رددتها الى الله وأقول هذا الذى أعطيتنى من الدنيا. أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبى صادق نا ابن باكويه ثنا عبد الواحد بن بكر قال سمعت أبا بكر الجوال سمعت أبا عبد الله الحصرى يقول، مكث أبو جعفر الحداد عشرين سنة يعمل كل يوم بدينار وينفقه على الفقراء ويصوم ويخرج بين العشائين فيتصدق من الأبواب ما يفطر عليه .

قال المصنف رحمه الله: قلت لو علم هذا الرجل أن المسألة لا تجوز لمن يقدر على الاكتساب لم يفعل، ولو قدرنا جوازها، فأين أنفة النفس من ذل الطلب، أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على التميمى نا احمد ابن جعفر ثنا عبد الله بن احمد بن جنبل ثنى أبى ثنا اسماعيل ثنا معمر عن عبد الله بن مسلم أخى الزهرى عن حمزة بن عبد الله بن عمر عن أبيه. قال قال رسول ﷺ. لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله عزوجل وما على وجهه مزعة لحم، قال احمد وحدثنا حفص بن غياث عن هشام عن أبيه عن الزبير ابن العوام قال: قال رسول الله ﷺ لأن يأخذ الرجل حبلا فيحتطب ثم يجىء فيضعه فى السوق فيبيعه ثم يستغنى به فينفقه على نفسه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه.

قلت: انفرد به البخارى واتفقا على الذى قبله، وفى حديث عبد الله ابن عمرو عن النبى ﷺ انه قال: لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى- والمرة - القوة، وأصلها من شدة فتل الحبل يقال أمررت الحبل اذا أحكمت فتله. فمعنى المره فى الحديث شدة أمر الخلق وصحة البدن التى يكون معها احتمال الكل والتعب. قال الشافعى رضى الله عنه. لا تحل الصدقة لمن يجد قوة يقدر بها على الكسب. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر ابن ثابت أنبأنا أبو سعد المالينى قال سمعت أبابكر محمد بن عبد الواحد الهاشمى سمعت أبا الحسن يونس بن أبى بكر الشبلى يقول قام أبى ليلة فترك فرد رجل على السطح والأخرى على الدار. فسمعته يقول لئن أطرفت لأرمين بك إلى الدار فما زال على تلك الحال حتى أصبح فلما أصبح قال لى: يا بنى ما سمعت الليلة ذاكراً للّه عز وجل إلا ديكا يساوى دانقين .

قال المصنف رحمه اللّه: هذا الرجل قد جمع بين شيئين لا يجوزان.

أحدهما: مخاطرتـه بنفسه فلو غلبه النوم فوقع كان معـيناً على نفسه ولا شك انه لو رمـى بنفسه كـان قد أتى معـصية عـظيمة فـتعرضه لـلوقوع معـصية، والثـانى. انه منع عـينه حظهـا من النوم. وقـد قال ﷺ ان لجسدك عـليك حقاً وان لزوجـتك عليك حقـاً. وان لعينك عليـك حقا وقال: اذا نعـس أحدكم فليـرقد ومر بحـبل قد مـدته زينب فاذا فـترت أمسكـت به فأمر بحـبله. وقال ليـصل أحدكم نشـاطه فاذا كسل أو فـتر فليقعد وقد تقدمت هذه الأحاديث فى كـتابنا هذا أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو عبد الله الحميدى نا أبو بكر الأردستانى ثنا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا العباس البغدادى يقول: كنا نصحب أبا الحسن بن أبى بكر الشبلى ونحن أحداث، فأضافنا ليـلة فقلنا بشرط أن لا تدخل علينا أباك، فقال لا يدخل. فدخلنا داره فلما أكلنا اذا نحن بالشبلى وبين كل أصبعين من أصابعه شـمعة - ثمان شموع - فجـاء وقعد وسطنا فاحتـشمنا منه، فقال يا سـادة عدونى فيما بيـنكم طشت شموع، ثم قـال أين غلامى أبو العباس فتقدم اليه فقال غنى الصوت الذى كنت تغنى :

ولما بلغ الحيرة حـــــا   دي جملي حــــــارا
فقلت احطط بها رحلى   ولا نحفل بمن ســـــرا

فغنيته فتغير وألقى الشموع من يده وخرج. أخبرنا ابن ناصر ثنا هبة الله ابن عبد الله الواسطى نا أبو بكر احمد بن على الحافظ نا محمد بن احمد بن أبى الفوارس نا الحسين بـن احمد بن عبد الرحمن الصفار قـال خرج الشبلى يوم عيد وقد حلق اشفار عينيه وحاجبيه وتعصب بعصابة وهو يقول :

للناس فطـــر وعـــيد   انى فريـــد وحـــيد

أخبرنا عبد الرحمن بن محمـد نا احمد بن على بن ثابت نا التنوخى ثنا أبو الحسن على بن محمد بن أبى صابر الدلال قال: وقفت على الشبلى فى قبة الشعراء فى جامع المنصور والناس مجتمعون عليه فوقف عليه فى الحلقة غلام جمـيل لم يكن ببغداد فى ذلـك الوقت أحسن وجها منـه يعرف بابن مسلم فقـال له: تنح فلم يبرح فقال لـه الثانية تنح يا شيطان عـنا فلم يبرح فقال له فى الثالثة تنح وإلا والله خرقت كل ما عليك وكانت عليه ثياب فى غاية الحسن تساوى جملة كثيرة فانصرف الفتى فقال الشبلى :

طرحوا اللحم للبزاة   على ذروتى عـــدن
ثم لامـــوا البزاة إذ   خلعوا منهم الرســن
لو أرادوا صــلاحـنا   ستروا وجهك الحسن

قال ابن عقيل من قال هذا فقد أخطأ طريق الشرع. لأنه يقول ما خلق الله عز وجـل هذا الانسـان إلا للافتـتان بـه. وليس كـذلك وإنما خلـقه للاعتبـار والامتحان فان الشمـس خلقت لتضيء لا لتعـبد. وباسناد عن احمد بن مـحمد النهاوندى يقول مـات للشبلى ابن ولد كان اسـمه علياً فجزّت أمه شعرها عليـه، وكان للشبلى لحية كبيرة فأمر بحلقـها جميعها فقيـل له: يا أستاذ مـا حملك على هذا فـقال. جرت هذه شعـرها على مفقود، ألا أحلـق أنا لحيتى على موجود. وباسناد عـن عبد الله بن على السراج قال: ربما كان الشـبلى يلبس ثياباً مثمنة ثم ينزعهـا ويضعها فوق النار، قال : وذكر عنه أنه أخـذ قطعة عنبر فوضعها على الـنار يبخر بها ذنب الحمار وقـال بعضهم: دخلت عـليه فرأيت بين يديـه اللوز والسكر يحرقه بالنار قال السراج: إنما أحرقـه بالنار لأنه كان يشغله عن ذكر الله. قلت: اعتذار السـراج عنه أعجب من فعله، قال الـسراج وحكى عنه أنه باع عقاراً ففرق ثمنه وكان له عيال فلم يدفع اليهم شيئاً، وسمع قارئاً يقرأ «اخسئوا فيها» فقال ليتنى كنت واحداً منهم، قلت وهذا الرجل ظن ان الذى يكلمهم هو الله تـعالى والله لا يكلمهم ثم لو كلمهـم كلام إهانة فأى شيء هذا حتى يطلب، قـال السراج، وقال الشبلى يوماً فى مـجلسه إن الله عباداً لو بزقوا عـلى جهنم لأطفؤهـا، قلت، وهذا من جنس ما ذكـرناه عن أبى يزيد وكلاها من إناء واحد. وباسناد عن أبـى على الدقاق يقول: بلغنى أن الشبلى اكتحل بكذا وكذا من الملح ليعتاد السهر ولا يأخذه النوم.

قال المصنف رحمه الله: وهذا فعل قـبيح لا حل لمسلم أن يؤذى نفسه وهو سـبب للعـمى ولا تجوز إدامـة السهـر لأن فيه إسـقاط حق الـنفس والظاهـر أن دوام السهـر والتقلل مـن الطعام أخـرجه إلى هـذه الأحوال والأفعـال. وباسناد عن أبى عـبد الله الرازى قال، كـسانى رجل صـوفاً فرأيت على رأس الشبلى قلنوسة تليق بذلك الـصوف فتمنيتها فى نفسى، فلما قام الـشبلى من مجلسه التـفت إليّ فتبعتـه، وكان عادته إذا أراد أن

أتبعه يلتفت إليّ فلما دخل داره فقال انزع الصوف فنزعته فلفه وطرح القلنوسة عليه ودعى بنار فأحرقهما، قلت، وقد حكى أبو حامد الغزالى أن الشبلى أخذ خمسين ديناراً فرماها فى دجلة وقال، ما أعزك أحد إلا أذاله الله، وأنا أتعجب من أبى حامد أكثر من تعجبى من الشبلى لأنه ذكر ذلك على وجه المدح لا على وجه الإنكار فأين أثر الفقه. وباسناد عن حسين بن عبد الله القزوينى قالى. حدثنى من كان مجالسا لبنان أنه قال: تعذر على قوتى يوماً ولحقنى ضرورة فرأيت قطعة ذهب مطرحة فى الطريق فأردت أخذها فقلت لقطة فتركتها، ثم ذكرت الحديث الذى يروى «لو أن الدنيا كانت دماً عبيطاً لكان قوت المسلم منها حلالا» فأخذتها وتركتها فى فمى ومشيت غير بعيد فإذا أنا بحلقة فيها صبيان وأحدهم يتكلم عليهم، فقال له واحد، متى يجد العبد حقيقة الصدق، فقال إذا رمى القطعة من الشدق فأخرجتها من فمى ورميتها.

قال المصنف رحمه الله: لا يختلف الفقهاء أن رميه إياها لا يجوز، والعجب أنه رماها بقول صبى لا يدرى ما قال ، و قد حكى أبو حامد الغزالى أن شقيقا البلخى جاء إلى أبو القاسم الزاهد وفى طرف كسائه شئ مصرور فقال له أى شئ معك قال لوزات دفعها إلى أخ لى وقال أحب أن تفطر عليها فقال ياشقيق وأنت تحدث نفسك أن تبقى إلى الليل لا كلمتك أبداً فاغلق الباب فى وجهى ودخل .

قال المصنف رحمه الله: أنظروا إلى هذا الفقه الدقيق كيف هجر مسلماً على فعل جائز بل مندوب لأن الإنسان مأمور أن يستعد لنفسه بما يفطر عليه واستعداد الشيء قبل مجيء وقته حزم ولذلك قال الله عز وجل: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ وقد أدخر رسول الله ﷺ لأزواجه قوت سنة وجاء عمر رضى الله عنه بنصف ماله وأدخر الباقى ولم ينكر عليه فالجهل بالعلم أفسد هؤلاء الزهاد. وباسناد أحمد بن إسحاق العمانى قال رأيت بالهند شيخاً وكان يعرف بالصابر قد أتى عليه مائة سنة قد غمض إحدى عينيه فقلت له يا صابر ما بلغ من صبرك قال إنى هويت النظر إلى زينة الدنيا فلم أحب أن أشتفى منها فغمضت عينى منذ ثمانين سنة فلم أفتحها، وقد حكى لنا عن آخر، انه قير أحد عينيه وقال النظر إلى الدنيا بعينين إسراف قلت كان قصده أن ينظر إلى الدنيا

بفرد عين ونحن نسأل الله سلامة العقول. وقد حكى يوسف بن أيوب الهمدانى عن شيخه عبد اللّه الجونى انه كان يقول هذه الدولة ما أخرجتها من المحراب بل من موضع الخلاء وقال كنت أخدم فى الخلاء فبينما أنا يوما أكنسه وأنظفه قالت لى نفسى أذهبت عمرك فى هذا فقلت انت تأنفين من خدمة عباد الله فوسعت رأس البئر ورميت نفسى فيها وجعلت أدخل النجاسة فى فمي فجاؤا وأخرجونى وغسلو بى قلت أنظروا إلى هذا المسكين كيف اعتقد جمع الأصحاب خلفه دولة واعتقد أن تلك الدولة انما حصلت بالقاء نفسه فى النجاسة وإدخالها فى فيه وقد نال بذلك فضيلة أثيب عليها بكثرة الأصحاب وهذا الذى فعله معصية توجب العقوبة، وفى الجملة لما فقد هؤلاء العلم كثر تخبيطهم. وباسناد عن محمد بن على الكتانى يقول دخل الحسين بن منصور مكة فى ابتداء أمره فجهدنا حتى أخذنا مرقعته قال السوسى أخذنا منها قملة فورناها فإذا فيها نصف دانق من كثرة رياضته وشدة مجاهدته قلت أنظروا إلى هذا الجاهل بالنظافة التى حث عليها الشرع وأباح حلق الشعر المحظور على المحرم لأجل تأذية من القمل وجبر الحظر بالفدية وأجهل من هذا من أعتقد هذا رياضته.

وبإسناد عن أبى عبد الله بن ملقح يقول كان عندنا فقير صوفى فى الجامع فجاع مرة جوعاً شديداً فقال يا رب إما أن تطعمنى إما أن ترمينى بشرف المسجد فجاء غراب فجلس على الشرف فوقعت عليه من تحت رجله آجرة فجرى دمه وكان يمسح الدم، ويقول، إيش تبالى بقتل العالم، قلت، قتل الله هذا ولا أحياه فى مقابلته هذا الاستنباط، هلا قام إلى الكسب أو إلى الكدية. وبإسناد عن غلام خليل قال: رأيت فقيراً يعدو ويلتفت ويقول ! أشهدكم على الله هو ذا يقتلنى، وسقط ميتاً.

فصل

وفى الصوفية قوم يسمون الملانفية اقتحموا الذنوب وقالوا مقصودنا أن نسقط من أعين الناس فنسلم من الجاه وهؤلاء قد أسقطوا جاههم عند الله لمخالفة الشرع قال وفى القوم طائفة يظهرون من أنفسهم أقبح ما هم فيه ويكتمون أحسن ما هم عليه وفعلهم هذا من أقبح الأشياء ولقد قال رسول الله ﷺ: من أتى شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر اللّه. وقال فى حق ماعز هلا سترته بثوبك يا هذا، واجتار على رسول الله

ﷺ بعض الصحابة وهو يتكلم مع صفية زوجته فقال له أنها صفية وقد علم الناس التجافى عن ما يوجب سـوء الظن فان المؤمنين شهداء الله فى الأرض وخرج حذيفة إلى الجمعة ففاتته فرأى الناس وهم راجعون فاستتر لئلا يسوء ظن الناس به وقد قدمنا هذه. وقال أبو بكر الصديق لرجل قال له إنى لمست امرأة وقبلتها، فقال تب إلى الله ولا تحدث أحداً بذلك وجاء رجل إلى النبى ﷺ وقـال إنى أتيت من أجنبية مـا دون الزنا يا رسول الله قال: ألم تصل معنا قال بلى يـا رسول الله قال ألم تعلم أن الصلاتين تكفـر ما بينهـما وقال رجل لبـعض الصحابـة إني فعلت كـذا وكذا من الذنوب فـقال لقد سـتر الله عليك لـو سترت على نـفسك، فهـؤلاء قد خالفوا الشريعة وأرادوا قطع ما جبلت عليه النفوس.

فصل

وقد اندس فى الصوفية أهل الإباحة فتـشبهوا بهم حفظاً لدمائهم وهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: القـسم الأول، كفار فمنهم قوم لا يقرون بالله سبحانه وتعالى ومنهم من يقر بـه ولكن يجحد النبوة ويرى أن ما جاء به الأنبياء محال وهؤلاء لما أرادو أمراح أنفسهـم فى شهواتها لم يجدوا شيئا يحقنون به دماءهـم ويستترون به وينالون فيه أغراض الـنفوس، كمذهب التصوف فدخلوا فيه ظاهراً وهم فى الباطن كفرة وليس لهؤلاء إلا السيف لعنـهم اللّه، والـقسم الثـانى قوم يـقرون بالإسـلام إلا أنهم ينـقسـمون قسمين: القـسم الأول يقلدون فى أفعالهم لشيوخهم مـن غير اتباع دليل ولا شبهة فهم يفعلون ما يأمرونهم به وما رأوهم عليه، القسم الثالث قوم عرضت لهم شبهات فعملوا بمقتضاها. والأصل الذى نشأت منه شبهاتهم أنهم لمـا هموا بالنـظر فى مذاهب الـناس لبس عليـهم إبليس فـأراهم أن الشبهـة تعارض الحجج وأن التميـيز يعسر وأن المقصـود أجل من أن ينال بالعلم وإنما الـظفر به رزق يساق إلى العـبد لا بالطلب فسد عـليهم باب النجـاة الذى هو طلب العلـم فصاروا يبـغضون إسم الـعلم كما يـبغض الرافضى اسم أبى بكر وعمرو يقولون العـلم حجاب والعلماء محجوبون عن المقصود بالعلم فإن أنكر عليم عـالم قالوا لأتباعهم هذا موافق لنا فى الباطن وإنما يظـهر ضد ما نحن فيه لـلعوام الضعاف العقـول فان جد فى خلافهم قـالوا: هذا أبله مقيـد بقيود الشريـعة محجوب عن المـقصود ثم

عملـوا على شبهـات وقعت لهم ولو فـطنوا لعلمـوا أن عملهم بمقـتضى شبهاتهم علم، فقد بطل إنكارهم العـلم، وأنا أذكر شبهاتهم وأكشفها إن شاء الله تعالى وهى ست شبهات:

الشبهة الأولى : انهم قالوا إذا كانت الأمور مقدرة فى القدم وأن أقواما خصوا بالسعادة، وأقواما بالشقاوة، والـسعيد لا يشقى، والشقى لا يسعد والأعمال لا تراد لذاتهـا بل لاجتلاب السعادة ودفع الشقـاوة، وقد سبقنا وجود الأعمـال فلا وجه لاتعاب النـفس فى عمل ولا نكفهـا عن ملذوذ لأن المكتوب فى القدر واقع لا محالة .

والجواب عن هذه الـشبهة، أن يقال لـهم هذا رد لجميع الشـرائع وابطال لجميع أحكام الكتـب وتبكيت للأنبياء كلهم فيمـا جاءوا به لأنه إذا قال فى القرآن ان أقيموا الصلاة قال القائل لماذا ان كنت سعيداً فمصيرى الى السعادة وان كنت شقياً فمـصيرى الى الشقاوة فما تنفعنـى إقامة الصلاة وكذلك اذا قال ولا تقربوا الزنا يقول القائل لماذا أمنـع نفسى ملذوذها والسعادة والشقاوة مقضيـتان قد فرغ منهمـا، وكان لفرعون أن يقول لموسى حـين قال له (هل لك الى أن تزكى) مـثل هذا الكلام ثم يترقى الـى الخالق فيقول، مـا فائدة ارسالك الـرسل وسيجـزى ما قدرتـه. وما يفضـى الى رد الكتب وتجـهيل الرسل محال باطل، ولهذا كان رد الرسـول ﷺ على أصحابه حين قالوا الا نتكل، فقال (اعملوا فكل ميسـر لما خلق له) واعلم ان للأدمى كسباً هو اختياره فـعليه يقع الثواب والعـقاب، فإذا خالف تبيـن لنا ان الله عز وجل قضى فى السابق بأن يخالفه وإنما يعاقـبه على خلافه لا على قضائه. ولهذا يقتل القاتل ولا يعتذر له بالقدر، وإنما ردهم الرسول عن ملاحظة القدر الى العمل لأن الأمر والنهى حال ظاهر والمـقدر من ذلك أمر باطن وليس لنا أن نترك ما عرفناه من تكليف ما لانعلمه من المقضى وقول «فكل ميسر لما خلق له» إشارة إلى أسـباب القدر، فانه من قضـى له بالعلم يسر له طلبـه وحبه وفهمه، ومن حكم له بالجهل نزع حـب العلم من قبله، وكذلك من قضى له بولد يسر له النكاح، ومن لم يقض له بولد لم ييسر له .

الشبهة الثانية: أنهم قالوا إن الله عز وجل مستغن عن أعمالنا غير متأثر بها معصية كانت أو طاعة فلا ينبغى أن نتعب أنفسنا فى غير فائدة.

وجواب هذه الشـبهة أن نجيب أولا - بالجـواب الأول، ونقول هذا رد

على الشرع فيما أمربه فكأنا قلنا للرسول وللمرسل لا فائدة فيما أمرتنا به ثم نتكلم عن الشبهة فنقول من يتوهم أن الله عز وجل وعلا ينتفع بطاعة أو يتضرر بمعصية أو ينال بذلك غرضاً فما عرف الله جلا جلاله لأنه مقدس عن الاعراض والاغراض ومن انتفاع أو ضرر وإنما نفع الأعمال تعود على أنفسنا كما قال عز وجل ﴿**ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه**﴾ وإنما يأمر الطبيب المريض بالحمية لمصلحة المريض لا لمصلحة الطبيب وكما أن للبدن مصالح من الأغذية ومضار للنفس مصالح من العلم والجهل والاعتقاد والعمل فالشرع كالطبيب فهو أعرف بما يأمر به من المصالح، هذا مذهب من علل وأكثر العلماء قالوا أفعاله لا تعلل، وجواب آخر، وهو انه إذا كان غنياً عن أعمالنا كان غنياً عن معرفتنا له وقد أوجب علينا معرفته، فكذلك أوجب طاعته، فينبغي أن تنظر إلى أمره لا إلى الغرض بأمره .

الشبهة الثالثة: قالوا قد ثبت سعه رحمه الله سبحانه وتعالى وهى لا تعجز عنا فلا وجه لحرمان نفوسنا مرادها .

فالجواب كالجواب الأول، لأن هذا القول يتضمن إطراح ما جاء به الرسل من الوعيد وتهوين ما شددت فى التحذير منه فى ذلك وبالغت فى ذكر عقابه ومما يكشف التلبيس فى هذا ان الله عز وجل كما وصف نفسه بالرحمة وصفها بشديد العقاب ونحن نرى الأولياء والأنبياء يبتلون بالأمراض والجوع ويأخذون بالزلل وكيف وقد خافه من قطع له بالنجاة، فالخليل يقول يوم القيامة نفسى نفسى، والكليم يقول نفسى نفسى، وهذا عمر رضى الله عنه يقول الويل لعمران لم يغفر له واعلم أن من رجا الرحمة تعرض لأسبابها فمن أسبابها التوبة من الزلل كما أن من رجا أن يحصد زرع، وقد قال الله عز وجل: ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله** ﴾ يعنى أن الرجاء بهؤلاء يليق وأما المصرون على الذنوب وهم يرجون الرحمة فرجاؤهم بعيد، وقد قال عليه الصلاة والسلام «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى». وقد قال معروف الكرخى: رجاؤك لرحمة من لاتطيعه خذلان وحمق. واعلم أنه ليس فى الأفعال التى تصدر من الحق سبحانه وتعالى ما يوجب أن يؤمن عقابه إنما

فى أفعاله ما يمـنع اليأس من رحمته وكما لا يحسـن اليأس لما يظهر من لطفه فى خلقه لا يحسن الطمع لما يبـدو من أخذانه وانتقامه فان من قطع أشرف عضو بربع دينار لا يؤمن أن يكون عقابه غداً هكذا .

الشبهة الرابعة: ان قوما منهم وقع لهم ان المراد رياضة النفوس لتخلص من أكدارها المردية فلما راضوها مدة ورأوا تعـذر الصفاء قالوا مالنا نتعب أنفسنا فى أمر لا يحـصل لبشر فتركوا العمل. وكشـف هذا التلبيس انهم ظنوا ان المراد قمع ما فى الـبواطن من الصفات البشرية مثـل قمع الشهوة والغضـب وغير ذلك، ولـيس هذا مراد الشـرع ولا يتصور إزالـة ما فى الطبع بالرياضة وإنمـا خلقت الشهوات لفائدة إذ لولا شهـوة الطعام هلك الانسان ولولا شهوة النكاح انقطع النسل. ولولا الغضب لم يدفع الانسان عن نفسه مـا يؤذيه وكذلك حب المال مركور فى الطـباع لأنه يوصل الى الشهوات، وإنما المراد من الرياضة كف النـفس عما يؤذى من جميع ذلك وردها إلى الاعـتدال فيـه، وقد مدح الله عـز وجل من نهى الـنفس عن الهوى وإنما تنتهى عـما تطلبه ولو كان طلبه قد زال عن طبـعها ما احتاج الانسان إلى نهيها، وقد قال الله عز وجل: ﴿والكاظمين الغيظ﴾ وما قال والفاقدين الغيظ، والكظم رد الغيظ يـقال كظم البعير على جرته اذا ردها فى حلقه فمدح من رد النفس عن العمل بمقتضى هيجان الغيظ فمن ادعى أن الرياضة تـغير الطمـاع ادعى المحال وإنما المقصـود بالرياضة كـسرشرة شهـوة النفس والغضب لا إزالـة أصلها والمرتاض كـالطبيب العـاقل عند حضور الطعام يتناول ما يصلحه ويكف عما يؤذيه وعادم الرياضة كالصبى الجاهل يأكل ما يشتهى ولا يبالى بما جنى .

الشبهة الخامـسة: ان قوما منهم داموا على الرياضـة مدة فرأوا أنهم قد تجوهروا فقالوا لا نبالى الآن ما عملنا وإنما الأوامر والنواهى رسوم للعوام ولو تجـوهروا لسقـطت عنهم قـالوا وحـاصل النبـوة ترجع الى الحكـمة والمصلحـة والمراد منها ضـبط العوام ولسنا مـن العوام فندخل فى حـجر التكـليف لأنا قـد تجوهـرنا وعرفـنا الحكمـة وهؤلاء قـد رأوا ان من أثر جوهرهم ارتفاع الحمية عنهم حتى انهم قالوا أن رتبة الكمال لا تحصل إلا لمن رأى أهله مع أجنبـى فلم يقشعر جلده فـان أقشعر جلده فهـو ملتفت الى حظ نفسه ولم يكمـل بعد إذ لو كمل لماتت نفسه فسمـوا الغيرة نفساً

وسموا ذهاب الحمية الذى هو وصف المخانيث كمال الإيمان. وقد ذكر ابن جرير فى تاريخه إلى الريوندية كانوا يستجلون الحرمات فيدعو الرجل منهم الجماعة الى بيته فيطعمهم ويسقيهم ويحملهم على امرأته.

وكشف هذه الشبهة انه مادامت الأشباح قائمة فلا سبيل الى ترك الرسوم الظاهرة من التعبد فان هذه الرسوم وضعت لمصالح الناس، وقد يغلب صفاء القلب على كدر الطبع إلا أن الكدر يرسب مع الدوام على الخير ويركد فأقل شىء يحركه كالمدرة تقع فى الماء الذى تحته حمأة وما مثل هذا الطبع إلا كالماء يجرى بسفينة النفس والعقل مداد ولو أن المداد مد عشرين فرسخاً ثم أهمل عادت السفينة تنحدر ومن ادعى تغير طبعه كذب ومن قال انى لا أنظر إلى المستحسنات بشهوة لم يصدق، كيف وهؤلاء لو فاتتهم لقمة أو شتمهم شاتم تغيروا فأين تأثير العقل والهوى يقودهم، وقد رأينا أقواما منهم يصافحون النساء وقد كان رسول الله ﷺ وهو المعصوم لا يصافح المرأة وبلغنا عن جماعة منهم أنهم يؤاخون النساء ويخلون بهن ثم يدعون السلامة وقد رأوا أنهم يسلمون من الفاحشة وهيهات فأين السلامة من إثم الخلوة المحرمة والنظر الممنوع منه وأين الخلاص من جولان الفكر الردىء وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ولو خلا عظمان نخران لهمّ أحدهما بالآخر، يشير إلى الشيخ والعجوز. وباسناد عن ابن شاهين قال ومن الصوفية قوماً أباحوا الفروج بادعاء الاخوة فيقول أحدهم للمرأة تؤاخينى على ترك الإعتراض فيما بيننا قلت وقد روى لنا أبو عبد الله محمد بن على الترمذى الحكيم فى كتاب رياضة النفوس قال روى لنا أن سهل بن على المروزى كان يقول لامرأة أخيه وهى معه فى الدار استترى منى زماناً ثم قال لها كونى كيف شئت قال الترمذي، وكان ذلك منه حين وجد شهوته قلت، أما موت الشهوة هذا لا يتصور مع حياة الادمى وإنما يضعف والانسان قد يضعف عن الجماع ولكنه يشتهى اللمس والنظر، ثم يقدر أن جميع ذلك ارتفع عنه أليس نهى الشرع عن النظر والنظر باق وهو عام وقد أخبرنا ابن ناصر باسناد عن أبى عبد الرحمن السلمى قال قيل لأبى نصر النصر اباذى أن بعض الناس يجالس النسوان ويقول أنا معصوم فى رؤيتهن فقال ما دامت الأشباح قائمة فان الأمر والنهى باق والتحليل والتحريم مخاطب به ولن يجترىء

على الشبهات إلا من يتعرض للمحرمات وقد قال أبو على الروزبارى وسئل عمن يقول وصلت إلى درجة لا تؤثر فى اختلاف الأحوال فقال قد وصل ولكن إلى سقر. وباسناد عن الجريرى يقول سمعت أبا القسم الجنيد يقول لرجل ذكر المعرفة فقال الرجل أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقرب إلى الله عز وجل فقال الجنيد أن هذا قول قوم تكلموا باسقاط الأعمال وهذه عندى عظيمة والذى يسرق ويزنى أحسن حالا من الذى يقول هذا، وأن العارفين بالله أخذوا الاعمال عن الله واليه رجعوا فيها، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بى دونها لأنه أوكد فى معرفتى به وأقوى فى حالى. وباسناد عن أبى محمد المرتعش يقول سمعت أبا الحسين النورى يقول من رأيته يدعى مع الله عز وجل حالة تخرجه عن حد علم شرعى فلا تقربنه ومن رأيته يدعى حالة باطنه لا يدل عليها ويشهد لها حفظ ظاهر فاتهمه على دينه.

الشبهة السادسة: أن أقواماً بالغوا فى الرياضة فرأوا ما يشبه نوع كرامات أو منامات صالحة أو فتح عليهم كلمات لطيفة أثمرها الفكر والخلوة فاعتقدوا انهم قد وصلوا إلى المقصود وقد وصلنا فما يضرنا شىء ومن وصل الى الكعبة انقطع عن السير فتركوا الأعمال الا انهم يزينون ظواهرهم بالمرقعة والسجادة والرقص والوجد ويتكلمون بعبارات الصوفية فى المعرفة والوجد والشوق وجوابهم هو جواب الذين قبلهم.

قال ابن عقيل اعلم أن الناس شردوا على الله عز وجل وبعدوا عن وضع الشرع إلى أوضاعهم المخترعة. فمنهم من عبد سواه تعظيما له عن العبادة وجعلوا تلك وسائل على زعمهم ومنهم من وحد الا أنه أسقط العبادات وقال - هذه أشياء نصبت للعوام لعدم المعارف وهذا نوع شرك لأن الله عز وجل لما عرف أن معرفته ذات قعر بعيد وحو عال وبعيد أن يتقى من لم يعرف خوف النار لأن الخلق قد عرفوا قدر لدعها وقال لأهل المعرفة ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ وعلم أن المتعبدات أكثرها تقتضى الإنس بالأمثال ووضع الجهات والأمكنة والأبنية والحجارة للإنساك والاستقبال فابان عن حقائق الايمان به فقال. ﴿وليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله﴾ وقال ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها﴾ فعلم أن المعول على المقاصد ولا يكفى مجرد المعارف من غير امتثال كما تعول عليه الملحدة الباطنية وشطاح الصوفية .

وبإسناد عن أبى القاسم بن على بن المحسن التنوخى عن أبيه. قال: أخبرنى جماعة من أهل العلم أن بشيراز رجل يعرف بابن خفيف البغدادى شيخ الصوفية هناك يجتمعون إليه ويتكلم على الخطرات والوساوس ويحضر حلقته ألوف من الناس وأنه فاره فهم حاذق. فاستغوى الضعفاء من الناس إلى هذا المذهب قال: فمات رجل منهم من أصحابه وخلف زوجة صوفية فاجتمع النساء الصوفيات وهن خلق كثير ولم يختلط بمأتمهن غير هن: فلما فرغوا من دفنه دخل ابن خفيف وخواص أصحابه وهم عدد كثير إلى الدار وأخذ يعزى المرأة بكلام الصوفية إلى أن قالت. قد تعزيت. فقال لها ههنا غير. فقالت لا غير قال فما معنى إلزام النفوس آفات الغموم، وتعذيبها بعذاب الهموم ، ولأى معنى نترك الامتزاج لتلتقى الأنوار ، وتصفو الأرواح ويقع الاخلافات وتنز البركات. قال فقلن النساء إذا شئت. قال فاختلط جماعة الرجال بجماعة النساء طول ليلتهم فلما كان سحر خرجوا. قال المحسن. قوله ههنا غير أى ههنا غير موافق المذهب. فقالت لا غير أى ليس مخالف وقوله نترك الامتزاج كناية عن الممارجة فى الوطء وقوله لتلتقى الأنوار عندهم أن فى كل جسم نوراً الهياً. وقوله الاخلافات أى يكون لكنّ خلف ممن مات أوغاب من أزواجكن. قال المحسن وهذا عندى عظيم ولولا أن جماعة يخبرونى يبعدون عن الكذب ما حكيته لعظمه عندى واستبعاد مثله أن يجرى فى دار الإسلام ، قال: وبلغنى أن هذا ومثله شاع حتى بلغ عضد الدولة فقبض على جماعة منهم وضربهم بالسياط وشرد جموعهم فكفوا .

فصل

ولما قل علم الصوفية بالشرع فصدر منهم من الأفعال والأقوال ما لايحل مثل ما قد ذكرنا ثم تشبه بهم من ليس منهم وتسمى باسمهم وصدر عنهم مثل ما قد حكينا وكان الصالح منهم نادراً ذمهم خلق من العلماء وعابوهم حتى عابهم مشائخهم

وبإسناد عن عبد الملك بن زياد النصيبى. قال: كنا عند مالك فذكرت له صوفيين فى بلادنا. فقلت له: يلبسون فواخر ثياب اليمن ويفعلون كذا قال ويحك ومسلمين هم. قال فضحك حتى استلقى قال فقال لى بعض جلسائه:

يا هذا ما رأينا أعظم فتنة على هذا الشيخ منك ما رأيناه ضاحكا قط .

وبإسناد عن يونس بن عبد الأعلى قال سمعت الشافعي يقول: لو أن رجلا تصوف أول النهار لا يأتي الظهر حتى يصير أحمق. وعنه أيضاً أنه قال. مالزم أحد الصوفية أربعين يوماً فعاد عقله اليه أبداً وأنشد الشافعي:

ودعوا الذين إذا أتوك تنسكوا وإذا خلوا كانوا ذئاب حقاف

وبإسناد عن حاتم قال حدثنا احمد بن أبي الحواري. قال: قال أبو سليمان ما رأيت صوفياً فيه خير إلا واحداً عبد الله بن مرزوق. قال وأنا أرق لهم.

وبإسناد عن يونس بن عبد الأعلى يقول: مارأيت صوفياً عاقلاً إلا إدريس الخولاني. قال السلمي. هو مصري من قدماء مشايخهم قبل ذي النون .

وبإسناد عن يونس بن عبد الأعلى: يقول صحبت الصوفية ثلاثين سنة ما رأيت فيهم عاقلاً الا مسلم الخواص. وبإسناد عن احمد بن أبي الحواري يقول حدثنا وكيع قال سمعت سفيان يقول سمعت عاصماً يقول: مازلنا نعرف الصوفية بالحماق إلا أنهم يستترون بالحديث. وبإسناد عن سفيان عن عاصم يقول: قال لي وكيع لم تركت حديث هشام. قلت صحبت قوماً من الصوفية وكنت بهم معجباً. فقالوا: إن لم تمح حديث هشام قاطعناك فأطعتهم: قال إن فيهم حمقاً. وبإسناد عن يحيى بن يحيى قال الخوارج أحب إليّ من الصوفية. وبإسناد عن يحيى بن معاذ يقول اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس العلماء الغافلين، والفقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين. وقد ذكرنا في أول ردنا على الصوفية من هذا الكتاب. إن الفقهاء بمصر أنكروا على ذي النون ما كان يتكلم به وببسطام على أبي يزيد وأخرجوه، وأخرجوا أبا سليمان الداراني، وهرب من أيديهم احمد بن أبي الحواري وسهل التستري. وذلك لأن السلف كانوا ينفرون من أدنى بدعة ويهجرون عليها تمسكا بالسنة ولقد حدثني أبو الفتح بن السامري. قال: جلس الفقهاء في بعض الأربطة للعزاء بفقيه مات فأقبل الشيخ أبو الخطاب الكلوذاني الفقيه متوكئاً على يدي حتى وقف بباب الرباط وقال: يعز عليّ لورآني بعض أصحابنا ومشايخنا القدماء وأنا أدخل هذا الرباط. قلت: على هذا كان أشياخنا.

فاما فى زماننـا هذا فقد اصطلح الذئب والغنم. قال ابن عـقيل: نقلته من خطه وأنـا أذم الصوفيـة لوجوه يوجـب الشرع ذم فعـلها، منهـا أنهم اتخذوا مناخ البطالة وهى الأربطة فانقطعوا إليها عن الجماعات فى المساجد فلا هى مسـاجد ولا بيوت ولا خانات وصمـدوا فيها للبطالـة عن أعمال المعـاش وبدنوا أنفسـهم بدن البـهائم للأكـل والشرب والرقص والـغناء، وعولوا على الترقيع المعتمد به التحسـين تلميعاً والمشاوذ بألوان مخصوصة أوقع فى نـفوس العوام والـنسوة من تلـميع السـقلاطون بألوان الحـرير، واستمالوا النسـوة والمردان بتصنع الصور واللباس فما دخلوا بيـتاً فيه نسوة فخـرجوا إلا عن فسـاد قلوب النسـوة على أزواجهن ثـم يقبلون الـطعام والنفقات من الظـلمة والفجار وغاصبى الأموال كـالعداد والأجناد وأرباب المكوس، ويستصحبون المردان فى السمـاعات يجلبونهم فى الجموع مع ضوء الشموع، ويخالطون النسوة الأجانب ينصبون لذلك حجة إلباسهن الخرقة، ويستـحلون بل يوجـبون اقتسـام ثياب من طرب فـسقط ثوبه، ويسـمون الطرب وجداً، والدعوة وقتاً، واقتسـام ثياب الناس حكما، ولا يخرجون عن بيت دعوا إليـه إلا عن إلزام دعوة أخرى يقولون أنها وجـبت واعتقاد ذلك كفر وفعـله فسوق. ويعتقدون أن الغـناء بالقضبان قربة وقـد سمعنا عنهم أن الدعاء عند حدو الحادى وعند حضور المخذة مجاب اعتقاداً منهم أنه قربـة وهذا كفر أيـضاً لأن من اعتـقد المكروه والحـرام قربة كـان بهذا الاعتقاد كافراً والناس بين تحريمه وكراهيته ويسلمون أنفسهم إلى شيوخهم فان عولـوا إلى مرتبة شيـخه قيل الشيخ لا يـعترض عليه. فـحد من حل رسن ذلك الشيـخ وانحطاطه فى سلك الأقوال المـتضمنة للكفـر والضلال المسمى شطـحاً وفى الأفعال المعلـومة كونها فى الشـريعة فسقـاً. فان قبّل أمرداً قيل رحمة، وإن خلا بأجنبية قـيل بنته وقد لبست الخرقة، وإن قسم ثوباً على غير أربابه من غير رضا مالكه قيل حكم الخرقة. وليس لنا شيخ نسلم إلـيه حاله إذ لـيس لنا شيـخ غير داخل فـى التكليف وأن المجـانين والصبيان يضرب على أيديهم وكذلك البهائم. والضرب بدل من الخطاب، ولو كان لنا شيخ يسلم إليه حالـه لكان ذلك الشيخ أبا بكر الصديق رضى الله عنه. وقد قال إن اعوججت فقومـونى ولم يقل فسلموا إلىّ. ثم أنظر إلى الرسول صلوات الله عـليه كيف اعترضـوا عليه فهذا عمـر يقول: ما بالنا نقصـر وقد أمنا(١) وآخر يقول: تنهانا عـن الوصال وتواصل ؟ وآخر

يقول: أمرتنا بالفسخ ولم تفسخ ! ثم إن الله تعالى تقول له الملائكة: ﴿أتجعل فيها﴾. ويقول موسى: ﴿ أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ﴾، وإنما هذه الكلمة جعلها الصوفية ترفيها لقلوب المتقدمين، وسلطنة سلكوها على الأتباع والمريدين كما قال تعالى ﴿فاستخف قومه فأطاعوه﴾ ولعل هذه الكلمة من القائلين منهم بأن العبد إذا عرف لم يضره ما فعل. وهذه نهاية الزندقة لأن الفقهاء أجمعوا على أنه لا حالة ينتهى إليها العارف إلا ويضيق عليه التكليف كأحوال الأنبياء يضايقون فى الصغائر. فالله الله فى الإصغاء إلى هؤلاء الفرغ الخالين من الإثبات. وإنما هم زنادقة جمعوا بين مدارع العمال مرقعات وصوف، وبين أعمال الخلعاء الملحدة أكل وشرب ورقص وسماع وإهمال لأحكام الشرع. ولم تتجاسر الزنادقة أن ترفض الشريعة حتى جاءت المتصوفة فجاؤا بوضع أهل الخلاعة. فأول ما وضعوا أسماء وقالوا حقيقة وشريعة. وهذا قبيح لأن الشريعة ما وضعه الحق لمصالح الخلق. فما الحقيقة بعدها سوى ما وقع فى النفوس من إلقاء الشياطين. وكل من رام الحقيقة فى غير الشريعة فمغرور مخدوع. وإن سمعوا أحداً يروى حديثاً قالوا مساكين أخذوا علمهم ميتاً عن ميت. وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت فمن قال حدثنى أبى عن جدى قلت حدثنى قلبى عن ربى فهلكوا وأهلكوا بهذه الخرافات قلوب الأغمار وأنفقت عليهم لأجلها الأموال. لأن الفقهاء كالأطباء والنفقة فى ثمن الدواء صعبة والنفقة على هؤلاء كالنفقة على المغنيات. وبغضهم الفقهاء أكبر الزندقة لأن الفقهاء يحظرونهم بفتاويهم عن ضلالهم وفسقهم. والحق يثقل كما تثقل الزكاة. وما أخف البذل على المغنيات. وإعطاء الشعراء على المدائح. وكذلك بغضهم لأصحاب الحديث وقد أبدلوا إزالة العقل بالخمر «بشيء سموه الحشيش والمعجون والغناء المحرم » سموه الماع والوجد والتعرض بالوجد المزيل للعقل حرام كفى الله الشريعة شر هذه الطائفة الجامعة بين دهمثة فى اللبس وطيبة فى العيش وخداع بألفاظ معسولة ليس تحتها سوى إهمال التكليف وهجران الشرع ولذلك خفوا على القلوب ولا دلالة على أنهم أرباب باطل أوضح من محبة طباع الدنيا لهم كمحبتهم أرباب اللهو والمغنات .

قال ابن عقيل فان قال قائل هم أهل نظافة ومحاريب وحسن سمت

وأخلاق قال فقلت لهم لو لم يضعوا طريقة يجتذون بها قلوب أمثالكم لم يدم لهم عيش والذى وصفتهم به رهبـانية النصرانية ولو رأيت نظافة أهل التطفيل على الموائـد ومخانيث بغداد ودماثة المغنيات لـعلمت أن طريقهم طريقة الفكاهة والخداع وهل يخدع الناس إلا بطريقة أو لسان فاذا لم يكن للقوم قدم فى العلم ولا طريقة فـبم ذا يجتذبون به قلوب أرباب الأموال. واعلم أن حمل التكـليف صعب ولا أسهل على أهل الخلاعـة من مفارقة الجماعة ولا أصعب عليهم من حجر ومنع صدر عن أوامر الشرع ونواهيه وما على الشريـعة أضر من المتكلمين والمتـصوفين فهؤلاء يفسـدون عقائد الناس بتوهيمات شبهات العقول وهؤلاء يفسدون الأعمال ويهدمون قوانين الأديان يحـبون البطالات وسـماع الأصوات ومـا كان السلف كـذلك بل كانوا فـى باب العقـائد عبيـد تسليم وفـى باب الآخر أرباب جـد. قال: ونصيحتى إلى إخوانى أن لا يقرع أفكار قلوبهم كلام المتكلمين ولا تصغى مسـامعهم إلـى خرافات المتـصوفيـن بل الشغل بـالمعاش أولى من بـطالة الصوفـية والوقوف على الـظواهر أحسن من توغـل المنتحلة وقـد خبرت طريقة الفريقين فغاية هؤلاء الشك وغاية هؤلاء الشطح .

قال ابن عقيل: والمتـكلمون عندى خير من الصوفيـة لأن المتكلمين قد يزيلون الشك والصوفية يوهمون التشبيـه. فأكثر كلامهم يشير إلى إسقاط السفارة والنبـوات. فاذا قالوا عن أصحاب الحديث قالـوا: أخذوا علمهم ميتاً عن مـيت. فقد طعنوا فى النبوات وعولـوا على الواقع. ومتى أزرى على طريق سقط الأخذ به. ومن قال حدثنى قلبى عن ربى فقد صرح انه غنى عن الرسول، ومن صـرح بذلك فقد كفر. فهذه كلمـة مدسوسة فى الشريعة تحتها هذه الزندقة ومـن رأيناه يزرى على النقل علمنا انه قد عطل أمر الشرع. ومـا يؤمن هذا القائل: حدثنى قلـبى عن ربى أن يكون ذلك من إلقاء الشياطيـن فقد قال الله عز وجل: ﴿**وان الشياطيـن ليوحون إلى أوليائهم**﴾. وهذا هو الظاهر لأنه ترك الدليل المعصوم وعول على ما يلقى فى قلبه الذى لم تثبت حراسته من الوساوس وهؤلاء يسمـون ما يقربهم خاطراً. قـال والخوارج على الشـريعة كـثير إلا أن الله عز وجـل يؤيدها بالنقلة الحفاظ الذابين عن الشريعة حفظاً لأصلها، وبالفقهاء لمعانيها: وهم سلاطين العلماء لا يتركون لكذاب رأساً ترتفع.

قال ابن عقيل: والناس يقولون إذا أحب الله خراب بيت تاجر عاشر الصوفية قال وأنا أقول وخراب دينه لأن الصوفية قد أجازوا لبس النساء الخرقة من الرجال الأجانب فاذا حضروا السماع والطرب فربما جرى فى خلال ذلك مغازلات واستخلاء بعض الاشخاص ببعض فصارت الدعوة عرساً للشخصين فلا يخرج إلا وقد تعلق قلب شخص بشخص ومال طبع إلى طبع وتتغير المرأة على زوجها فإن طابت نفس الزوج سمى بالذيوث وإن حبسها طلبت الفرقة إلى من تلبس منه المرقعة والاختلاط بمن لا يضيق الخناق ولا يحجر على الطباع. ويقال: تابت فلانة وألبسها الشيخ الخرقة وقد صارت من بناته. ولم يقنعوا أن يقولوا هذا لعب وخطأ حتى قالوا هذا من مقامات الرجال وجرت على هذه السنون ويرد حكم الكتاب والسنة فى القلوب. هذا لله من كلام ابن عقيل رضى الله عنه فلقد كان ناقداً مجيداً متلمحًا فقيهًا أنشدنا أبو على عبيد الله الزاغونى قال أنشدنا أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمى وأبومنصور محمد بن محمد بن عبد العزيز العكرى قالا أشدنا أبو بكر العنبرى لنفسه فى الصوفية .

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا أبا الحسين بن عبد الجبار الصير فى نا أبو عبد الله محمد بن على الصورى قال أنشدنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر التجيبى قال أنشدنا الحسن بن على بن سيار :

قال الصورى وأنشدنى بعض شيوخنا :

أنشدنا محمد بن ناصر قال أنشدنا أبو زكريا التبريزى لأبى العلاء المعرى:

زعموا بأنهم صفوا لمليكهم　　　كذبوك ما صافوا ولكن صافوا
شجر الخلاف قلوبهم ويح لها　　　غرضى خلاف الحق لا الصفصاف

أنشدنا ابن ناصر أنشدنا أبو بكر قال أنشدنا أبو اسحاق الشيرازى الفقيه لبعضهم:

أرى جيل التصوف شر جيل　　　فقل لهم واهون بالحلول
أقال الله حين عشقتموه　　　كلوا أكل البهائم وارقصو لى

الباب الحادى عشر

فى ذكر تلبيس إبليس على المتدينين بما يشبه الكرامات

قد بينا فيما تقدم أن ابليس انما يتمكن من الإنسان على قدر قلة العلم فكلما قل علم الإنسان كثر تمكن ابليس منه وكلما كثر العلم قل تمكنه منه. ومن العباد من يرى ضوءا أو نوراً فى السماء فان كان رمضان قال: رأيت ليلة القدر وان كان فى غيره قال قد فتحت لى ابواب السماء. وقد يتفق له الشئ الذى يطلبه فيظن ذلك كرامة وربما كان اتفاقا وربما كان اختباراً وربما كان من خدع ابليس.

والعاقل لايساكن شيئا من هذا ولو كان كرامة. وقد ذكرنا فى باب الزهاد عن مالك ابن دينار وحبيب العجمى أنهما قالا: ان الشيطان ليلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز ولقد استعوى بعض ضعفاء الزهاد بأن أراه مايشبه الكرامة حتى ادعى النبوة فروى عن عبد الوهاب بن نجدة الحوطى قال: ثنا محمد بن المبارك ثنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن حسان. قال: كان الحارث الكذاب من أهل دمشق وكان مولى لأبى الجلاس وكان له أب بالغوطة تعرض له إبليس وكان متعبداً زاهداً لو لبس جبة من ذهب لرأيت عليه زهادة وكان إذا أخذ فى التحميد لم يصغ السامعون إلى كلام أحسن من كلامه قال: فكتب الى أبيه ياأبتاه أعجل علىّ فإنى قد رأيت أشياء أتخوف منها أن تكون من الشياطين قال: فزاده أبوه غياً وكتب إليه. يابنى أقبل على ماامرت به إن الله يقول: ﴿ **هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم** ﴾ ولست بأفاك ولا أثيم فامض لما أمرت به. وكان يجئ إلى أهل المساجد رجلا رجلا فيذكر لهم أمره ويأخذ عليهم العهود والمواثيق ان هو رأى يرضى قبل والاكتم عليه: وكان يريهم الأعاجيب. كان يأتى إلى رخامة فى المسجد فينقرها بيده فتسبح. وكان يطعمهم فاكهة الصيف فى الشتاء ويقول: أخرجوا حتى أريكم الملائكة فيخرجهم إلى دير المران فيريهم رجالا على خيل، فتبعه بشر كثير وفشى الأمر وكثر أصحابه حتى وصل خبره إلى القاسم ابن مخيمرة فقال له إنى نبى فقال له القاسم كذبت ياعدو الله فقال

له أبو إدريس بئس ما صنعت إذ لم تلن له حتى تأخذه. الآن يفر وقام من مجلسه حتى دخل على عبد الملك فأعلمه بأمره فبعث عبد الملك فى طلبه فلم يقدر عليه. وخرج عبد الملك حتى نزل العنيبرة فاتهم عامة عسكره بالحارث أن يكونوا يرون رأيه وخرج الحارث حتى أتى بيت المقدس واختفى وكان أصحابه يخرجون يلتمسون الرجال يدخلونهم عليه وكان رجل من أهل البصرة قد أتى بيت المقدس فأدخل على الحارث فأخذ فى التحميد وأخبره بأمره وأنه نبى مبعوث مرسل. فقال. إن كلامك لحسن ولكن لى فى هذا نظر. قال فانظر. فخرج البصرى ثم عاد اليه فرد عليه كلامه فقال إن كلامك لحسن وقد وقع فى قلبى وقد آمنت بك وهذا هو الدين المستقيم. فأمر آن لا يحجب عنه متى أراد الدخول فأقبل البصرى يتردد اليه ويعرف مداخله ومخارجه وأين يهرب حتى صار من أخبر الناس به. ثم قال له. ائذن لى فقال إلى أين قال إلى البصرة فأكون أول داع لك بها. قال فأذن له فخرج مسرعا إلى عبد الملك وهو بالصنيبرة فلما دنا من سرادقه صاح النصيحة النصيحة. فقال أهل العسكر. ومانصيحتك قال نصيحة لأمير المؤمنين فأمر الخليفة عبد الملك أن يأذنوا له بالدخول عليه فدخل وعنده أصحابه قال فصاح النصيحة قال ومانصيحتك قال. اخلنى لايكن عندك أحد فأخرج من فى البيت وقال له ادننى قال أدن فدنا وعبد الملك على السرير قال ماعندك قال الحارث فلما ذكر الحارث طرح عبدالملك نفسه من أعلى السرير إلى الأرض ثم قال أين هو قال: ياأمير المؤمنين هو ببيت المقدس قد عرفت مداخله ومخارجه وقص عليه قصته وكيف صنع به فقال أنت صاحبه وأنت أمير بيت المقدس وأميرنا ههنا فمرنى بما شئت. قال: ياأمير المؤمنين ابعث معى قوما لا يفهمون الكلام فأمر أربعين رجلا من فرغانة فقال انطقوا مع هذا فما أمركم به من شئ فأطيعوه، قال: وكتب إلى صاحب بيت المقدس أن فلانا هو الأمير عليك حتى يخرج فأطعه فيما أمرك به. فلما قدم بيت المقدس أعطاه الكتاب فقال مرنى بما شئت. فقال : اجمع لى كل شمعة تقدر عليها ببيت المقدس وأدفع كل شمعة إلى رجل ورتبهم على أزقة بيت المقدس وزواياه فإذا قلت .أسرجوا أسرجوا جميعا فرتبهم فى أزقة بيت المقدس وزواياها بالشمع وتقدم البصرى إلى منزل الحارث فأتى الباب فقال للحاجب

أستأذن لي على نبـي الله قال في هذه الساعة مايؤذن عليـه حتى يصبح. قال أعلمه أني ما رجعت الا شوقا اليـه قبل أن أصل فدخل عليه وأعلمه بكلامـه فأمره بـفتح البـاب. قال: ثم صـاح البصرى اسـرجوا الشـموع فأسرجت حـتى كان كأنها النهار ثـم قال من مر بكم فاضبـطوه كائنا من كان ودخل هو إلى المـوضع الذى يعرفه فطلـبه فلم يجده فقـال أصحاب الحارث: هيهات تريدون تقتلون نبى الله قـد رفع إلى السماء . قال فطلبه في شق قد هيأه سرباً فأدخل البـصرى يده فى ذلك السرب فاذا هو بثوبه فاجتره فـأخرجه إلى خارج ثم قال للفـرغانيين اربطوه فربطوه فـبينما هم يسيرون به على البريد اذ قال: أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله. فقال رجل من الفرغانـيين أولئك العجم هذا كـرامتنا فهات كرامـتك انت وساروا به حتى أتوابه عبدالملك فلما سمع به أمر بخـشبة فنصبت فصلبه وأمر بحربة وأمر رجلا فطـعنه فلما صار إلى ضلـع من أضلاعه فانكفـأت الحربة عنه فجعل الناس يصيحون ويقولون. الأنبياء لايجوز فيهم السلاح. فلما رأى ذلك رجل من المسلـمين تناول الحربة ثم مـشى اليه وأقبل بتـجسس حى وافى بين ضلعين فطعنه بها فأنفذها فقتله. قال الوليد: بلغنى أن خالد بن يزيد بن معاوية دخل على عبد الملك بن مروان فقال لو حضرتك ماأمرتك بقتله. قال ولم. قال إنما كان به المذهب فلو جوعته ذهب عنه. وروى أبو الربيع عن شيخ أدرك الـقدماء قال لما حمل الحارث على الـبريد وجعلت في عنقه جامعة من حديد وجمعت يـده إلى عنقه فأشرف على عقبة بيت المقدس تلى هذه الآية ﴿ **قل ان ضللت فإنما أضل على نفسي وان اهتديت فيما يوحى إلى ربى** ﴾. فتقلقلت الجامعة ثـم سقطت من يده ورقبته إلى الأرض فوثب الحرس الـذين كانوا معه فـأعادوها عليه ثم سـاروا به فلما أشرفوا عـلى عقبة أخـرى قرأ آية فسـقطت من رقبتـه ويده على الأرض فأعادوها عليه فلما قدموا على عـبد الملك حبسه وأم رجالا من أهل الفقه والعلم أن يعظوه ويخوفوه الله ويعلمـوه أن هذا من الشيطان فأبى أن يقبل منهـم فصلب. وجـاء رجل بحربـة فطعنه فـانثنت فـتكلم الناس وقـالوا ماينبغى لمثل هذا أن يقتل ثم أتاه حرسى برمح دقيق فطعنه بين ضلعين من أصلاعـه ثم هزه وأنفذه. وسمـعت من قال قـال عبد الملك للـذى ضربه بالحربة لما انثنت أذكرت الله حين طعنته قال نسيت قال فاذكر الله ثم اطعنه

فذكر الله ثم طعنه فانفذها.

فصل

وكم اغتر قوم بما يشبه الكرامات فقد روينا باسناد عن حسن عن أبى عمران قال: قال لى فرقد. ياأبا عمران قد أصبحت اليوم وأنا مهتم بضريبتى وهى ستة دراهم وقد أهل الهلال وليست عندى فدعوت فبينما أنا أمشى على شط الفرات اذا أنا بستة دراهم فأخذتها فوزنتها فاذا هى ستة لا تزيد ولا تنقص. فقال تصدق بها فانها ليست لك. قلت. أبوعمران هو ابراهيم النخعى فقيه أهل الكوفة. فانظروا الى كلام الفقهاء وبعد الاغترار عنهم. وكيف أخبره انها لقطة ولم يلتفت الى مايشبه الكرامة. وإنما لم يأمره بتعريفها لأن مذهب الكوفيين أنه لايجب التعريف لما دون الدينار. وكأنه إنما أمره بالتصدق بها لئلا يظن أنه قد أكرم بأخذها وإنفاقها. وباسناد عن ابراهيم الخراسانى أنه قال احتجت يوما إلى الوضوء فاذا أنا بكوز من جوهر وسواك من فضة رأسه ألين من الخز فاستكت بالسواك وتوضأت بالماء وتركتهما وانصرفت. قلت فى هذه الحكاية من لا يوثق بروايته فان صحت دلت على قلة علم هذا الرجل إذ لو كان يفهم الفقه علم أن استعمال السواك الفضة لايجوز ولكن قل علمه فاستعمله. وان ظن أنه كرامة والله تعالى لايكرم بما يمنع من استعماله شرعا إلا أن أظهر له ذلك على سبيل الامتحان وذكر محمد بن أبى الفضل الهمدانى المؤرخ قال حدثنى أبى قال كان السرمقانى المقرى يقرأ على ابن العلاف وكان يأوى إلى المسجد بدرب الزعفرانى واتفق أن ابن العلاف رآه ذات يوم فى وقت مجاعة وقد نزل إلى دجلة وأخذ منه أوراق الخس مما يرمى به أصحابه وجعل يأكله فشق ذلك عليه وأتى إلى رئيس الرؤساء فأخبره بحاله فتقدم إلى غلام بالقرب إلى المسجد الذى يأوى اليه السرمقانى أن يعمل لبابه مفتاحا من غير أن يعلمه ففعل وتقدم إليه أن يحملْ كل يوم ثلاثة أرطال خبزأسميداً ومعها دجاجة وحلوى سكراً ففعل الغلام ذلك وكان يحمله على الدوام. فأتى السرمقانى فى أول يوم فرأى ذلك مطروحا فى القبلة ورأى الباب مغلقاً فتعجب. وقال فى نفسه: هذا من الجنة ويجب كتمانه وأن لاأتحدث به فإن من شرط الكرامة كتمانها وانشدنى:

من أطلعوه على سر فباح به ... لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا

فلما استوت حالته وأخصب جسمه سأله ابن العلاف عن سبب ذلك وهو عارف به وقصد المزاح معه. فأخذ يورى ولايصرح، ويكنى ولايفصح. ولم يزل ابن العلاف يستخبره حتى أخبره أن الذى يجده فى المسجد كرامة إذ لا طريق لمخلوق عليه. فقال له ابن العلاف. يجب أن تدعو لابن المسلمة فإنه هو الذى فعل ذلك فنغص عيشه بأخباره وبانت عليه شواهد الانكسار.

فصل

ولما علم العقلاء شدة تلبيس إبليس حذروا من أشياء ظاهرها الكرامة وخافوا أن تكون من تلبيسه. روينا بإسناد عن أبى الطيب يقول: سمعت زهرون يقول: كلمنى الطير وذاك أنى كنت فى البادية فتهت فرأيت طائرا ابيض فقال لى يا زهرون أنت تائه. فقلت: ياشيطان غرغيرى. فقال لى: أنت تائه فقلت: يا شيطان غر غيرى. فوثب فى الثالثة وصار على كتفى. وقال: ماأنا بشيطان أنت تائه أرسلت اليك ثم غاب عنى. وبإسناد عن محمد ابن عبد الله القرشى قال حدثنى محمد بن يحيى بن عمرو قال حدثتنى زلفى قالت: قلت لرابعة العدوية ياعمة لم لاتأذنين للناس يدخلون عليك قالت ومأرجو من الناس إن أتونى حكوا عنى مالم أفعل. قال القرشى. وزادنى غير أبى حاتم. أنها قالت. يبلغنى أنهم يقولون إنى أجد الدراهم تحت مصلاى، ويطبخ لى القدر بغير نار. ولو رأيت مثل هذا فزعت منه: قالت فقلت لها إن الناس يكثرون فيك القول. يقولون إن رابعة تصيب فى منزلها الطعام والشراب فهل تجدين شيئا فيه. قالت: يابنت أخى لو وجدت فى منزلى شيئا مامسسته ولا وضعت يدى عليه. قال القرشى وحدثنى محمد بن إدريس قال قال محمد ابن عمرو. وحدثتنى زلفى عن رابعة إنها أصبحت يوما صائمة فى يوم بارد قالت فنازعتنى نفسى إلى شئ من الطعام السخن أفطر عليه وكان عندى شحم فقلت. لو كان عندى بصل أو كراث عالجته فإذا عصفور قد جاء فسقط على المثقب فى منقاره بصلة. فلما رأيته أضربت عما أردت وخفت أن يكون من الشيطان. وبالإسناد عن محمد بن يزيد. قال كانوا يرون لو هيب أنه من أهل الجنة فإذا أخبر بها اشتد بكاؤه. قال قد خشيت أن يكون هذا من الشيطان وبالإسناد سن أبى عثمان النيسابورى يقول خرجنا جماعة

مع أستاذة أبى حفص النيسابورى إلى خارج نيسابور فجلسنا فتكلم الشيخ علينا فطابت أنفسنا ثم بصرنا فإذا بأيل قد نزل من الجبل حتى برك بين يدى الشيخ فأبكاه ذلك بكاء شديدا. فلما سكن سألناه فقلت ياأستاذ تكلمت علينا فطابت قلوبنا، فلما جاء هذا لاوحش وبرك بين يدك أزعجك وأبكاك. فقال: نعم رأيت اجتماعكم حولى وقد طابت قلوبكم فوقع فى قلبى لو أن شاه ذبحها ودعوتكم عليها. فما نحكم هذا الخاطر حتى جاء هذا الوحش فبرك بين يدى فخيل لى أنى مثل فرعون الذى سأل ربه أن يجرى له النيل فأجراه. قلت فما يؤمننى أن يكون الله تعالى يعطينى كل حظ لى فى الدنيا وأبقى فى الآخرة فقيراً لاشئ لى. فهذا الذى أزعجنى.

فصل

وقد لبس ابليس على قوم من المتأخرين فوضعوا حكايات فى كرامات الأولياء ليشيدوا بزعمهم أمر القوم والحق لايحتاج إلى تشييد بباطل فكشف الله تعالى أمرهم بعلماء النقل. أخبرنا محمد بن ناصر انبأنا الحسن بن أحمد الفقيه قال نا محمد ابن محمد الحافظ قال نا عبيد الله بن محمد الفقيه قال أحمد عبد الله بن الحسن الآدمى قال حدثنى أبى قال: قال سهل بن عبد الله قال عمرو بن واصل. كذا فى الرواية والصواب قال عمرو بن واصل قال سهل بن عبد الله صحبت رجلا من الأولياء فى طريق مكة فنالته فاقة ثلاثة أيام فعدل إلى مسجد فى أصل جبل وإذا فيه بئر عليها بكرة وحبل ودلو ومطهرة. وعند البئر شجرة رمان ليس فيها حمل. فأقام فى المسجد إلى المغرب فلما دخل الوقت إذا بأربعين رجلا عليهم المسوح وفى أرجلهم نعال الخوص قد دخلوا المسجد فسلموا وأذن أحدهم وأقام الصلاة وتقدم فصلى بهم. فلما فرغ من صلاته تقدم إلى الشجرة فإذا فيها أربعون رمانة غضة طرية فأخذ كل واحد منهم رمانة وانصرف. قال وبت على فاقتى فلما كان فى الوقت الذى أخذوا فيه الرمان أقبلوا أجمعين فلما صلوا وأخذوا الرمان قلت ياقوم أنا أخوكم فى الاسلام وبى فاقة شديدة فلا كلمتمونى ولا واسيتمونى فقال رئيسهم إنا لانكلم محجوبا بما معه فامض واطرح مامعك وراء هذا الجبل فى الوادى وارجع إلينا حتى تنال مانتال قال فرقيت الجبل فلم تسمح نفسى برمى

مامعي فدفنته ورجعت. فقال لي. رميت مامعك. قلت نعم. قال: فرأيت شيئا قلت. لا، قال مارميت شيئا إذن فارجع فأرم به في الوادي فرجعت ففعلت. فإذا قد غشيني مثل الدرع نور الولاية فرجعت فإذا في الشجرة رمانة فأكلتها واستقللت بها من الجوع والعطش ولم ألبث دون المضي إلى مكة فإذا أنا بالأربعين بين زمزم والمقام فأقبلوا إليّ بأجمعهم يسألوني عن حالي ويسلمون عليّ . فقلت: قد غنيت عنكم وعن كلامكم آخراً كما أغناكم الله عن كلامي أولا فما فيّ لغير الله موضع.

قال المصنف رحمة الله :. عمرو بن واصل ضعفه ابن أبي حاتم. والآدمي وأبوه مجهولان. ويدل على انها حكاية موضوعة قولهم اطرح مامعك لأن الأولياء لايخالفون الشرع والشرع قد نهى عن إضاعة المال. وقوله غشيني نور الولاية فهذه حكاية مصنوعة وحديث فارغ ومثل هذه الحكاية لايغتر بها من شم رائحة العلم إنما يغتر بها الجهال الذين لابصيرة لهم. أخبرنا محمد بن ناصر قال نا السهلكي قال: سمعت محمد بن علي الواعظ. قال: وفيما أفادني بعض الصوفية حاكيا عن الجنيد قال قال: أبو موسى الديبلي، دخلت على أبي يزيد فإذا بين يديه ماء واقف يضطرب فقال لي تعال ثم قال إن رجلا سألني عن الحياء فتكلمت عليه بشئ من علم الحياء فدار دورانا حتى صار كذا كما ترى وذاب قال الجنيد وقال أحمد بن حضرويه، بقي منه قطعة كقطعة جوهر فاتخذت منه فصا فكلما تكلمت بكلام القوم أو سمعت من كلام القوم يذوب ذلك الفص حتى لم يبق منه شئ، قل وهذه من المحالة القبيحة التي وضعوها الجهال ولولا أن الجهالة يروونها مسندة فيظنونها شيئا لكان الاضراب عن ذكرها أولى. أبنأنا أبو بكر ابن حبيب قال نا ابن أبي صادق قال ثنا ابن باكويه قال ثنا أبو حنيفة البغدادي قال ثنا عبد العزيز البغدادي قال كنت أنظر في حكايات الصوفية فصعدت يوما السطح فسمعت قائلا يقول: ﴿ وهو يتولى الصالحين ﴾ فالتفت فلم أر شيئا فطرحت نفسي من السطح فوقفت في الهواء.

قال المصنف رحمه الله: هذا كذب محال لايشك فيه عاقل فلو قدرنا صحته فان طرح نفسه من السطح حرام وظنه أن الله يتولى من فعل المنهي عنه فقد قال تعالى: ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ فكيف يكون

صالحا وهو يخالف ربه وعلى تقدير ذلـك فمن أخبره أنه منهم وقد تقدم قول عيسى صـلوات الله عليه للشيطان لما قال لـه الق نفسك. قال إن الله يختبر عباده وليس للعبد أن يختبر ربه.

فصل

وقد اندس فـي الصوفية أقـوام وتشبهـوا بهم وشطحوا فى الـكرامات وادعائها وأظهروا للعوام مخاريق صادوا بها قلوبهم وقد روينا عن الحلاج أنه كان يدفن شيئا من الخبز والشواء والحلوى فى موضع من البرية ويطلع بعض أصحابه على ذلك فإذا أصبح قال لأصحابه إن رأيتم أن نخرج على وجه السياحة فيقوم ويمشي والناس معه فاذا جاءوا إلى ذلك المكان قال له صاحبـه الذى أطلعه على ذلـك نشتهى الآن كـذا وكذا فيتركـهم الحلاج وينزوى عنهم إلى ذلك المكـان فيصلى ركعين ويأتيهـم بذلك. وكان يمد يده إلى الـهواء ويطرح الذهـب فى أيدى الناس ويمـخرق. وقد قـال له بعض الحاضرين يوما. هذه الدراهم مـعروفة ولكن اؤمن بك إذا أعطيتنى درهما عليه إسمك واسم أبيك ومازال يمخرق الى وقت صلبه.

حدثنا أبو منصـور القزاز قال نا أبو بكر بن ثابت نا عـبد الله بن احمد ابن عمار الصيرفى ثنا أبو عمـرو بن حيوة. قال: لما أخرج حسين الحلاج المـقتل مـضيـت فى جمـلة النـاس فلم أزل أزاحم حـتى رأيتـه. فقـال لأصحابه. لايهولنكم هذا فأنى عائد اليكم بعد ثلاثين يوما. وكان اعتقاد الحلاج اعتـقاداً قبيـحا. وقد بينـا فى أول هذا الكتاب شـيئاً من اعتـقاده وتخليطه وبيـنا أنه قتل بفتوى فقـهاء عصره. وقد كان فى المـتأخرين من يطلى بدهن الطلق ويقعد فى التنور ويظهر أن هذا كرامة. قال ابن عقيل. وكان ابن الشباس وأبوه قبله لهم طيـور سوابق وأصدقاء فى جميع البلاد فينزل بهم قوم فـيرفع طائرا فى الحال إلى قريتهم يخبـر بخبر من له هناك بنزولهم ويـستعلمه مـن أحوالهم وما تجدد هنـاك بعدهم قبل أن يجـتمع عليهم ويستعلم حالهم فيكتب ذلك الـيه الجواب ثم يجتمع بهم فيخبرهم بتلك الحوادث ويحدثـهم بأحوالهم حديث من هو معهـم ومعاشرهم فى بلادهم ثم يحدثهم بما تجدد بعدهم وفى يومه ذلك فيقول الساعة تجدد كذا وكذا فيدهشون ويرجعون إلى رستاقـهم فيجدون الأمر على ماقال ويتكرر هذا منه فيصير عندهم كالقطعى على أنه يعلم العيب. قال، وماكان يفعله

أنه يأخذ طيـــر عصفور ويشد فى رجلــه تلفكا ويجعل فى التلــفك بطاقة صغيرة ويشد فى رجل حمامة تلفكا ويشد فى طرف التلفك كتابا أكبر من ذلك ويجعله بين يديــه ويجعل العصفور بيد ويأخذ غــلاما له فى السطح والحمامة بيد آخر فــيه مافى تلك البطاقة الصغيرة ويطــلق الطائر العصفور فينظر الناس الكــتاب وهو طائر فى الهواء فيروح الحمــام إلى تلك القرية فيأخذه صديقــه الذى هناك ثم يخبره بجميع أمور القرية وأصــحابها فلما يتكامل مجــلسه بالناس يشير وينــادى يابارش كأنه يخاطب شيــطانا اسمه بارش ويقول خــذ هذا الكتاب إلى قرية فــلان فقد جرت بينهم خــصومة فاجتهد فى اصلاح ذات بينهم ويرفع صــوته بذلك فيسرح غلامه المترصد العصفور الذى فى يده فــيرفع الكتاب نحوالسماء بحضــرة الجماعة يرونه عيــانا من غيــر أن يرون التلفــك فاذا ارتفع الــكتاب جذبــه الغلام المقــيد بالعصــفور وقطع التلفك حتى لايــرى ويرسل العصفور إلى تــلك القرية ليصلح الأمر وكذلك يفعل بالحمامة ثــم يقول لغلامه هات الكتاب فيلقيه الغلام الذى فى السطح الذى قد جاءه خبــر ما فى القرية التى هؤلاء منها ثم يكتب كتــابا إلى دهقان تلك القريــة فيشد به بلفكا ويــجعله فى رجل عصفــور كما قدمنا ويــطلقه حتى يعلــو سطح المكان فيأخــذه ذلك الغلام فيشده فى رجل طيــر حمام فيروح الى تلك القرية بذلك الــكتاب فيصلح بين الناس الذين قد أتاه خبرهم بالمشاجــرة فتخرج الجماعة الذين من تلك القرية فــيجدون كتاب الــشيخ قد وصل لهم وقــد اجتمع دهاقيــن القرية وأصلحوا بينهم فيجئ ذلك فيخبرهم فلا يشكون فى ذلك أنه يعلم الغيب ويتحقق هذا فى قلوب العوام.

قال ابن عــقيل : وإنما أوردت مثل هذا لــيعلم أنه قد ارتفــع القوم الى التلاعب بالــدين فأى بقاء للشــريعة مع هذا الحال. قلت: وابــن الشباس هذا كان يكنى أبا عــبد الله والشباس هو أبوه كان يكــنى ابا الحسن واسم الشبــاس على بن الحســين بن محمــد البغدادى تــوفى بالبصــرة سنة أبع وأربعين وأربع مائة وكان الشباس وأبوه وعمــه مستقرين بالبصرة. وكانت مذاهبهم تخفى على الناس إلا أن الأغلب أنهــم كانوا من الشيعة الامامية والعلاة الباطنية وقد ذكرت فى التــاريخ عن ابن الشباس ان بعض أصحابه اكتشفت له نار بخيانته وزخارفــه وكانت تخفى على الناس إلى أن كشفها

بعض أصحابه من الشيعة الإمامية الباطنية للناس فلما كشفها للناس وبينها فكان مما حدث بـه عنه أنه قال: حضرنا يـوما عنده فأخرج جديـا مشويا فأمرنا بأكله وأن نكسر عظمه ولانهشـمها فلما فرغنا أمر بردها إلى التنور وترك على التنور طبقا ثم رفعه بعد ساعة فوجدنا جديا حيا يرعى حشيشا ولـم نر للنار أثرا ولا للرمـاد ولا للعظام خبراً. قال فتلطـفت حتى عرفت ذلك وذلك أن التنور يفضى إلى سرداب وبينـهما طبق نحاس بلولب فاذا أراد إزالة النار عنه فـركه فينزل عليـه فيسده وينفـتح السرداب وإذ أراد أن يظهر النار أعاد الطبق الى فم السرداب فترى للناس.

قال المصـنف رحمه الله: وقـد رأينا فى زماننـا من يشير إلـى الملائكة ويقول. هؤلاء ضيـف مكرمون يوهم أن الملائكة قد حضـرت ويقول لهم تقدموا الى. وأخذ رجل فـى زماننا ابريقا جديدا فترك فيه عـسلا فتشرب فى الخزف طعم العـسل واستصحب الابريق فى سفـره فكان إذا غرف به الماء من النهر وسقى أصحابه وجـدوا طعم العسل ومافى هؤلاء من يعرف الله ولايخاف فى الله لومة لائم نعوذ بالله من الخذلان.

. . . . .

الباب الثانى عشر

فى ذكر تلبيس إبليس على العوام

قد بينا أن ابليس انما يقوى تلبيسه على قدر قوة الجهل وقد أفتن فيما فتن به العوام وحضر مافتنهم ولبس عليهم فيه لايمكن ذكره لكثرته وإنما نذكر من الأمهات مايستدل به على جنسه والله الموفق. فمن ذلك أنه يأتى الى العامى فيحمله على التفكر فى ذات الله عز وجل وصفاته فيتشكك. وقد أخبر رسول الله ﷺ عن ذلك فيما رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال. قال رسول الله ﷺ «تسألون حتى تقولوا هذا الله خلقنا فمن خلق الله » قال أبو هريرة : فوالله انى لجالس يوما إذ قال لى رجل من أهل العراق هذا الله خلقنا فمن خلق الله. قال ابو هريرة. فجعلت أصبعى فى أذنى ثم صحت - صدق رسول الله- الله الواحد الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

وبإسناد عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ : « ان الشيطان يأتى أحدكم فيقول من خلقك، فيقول: الله، فيقول: من خلق السموات والأرض، فيقول: الله. فيقول: من خلق الله، فاذا وجد أحدكم شيئا من ذلك فليقل أمنت بالله ورسوله».

قال المصنف رحمه الله: وانما وقعت هذه المحنة لغلبة الحس وهو أنه مارأى شيئا إلا مفعولا. وليقل لهذا العامى ألس تعلم أنه خلق الزمان لافى الزمان والمكان لا فى المكان فاذا كانت هذه الأرض وما فيها لا فى مكان ولا تحتها شئ وحسك ينفر من هذا لأنه ما ألف شيئا إلا فى مكان فلا يطلب بالحس من لا يعرف بالحس. وشاور عقلك فانه سليم المشاورة. وتارة يلبس ابليس على العوام عند سماع صفات الله عز وجل فيحملونها على مقتضى الحس فيعتقدون التشبيه. وتارة يلبس عليهم من جهة العصبية للمذاهب فترى العامى يلاعن ويقاتل فى أمر لا يعرف حقيقته. فمنهم من يخص بعصبيته أبا بكر رضى الله عنه. ومنهم من يخص عليا. وكم قد جرى فى هذا من الحروب وقد جرى فى هذا بين أهل الكوخ وأهل باب البصرة على مر السنين من القتل وإحراق المحال

مايطول ذكره وترى كثيرا ممن يخاصم فى هذا يلبس الحرير ويشرب الخمر ويقتل النفس و أبوبكر وعلى بريئان منهم. وقد يحس العامى فى نفسه نوع فهم فيسول له ابليس مخاصمة ربه فمنهم من يقول لربه كيف قضى وعاقب. ومنهم من يقول لم ضيق رزق المتقى وأوسع على العاصى. ومنهم طائفة تشكر على النعم فاذا جاء البلاء اعترض وكفر. ومنهم من يقول أى حكمة فى هدم هذه الأجساد يعذبها بالفناء بعد بنائها. ومنهم من يستبعد البعث. ومن هؤلاء من يختل عليه مقصوده أو يبتلى ببلاء فيكفر ويقول أنا ما أريد أصلى. وربما غلب فاجر نصرانى مؤمنا فقتله أو ضربه فيقول العوام قد غلب الصليب. ولماذا نصلى إذا كان الأمر كذلك. وكل هذه الآفات تمكن بها منهم إبليس لبعدهم عن العلم والعلماء فلو أنهم استفهموا أهل العلم لأخبروهم ان الله عز وجل حكيم ومالك فلا يبقى مع هذا اعتراض.

فصل

ومن العوام من يرضى عن عقل نفسه فلا يبالى بمخالفة العلماء فمتى خالفت فتواهم غرضه أخذ يرد عليهم ويقدح فيهم. وقد كان ابن عقيل يقول: قد عشت هذه السنين فلو أدخلت يدى فى صنعة صانع لقال أفسدتها علىّ، فلو قلت أنا رجل عالم لقال بارك الله لك فى علمك ليس هذا من شغلك. هذا وشغله أمر حسى لو تعاطيته فهمته، والذى أنا فيه من الأمور أمر عقلى فإذا أفتيته لم يقبل.

فصل

ومن تلبيسه عليهم تقديمهم المتزهدين على العلماء فلو رأوا جبة صوف على أجهل الناس عظموه خصوصا إذا طأطأ رأسه وتخشع لهم ويقولون، أين هذا من فلان العالم ذاك طالب الدنيا وهذا زاهد لا يأكل عنبه ولا رطبه ولايتزوج قط جهلا منهم بفضل العلم على الزاهد وإيثاراً للمتزهدين على شريعة محمد بن عبد الله ﷺ ومن نعمة الله سبحانه وتعالى على هؤلاء أنهم لم يدركوا رسول الله ﷺ إذ لو رأوه يكثر التزويج ويصطفى السبايا ويأكل لحم الدجاج ويحب الحلوى والعسل لم يعظم فى صدورهم.

فصل

ومن تلبيسه عليهم قدحهم فـى العلماء بتناول المباحات وذلك من أقبح الجهل. وأكثر ميلهم إلى الغرباء فهم يؤثرون الغريب على أهل بلدهم ممن قد خبروا أمره وعرفـوا عقيدته فيميلون إلى الغريب ولـعله من الباطنية. وإنما ينبغى تسليم النفوس إلى من خـبرت معرفته قال الله عز وجل: ﴿**فإن آنستم منـهم رشداً فادفعوا إليـهم أموالهم**﴾ ومنّ الله سبحانه فى ارسال محمد ﷺ إلـى الخلق بأنهم يعرفون حاله فـقال عز وجل: ﴿ **لقد من الله على المؤمنيـن إذ بعث فيهم رسولا من أنـفسهم** ﴾. وقال: ﴿ **يعرفونه كما يعرفون أبناءهم** ﴾.

فصل

وقد يخـرج بالعوام تعظـيم المتزهدين إلى قـبول دعاويهم وان خـرقوا الشريعة وخرجوا عن حدودها. فتـرى المتنمس يقول للعامى: أنت فعلت بالأمس كـذا وسيجـرى عليك كذا فـيصدقه. ويـقول: هذا يتكـلم على الخاطر ولايعلم أن ادعاء الغيب كفـر. ثم يرون من هؤلاء المتنمسين أموراً لاتحل كمؤاخاه النساء والخلوة بهن ولاينكرون ذلك تسليما لهم أحوالهم.

فصل

ومن تلبـيسه علـى العوام اطلاقهـم أنفسهـم فى المعاصى فـاذا وبخوا تكلموا كلام الزنادقـة. فمنهم من يقول: لاأترك نقدا لنسيئه. ولو فهموا لعلموا أن هذا ليس بنقد لأنه محرم وإنما يخيـر بين النقد والنسيئة المباحين فمثلـهم كمثل محـموم جاهل يأكل العسـل فاذا عوتب قال الشـهوة نقد والعافية نسيئـة. ثم لو علموا حقيقة الايمان لعلموا أن تـلك النسيئة وعد صادق لايخلف. ولو عملوا عمل التجـار الذين يخاطرون بكثير من المال لما يرجونه من الربح القليل لعلموا أن ماتركوه قليل ومايرجونه كثير. ولو أنهم ميزوا بين ماآثروا وما أفاتوا أنفسـهم لرأوا تعجيل ماتعجلوا إذ فاتهم الربح الدائم وأوقعهم فى العذاب الذى هو الخسران المبين الذى لايتلافى. ومنهم مـن يقول الرب كريم والـعفو واسع والرجـاء من الدين فيسـمون تمنيهم واغترارهم رجاء وهذا الذى أهلك عامة المذنبين. قال أبو عمرو بن العـلاء : بلغنى أن الـفرزدق جلس إلى قـوم يتذكـرون رحمـة الله فكان أوسعهم فى الرجاء صدرا فقالوا له: لم تقذف المحصنات فقال: أخبرونى

لو أذنبت إلى ولدىً ماأذنبته إلى ربى عز وجل أتراهما كانا يطيبان نفساً أن يقذفانى فى تنور مملوءاً جمراً. قالوا لا إنما كانا يرحمانك. قال: فأنى أوثق برحمة ربى منهما. قلت: وهذا هو الجهل المحض لأن رحمة الله عز وجل ليست برقة طبع ولو كانت كذلك لما ذبح عصفور ولاأميت طفل ولا أدخل أحد إلى جهنم. وبإسناد عن عباد قال: الأصمعى كنت مع أبى نواس بمكة فإذا أنا بغلام أمرد يستلم الحجر الأسود. فقال لى أبو نواس. والله لاابرح حتى أقبله عند الحجر الأسود. فقلت: ويلك اتق الله عزوجل فإنك ببلد حرام وعند بيته الحرام فقال: مامنه بد. ثم دنا من الحجر فجاء الغلام يستلمه فبادر ابو نواس فوضع خده على خد الغلام فقبله وأنا أنظر فقلت ويلك أفى حرم الله عز وجل فقال دع ذا عنك فإن ربى رحيم ثم أنشد يقول:

وعاشقان التف خداهما ... عند استلام الحجر الأسود

فاشتفيا من غير أن يأثما ... كأنما كانا على موعد

قلت. انظروا إلى هذه الجرأة التى نظر فيها إلى الرحمة ونسى شدة العقاب بانتهاك تلك الحرمة. وقد ذكرنا فى أول الكتاب هذا أن رجلا زنى بامرأة فى الكعبة فمسخا حجرين. ولقد دخلوا على أبى نواس فى مرض موته فقالوا له تب إلى الله عز وجل فقال إياى تخوفون حدثنى حماد بن سلمة عن يزيد الرقاشى عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ لكل نبى شفاعة وإنى اختبأت شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى. أفترى لا أكون أنا منهم.

قال المصنف رحمه الله: وخطأ هذا الرجل من وجهين. أحدهما أنه نظر إلى جانب الرحمة ولم ينظر إلى جانب العقاب. والثانى أنه نسى أن الرحمة إنما تكون فسائب كما قال عز وجل: ﴿**وإنى لغفار لمن تاب**﴾وقال: ﴿ **ورحمتي وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون** ﴾ وهذا التلبيس هو الذى يهلك عامة العوام وقد كشفناه فى ذكر أهل الإباحة.

فصل

ومن العوام من يقول هؤلاء العلماء يحافظون على الحدود فلان يفعل كذا وفلان يفعل كذا فأمرى أنا قريب وكشف هذا التلبيس أن الجاهل والعالم فى باب التكليف سواء فغلبه الهوى للعالم لايكون عذراً

وقال: ﴿ ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون ﴾ وهذا التلبيس هو الذى يهلك عامة العوام وقد كشفناه فى ذكر أهل الإباحة.

فصل

ومن العوام من يقول هؤلاء العلماء يحافظون على الحدود فلان يفعل كذا وفلان يفعل كذا فأمرى أنا قريب وكشف هذا التلبيس أن الجاهل والعالم فى باب التكليف سواء فغلبه الهوى للعالم لايكون عذراً للجاهل. وبعضهم يقول. ماقدرذنبى حتى أعاقب. ومن انا حتى أؤاخذ، وذنبى لايضره وطاعتى لا تنفعه وعفوه أعظم من جرمى كما قال قائلهم:

من أنا عند الله حتى إذ　　أذنبت لا يغفر لى ذنبى

وهذه حماقة عظيمة كأنهم اعتقدوا أنه لا يؤاخذ إلا ضداً أو نداً. ثم ماعلموا أنه بالمخالفة قد صاروا فى مقام معاند، وسمع بن عقيل رحمه الله رجلا يقول، من أنا حتى يعاقبنى الله، فقال: له أنت الذى لو أمات الله جميع الخلائق وبقيت أنت لكان قوله تعالى: ﴿ **يا أيها الناس** ﴾ خطاباً لك. ومنهم من يقول، سأتوب واصلح، وكم من ساكن الأمل من أبله فاختطفه الموت قبله، وليس من الحزم تعجيل الخطأ وانتظار الصواب وربما لم تتهيأ التوبة وربما لم تصح وربما لم تقبل ثم لو قبلت بقى الحياء من الجناية أبداً. فمرارة خاطر المعصية حتى تذهب أسهل من معاناة التوبة حتى تقبل. ومنهم من يتوب ثم ينقض فيلج عليه إبليس بالمكائد لعلمه بضعف عزمه. وبإسناد عن الحسن أنه قال: إذا نظر اليك الشيطان ورآك على غير طاعة الله تعالى فنعاك وإذا رآك مداوما على طاعة الله ملك ورفضك وإذا رآك مرة هكذا ومرة هكذا طمع فيك.

فصل

ومن تلبيسه عليهم أن يكون لأحدهم نسب معروف فيغتر بنسبه فيقول: أنا من أولاد أبو بكر. وهذا يقول. أنا من أولاد على. وهذا يقول: أنا شريف من أولاد الحسن أوالحسين أو يقول. أنا قريب النسب من فلان العالم أو من فلان الزاهد وهؤلاء يبنون أمرهم على أمرين.

أحدهما: أنهم يقلون من أحب إنسانا أحب أولاده وأهله.

والثانى: أن هؤلاء: لهم شفاعة وأحق من شفعوا فيه أهلهم

وأولادهم. وكلا الأمرين غلط أما المحبة فليست محبة اللّه عز وجل كمحبة الآدمين وإنما يحب من أطاعه فإن أهل الكتاب من أولاد يعقوب ولم ينتفعوا بآبائهم ولو كانت محبة الأب تسرى لسرى إلى البعض أيضا. وأما الشفاعة فقد قال اللّه تعالى: ﴿ **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى** ﴾ ولما أراد نوح حمل ابنه فى السفينة قيل له ﴿ **إنه ليس من أهلك** ﴾ ولم يشفع إبراهيم فى أبيه ولا نبينا فى أمة وقد قال ﷺ لفاطمة رضى اللّه عنها. «لاأغنى عنك من اللّه شيئا». ومن ظن أنه ينجو بنجاة أبيه كان كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه.

فصل

ومن تلبيسه عليهم أن يعتمد أحدهم على خلة خير ولايبالى بما فعل بعدها. فمنهم من يقول: أنا من أهل السنة وأهل السنة على خير ثم لايتحاشى عن المعاصى. وكشف هذا التلبيس أن يقال له إن الاعتقاد فرض والكف عن المعاصى فرض آخر فلا يكفى أحدهما عن صاحبه. وكذلك تقول الروافض: نحن يدفع عنا موالاة أهل البيت وكذبوا فإنه إنما يدفع التقوى. ومنهم من يقول أنا الازم الجماعة وأفعل الخير وهذا يدفع عنى وجوابه كجواب الأول.

فصل

ومن هذا الفن تلبيسه على العيارين فى أخذ أموال الناس فانهم يسمون بالفتيان ويقولون: الفتى لايزنى ولايكذب ويحفظ الحرم ولايهتك ستر امرأة ومع هذا لايتحاسون من أخذ أموال الناس وينسون تقلى الأكباد على الأموال ويسمون طريقتهم الفتوة. وربما حلف أحدهم بحق الفتوة فلم يأكل ولم يشرب ويجعلون إلباس السراويل للداخل فى مذهبهم كإلباس الصوفية للمريد المرقعة وربما يسمع أحد هؤلاء عن ابنته أو أخته كلمة وزر لا تصح وربما كانت من محرض فقتلها ويدعون أن هذه فتوة. وربما افتخرأحدهم بالصبر على الضرب. وباسناد عن عبد اللّه بن احمد بن حنبل أنه كان يقول: كنت كثيراً أسمع والدى أحمد بن حنبل يقول: رحم اللّه أبا الهيثم فقلت من أبو الهيثم؟ فقال أبو الهيثم الحداد: لما مددت يدى إلى العقاب وأخرجت للسياط إذا أنا بانسان يجذب ثوبى من ورائى ويقول لى: تعرفنى قلت لا، قال أنا أبو الهيثم العيار اللص الطرار

مكتوب فى ديوان أمير المؤمنين إنى ضربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق وصبرت فى ذلك على طاعة الشيطان لأجل الدنيا فاصبر أنت فى طاعة الرحمن لأجل الدين، قلت: أبو الهيثم هذا يقال له خالد الحداد. وكان يضرب المثل بصبره. وقال له المتوكل مابلغ من جلدك قال املألى جرابى عقارب ثم أدخل يدى فيه وأنه ليؤلمنى مايؤلمك وأجد لآخر سوط من الألم ما أجد لأول سوط ولو وضعت فى فمى خرقة وأنا أضرب لاحترقت من حرارة مايخرج من جوفى ولكننى وطنت نفسى على الصبر، فقال له الفتح ويحك مع هذا اللسان والعقل مايدعوك إلى ماأنت عليه من الباطل. فقال أحب الرياسة. فقال المتوكل نحن خليدية. وقال الفتح أنا خليدى. وقال رجل لخالد ياخالد ماأنتم لحوم ودماء فيؤلمكم الضرب. فقال بلى يؤلمنا ولكن معنا عزيمة صبر ليست لكم. وقال داود بن على لما قدم بخالد اشتهيت أن أراه فمضيت إليه فوجدته جالساً غير متمكن لذهاب لحم إليتيه من الضرب وإذا حوله فتيان فجعلوا يقولون: ضرب فلان، وفعل بفلان كذا، فقال لهم. لاتتحدثون عن غيركم افعلوا أنتم حتى يتحدث عنكم غيركم.

قال المصنف رحمه الله: فانظروا إلى الشيطان كيف يتلاعب بهؤلاء فيصبرون على شدة الألم ليحصل لهم الذكر ولو صبروا على يسير التقوى لحصل لهم الأجر والعجب أنهم يظنون لحالهم مرتبة وفضيلة مع ارتكاب العظائم.

فصل

ومن العوام من يعتمد على نافلة ويضيع فرائض. مثل أن يحضر المسجد قبل الأذان ويتنفل فإذا صلى مأموماً سابق الإمام. ومنهم من لايحضر فى أوقات الفرائض ويزاحم ليلة الرغائب. ومنهم من يتعبد ويبكى وهو مصر على الفواحش لا يتركها. فإن قيل له قال: سيئة وحسنة والله غفور رحيم وجمهورهم يتعبد برأيه فيفسد أكثر مما يصلح. ورأيت رجلا منهم قد حفظ القرآن وتزهد ثم حب نفسه وهذا من أفحش الفواحش.

فصل

وقد لبس إبليس على خلق كثير من العوام يحضرون مجالس الذكر ويبكون ويكتفون بذلك ظنا منهم أن المقصود الحضور والبكاء لأنهم يسمعون فضل الحضور فى مجالس الذكر. ولو علموا أن المقصود إنما هو

العمل وإذا لم يعمل بما يسمع كان زيادة فى الحجة عليه. وانى لأعرف خلقاً يحضرون المجلس منذ سنين ويبكون ويخشعون ولا يتغير أحدهم عما قد اعتاده من المعاملة فى الربا والغش فى البيع والجهل بأركان الصلاة والغيبة للمسلمين والعقوق للوالدين وهؤلاء قد لبس عليهم إبليس فأراهم أن حضور المجلس والبكاء يدفع عنه مايلابس من الذنوب. وأرى بعضهم ان مجالسة العلماء والصالحين يدفع عنكم. وشغل آخرين بالتسويف بالتوبة فطال عليهم مطالهم. وأقام قوما منهم للتفرج فيما يسمعونه وأهملوا العمل به.

فصل

وقد لبس إبليس على أصحاب الأموال من أربعة أوجه. أحدها: من جهة كسبها فلا يبالون كيف حصلت وقد فشا الربا فى أكثر معاملاتهم وأنسوه حتى أن جمهور معاملاتهم خارجة عن الأجماع وقد روى أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال «ليأتين على الناس زمان لا يبالى المرء من أين أخذ المال من حلال أو حرام». والثانى: من جهة البخل بها فمنهم من لايخرج الزكاة أصلا إنكالا على العفو. ومنهم من يخرج بعضها ثم يغلبه البخل فينظر أن المخرج يدفع عنه. ومنهم من يحتال لإسقاطها مثل أن يهب المال قبل الحول ثم يسترده. ومنهم من يحتال بإعطاء الفقير ثوبا يقومه عليه بعشرة دنانير وهو يساوي دينارين ويظن ذلك الجهل أنه قد تخلص. ومنهم من يخرج الردئ مكان الجيد ومنهم من يعطى الزكاة لمن يستخدمه طول السنة فهى على الحقيقة أجرة. ومنهم من يخرج الزكاة كما ينبغى فيقول له إبليس: مابقى عليك فيمنعه أن يتنفل بصدقة حباً للمال فيفوته أجر المتصدقين ويكون المال رزق غيره.

وبإسناد عن الضحاك عن ابن عباس قال: أول ماضرب الدرهم أخذه إبليس فقبله ووضعه على عينه وسرته وقال بك أطغى وبك أكفر. رضيت من ابن آدم بحبه الدينار من أن يعبدنى. وعن الأعمش عن شقيق عبدالله قال: إن الشيطان يرد الإنسان بكل ريدة فإذا أعياه اضطجع فى ماله فيمنعه أن ينفق منه شيئا. والثالث من حيث التكثير بالأموال فإن الغنى يرى نفسه خيراً من الفقير وهذا جهل لأن الفضل بفضائل النفس اللازمة لها لابجمع حجارة خارجة عنها كما قال الشاعر.

غنى النفس لمن يعقل　　　خير من غنى المال
وفضل النفس في الأنفس　　　ليس الفضل في الحال

والرابع في إنفاقها. فمنهم من ينفقها على وجه التبذير والإسراف، وتارة في البنيان الزائد على مقدار الحاجة وتزويق الحيطان وزخرفة البيوت وعمل الصور. وتارة في اللبس الخارج بصاحبه إلى الكبر والخيلاء، وتارة في المطاعم الخارجة إلى السرف. وهذه الأفعال لايسلم صاحبها من فعل محرم أو مكروه وهو مسئول عن جميع ذلك.

وبإسناد عن أنس بن مالك قال: رسول الله ﷺ «ياابن آدم لاتزول قدماك يوم القيامة بين يدى الله عز وجل حتى تسأل عن أربع عمرك فيما أفنيته وجسدك فيما أبليته ومالك من أين اكتسبته وأين انفقته. ومنهم من ينفق فى بناء المساجد والقناطر إلا أنه يقصد الرياء والسمعة وبقاء الذكر فيكتب اسمه على مابنى ولو كان عمله لله عز وجل لاكتفى بعلمه سبحانه وتعالى ولو كلف أن يبنى حائط من غير أن يكتب اسمه عليه لم يفعل. ومن هذا الجنس إخراجهم الشمع فى رمضان فى الأنوار طلبا للسمعة ومساجدهم طول السنة مظلمة لأن إخراجهم قليلا من دهن كل ليلة لايؤثر فى المدح مايؤثر فى إخراج شمعة فى رمضان ولقد كان أغناء الفقراء بثمن الشمع أولى ولربما خرجت الأضواء الكثيرة السرف الممنوع منه غير ان الرياء يعمل عمله. وقد كان احمد ابن حنبل يخرج إلى المسجد وفي يده سراج فيضعه ويصلي. ومنهم من إذا تصدق أعطى الفقير والناس يرونه فيجمع بين قصده مدحهم وبين إذلال الفقير. وفيهم من يجعل منه الدنانير الخفاف فيكون فى الدينار قيراطان ونحو ذلك وربما كانت رديئة فيتصدق بها بين الجمع مكشوفة ليقال قد أعطى فلان فلانا ديناراً وبالعكس من هذا كان جماعة الصالحين المتقدمين يجعلون فى القرطاس الصغير ديناراً ثقيلا يزيد وزنه علي دينار ونصف ويسلمونه إلى الفقير فى سر فاذا رأى قرطاسا صغيرا ظنه قطعه فاذا لمسه وجد تدوير دينار ففرح فاذا فتحه ظنه قليل الوزن فاذا رآه ثقيلا ظنه يقارب الدينار فاذا وزنه فراه زائدا على الدينار اشتد فرحه فالثواب يتضاعف للمعطى عند كل مرتبة. ومنهم من يتصدق على الأجانب ويترك بر الأقارب وهم أولى وباسناد عن سليمان بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول

«الصدقة على المسكين صدقة والصدقة على ذوى الرحم اثنتان صدقة وصلة». ومنهم من يعلم فضيلة التصدق على القرابة إلا ان يكون بينهما عداوة دنيوية فيمتنع من مواساته مع علمه بفقره ولو واساه كان له أجر الصدقة والقرابة ومجاهدة الهوى. وقد روى عن أبى أيوب الأنصارى قال: قال رسول الله ﷺ «إن أفضل الصدقة الصدقة على ذى الرحم الكاشح».

قال المصنف رحمه الله: وانما قبلت هذا الصدقة وفضلت لمخالفة الهوى فان من تصدق على ذى قرابة بحبه فقد اتفق على هواه. ومنهم من يتصدق ويضيق على أهله فى النفقة. وقد روى عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ «افضل الصدقة ماكان عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول». وباسناد عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «تصدقوا فقال رجل عندى دينار فقال تصدق به على نفسك. قال عندى دينار آخر قال تصدق به على زوجتك. قال عندى دينار آخر قال تصدق به على ولدك. قال عندى دينار آخر قال تصدق به على خادمك. قال عندى آخر قال أن أبصر به». ومنهم من ينفق فى الحج ويلبس عليه ابليس بأن الحج قربة وإنما مراده الرياء والفرجة ومدح الناس. قال رجل لبشر الحافى. اعددت الفى درهم للحج. فقال: احججت؟ قال نعم، قال: اقضى دين مدين قال: ما تميل نفسى إلا الى الحج قال مرادك أن تركب وتجئ ويقال فلان حاجى. ومنهم من ينفق على الأوقات والرقص ويرمى الثياب على المغنى. ويلبس عليه إبليس بأنك تجمع الفقراء وتطعمهم وقد بينا أن ذلك مما يوجب فساد القلوب ومنهم من إذا جهز ابنته صاغ لها دست الفضة ويرى الأمر فى ذلك قربة وربما كانت له ختمة فتقدم مجامر الفضة ويحضر هناك قوم من العلماء فلا هو يستعظم مافعل ولا هم ينكرون اتباعا للعادة. ومنهم من يجوز فى وصيته ويحرم الوارث ويرى أنه ماله يتصرف فيه كيف شاء وينسى أنه بالمرض قد تعلقت حقوق الوارثين به. وباسناد عن أبى أمامة قال: قال رسول الله ﷺ «من حاف عند الوصية قذف فى الوباء» والوباء واد فى جهنم. وعن الأعمش عن خيثمة قال: قال رسول الله ﷺ «ان الشيطان يقول ماغلبنى عليه ابن آدم فلن يغلبنى على ثلاث آمره بأخذ المال من غير حقه وآمره بانفاقه فى غير حقه ومنعه من حقه».

فصل

وقد لبس إبليس على الفقراء فمنهم من يظهر الفقر وهو غنى فان

اضاف إلى هـذا السؤال والأخذ من الـناس فانما يسـتكثر من نار جـهنم. اخبرنا ابن الحصـين باسناد عن محمد بن فضيل عـن عمارة عن أبى زرعة عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبىﷺ قال «من سأل الناس أموالهم تكثرا فأنما يسأل جمرا فليستـقل منه أو ليستكثر». وإن لم يقبل هذا الرجل من الناس شيئا وكان مقصوده بـاظهار الفقر أن يقال رجل زاهد فقد رآى. وإن كتم نعـمة الله عنده لـيظهر عليـه الفقر لئـلا ينفق ففى ضـمن بخله الشكوى من الله .

وقد ذكرنا فيما تقدم أن رسول الـله ﷺ رأى رجلا بادى الهيئة فقال «هل لك من مال. قال نعـم. قال فلتر نعمة الله عليـك». وإن كان فقيرا محقاً فالمستـحب له كتمان الفقر وإظهار التجمـل فقد كان فى السلف من يحمل مفتاحا يوهم أن له داراً ولا يبيت إلا فى المساجد.

فصل

ومن تلبيس إبليس على الفقراء أنه يرى نفسه خيراً من الغنى إذ قد زهد فيما رغب ذلك الـغنى فيه وهذا غلط وان الخيرية ليـست بالوجود والعدم وانما هى بأمر وراء ذلك.

فصل

وقد لبس ابـليس على جمهـور العوام بالجريان مع الـعادات وذلك من أكثـر أسبـاب هلاكـهم. فمـن ذلك أنهم يـقلدون الآباء والأسـلاف فى اعتقادهم على ما نشئوا عليه من العـادة فترى الرجل منهم يعيش خمسين سنة على ما كان عليه أبوه ولا ينظر أكان على صواب أم على خطأ. ومن هذا تقليد اليهـود والنصارى والجاهلية أسلافهم وكـذلك المسلمون يجرون فى صلاتهـم وعباداتهم مع الـعادة فترى لرجـل يعيش سنين يـصلى على صورة مارأى الناس يصـلون ولعله لا يقيم الفاتحة ولايـدرى ما الواجبات ولا يسهل عليـه أن يعرف ذلك هواناً بالدين ولو أنه أراد تجـارة لسأل قبل سفره عما ينفق فى ذلك البلد، ثـم ترى أحدهم يركع قبل الإمام ويسجد قبل الإمـام ولايعلم أنه إذا ركع قبـله خالفه فى ركـن فإذا رفع قبله فـقد خالفـه فى ركنين فبطلـت صلاته وقد رأيت جمـاعة يسلمون عنـد تسليم الإمام وقد بقى علـيهم من التشهد الواجب شئ وذاك أمـر لايحمله الإمام

فتكـون صلاته باطلة. وربمـا يترك أحدهـم فريضة وزاد فى نـافلة. وربما أهمل غـسل بعض العـضو كالعـقب وربما كان فـى يده خاتم فى خـصر الأصبع فلا يديره وقت الوضوء ولايصل الماء إلى ماتحته فلا يصح وضوؤه وأما بيعهم وشراؤهم فأكثر عقودهم فـاسدة ولا يتعرفون حكم الشرع فيها ولايخف على أحدهم أن يقلـد فقيها فى رخصته استـقلالا منهم للدخول تحت حكم الشـريعة. وقل أن يبيـعوا شيئـا إلا وفيه غش ويغطيـه عيب. والجلاء يغطى عـيوب الذهب الردئ حتى أن المرأة تضـع الغزل فى الانداء وتنديه ليثقل وزنه.

ومن جريـانهم مع العادة أن أحـدهم يتوانـى فى صلاته المفـروضة فى رمضان ويـفطر على الحرام ويغـتاب الناس، وربما لو ضرب بـالخشب لم يفطر فى العادة لأن فى العادة استبـشاع الفطر. ومنهم من يدخل فى الربا بالاستئجار فيـقول معى عشرون ديناراً لا أملك غيرها فإن أنـفقتها ذهبت وأنا أستأجر بها دارا وآكل أجرة الـدار ظناً منه إن هذا الأمر قريب. ومنهم من يرهن الدار على شئ ويؤدى ويقول هذا موضع ضرورة وربما كانت له دار أخرى وفى بيته آلات لو باعها لاستـغنى عن الرهن والاستئجار ولكنه يخاف على جاهه أن يقال قد باع داره أو أنه يستعمل الخزف مكان الصفر. ومما جروا فيه على العادات اعتمـادهم على قول الكاهن والمنجم والعراف وقد شاع ذلك بيـن الناس واستمرت به عادات الأكابـر فقل أن ترى أحداً منهم يسـافر أو يفصل ثوباً أو يحـتجم إلا سأل المنجم وعـمل بقوله ولا تخلـو دورهم من تقـويم وكم من دار لـهم ليس فـيهـا مصـحف. وفى الصحيح عن النبى ﷺ انه سأل عن الكهان «فقال: ليسوا بشىء. فقالوا يا رسول الله إنـهم يحدثون أحياناً بالـشىء يكون حقاً. فقـال رسوله الله ﷺ. تلك الكلـمة من الحق يخطفـها الجنى فيـنقرها فى أذن وليـه نقر الدجاجة فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة.

وفى صحيح مسلم عن النبى ﷺ أنـه قال «من أتى عرافاً فسأله عن شىء لم تـقبل لـه صلاة أربعـين ليلـة». وروى أبو داود من حـديث أبى هريرة رضى اللـه عنه عن النبى ﷺ أنه قـال «من أتى كاهنا فصـدقه بما يقول فقد بـرىء مما أنزل على محمد ﷺ». ومن جريـانهم مع العادات كثرة الإيـمان الحانثة التى أكـثرها ظهاروهم لا يعـلمون فأكثر قـولهم فى

الإيمان حرام علىّ ان بعت، ومن عاداتهم لبس الحرير والتختم بالذهب، وربما تورع أحدهم عن لبس الحرير ثم لبسه فى وقت كالخطيب يوم الجمعة، ومن عاداتهم إهمال انكار المنكر حتى أن الرجل يرى أخاه أو قريبه يشرب الخمر ويلبس الحرير فلا ينكر عليه ولا يتغير بل يخالطه مخالطة حبيب ومن عاداتهم أن يبنى الرجل على باب داره مصطبة يضيق بها طريق المارة وقد يجتمع على باب داره ماء مطر ويكثر فيجب عليه إزالته وقد أثم بكونه كان سبباً لأذى المسلمين، ومن عاداتهم دخول الحمام بلا مئزر وفيهم من إذا دخل بمئزر رمى به على فخذه فيرى جوانب اليتيه ويسلم نفسه الى المدلك فيرى بعض عورته ويمسها بيده لأن العورة من السرة إلى الركبة ثم ينظر هؤلاء إلى عورات الناس ولا يكاد يغض ولا ينكر. ومن عادتهم ترك القيام بحق الزوجة وربما اضطروها إلى أن تسقط مهرها وينظن الزوج أنه قد تخلص بما قد اسقطته عنه. وقد يميل الرجل إلى احدى زوجتيه دون الأخرى فيجوز فى القسم متهاونا بذلك ظناً ان الأمر فيه قريب. فقد روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال «من كانت له امرأتان يميل إلى إحديهما على الأخرى جاء يوم القيامة يجر احدى شقيه ساقطاً أو مائلا». ومن عادتهم اثبات الفلس عند الحاكم ويعتقد الذى قد حكم له بالفلس أنه قد سقطت عنه بذلك الحقوق وقد يؤسر ولا يؤدى حقا. ومنهم من لا يقوم من دكانه بحجه الفلس إلا وقد جمع مالا من أموال المعاملين فأضربه ينفقه فى مدة استتاره وعنده إن الأمر فى ذلك قريب. ومما جروا فيه على العادات أن الرجل يستأجر ليعمل طول النهار فيضيع كثيراً من الزمان إما بالتثبط فى العمل أو بالبطالة أو بإصلاح آلات العمل مثل أن يحد ا لنجار الفأس والشقاق المنشار ومثل هذا خيانة إلا أن يكون ذلك يسيراً قد جرت العادة بمثله. وقد يفوت أكثرهم الصلاة ويقول أنا فى إجارة رجل ولا يدرى أن أوقات الصلاة لا تدخل فى عقد الإجارة. وقلة نصحهم فى أعمالهم كثيرة ومما جروا فيه على العادة دفن الميت فى التابوت وهذا فعل مكروه وأما الكفن فلا يتباهى فيه بالمغالاة ينبغى أن يكون وسطا. ويدفنون معه جملة من الثبات وهذا حرام لأنه إضاعة المال ويقيمون النوح على الميت، وفى صحيح مسلم أن النبى ﷺ قال: «إن النائحة إذا لم تتب قبل موتها نقام يوم القيامة

وعليها سربال من قطران ودرع من جرب». ومن عاداتهم اللطم وتمزيق الثياب وخصوصاً النساء. وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: ليس منا من شق الجيوب ولطم الخدود ودعى بدعوى الجاهلية». وربما رأوا المصاب قد شق ثوبه فلم ينكروا عليه لا بل ربما أنكروا ترك شق الثوب وقالوا ما أثرت عنده المصيبة ومن عاداتهم يلبسون بعد الميت الدون من الثياب ويبقون على ذلك شهراً أو سنة وربما لم يناموا هذه المدة فى سطح. ومن عاداتهم زيارة المقابر فى ليلة النصف من شعبان وإيقاد الدار عندها وأخذ تراب القبر المعظم. قال ابن عقيل لما التكاليف على الجهال والضغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم قال وهم كفار عندى بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وإكرامها بما نهى الشرع عنه من إيقاد النيران وتقبيلها ونخليفها وخطاب الموتى بالألواح وكتب الرقاع فيها يا مولاى أفعل بى كذا وكذا وأخذ التراب تبركا وإفاضة الطيب على القبور وشد الرحال اليها وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى ولا تجد فى هؤلاء من يحقق مسألة فى زكاة فيسال عن حكم يلزمه: والويل عندهم لمن لم يقبل مشهد الكهف ولم يتمسح بآجرة مسجد المأمونية يوم الأربعاء ولم يقل الحمالون على جنازته أبو بكر الصديق أو محمد وعلى. ولم يكن معها نياحة. ولم يعقد على أبيه أزجاً بالحص والآجر ولم يشق ثوبه إلى ذيله ولم يرق ماء الورد على القبر ويدفن معه ثيابه .

فصل

وأما تلبيس إبليس على النساء فكثير جداً وقد أفردت كتاباً للنساء ذكرت فيه ما يتعلق بهن من جميع العبادات وغيرها وأنا أذكر ههنا كلمات من تلبيس إبليس عليهن فمن ذلك أن المرأة تطهر من الحيض بعد الزوال فتغتسل بعد العصر فتصلى العصر وحدها وقد وجبت عليها الظهر وهى لا تعلم وفيهن من يؤخر الغسل يومين وتحتج بغسل ثيابها وغسلهم ودخول الحمام: وقد تؤخر غسل الجنابة فى الليل إلى أن تطلع الشمس. فإذا دخلت الحمام لم تتزر بمئزر وتقول ما دخل إلىّ إلا القيمة. وربما قالت أنا وأختى وأمى وجاريتى وهن نساء مثلى فممن أستتر وهذا كله حرام. فإن تأخير الغسل بغير عذر لا يجوز ولا يحل للمرأة أن تنظر من

المرأة ما بيـن سرتها وركبـتها ولو كانت ابنـتها وأمها إلا أن تـكون البنت صغيرة فإذا بلغـت سبع سنين استترت واستتر منهـا وقد تصلى المرأةقاعدة وهى تقدر على القيـام فالصلاة حينئذ باطلة. وقد تحتج بـنجاسة فى ثوبها من بول طـفلها وهـى تقدر علـى غسلـه ولو أرادت الخروج إلى الـطريق لتهيأت واستعارت وإنما هات عندها أمر الصلاه وقد لا تعرف من واجبات الصلاة شيئاً ولا تسأل. وقد ينكشف من الحـرة ما يبطل صلاتها وتستهين به. وقد تستهين المرأة بإسقاط الحبل ولا تدرى أنها إذا أسقطت ما قد نفخ فيه الروح فقد قتلت مسلماً وقد تستـهين بالكفارة الواجبة عليها عند ذلك الفعل فانه يجب عليها أن تتـوب وتؤدى دينه إلى ورثته وهى غرة عبداً أو أمة قيـمتها نصف عـشر دية أبية أو عشـر دية الأم ولا ترث الأم من ذلك شيئاً ثم تعتق رقبة فان لم تجد صامت شهرين متتابعين. وقد تسىء الزوجة عشرتها مـع الزوج وربما كلمته بالمكروه وتقول هـذا أبو أولادى وما بيننا هذا وتخرج بغير إذنه وتقول ما خرجت فـى معصية ولا تعلم أن خروجها بغير إذنه معـصية. ثم نفس خروجها لا يؤمن منه فـتنة. وفيهن من تلازم القبور وتحـد لا على الزوج وقد صح عن رسـول الله ﷺ أنه قال: لا يحل لامـرأة تؤمن بالله ورسـوله أن تحد علـى ميت إلا على زوج أربـعة أشهـر وعشراً. ومنـهم من يدعوها زوجـها إلى فراشـه فتأبـى وتظن هذا الخلاف ليـس بمعصيـة وهى منهية عـنه لما روى أبو هريرة رضى الـله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فباتت وهو عليها ساخط لـعنتها الملائكة حتى تصبح» أخرجاه فـى الصحيحين. وقد تفرط المرأة فى مال زوجها ولا يحل لها أن تخرج من بيته شيئاً إلا أن يأذن لها أو تعلم رضـاه. وقد تعطى من ينجم لها بالحـصى ويسحر ومن تعمل لها نسخة محبة وعقد لسان وكل هذا حرام، وقد تستجيز ثقب آذان الأطفال وهو حراء فان أفلحت وحضرت مجلس الواعظ فربما لبست خرقة من يد الشـيخ السوفى وتصـافحه فصارت مـن بنات المنبر فـخرجت إلى عجائب، ويـنبغى أن تكف عنان العلـم اقتصاراً على هذه النـبذة فان هذا الأمر يطول ولو بـسطنا لنبذ المذكـورة فى هذا الكتاب أو شيـدنا ردنا على من رددنا عليه بالأحاديث والآثار لاجتمـعت مجلدات، وإنما ذكرنا اليسير ليدل على الـكثير وقد اقتـنعنا فى ذكر فاحش القـبيح من أفعال الـغالطين

بنفس حكايته دون تعاطى رده لأن الأمر فيه ظاهر والله يعصمنا من الزلل ويوفقنا لصالح القول والعمل بمنه وكرمه .

. . . . .

الباب الثالث عشر
فى ذكر تلبيس إبليس على جميع الناس بطول الأمل

قال المصنف رحمه الله: كم قد خطر على قلب يهودى ونصرانى حب الإسلام فلا يزال إبليس يثبطه ويقول لا تعجل وتمهل فى النظر فيسوفه حتى يموت على كفره وكذلك يسوف العاصى بالتوبة فيجعل له غرضه من الشهوات ويمنيه الإنابة كما قال الشاعر:

لا تعجل الذنب لما تشتهى وتأمل التوبة من قابل

وكم من عازم على الجد سوفه، وكم ساع إلى فضيلة ثبطه فلربما عزم الفقيه على إعادة درسه فقال استرح ساعة أو انتبه العابد فى الليل يصلى فقال له عليك وقت. ولا يزال يحبب الكسل ويسوف العمل ويسند الأمر إلى طول الأمل فينبغى للحازم أن يعمل على الحزم والحزم تدارك الوقت وترك التسوف والاعراض عن الأمل فإن المخوف لا يؤمن والفوات لا يبعث وسبب كل تقصير فى خير، أو ميل أن شر طول الأمل فان الإنسان لا يزال يحدث نفسه بالنزوع عن الشر والاقبال على الخير إلا أن يعد نفسه بذلك ولا ريب أنه من الأمل أن يمشى بالنهار سار سيراً فاتراً ومن أمل أن يصبح عمل فى الليل عملا ضعيفاً ومن صورّ الموت عاجلا جد، وقد قال ﷺ «صل صلاة مودع». وقال بعض السلف: أنذركم سوف فإنها أكبر جنود إبليس: ومثل العامل على الحزم والساكن لطول الأمل كمل قوم فى سفر فدخلوا قرية فمضى الحازم فاشترى ما يصلح لتمام سفره وحبس متأهباً للرحيل: وقال المفرط سأتأهب فربما أقمنا شهراً، فضرب بو، الرحيل فى الحال فاغتبط المحترز واغتبط الآسف المفرط فهذا مثل الناس فى الدنيا منهم المستعد المستيقظ فإذا جاء ملك الموت لم يندم ومنهم المغرور المسوف يتجرع مرير الندم وقت الرحلة فإذ كان فى الطبع حب التوانى وطرل الأمل ثم جاء إبليس يحث على العمل بمقتضى ما فى الطبع صعبت المجاهدة إلا أنه من انتبه لنفسه علم أنه فى صف حرب وأن عدوه لا يفتر عنه فإن افتر فى الظاهر بطن له مكيدة وأقام له كميناً ونحن نسأل الله عز وجل السلامة من كيد العدو وفتن الشيطان وشر النفوس والدنيا انه قريب مجيب جعلنا الله من أولئك المؤمنين.

الفهـــرس

الموضـــــــــوع	الصفحة



